late VII 1296

2 vols. £45

IBN QĀSIM Jassūs:
Al-sharh al-mawsūm
bi-'l-Fawā'id al-Jalīla

2 vols

C60.

AK

(فهرسة الجزء الاول من شرح الشمائل الترمذيه)

صحيفة

٦ باب ماجاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
٥٣ باب ماجاء فى خاتم النبوة
٦٥ باب ماجاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٠ باب ماجاء فى ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٥ باب ماجاء فى شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٨٣ باب ماجاء فى خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٨٩ باب ماجاء فى كحل رسول الله صلى الله عليه وسلم
٩٢ باب ماجاء فى لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٠٩ باب ماجاء فى عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣١ باب ماجاء فى خف رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٤ باب ماجاء فى نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٤٥ باب ماجاء فى ذكر خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٣ باب ماجاء فى تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦١ باب ماجاء فى صفة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٤ باب ماجاء فى صفة درع رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٧ باب ماجاء فى صفة مغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧١ باب ماجاء فى عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٥ باب ماجاء فى صفة ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٢ باب ماجاء فى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٣ باب ماجاء فى تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٤ باب ماجاء فى جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٨٦ باب ماجاء فى تكأة رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٣ باب ماجاء فى اتكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٤ باب ماجاء فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٨ باب ماجاء فى صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٠٥ باب ماجاء فى صفة ادام رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢٣٨ باب ماجاء فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الط

صحيفة

٢٤٠ باب ما جاء فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الطعام وبعد ما يفرغ منه

٢٤٩ باب ما جاء فى قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٥١ باب صفة فاكهة رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢٥٦ باب صفة شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(تمت)

الجزء الاول

من الشرح الموسوم بالفوائد الجليلة البهيه على الشمائل
المحمديه للعلامة المحقق الفهامة المدقق
من أضاءت معارفه اضاءة الشموس
سيدى محمد بن قاسم
جسوس
م

وبهامشه لوامع أنوار الكوكب الدرى في شرح همزية الامام البوصيرى
للعالم النحرير والحبر الكبير ذى التحقيق النفيس سيدى محمد بن أحمد بنيس
عم الله تعالى الجميع برضوانه وأكرمهم بالمشاهدة فى فسيح جنانه آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الامام سيدى محمد بن قاسم جسوس رحمه الله تعالى

الحمد لله الذى أودع أبدع الشمائل زين الخلائق وولاه وأولاه أجمل الخلق وأحسن الخلائق وحباه قبل خلقه بالاكرام وانتخبه من خيرة خلقه الجلة الكرام وأنشأه براكريما رؤفا رحيما وبه رسله ختم وعليه نعمته أتم فهو الحائز لكل المفاخر الفاخره وهو على الاطلاق سيد أهل الدنيا وسيد أهل الآخره توالت عليه صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته واكرامه وعلى آله أجمعين وأصحابه والتابعين ماذكرت محاسنه وفضائله وسرت السامعين بشرحها شمائله

اذا ذكرت شمائل من اليه انتمت بين الورى أسمى الشمائل
رأيت السامعين تميل وجدا * كأغصان تحركها الشمائل

(وبعد) فلما كان كتاب الشمائل من أجل ما ألف فى محاسن قطب الوسائل ومنبع الفضائل وكان الاشتغال به خدمة لشفيع الخلائق الاواخر منهم والاوائل ووسيلة الى امتلاء القلوب بتعظيمه ومحبته وطريقا الى اتباع طريقته وسنته ومعينا على الفوز بمشاهدة كريم طلعته قيدت عليه عند اقرائه وقراءته واستعمال الفكر فى تفهم عبارته فوائد وتحقيقات وتنبيهات بينات تغنى الناظر فيه عن كثير من المجلدات راجيا أن نفوز بقسط من التعلق به وأن نحسب من جملة خادميه وحزبه وننخرط فى سلك أهل وداده وحبه وندلى دلونا معهم فى بحر فضله الذى لا يخيب قاصده ولا يظمأ وارده وأن نظفر بدعوة من أولى الالباب فان الدعاء بظهر الغيب مستجاب * وقد قيل كما ان أهل القرآن أهل الله فأهل الحديث أهل رسول الله وأنشدوا

(بسم الله الرحمن الرحيم)
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (قال الشيخ) الامام العالم العلامة سيدى محمد ابن أحمد بنيس رحمه الله تعالى

(الحمد لله) الذى أرسل رسوله محمدا المحمود بالهدى ودين الحق وخصه من بين سائر الرسل بالرسالة العامة لكل الخلق وأوجب له النبوة وآدم بين الطين والماء وجعله خاتم الانبياء وامام ملائكة السماء فهو الشفيع المشفع يوم العرض المحمود فى ملا السماء والارض صاحب اللواء المنشور يوم النشور والمؤتمن على سر الكتاب المسطور ومخرج الناس من الظلمات الى النور فائدة الكون ومعناه وسر الوجود الذى بهر الوجود سناه وصفى حضرة القدس الذى لا ينام قلبه اذا نامت عيناه البشير الذى سبقت له البشرى

ورأى من آيات ربه الكبرى ونزل فيه سبحان الذى أسرى من انتقل فى الغرر الكريمة نوره وأضاءت لميلاده مصانع الشام وقصوره وطفقت الملائكة تحييه وفودها وتزوره والمعجزات التى أثبتتها المشاهدة والحس وأقربها الجن والانس من جماد يتكلم وجذع لفراقه يتألم وقمر له ينشق وحجر يشهد أن ما جاء به هو الحق وشمس بدعائه عن مسيرها تحبس وماء من بين أصابعه ينبجس صلى الله عليه وعلى آله ملء اللوح والفضاء ومثل نجوم السماء وعدد القطر والحصى صلاة لا تعد ولا تحصى (وبعد) فهذا مشرع شريف ومنزع لطيف ومقصد منيف قصدت به الانحياش لباب أكرم خلق الله بشرح قصيدة الامام أبي عبد الله محمد بن سعيد (٣) البوصيرى رحمه الله بذلت فيه المجهود فى خدمة أجود كل موجود مستمطرا سحائب احسانه مستنزلا غزير بره وامتنانه فان الكرام اذا امدحوا أجزلوا العطايا ومنحوا وكل يعمل على طاقته وشاكلته ومدار عمل العامل على نيته (وسميته لوامع أنوار الكوكب الدرى فى شرح همزية الامام البوصيرى) ومن الله سبحانه استمد العون والقبول والفوز بالرضا ونيل المأمول انه جل شأنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ولنقدم مقدمة مشتملة على مقصدين مهمين

(المقصد الاول)

وقد لخصت مضمنه من شرح شيخنا سيدى محمد جسوس على الشمائل فنقول لا شك ان المكلف مكلف بأن يعرف ما يجب فى حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل وأن يعرف مثل ذلك فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا النظم مشتمل على ذكر بعض صفات نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومعرفة ذلك والاطلاع عليه فمتعين على كل مؤمن لوجوه *(الوجه الاول)* ان معرفة صفاته السنيه ونعوته البهية السمية وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه وهو وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لامرها ونهيها وايثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذى لاجله خلق الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الابدية والسيادة السرمدية والفوز

أهل الحديث هم أهل النبى وان * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وقد اعتمدنا فى مواضع كثيرة من هذا الشرح المبارك على شرح الامام البحر الهمام سيدى على بن سلطان محمد القارى الحنفى رحمه الله تعالى المسمى بجمع الوسائل فى شرح الشمائل * فنسأله سبحانه وتعالى أن يجعله وصلة بيننا وبينه وينيلنا به فى الدارين غفرانه وأمنه انه سميع مجيب رحيم قريب فأقول وبه أستعين وهو القوى المعين يوجد فى بعض النسخ (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قال الشيخ الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى) والموجود فى بعضها بعد البسملة (باب ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم) والاولى أن تنسب الحمدلة للمصنف عملا بحسن الظن به والكلام على جملتى الحمدلة والبسملة شهير وقد ذكرنا فيما النامن التقييد على خطبة الرسالة وعقيدتها ما تمس الحاجة اليه من ذلك وأما قال الشيخ الخ فيحتمل أن يكون من صنع تلامذته لما قال الخطيب ينبغى أن يكتب المحدث بعد البسملة اسم شيخه وكنيته ونسبته ثم يسوق ما سمعه منه ويحتمل أن يكون ذلك من فعل المصنف للاعتماد لا للافتخار ولان الفائدة اذا عرف مفيدها عظم موقعها من النفس سيما فى العلوم النقلية التى من جملتها علم الحديث المحتاج فيه الى معرفة القائل وعدالة الناقل فلا يؤخذ الا عمن كان عالما عاملا فتكون معرفة المؤلف ومرتبته فى العلم والدين من أقوى دواعى الاعتناء بمسائل الكتاب والنظر فيه بعين الرضا الذى هو من أقوى أسباب الانتفاع به بتوفيق الله تعالى والانتفاع بالتأليف هو المقصود منه فصار تعريف المؤلفين بأنفسهم من باب الحرص على الانتفاع وهداية الامة والاعمال بالنيات * وهذا والله أعلم مما يصلح توجيها لافتتاح الكتاب العزيز بخصوص الفاتحة المتضمنة للثناء عليه تعالى بكل

برضوان الله تعالى الذى هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين اليوم أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدره صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وأمره فى غير ما آية من كتابه العزيز قال مولانا جل شأنه واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله من يطع الرسول فقد أطاع الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الى غير ذلك *(الوجه الثانى)* ان معرفتها تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك وسيلة الى محبته لان أسباب المحبة وان تكاثرت فمدارها على أمرين الحسن والاحسان فان النفوس مجبولة (٤) على حب الحسن والمحسن اليها ولا حسن يماثل حسنه صلى الله عليه وسلم كمالا احسان يماثل احسانه صلى الله عليه وسلم الينا اذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت ومحبته صلى الله عليه وسلم من روح الايمان الذى هو أصل كل سعادة وسيادة وفى محبتنا له صلى الله عليه وسلم منن عظيمة علينا لانها موجبة لمعيته ومجاورته وصحبته لحديث أنت مع من أحببت والمرء مع من أحب وقد قال ما اختلط حب بقلب أحد فأحبنى الا حرم الله جسده على النار (الوجه الثالث) ان السعى فى معرفتها خدمة لجنابه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره وتقرب وتودد وانتساب واستعطاف وتعرض لنفحات فضل الممدوح واستمطار لسحائب احسانه واستنزال لغزير بره وامتنانه ومقلد الفاقة والاضطرار وبسط لبساط الالحاح والاكثار وفتح لابواب خزائن ما يأتى من قبله فان الكرام وقد اذا امتدحوا أجزلوا المواهب والعطايا وقد أعطى العباس بن مرداس لما مدحه مائة من الابل وخلع حلته على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته المشهورة التى منها قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

وفى ذلك أيضا تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وسندهم وعمدهم صلى الله عليه وسلم وبالجملة فادنى انتساب اليه صلى الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذ لم يخلق الله تعالى خلقا

ماهو أهله من صفات الكمال ونعوت الجلال وان منه تعالى المبدأ واليه المرجع والمنتهى وبه البقاء حتى يكون لاوامره ونواهيه تعالى موقع عظيم فى القلوب وتأثير عجيب فى النفوس فان تعظيم الامر والنهى على قدر معرفة الآمر والناهى وأيضا فى تعريفهم بانفسهم اظهار لنعمة الله عليهم الذى هو ضرب من الشكر ان الله اذا أنعم على عبد أحب أن يظهر أثر نعمته عليه وأيضا فى ذلك اشعار بطلب الاعتناء بمعرفة الشيوخ ونسبة فوائدهم اليهم وذكرهم والثناء عليهم والقيام بحقوقهم والاحسان اليهم لانهم آباؤنا فى الدين فتجب خدمتهم واستعمال الآداب اللائقة معهم ومكافأتهم لمن قدر والا فبالدعاء لهم من لم يشكر الناس لم يشكر الله من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له الحديث واكرامهم فى الحقيقة خدمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم أنصار دينه وحملة شريعته وخلفاؤه ونوابه *قال أبو معاوية الضرير أكلت مع هرون الرشيد يوما ثم صب على يدى رجل لا أعرفه أى لكونه ضريرا فقال الرجل تدرى من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم فقلت جزاك الله عنا خيرا يا أمير المؤمنين فما أكرمت الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت انما صببت على يدك لانها كف عنيت بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى معاذ مرفوعا من وقر عالما فقد وقر ربه وفى الاحياء أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقال انا هكذا أمرنا أن نصنع بالعلماء والكبراء منا * ويحتمل احتمالا قريبا ان يكون فى نسخة المصنف قال أبو عيسى الخ وزيادة الشيخ الحافظ من التلامذة اجلالا وتعظيما والشيخ هو من كان استاذا كاملا متبحرا فى فن من الفنون ويصح الاقتداء به ولو كان شابا فان كثيرا من الصحابة حدثوا فى زمن شبابهم وجماعة من أحداث التابعين رووا لاصحابهم وقد قال اسحق بن راهويه فى حق البخارى يا أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب واكتبوا عنه فانه لو كان فى زمن الحسن البصرى لاحتاج اليه لمعرفته بالحديث

أكرم عليه من مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يخلق جاها أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله صلى الله عليه وسلم من العز والشرف * قال الشيخ سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ما فى الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وأخرى مثل النبى صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما نرى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد وكما ان غلام الوالى لا يتعرض له اكراما للوالى فكذلك خدام النبى صلى الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تفعل الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الاعمال الصالحة (٥) مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص ولشيخ شيوخنا العلامة أبى عبد الله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى فى همزيته

وإذا ما الجناب كان عظيما ... مد منه لخادميه لواء

وإذا عظمت سيادة متبو ... ع أجل اتباعه الكبراء

(الوجه الرابع) ان معرفة صفاته معينة على شهود ذاكره لذاته وفى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كثيرة فخيمة وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا من نظر فى وجه أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وقوله هم القوم لا يشقى جليسهم مع انهم ما نالوا ذلك الا بنوره المشرق عليهم ومدده السارى فيهم

وكلهم من رسول الله ملتمس الخ

(الوجه الخامس) ان فى ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم وهو ضرب من الوصال به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتاع حاسة السمع واللسان باوصاف المحبوب الذى هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات النظر اليه بالبصر لم يفت التمتع بسماع لذيذ الخبر ولذا قيل

ياواردا من أهيل الحى يخبرنى * عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر

ناشدتك الله ياراوى حديثهم * حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى

(وللشيخ الغوث سيدى أبى مدين نفعنا الله به)

وقد أفاد مالك وهو ابن عشرين أو سبع عشرة والشافعى تلامذة العلماء وهو فى حداثة السن خلافا لمن اشترط أن يكون ابن خمسين أو أربعين والحافظ هو فى اصطلاح المحدثين من أحاط علمه بمائة ألف حديث متنا واسنادا والحجة من أحاط علمه بثلثمائة ألف حديث متنا واسنادا وأحوال رواته جرحا وتعديلا وتاريخا نقل عن البخارى انه قال احفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى ألف حديث غير صحيح * وأبو عيسى هو كنية المصنف واسمه محمد والده عيسى وجده سورة على وزن طلحة وأصلها لغة الحدة ابن موسى بن الضحاك السلمى بضم السين منسوب الى بنى سليم مصغرا قبيلة من قيس بن عيلان والترمذى قال النووى فيه ثلاثة أوجه كسر التاء والميم وهو الاظهر وضمهما وفتح التاء وكسر الميم نسبة لترمذ وهى بلدة قديمة على طرف نهر بلخ المسمى بالجيحون وهو النهر الفاصل بين عراق العرب والعجم * كان رضى الله عنه أحد الائمة الاعلام وحفاظ مشايخ الاسلام وجامعه دال على اتساع حفظه ووفور علمه فانه كاف للمجتهد وشاف للمقلد * ونقل عن الشيخ أبى عبد الله الانصارى انه قال جامع الترمذى عندى أنفع من كتابى البخارى ومسلم وقد قال رحمه الله كل ما فى كتابى هذا معمول به الا حديثين حديث جمع النبى صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فى غير خوف ولا سفر ولا مطر وحديث اذا شرب الخمر فاجلدوه واذا شرب الثانية فاجلدوه واذا شرب فى الثالثة أو فى الرابعة فاقتلوه * قال وقد عرضت كتابى هذا على علماء العراق وعلماء خراسان فكلهم قبلوه ورضوا به قال ومن كان كتابى هذا فى بيته فكأنما فى بيته نبى ينطق اه قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة وكون حديث الجمع لم يعمل به يعنى عند السلف الاول والافى المذهب قول بجوازه فى الظهرين لغير ضرورة والجمع الصورى أيضا وقد حكى ذلك الباجى وغيره وهم أئمة هدى والدليل معهم اه وكتابه السنن أحد الكتب الستة التى عليها المدار فى علم الحديث * سمع

ونحيا بذكركم اذا لم نراكم * ألا ان تذكار الاحبة ينعشنا فلولا معانيكم تراها قلوبنا * اذا نحن أيقاظ وفى النوم ان غبنا
لمتنا اسى من بعدكم وصبابة * ولكن فى المعنى معانيكم معنا يحركنا ذكر الاحاديث عنكم * ولولا هواكم فى الحشا ما تحركنا

(ولذا قيل)

ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا

(الوجه السادس) ان ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك ما فى القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب (٦) ما يناسب اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر أوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولا سيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع ويرق القلوب كما هو المطلوب ويرحم الله الشيخ سيدى عبد الرحيم البرعى اذ قال

وتأخذ قلبى نشوة عند ذكركم
كما ارتاح صب خامرته خمور
أصوم عن الاغيار قطعا وذكركم
سحور لصومى فى الهوى وفطور
ومدح رسول الله أصل سعادتى
أفوز به يوم السماء تمور
نبى تقى اريحى مهذب
بشير لكل العالمين نذير
اذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره
وطابت نفوس وانشرحن صدور

(المقصد الثانى فى التعريف بالناظم اجمالا)

فهو رحمه الله الامام العلامة الهمام العارف بالله الصادق فى محبة سيدنا رسول الله أبو عبد الله سيدى محمد ابن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله البوصيرى رضى الله عنه وارضاه ولد سنة ثمان وستمائة وتوفى سنة خمس وتسعين فعمره سبع وثمانون سنة أخذ عن العارف بالله سيدى أبى العباس احمد بن عمر المرسى الانصارى وهو عن القطب الكبير والغوث الشهير مولانا أبى الحسن الشاذلى الحسنى وهو عن القطب الهمام غوث الانام مولانا عبد السلام بن مشيش الحسنى وقد عرف بالناظم أخوه فى الله سيدى أحمد بن عطاء الله فى لطائف المنن فلتنظر وممن أخذ عن الناظم أبو حيان واليعمرى وأبو الفتح بن سيد الناس والعز بن جماعة وغيرهم ثم انه رضى الله عنه ابتدأ هذه

رضى الله عنه خلقا كثيرا من الائمة الاعلام مثل قتيبة بن سعيد والبخارى والدارمى ونظرائهم وذكر السيد الشريف فى التذكرة ان الترمذى قال سمع منى محمد بن اسمعيل البخارى حديث عطية عن أبى سعيد لا يحل لاحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك اه فيكون كل منهما على هذا شيخا للآخر وروى عنه مسلم أيضا حديثا واحدا وهو من تابعى تابع التابعين وأعلى ما وقع له فى الجامع حديث ثلاثى الاسناد وهو قوله عليه السلام يأتى على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر * ولد رحمه الله أكمه سنة تسع ومائتين وتوفى رحمه الله سنة تسع وسبعين ومائتين فعمره سبعون سنة * قوله رضى الله عنه

(باب ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ينبغى ان نقدم قبل الشروع فى كلام المصنف مقدمة لم نسبق اليها فيما نعلم لقوى باعث الرغبة فيما ذكره من شمائل النبى صلى الله عليه وسلم فنقول مقصود المصنف ذكر ما ورد عن الصحابة رضى الله عنهم من شمائله صلى الله عليه وسلم وحسنه الظاهر والباطن ومعرفة ذلك مما يتأكد بل يتعين على كل مؤمن لوجوه *(الوجه الاول)* ان معرفة صفاته السنية ونعوته البهية السمية صلى الله عليه وسلم وسيلة الى امتلاء القلب بتعظيمه وتعظيمه وسيلة الى تعظيم شريعته لان حرمة الكلام على قدر حرمة المتكلم به وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة الى العمل بها والوقوف عند حدودها والارتباط لامرها ونهيها وايثارها على مألوفات النفس وعوائدها وشهواتها الشاغلة لها عن مالكها وخالقها وذلك هو معنى الانقطاع الى الله الذى لاجله خلق الانسان وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو وسيلة الى السعادة الابدية والسيادة السرمدية والفوز برضوان الله تعالى الذى هو غاية رغبة الراغبين ونهاية آمال المؤملين وطلب الطالبين اليوم أحل عليكم رضوانى فلا أسخط

عليكم

القصيدة بما يناسب غرضه من المديح وذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم التى ارتقى فيها الى غاية لا تدرك ففى مطلع النظم براعة الاستهلال وكل ما بعده تفصيل لبعض مجمله واستفتح بطريق الخطاب تشخيصا لذاته المقدسة البهية واحضارا لصفاته النزيهة العلية وتلذذا بالكلام معه واستجلابا لخطابه وتفاؤلا بالقرب منه وصرفا للهمة اليه استحياء من ان يخاطبه وهو غائب عنه وكان مدح العظماء عند حضورهم أتم وأجمع منه عند غيبتهم لان الهمة مع حضورهم تفرغ لخدمتهم والقريحة تضطر لاستنباط ما يناسب أقدارهم على ان من كان مغرما بشئ مشوقا اليه مشغوفا به لا يزال ذاكرا له بلسانه وقالبه وقلبه حتى يصير لدوام الاستحضار مشاهدا فى حضرة الابصار يمثل الفكر المروع بالنوى* (٧) فأرتاح اذ يبدى خيالك فى فكرى ويدنيك منى الوهم حتى كاننى اناجيك من فرط التشوق والذكر فقال رضى الله عنه

(كيف ترقى رقيك الانبياء
يا سماء ما طاولتها سماء)

الغالب فى كيف الاستفهام تحقيقا أو تقديرا كما هنا فهى للاستفهام الانكارى المشوب بالتعجب المتضمن للنفى وهى فى موضع نصب على الحال لوقوعها قبل كلام تام أى على أى حال ترقى رقيك الانبياء (١) أى لا حال لهم ينالون به ذلك ورقى بكسر القاف فى المحسوسات وبالفتح فى المعانى ويراد ان معا هنا من باب استعمال المشترك الذى هو المضارع فى معنييه فالحسى هو رقيه صلى الله عليه وسلم بدنه يقظة بمكة ليلة الاسراء الى السموات الى سدرة المنتهى الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار

عليكم بعده أبدا وهذا من فوائد تنويه الله تعالى بقدره صلى الله عليه وسلم وتعظيم شأنه وأمره فى غير ما آية من كتابه العزيز كآية واذ أخذ الله ميثاق النبيين وكآية انا فتحنا لك فتحا مبينا الخ وكآية ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله الخ وكآية من يطع الرسول فقد أطاع الله وكآية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الخ وكآية القسم بمدة حياته لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وبعصره والعصر ان الانسان لفى خسر الخ وبلده لا أقسم بهذا البلد وعلى صدقه والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى الخ وعلى اكرامه والانعام عليه والضحى والليل اذا سجى أقسم تعالى ان صفاء المحبة باق كما كان وخلوص المودة لم يزل ولم يتبدل *(الوجه الثانى)* ان معرفتها تتضمن معرفة حسنه واحسانه صلى الله عليه وسلم وذلك وسيلة الى محبته لان أسباب المحبة وان تكاثرت فدارها على أمرين الحسن والاحسان فان النفوس مجبولة على حب الحسن كما انها مجبولة على حب المحسن اليها ولا حسن يماثل حسنه صلى الله عليه وسلم كما لا احسان يماثل احسانه صلى الله عليه وسلم الينا اذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت وبطلعته ظهرت ومحبته صلى الله عليه وسلم هى روح الايمان الذى هو أصل كل سعادة وسيادة وفى محبتنا له صلى الله عليه وسلم منن عظيمة علينا لانها موجبة لمعيته ومجاورته وصحبته لحديث أنت مع من أحببت والمرء مع من أحب* وروى الحافظ أبو نعيم عن مسعر بن كدام عن عطية قال كنت مع ابن عمر رضى الله عنه جالسا فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن وددت انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عمر فكنت تصنع ماذا فقال كنت والله أومن به وأقبل بين عينيه فقال له ابن عمر ألا أبشرك قال بلى يا أبا عبد الرحمن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما خالط حبى بقلب أحد فأحبنى الا حرم الله جسده على النار *(الوجه الثالث)* ان السعى فى معرفتها خدمة لجانبه صلى الله عليه وسلم وثناء عليه وتعلق به وتعظيم لقدره وتقرب وتودد

---

(١) ومن أدلة ذلك حديث الترمذى أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى اهـ وفى شرح الشفاء للشهاب ما نصه ثم ان البرهان ذكر عن ابن مسعود ان عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة لواء الحمد فقال طوله ألف سنة وستمائة سنة من ياقوتة حمراء وقضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة فى وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم والثانى الحمد لله رب العالمين والثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر مسيرة ألف عام قال صدقت يا محمد اهـ من هامش الاصل

ثم الى العرش والرفرف والرؤية العيانية وسماع الخطاب وغير ذلك مما يأتى مفصلا مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل والمعنوى المنقسل من صفات كاملة عظيمة الى ما هو أكمل منها أو أعظم والانبياء جمع نبى بالهمز من النبأ أى الخبر لان النبى مخبر عن الله وبلا همز وهو الاكثر استعمالا قيل انه مخفف من المهموز بقلب همزته ياء وقيل انه الاصل من النبوة بفتح النون وسكون الباء أى الرفعة لان النبى صلى الله عليه وسلم مرفوع الرتبة على غيره من الخلق والنبى انسان أوحى اليه بشرع وان لم يؤمر بتبليغه فان أمر بذلك فرسول أيضا أو وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله كيوشع فان كان له ذلك فرسول أيضا قولان فالنبى أعم (٨) من الرسول عليهما وفى ثالث انهما بمعنى وهو معنى الرسول على الاول المشهور قاله المحلى وعبر به الناظم لكثرة استعماله عرفا حتى صار به مرادفا للرسول على ان فى آخر البيت ما يدل على العموم وهو وقوع النكرة فى سياق النفى ويا سماء نداء ومنادى مفرد منكر مقصود موصوف بما بعده فينتظم فى سلك الشبيه بالمضاف لانه نودى موصوفا فصارت الصفة له كالمعمول لعامله فلابد من نصبه على الاصح خلافا لمن أجاز ضمه والمطاولة مفاعلة للمغالبة أى ما غالبتها فى الطول والارتفاع سماء والمراد بالمغالبة المقاومة والمقابلة بقصد الغلبة أى لم يكن لهم مطمع فى ذلك لتحققهم بانك غاية لا تدرك ونهاية لا تلحق والمراد بالاولى نبينا صلى الله عليه وسلم وبالثانية غيره من الانبياء والمرسلين شبههم بالسماء لانها أرفع ما يرى من الاجرام الحسية كما انهم أعلى الخلق وهذا من الاستعارة الواقعة فى كلامه كثيرا وهى مجاز تضمن تشبيه ما عنى به بما وضع له فشبه النبى صلى الله عليه وسلم بالسماء بجامع العلو ثم أطلق لفظ المشبه به على المشبه استعارة تصريحية قال فى التلخيص وكثيرا ما تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به فى المشبه ثم أتى بالرقى ترشيحا * (تنبيه) * قال فى التلخيص وقد يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشئ من أركانه سوى المشبه ويدل عليه بأن يثبت للمشبه امر مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنها واثبات ذلك الامر للمشبه استعارة تخييلية كما فى قول الهذلى

واذا المنية انشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

واذا

واستعطاف وانتساب وتعرض لنفحات فضل الممدوح واستمطار سحائب احسانه واستنزال الغزير بره وامتنانه ومد ايد الفاقة والاضطرار وبسط لبساط الالحاح والاكثار وفتح لابواب خزائن ما يأتى من قبله فان الكرام اذا امدحوا اجزلوا المواهب والعطايا وقد أعطى العباس بن مرداس لما مدحه صلى الله عليه وسلم مائة من الابل وخلع حلته على كعب بن زهير لما مدحه بقصيدته التى يقول فيها

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

وفى ذلك أيضا تعرض لنفحات الرحمة الالهية لانه اذا كانت رحمته تعالى تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالك بسيدهم وسندهم وعمدهم صلى الله عليه وسلم وبالجملة فادنى انتساب اليه صلى الله عليه وسلم يحصل غاية النفع والشرف اذلم يخلق الله تعالى خلقا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ولم يخلق جاها أعظم من جاهه صلى الله عليه وسلم فيحصل لخادمه من الجاه بحسب ماله صلى الله عليه وسلم من العز والشرف * قال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى ما فى الوجود من جعل الله تعالى له الحل والربط دنيا وآخرة مثل النبى صلى الله عليه وسلم فمن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء دانت له رقاب الجبابرة وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربا عند ملوك الدنيا ومن خدم السيد خدمته العبيد وكما ان غلام الوالى لا يتعرض له اذا سكر مثلا اكراما للوالى فكذلك خدام النبى صلى الله عليه وسلم لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد فعلت الجناية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الاعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاستناد الخاص ولشيخنا العلامة سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى رحمه الله تعالى فى هذا المعنى من قصيدته همزية المديح

واذا ما الجناب كان عظيما * مد منه لخادميه لواء

شبه المنية بالسبع فى اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار فأثبت لها الاظفار التى لا يكمل ذلك فيه بدونها فتشبيه المنية بالسبع استعارة بالكناية واثبات الاظفار للمنية استعارة تخييلية اه والشطر الثانى كالدليل على الاول أى لا يرتقى أحد ارتقاءك أى لا مطمع لاحد فى نيل مرتبتك لانك عرفت بين الانبياء بانك أعلاهم درجة وان كانوا فى أعظم المراتب وأعلى الدرجات وقد قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين فهم وان اختارهم الله على سائر خلقه حتى الملائكة فأنت أرفعهم قدرا وأعظمهم جاها وخطرا وقد دلت الآيات والاخبار وأقاويل العلماء والآثار على ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الوجود باسره وان الموجودات (٩) وان تفاوتت فى الدرجات فهو فى أعلى الدرجات التى لا درجة فوقها قال المحققون فهو أفضل من كل واحد من الانبياء على حدته وأفضل من مجموعهم وأفضل من جميعهم والفرق بين الكلية والكل المجموعى والكل الجمعى أن الكلية يستقبل فيها كل فرد بالحكم بخلاف الاخيرين والكل الجمعى لا يخرج عنه فرد بخلاف المجموعى وهو صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة قال الشيخ السنوسى ثبوت شرفه وأفضليته على جميع المخلوقات يكاد أن يكون معلوما من الدين بالضرورة بحيث لا يحتاج الى سرد دليل

وليس يصح فى الاذهان شئ
اذا احتاج النهار الى دليل

وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر فالاجماع على انه صلى الله عليه وسلم أفضل

واذا عظمت سيادة متبوع * أجلّ اتباعه الكبراء

وقد ورد ان من قال جزى الله عنا محمدا صلى الله عليه وسلم ماهو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح وفى رواية الف صباح * وتذكر حكاية الاسرائيلى الذى وهبه الله ذنوب مائتى سنة لتقبيله اسمه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه وقد نقلها سيدى أبو عبد الله بن عباد فى رسائله (١) وانظر ما ورد فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم يتضح لك الامر ويرتفع عنك الحجاب وينفتح لك الباب وقد تقدم قول بعضهم كما ان أهل القرآن أهل الله فاهل الحديث أهل رسول الله وأنشدوا

أهل الحديث هم أهل النبى وان * لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

(الوجه الرابع) ان معرفة صفاته معينة على شهود ذاكره لذاته وفى رؤيته صلى الله عليه وسلم يقظة أو نوما فوائد عظيمة ومزايا كبيرة فخيمة يأتى ان شاء الله التنبيه على بعضها فى باب رؤيته صلى الله عليه وسلم فى المنام وان أردت فهم ذلك فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا من نظر فى وجه أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وقوله هم القوم لا يشقى جليسهم فانهم ما قالوا ذلك الا بنوره المشرق عليهم ومدده السارى فيهم *(الوجه الخامس)* ان فى ذكرها وسماعها تنعما وتلذذا بحبيب القلوب وقرة العيون صلى الله عليه وسلم وهو ضرب من الوصال به صلى الله عليه وسلم ووجه من وجوه القرب منه والاجتماع به لما فيه من امتاع حاسة السمع واللسان باوصاف المحبوب الذى هو وسيلة الى حضوره بالقلب فاذا فات النظر اليه بالبصر لم يفت التمتع به بالسمع والنظر اليه بالبصيرة كما قال بعضهم

يا واردا من أهيل الحى يخبرنى * عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر
نشدتك الله يا راوى حديثهم * حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى

(وقال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفعنا به)

٢ ش ل (١) قلت وقد نقلها أيضا سيدى بدر الدين عن ابن عباد ونصه وفى رسائل ابن عباد وقد روى فى الاسرائيليات ان رجلا عصى الله مائتى سنة فى كلها يتمرد ويجترئ عليه فلما مات أخذ بنو اسرائيل برجليه وألقوه على مزبلة فأوحى الله الى موسى عليه السلام ان اغسله وكفنه وصل عليه فى جميع بنى اسرائيل ففعل ما أمر به فعجب بنو اسرائيل من ذلك واخبروه انه لم يكن فى بنى اسرائيل أعتى على الله منه ولا أكثر معاصى فقال قد علمت ولكن الله أمرنى بذلك قالوا فسل لنا ربك فسأل موسى ربه فقال يا رب قد علمت ما قالوا فأوحى الله اليه أن قد صدقوا انه عصانى مائتى سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتى سنة اه منه

الانبياء ومذهب أكثر أهل السنة ان الانبياء أفضل من الملائكة فيكون عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى الملائكة أفضل اذهو أفضل من الافضل منهم وعلى القول الآخر فهو صلى الله عليه وسلم خارج من الخلاف وما أحسن قول من قال

نبينا أشرف بالاطباق * من كل مخلوق على الاطلاق

قلت هذا حاصل ماذكروه هنا ورأيت فى تفسير النسفى عند قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون مانصه والحاصل ان خواص البشر وهم الانبياء عليهم السلام أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وعزرائيل ونحوهم وخواص الملائكة (١٠) أفضل من عوام المؤمنين من البشر وعوام المؤمنين من البشر أفضل من عوام الملائكة ودليلنا على تفضيل البشر على الملك ابتداء أنهم قهروا نوازع الهوى فى ذات الله تعالى مع انهم جبلوا عليها فضاهت الانبياء عليهم السلام الملائكة فى العصمة وتفضلوا عليهم فى قهر البواعث النفسانية والدواعى الجسدانية فكانت طاعتهم أشق لكونها مع الصوارف بخلاف طاعة الملائكة لانهم جبلوا عليها اه (١) ويعنى بعوام المؤمنين أهل الطاعة والموافقة منهم وقد قيل فى المعنى

ليس الشجاع الذى يحمى فريسته * يوم الزحام ونار الحرب تشتعل

لكن من غض طرفا أوثنى قدما * عن المحارم ذاك الفارس البطل

وهذا معنى حديث ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه هذا وقد تقرران المزية لاتقتضى التفضيل فلا ينافى ماتقدم من الافضلية ماثبت ان رجلا من اليهود قال فى سوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل (٢) من الانصار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلونى على موسى قال الله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فأكون أول

ونحيا بذكراكم اذا لم نراكم * الا ان تذكار الاحبة ينعشنا

فلولا معانيكم تراها قلوبنا * اذا نحن أيقاظ وفى النوم ان غبنا

لمتنا أسى من بعدكم وصبابة * ولكن فى المعنى معانيكم معنا

يحركنا ذكر الاحاديث عنكم * ولولا هواكم فى الحشا ماتحركنا

وقال ابن الجزرى فى مدح الشمائل مشيرا الى المعنى

اخلاى ان شط الحبيب وربعه * وعز تلاقيه ونات منازله

وفاتكم ان تنظروه بعينكم * فمافاتكم بالسمع هذى شمائله

(ولبعضهم فى المعنى)

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره

فلقد ظفرت من الحبيب بطائل * ان لم تراه فهذه آثاره

(ولشيخنا الفقيه المشارك المحدث الصوفى سيدى عبد السلام بن حمدون جسوس رحمه الله تعالى فى مدح الشمائل مشيرا للمعنى)

عاتت محاسن أحمد حيث اختفت * فقد التصبر من رقيق مائل

فبدت وأبدت للعيان شمائلا * فاذا المحاسن كلها بشمائل

ولذا قيل * والاذن تعشق قبل العين احيانا * ولاشك ان كتاب الشمائل من أحسن ماصنف فى شمائله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم بحيث ان مطالع هذا الكتاب كانه يطالع طلعة ذلك الجناب ويرى محاسنه الشريفة فى كل باب *(الوجه السادس)* ان ذكر محاسنه صلى الله عليه وسلم يحرك مافى القلوب من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريج القلب مايناسب اجلاء تلك المحاسن وقد يغيب المحب عند ذكر أوصاف المحبوب صلى الله عليه وسلم ولاسيما ان كان القارئ حسن الصوت وكانت قراءته على وجه يثير الخشوع ويرقق القلوب كما هو المطلوب عند قراءة

---

(١) وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية هذا يدل على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة لان البرية الخلق اه من خط المؤلف (٢) الرجل هو أبو بكر وقوله من الانصار يعنى النصرة العامة اه مؤلف

من برفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله لان هذه خصوصية وهى لا تقتضى الافضلية بدليل الملائكة وأما قوله لا تفضلونى الخ أى تفضيلا يؤدى الى المنازعة والمخاصمة وهضم المفضول ولذا عقبه بذكر مزيته أو قال ذلك تواضعا أو قبل اعلامه بالافضلية وقد وقع التصريح بها فى حديث أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما قرب الله موسى الى طور سيناء نجيا قال اى رب هل أحد أكرم عليك منى قربتنى نجيا وكلمتنى تكليما قال نعم محمد أكرم على منك قال فان كان محمد أكرم عليك منى فهل أمة محمد أكرم عليك من بنى اسرائيل فلقت لهم البحر وأنجيتهم من فرعون وعمله وأطعمتهم المن والسلوى قال نعم أمة محمد أكرم على من بنى اسرائيل قال الهى ارنيهم قال انك لن تراهم وان شئت أسمعتك صوتهم قال نعم الهى فنادى ربنا يا أمة محمد أجيبوا ربكم فأجابوا وهم فى أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم الى يوم القيامة فقالوا لبيك أنت ربنا حقا ونحن عبيدك حقا قال صدقتم أنا ربكم وأنتم عبيدى حقا قد عفوت عنكم وأعطيتكم قبل ان تسألونى فمن لقينى منكم بشهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة قال ابن عباس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أراد ان يمن عليه بما أعطاه وأمته فقال يا محمد وما كنت بجانب الطور اذ نادينا انتهى وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله فهو باعتبار الايمان بهم وبما أنزل عليهم لا فى التفضيل لورود النص به قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض فالتفاضل مما يجب الايمان به وأما قوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فهو من تواضعه أى على فرض وجوده لكنا أحق به منه وهو من الانبياء محال فالمعلق عليه محال ومطلوب سيدنا ابراهيم هو رؤية الكيفية ومعاينتها مع الجزم بالقدرة ولذا قيل

والكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الخليل

قراءة القرآن * ويرحم الله الشيخ عبد الرحيم البرعى اذ قال

وتأخذ قلبى نشوة عند ذكركم * كما ارتاح صب خامرته خمور
أصوم عن الاغيار قطعا وذكركم * سحور لصومى فى الهوى وفطور
ومدح رسول الله أصل سعادتى * أفوز به يوم السماء تمور
نبى تقى أريحى مهذب * بشير لكل العالمين نذير
اذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره * وطابت نفوس وانشرحن صدور

وبالغيبة نفسه صلى الله عليه وسلم يتضاعف ويتجدد من الاقبال على الخير والتحلى بانواع البر أمر غير متعارف وهذه الوجوه الستة وغيرها كلها تأتى فى الامداح النبوية ولنرجع الى ما ذكره المؤلف رحمه الله * فقوله باب ما جاء فى خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الباب لغة اسم لمدخل الامكنة كباب المدينة والدار وفى عرف العلماء يقال لما يتوصل به للمقصود وهو ههنا معرفة أحاديث جاءت فى بيان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوقش فى هذا بان الباب اسم لطائفة من الكتاب لها أول وآخر معلومان وليست مدخلا لشئ بل هى بيت من المعانى نعم لو كان الباب اسما للجزء الاول منها لكان له وجه * قال فى جمع الوسائل والاظهر عندى ان الكتاب بمنزلة الجنس والباب بمنزلة النوع والفصل بمنزلة الصنف ثم انه شبه المعقول بالمحسوس فالكتاب كالدار المشتملة على البيوت فكل نوع من المسائل بيت وأوله كبابه الذى يدخل منه اليه انتهى وهو خبر مبتدا محذوف اى هذا باب أو مبتدا خبره ما بعده فى قوله حدثنا الخ الباب تأويل هذا الكلام وقوله ما جاء ما موصولة أو موصوفة وقوله جاء صلة أو صفة ويحتمل أن تكون استفهامية بمعنى أى شئ جاء كما فى قول البخارى باب كيف كان بدء الوحى قاله فى جمع الوسائل والخلق بفتح الخاء المعجمة وسكون اللام فى اللغة التقدير المستقيم الموافق للحكمة يقال خلق الخياط الثوب اذا قدره قبل القطع ومنه قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين

و بالله تعالى التوفيق

(لم يساولك فى علاك وقد حا * ل سنى منك دونهم وسناء)

هذا كالتأكيد لما قبله عما ذكر فى صدر البيت الاول المبرهن عليه بما فى عجزه ثم أعاده فى صدر هذا البيت بطريق أخرى

وبرهن عليه في عجزه والاطناب في مقام المدح ممدوح لاستماع اختلاف المطمع وعلاك جمع علياء تأنيث أعلى من علا اذا ارتفع أي لم يساوك أحد من الانبياء في رفعة شأنك وعلو مكانك ثم استدل على ذلك بقوله وقد حال أي منع سنى منك أي ضوء ظاهر عظيم هو بعضك خصك الله به دون سائر الانبياء وسناء أي رفعة عظيمة وأحدهما كاف فكيف بمجموعهما أو حال بينهم وبين مساواتك سنى قليل هو بعضك فكيف بكثيره والجملة اما حال من الفاعل أو المفعول واما مستأنفة وهذا السنى مجاز عن علوم القرآن المحيطة بعلوم الاولين والآخرين وهو مقتبس من تسميته تعالى في القرآن نورا كقوله تعالى واتبعوا النور الذى أنزل معه وفي قوله وقد حال تذييل وهو (١٢) ان يؤتى بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجرى مجرى العلة والتوكيد والتحقيق كقوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور وفي قوله سنى وسناء جناس التذييل نحو العارذل العارف وفائدته ان مماثلة الالفاظ تعيد ميلا واصغاء اليها

(انما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء)

مثلوا صوروا والفاعل عائد على الانبياء وهو أحسن من عوده على المادحين والصفات جمع صفة مادل على معنى في الذات حسيا كالبياض أو معنويا كالعلم والناس من الانس (١) وعليه قوله

وما سمي الانسان الا لانسه
ولا القلب الا انه يتقلب

أو من النسيان (٢) وعليه قوله

لاتنسين تلك العهود فانما
سميت انسانا لانك ناسى

وما مصدرية أي كتمثيل الماء النجوم والماء أصله موه بدليل مياه ومويه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا وقلبت الهاء همزة الطبيعة

يعني ان صفات الانبياء على ماهي عليه من الكمال الحسى والمعنوى انما هي مثال لصفاتك فذواتهم عليهم السلام كالماء الصافي ترى فيه صفاتك وآياتك فما يرى من معجزاتهم وآياتهم وصفاتهم الجيدة انما هو نور صفاتك التى احتوت عليها ذواتهم فهم مظاهر لصفاتك وبديع آياتك ولذا قال في البردة

ويستعمل في ابداع الشئ من غير أصل وفي ايجاد الشئ عن شئ آخر والمراد به هنا الصورة والشكل * قال في جمع الوسائل وقيل المراد بالخلق اسم المفعول الذى هو هيئة الانسان الظاهرة والاضافة للبيان وهو بعيد موهم ولا يبعد ان يقال الخلق في الترجمة مضاف الى مفعوله والمعنى باب ماجاء من أحاديث وردت في بيان خلق الله تعالى صورة رسوله الاعظم ونبيه الاكرم صلى الله عليه وسلم على الوجه الاتم اه واما الخلق بضمتين أو بضم فسكون فهو الطبع والسجية وهو صورة الانسان الباطنة وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق بفتح الخاء لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموجود في النسخ المقروءة على المشايخ وزعم بعضهم انه وقع في أكثر النسخ في خلق النبي وفي بعض النسخ الرسول ثم اعلم ان مرجع ماذكره المصنف من أوصاف الجمال والكمال الى نوعين ضرورى لا اختيار للعبد فيه ككمال خلقته وحسن صورته ويلتحق بهذا ماتدعو اليه ضرورة الحياة كنومه وغذائه ولباسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وكسبي وهو سائر الاخلاق العلية والآداب الشرعية كالدين والعلم والحلم والشجاعة والكرم والعفو والحياء والمروءة والوقار والتودد والصبر والشكر والزهد والتواضع والرحمة والشفقة والعدل وحسن الادب والمعاشرة * ثم من الناس من يجمع النوعين في ترجمة واحدة كالبخارى فانه قال باب صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان المراد بالصفة مايتناول صفات الخلق وصفات الخلق وان شئت قلت صفات البدن وصفات النفس وان شئت قلت الاوصاف الظاهرة التى تدرك بالبصر والاوصاف الباطنة التى تدرك بالبصيرة ومن الناس من يجعلهما ترجمتين كالمصنف * وانما بدأ المصنف رحمه الله تعالى بالنوع الاول وهو مايرجع لكمال خلقته وحسن صورته مع ان العبرة شرعا وطبعا انما هي بصفات الخلق بضم الخاء واللام فهي الجزء الاشرف ولذلك سمى الكتاب كله بالشمائل جمع شمال بالكسر بمعنى

(١) وأصله اناس حذفت الهمزة تخفيفا وعوض عنها حرف التعريف اه من خط المؤلف
(٢) أي وأصله نسي فنقلت لامه الى موضع عينه فصار نيس فقلبت الياء الفا اه من خط المؤلف

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

(أنت مصباح كل فضل فما تصـ * ـدر الا عن ضوئك الاضواء)

أى أنت مصباح ظهر للوجود فلا تقتبس الفضائل كلها ولا يصدر عن أحد ضوء الا عن ضوئك فالآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات الصادرة ممن قبلك من الانبياء وممن بعدك من الاصفياء كلها مقتبسة من نورك ولا يخفى ما فى البيت من التشبيه البليغ ولا يصح أن يكون من باب الاستعارة لذكر الطرفين وفى جامع المعيار عن بعض العلماء ما معناه وجه تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالمصباح والسراج دون الشمع والقمر ان الشمع

هو خاص بالملوك والاغنياء دون الفقراء فى الغالب وأتباع النبى صلى الله عليه وسلم غالبا الفقراء والسراج عام غير مخصوص باحد وكذلك النبى صلى الله عليه وسلم رسالته عامة وكان لا يقصر نفسه على أحد والسراج تقتبس منه الانوار الكثيرة ولا تغيره عن حاله بخلاف القمر فانه لا يقتبس من نوره كوكب اهـ وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصارى رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى اخبرنى عن أى شئ خلقه الله قبل الاشياء قال يا جابر ان الله خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله عز وجل ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى فلما أراد الله عز وجل ان يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الجزء الثانى اللوح ومن الجزء الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثانى الكرسى ومن الثالث باقى الملائكة ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم وهو المعرفة بالله عز وجل ومن الثالث نور انسهم وهو التوحيد ومن الرابع لا اله الا الله محمد رسول الله وفى حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا عمر بن الخطاب أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله عز وجل أول كل شئ نورى فسجد لله فبقى فى سجوده سبعمائة عام فاول كل شئ سجد لله نورى ولا فخر يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الابصار

الطبيعة تسمية للكل باشرف أجزائه اما لان الظاهر عنوان الباطن غالبا فهو كالدليل عليه فالمحاسن الظاهرة ايات على المحاسن الباطنة فمن علم ان ظاهره صلى الله عليه وسلم جامع لانواع الكمالات متضمن لجميع المحاسن وكل فرد من ذلك الجميع على أتم وجه وأكمله علم ان تخصيصه صلى الله عليه وسلم بذلك دون غيره دليل على الخصوصية الباطنة ولذا قال بعض من رآه بديهة والله ما وجهه بوجه كذاب

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ولذلك ورد اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه ووجهه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وقال بعضهم

لقد قال الرسول وقال حقا * وخير القول ما قال الرسول

اذا الحاجات عزت فاطلبوها * الى من وجهه حسن جميل

وأخرج المصنف عن قتادة قال ما بعث الله تعالى نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا وقد يتخلف ذلك لكن الغالب معمول به والنادر لا حكم له * واما لان الصفات الظاهرة أول ما يدرك من الانسان ويدركها كل أحد لظهورها بخلاف الباطنة انما تدرك بالمخالطة والتجربة * واما لانه قصد سلوك طريقة الترقى واعلم ان المصنف ذكر فى هذا الباب أربعة عشر حديثا خرجها عن ثمان من الصحابة أنس بن مالك والبراء بن عازب وعلى بن أبى طالب وهند ابن أبى هالة وجابر بن سمرة وأبى هريرة وأبى الطفيل وابن عباس رضى الله عن جميعهم وابتدأ بحديث أنس فقال (حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس بن مالك) ستأتى ترجمته فى باب الخلق (انه سمعه يقول الخ) هكذا كان أصل المؤلف ويوجد فى بعض نسخ المغاربة بين الترجمة المتقدمة وهذا السند سند أبى على الصدفى الى المصنف ولعل ذلك كان بطرة الاصل فكتبه بعض

الناسخين فى الاصل وكان الصواب أن لا يكتب فى الاصل لأن الواجب أن لا يقع التصرف فى الاصول أصلا ولذا اذا وقع سهو فى تصنيف ولو من ألفاظ القرآن فانه لا يغير بل ينبه عليه فى حاشية الاصل وحاصل السند المذكور ان الصدفى قرأ على التميمى سنة أربع وثمانين وأربعمائة والتميمى قرأ على النيسابورى سنة احدى وستين وأربعمائة وبينهما ثلاث وعشرون سنة فى الاخذ وعلى المحمدى سنة سبع وستين وأربعمائة وبين الأخذين ست سنين وعلى الوخشى سنة احدى وسبعين وأربعمائة وبينهما أربع سنين قال كل واحد من الثلاثة أخبرنى الخزاعى قال أخبرنى أبو سعيد قال حدثنى أبو عيسى وهو المصنف قال حدثنا أبو رجاء الخ * واعلم أن المقام يستدعى ذكر جميع أحواله وسيره صلى الله عليه وسلم من مولده الى أن بعث بعد أربعين سنة ولنذكر مالا غنى عنه من ذلك ٣ فنقول هو صلى الله عليه وسلم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الى هنا اجماع الامة وولد صلى الله عليه وسلم بعد وقعة الفيل بخمسين يوما فى ثانى عشر ربيع الاول يوم الاثنين على المشهور فى ذلك كله قرب طلوع الفجر قبله أو بعده فيكون على هذا ولد نهارا قال العراقى وهو الصواب وجزم به ابن دحية وصححه الزركشى فى شرح البردة * وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور ومعتقدنا أن الله تعالى حفظ آباء النبى صلى الله عليه وسلم من الشرك والنقائص من أجل حملهم لنوره * قال فخر الدين الرازى آباء النبى صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لم أزل أنتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده

مشركا

من نورى والعقل الذى فى رؤس الخلق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر والمراد ان هذه الاشياء مقتبسة من نوره والاقتباس لا يوجب انقساما ولا نقصا ولذا قال مولانا عبد السلام رضى الله عنه اللهم صل على من منه انشقت الاسرار وانفلقت الانوار الخ وفى المواهب روى الحاكم فى صحيحه ان آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه =

(٣) قال سيدى المهدى الفاسى رحمه الله فى شرح دلائل الخيرات عند قول المتن فى الربع الاخير الزمزمى المكى التهامى مانصه نسبة الى تهامة بكسر التاء ومنها مكة وماوالاها وفى النسبة الى تهامة لغتان تهامى بكسر التاء على الاصل وتهامى بفتحها فان كسرت التاء شددت ياء النسب (١٤) وان فتحت لم تشدد لانهم انما فتحوا التاء لتكون الفتحة كالعوض من الياء كما كانت الالف من يمان وشآم وقال سيبويه منهم من يقول تهامى ويمانى وشآمى بالفتح مع التشديد وفضل مكة وزمزم معلوم ضرورة وأحاديثهما شهيرة فلا نطيل بذلك وهذه الاوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده فى حقه صلى الله عليه وسلم اذهى من جملة مشخصاته المعينة له فمن قال ليس بعربى أو ليس بقرشى فكافر كما اذا قال ليس الذى كان بمكة أو لم يكن بالمدينة ولا توفى بها الان هذا كله جحد له صلى الله عليه وسلم وكذا لو قال لم يخلق من نطفة وانما هو كعيسى وآدم عليهما السلام أو قال انه لم يكن آدميا بشرا فكل ذلك نص العلماء على كفر قائله ومدعيه وهو صلى الله عليه وسلم عربى عدنانى نضرى كنانى قرشى هاشمى فانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وهو الذى حفر بئر زمزم وأظهرها بعد أن عفت وخفى مكانها ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى وهو الذى جمع قريشا بمكة وكانوا مفترقين فى البلاد ولذلك قيل له مجمع وهو كان سيدهم المطاع ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش واليه جماع أمرهم بل هو فهر حفيده والنضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس وامرأته هى خندف التى ينسبون اليها ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الى هنا انتهى النسب الكريم متفقا عليه بين الرواة والنسابين على هذه الصورة وما فوق عدنان مختلف فيه والاجماع على ان عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام والاحاديث الشاهدة بذلك كثيرة اه منه رحمه الله

=وسلم مكتوبا على العرش وان الله عز وجل قال لآدم لولا محمد ما خلقتك وفى حديث سلمان بن عساكر قال هبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندى ولولاك ما خلقت الدنيا اه وصح عن ابن عباس وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وبهذا تظهر صحة قول الناظم * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم * وقد سبقه اليه ابن الفارض فقال

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت * شمس ولم تخرج الدنيا من العدم (١٥)

وهذا من باب الحكمة والمصلحة الراجعة الى العباد باظهار عظمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واشهار كرامته عند الله بجعل وجوده سببا فى وجود الموجودات ولا منافاة بين ما تقدم وما روى من خلق القلم أول كل شئ لان الاولية الحقيقية فى نور النبى صلى الله عليه وسلم وفى غيره اضافية نسبية

(لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء)

أى حقيقتها أو معظمها والعلوم جمع علم وهو صفة ينجلى بها الشئ لمن قامت به انجلاء تاما أو الادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض ومن عالم الغيب أى من فيض الله الله تعالى لو الغيب مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل أى الغائب وهو ما لم يشاهد أى بالنسبة الينا وأما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة

مشركا اه ولهذا قال البوصيرى رحمه الله

لم تزل فى ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

ولا يرد على هذا قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر الآية اقول ابن حجر أجمع أهل الكتابين على ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه والعرب تسمى العم أبا بل فى القرآن ذلك قال تعالى وآبائك ٣ ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله جمعا بين الاحاديث وأما من أخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد تساهل اه ولا يرد على ذلك أيضا ما فى الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب عند موته قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فكان آخر كلامه أن قال انه على ملة عبد المطلب اقول شيخنا المحقق فى شرح همزيته لا نسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب أنه كان كافرا لان عبد المطلب لم يدرك البعثة فكان على ملة ابراهيم وأبو طالب أدرك البعثة فلا تنفعه ملة عبد المطلب والله أعلم انتهى وقوله قل لا اله الا الله أى محمد رسول الله اذ لا يتم هذا الجواب الا ان كان المراد انه لا يقر له صلى الله عليه وسلم بالرسالة فتأمله ولا يرد على ما تقدم من انه لم يكن فيهم سفاح ما ذكره أهل السير من ان برة أم النضر كانت زوجة جد النضر وهو خزيمة ثم خلفه عليها بعد موته عنها ولده كنانة وهو أبو النضر فقد تزوج كنانة زوجة أبيه خزيمة وهى التى ولدت له النضر أحد اجداده صلى الله عليه وسلم لقول السهيلى تبعا لابن العربى كان ذلك مباحا بشرع متقدم فنهى الله عنه بقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة الاستثناء أن لا يعاب نسب المصطفى ألا ترى انه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن الا ما قد سلف نحو ولا تقربوا الزنا الا فى هذه الآية وفى الجمع بين الاختين لانه كان مباحا وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها اه وأجاب الحلبى بان برة التى خلف عليها كنانة غير برة أم النضر فاشتبها على كثيرين لاتفاق الاسم وتوفى عبد الله والد النبى صلى

قوله ومنها اى العلوم بمعنى المعلومات لآدم اصله أأدم وقلبت الهمزة الساكنة ألفا من الادمة أى السمرة وكان لونه بين بياض وصفرة وحمرة أو من أديم الارض أى ظاهر وجهها والاسماء جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى والمسميات أعلى رتبة من الاسماء لانها ما وضعت الا للتوصل بها اليها فالمسميات هى المقصودة بالذات والاسماء مقصودة بالعرض فكما ان الاسماء ما وضعت الا ليتوصل بها الى المسميات كذلك آدم ما خلق الا ليكون مظهر النور المحمدى والجمال الاحمدى وفى هذه الخصوصية ثلاثة أقوال أحدها علم الاسماء فقط وهو الذى سلكه الناظم ثانيها أنه علم المسميات فقط وثالثها انه علمهما وهو رأى الكشاف

٣ قوله وآبائك حق التلاوة واله آبائك اه مصحح

كذا في ابن حجر وفيه نظر اذ كيف يتصور القول بانه علم أحدهما فقط مع تطبيقه الاسماء على المسميات فالتحقيق كما قاله المحققون ان الخلاف لفظي فمن قال علم الاسماء معناه من حيث دلالتها ومن قال علم المسميات معناه من حيث الدلالة عليها وانما وجه الخصوصية أن الموجودات لها حقائق ومفهومات ولها حدود حقيقية بالاعتبار الاول وحدود اسمية بالاعتبار الثاني والمفهوم هو ما يفهم من الاسم في الجملة وهو للموجود والمعدوم والحقيقة ماهية الشئ على سبيل التفصيل ولا تكون الا للموجود فكان لسيدنا آدم بالنسبة الى الاشياء التي عرضت عليه علم المفاهيم لانه انما علم تمثال حقائق الاشياء المعروضة ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم علم الحقائق وفي ضمنه قطعا علم المفاهيم فعرفها من الوجه الاعم والاخص وبالثاني اختص عن آدم *(فائدة)* روى الحكيم الترمذي في النوادر عن أبي ذر مرفوعا أول الرسل آدم ولا تعارض بينه وبين قوله أول الرسل نوح لان آدم أرسل الى بنيه وهم مؤمنون وأما نوح فأرسل الى كفار أهل الارض قال وهب لما توفي آدم حفر له في أبي قبيس في غار يقال انه غار الكنز فاستخرجه نوح وجعله معه في تابوت في السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه وفي التوراة انه عاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة اه ولما فرغ من ذكر بعض صفات ذاته وعلوه على كل حسب شرع في ذكر نسبه وعلوه على كل نسب فقال

(لم تزل في ضمائر الكون تختا
ر لك الامهات والآباء)

ضمائر الكون مستورات الوجود وخفاياه استعارها للاصلاب والارحام اى ما في آبائك وأمهاتك الامن هو مصطفى مختار فانت الشريف حسبا ونسبا الكريم أما وأبا قال القسطلاني في المواهب لما توفي آدم كان شيث عليهما الصلاة والسلام وصيا على ولده ثم أوصى شيث بوصية آدم أن لا يوضع هذا النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن الى ان أدى الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية اه وخرج البيهقي في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شئ ما ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي

الله عليه وسلم قبل وضعه أو بعد وضعه صلى الله عليه وسلم باشهر *وتوفيت أمه وهو ابن ستة أعوام قال ابن حجر الهيتمي في شرح قول الهمزية

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

ما نصه في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم وفائدة احيائهما مع ان أهل الفترة لا يعذبون اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل الفترة لان غاية أمرهم انهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب وأما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فأفا لحقا برتبة أهل الايمان زيادة في شرفهما بحصول تلك المراتب لهما انتهى كلام ابن حجر وقد صرح الامام الحافظ السيوطي في ثالث التآليف التي ألفها في والديه صلى الله عليه وسلم ان اسناد هذا الحديث ضعيف وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه الميزان ان حديث احياء أمه آمنة في حجة الوداع كذب سنده ومتنه وقال سيدي المهدي الفاسي في شرحه لدلائل الخيرات الصواب ضعفه لا وضعه واتفق المحدثون على عدم ارتفاعه عن درجة الضعف انتهى وانظر هذا الاتفاق مع ما قاله ابن حجر الهيتمي من انه حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه *قلت وعلى تسليم انه حديث ضعيف فضعفه انما هو من جهة الصناعة الحديثية وأما نجاة أبويه صلى الله عليه وسلم وايمانهما بل وحصول أعظم منازل أهل الايمان لهما فهو اعتقادنا يشهد بذلك جلالة قدره وعلو منصبه عند ربه فاذا كان الواحد من ذريته بل الواحد من صحابته بل الواحد من أمته صلى الله عليه وسلم ينال من فضل الله ورحمته بواسطته صلى الله عليه وسلم وبركته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر حدث عن البحر ولا حرج فكيف لا ينال أبواه صلى الله عليه وسلم من ذلك الحظ الاوفر والنصيب الاكبر كيف وقد من الله تعالى عليهما بعزية تخروجه من بينهما رحمة للعالمين وقد قال السيوطي في تأليفه الثالث

وأمى لم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شئ وروى أبو نعيم لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لاتتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما وروى ابن مردويه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاءكم رسول من أنفسكم أى بفتح الفاء فقال انا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس فى آبائى من لدن ادم سفاح كلنا نكاح وفى الدلائل لابى نعيم عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم وكذا أخرجه الطبرانى فى الاوسط (قال) الحافظ ابن حجر لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن (١٧) وفى البخارى عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه وفى مسلم عن واثلة ابن الاسقع قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (وقال) الامام فخر الدين الرازى آباء النبى صلى الله عليه وسلم كلهم الى آدم على التوحيد لم يكن فيهم شرك يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لم أزل أتنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات (وقال) تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقوله الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين معناه انه كان ينقل نوره من ساجد الى ساجد (وورد) من الاحاديث

والآثار ما يدل على أنه لم تخل الارض من عهد نوح الى بعثته صلى الله عليه وسلم من ناس على الفطرة فى زمان الفترة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له وبهم تحفظ الارض ولولاهم لهلكت الارض ومن عليها فمن ذلك ما أخرجه الامام أحمد بن حنبل فى الزهد والخلال فى كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال ماخلت الارض بعد نوح من سبعة يرفع الله بهم عن أهل الارض وما أخرجه عبد الرزاق فى المصنف وابن المنذر فى تفسيره بسند صحيح على شرط الشيخين عن على بن أبى طالب قال لم يزل على وجه الارض فى الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك لهلكت الارض ومن عليها وذلت الاخبار والاحاديث على أن آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا فى كل قرن هم خيره أو من خيره فهم

الثالث الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل والمناقب وهذه منقبة وقد أيد بعضهم هذا الحديث بالقاعدة المقررة التى اتفق عليها الائمة انه ما أوتى نبى معجزة أو خصيصة الا وأوتى النبى صلى الله عليه وسلم مثلها وقد أحيا الله لعيسى الموتى من قبورهم فلا بد أن يكون لنبينا مثل ذلك ولم يرد من هذا النوع الا هذه القصة ثم قال ولا شك ان من الطرق التى يعتضد بها الحديث الضعيف موافقة القواعد المقررة اه ونقل فى كتابه الادرج ان القاضى أبا بكر بن العربى سئل عن رجل قال ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فأجاب بأنه ملعون لان الله تعالى قال ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبويه انهما فى النار انتهى * وكان صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه فى كفالة جده عبد المطلب واسترضعته امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبى ذؤيب وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشيماء قال المنذرى وقد ألف مغلطاى فى اسلام حليمة مؤلفا حافلا وكان زوجها الحرث بن عبد العزى من بنى سعد بن بكر بن هوازن ثم من قيس ثم من مضر ثم من عدنان من ولد اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلم وحسن اسلامه وكان له أخ اسمه أبو برقان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد هوازن فأسلم وبايع معهم ولما شب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعى ردته حليمة الى أمه ولما تمت له ثمان سنين وشهران وعشرة أيام توفى جده عبد المطلب فوليه عمه أبو طالب بن عبد المطلب وكان شقيقا لوالده عبد الله فلما تمت له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام ارتحل به أبو طالب تاجرا قبل الشام فلما أتت له خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام خطب الى خديجة نفسها فبقيت عنده قبل الوحى خمس عشرة سنة وماتت ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأولاده منها ستة القاسم وبه كان يكنى والطاهر ويقال ان

على كل حال فى السبعة المسلمين بمقتضى الاحاديث الصحيحة اه وقال ابن حجر أجمع أهل الكتابين على ان آزر لم يكن والد
ابراهيم بل عمه والعرب تسمى العم أبا بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لولم يجمعوا
على ذلك لوجب تأويله بهذا جمعا بين الاحاديث اه وبه يجاب أيضا عن قوله كما فى مسلم ان أبى وأباك فى النار ولا يرد على ذلك
ما فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب عند موته قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فكان آخر كلامه
أن قال انه على ملة عبد المطلب لانا لا نسلم ان ظاهر قوله على ملة عبد المطلب انه كان كافرا لان عبد المطلب لم يدرك البعثة
فكان على ملة ابراهيم وأبو طالب أدرك البعثة فلا تنفعه ملة عبد المطلب وقال ابن حجر أيضا فى حديث
صححه غير واحد من الحفاظ ان
الله أحيا للنبى صلى الله عليه
وسلم أبويه فآمنا به خصوصية
لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم
(١) وذكره السهيلى فى الروض
عن أبى الزناد عن عروة عن
عائشة أخبرت أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن
يحيى أبويه فأحياهما له وآمنا به
ثم أماتهما والله قادر على كل شئ
وليس تعجز قدرته ورحمته عن
شئ ونبيه عليه السلام أهل أن
يخصه بما شاء من فضله وينعم
عليه بما شاء من كرامته صلى الله
عليه وسلم اه وفائدة احيائهما
مع أن أهل الفترة لا يعذبون
اتحافهما بكمال لم يحصل لاهل
الفترة لان غاية أمرهم انهم
ألحقوا بالمسلمين فى مجرد
السلامة من العقاب وأما
مراتب الثواب العلية فهم
بمعزل عنها فألحقا بمرتبة أهل
الايمان زيادة فى شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما اه

اسمه عبد الله وماتا فى أوان الرضاع وفاطمة أصغر ولده وزينب ورقية وأم كلثوم
فتزوج على فاطمة وتزوج أبو العاصى بن الربيع زينب وتزوج عثمان رقية وبعد
موتها تزوج أم كلثوم وأما ابراهيم ابنه فانه من مارية ويقال انه بلغ أن يركب الدابة
ويسير على النجيب ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم حتى ماتت خديجة ونساؤه اللاتى دخل
بهن بعد خديجة عشر نظمهن بعض شيوخ شيوخنا فى قوله

أزواجه اللاتى بهن دخلا * بعد خديج عشرة على الولا
سودة عائشة المكرمه * حفصة زينب وأم سلمه
وبنت جحش زينب جويريه * أم حبيبة ورملة هيه
صفية ميمونة الوفيه * وهن من عرب سوى صفيه

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة وتراضت
قريش بحكمه فيها فلما أتت له أربعون سنة ويوم بعثه الله تعالى الى الناس كافة بشيرا
ونذيرا فصدع بأمر الله وبلغ الرسالة ونصح الامة وقد ألف الناس ونظموا ونثروا فيما
ظهر من خوارق العادات من لدن حملت به أمه صلى الله عليه وسلم الى أن توفى * ثم اعلم انه
لا فرق فى صيغ الاداء بين التحديث والاخبار والانباء والسماع عند المتقدمين كالزهرى
ومالك وأبى حنيفة وعليه استمر عمل المغاربة ورأى بعض المتأخرين التفرقة بينهما
بحسب أحوال التحمل فيخصون التحديث والسماع بما يلفظ به الشيخ والاخبار بما يقرأ
التلميذ على الشيخ وهو مذهب الشافعى والاوزاعى وجمهور أهل المشرق ثم أحدث
أتباعهم تفصيلا آخر فمن سمع وحده من لفظ الشيخ أفرد فقال حدثنى وسمعت ومن
سمع مع غيره جمع فقال حدثنا وسمعنا ومن قرأ بنفسه على الشيخ افرد فقال اخبرنى
ومن سمع بقراءة غيره جمع فقال أخبرنا وكذا خصوا الانباء بالاجازة التى يشافهه بها
الشيخ من يجيزه وكل ذلك مستحسن وليس بواجب عندهم واختلفوا فى القراءة على

الشيخ

(ما مضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء)

الفترة ما بين موت رسول وبعث آخر يليه أى ما مضى زمن خال من الرسل ثم بعث رسول ووجد القوم على فترتهم الا
وبشرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فيصدق بمن وقع لهم نسيانه ومن لا فيذكر الاولين ويشرهم جميعا فيزدادون ايمانا وتصديقا
فالانبياء فاعل بشرت وقومها مفعوله وضميره يعود على الانبياء وهو مقدم من تأخير لانه فاعل وبك متعلق ببشرت وفى هذا

(١) للجلال السيوطى فى هذه المسئلة تآليف سبعة أشار لها فى آخر كتاب الجنائز من الديباج على مسلم اه من خط المؤلف

استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على ألسنة الرسل وشاهده قوله تعالى عن عيسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية ففيهما من التنويه بقدر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاعلام بعلو جاهه وشفوف منصبه ونخامة منزلته وضخامة مرتبته واصالة خصوصيته مالا يخفى على من اطلع عليها ووجه وجهة التأمل اليها فالميثاق بمعنى العهد وال فى النبيين للاستغراق وعبر بهم دون المرسلين تنبيها على زيادة المدح والتعظيم أى لم يؤخذ الميثاق على خصوص المرسلين الذين هم ثلثمائة وثلاثة عشر بل على جميع النبيين الذين هم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا من أرسل منهم ومن لا قال سيدنا على وابن عباس رضى الله عنهم مابعث الله نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه اه ويؤخذ من الآية ماذكروه من أخذهم الميثاق على قومهم بذلك لانه اذا كلف الرؤس المتبوعون بالايمان به صلى الله عليه وسلم ونصره كلف بذلك اتباعهم بواسطتهم اذ المراد تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومن ثم قال الامام السبكى دلت الآية على أنهم لو أدركوا زمانه لكان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق للانبياء وأممهم من لدن آدم الى قيام الساعة وحينئذ يدخلون فى قوله وأرسلناك الى الناس كافة وحكمة أخذ هذا الميثاق على الانبياء اعلامهم بأنه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وقد ظهر ذلك فى الدنيا بكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر ذلك فى الآخرة لانهم كلهم تحت لوائه وينزل عيسى فى آخر الزمان فيحكم بشريعته

(تتباهى بك العصور وتسمو * بك علياء بعدها علياء)

أى تتفاخر بوجودك العصور أى الازمنة الطويلة جمع عصر ونسبة التباهى للعصور مجاز فكل عصر يفتخر على العصر الذى قبله بوجودك فيه بكمال أعلى مما قبله وأعظمها افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر أطوارك طورا فطورا ثم عصور أتباعك على تفاوتهم الى قيام الساعة ثم عصور أحوال يوم القيامة وقوله وتسمو أى تعلو وترتفع بسببك علياء

الشيخ هل تساوى السماع من لفظه واليه ذهب مالك وأصحابه والبخارى أو القراءة على الشيخ أرجح واليه ذهب أبو حنيفة أو السماع من لفظ الشيخ أرجح واليه ذهب جمهور أهل المشرق قال العراقى وهو الصحيح * قال فى جمع الوسائل يمكن أن يقال هذا الاختلاف اختلاف عصر فان المتقدمين كان لهم قابلية تامة فيأخذون الحديث بمجرد السماع أخذا كاملا مستوفى يصلح للاعتماد فى التحمل بخلاف المتأخرين لقلة استعداداتهم وبطء ادراكاتهم كانت قراءتهم على الشيخ أقوى فى الاعتماد * قال أنس بن مالك رضى الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير) هذا اشارة الى وصف قده صلى الله عليه وسلم وفى رواية تأتى عن أنس وعلى كان ربعة وفى خبر البراء كان مربوعا وفى خبر هند أطول من المربوع وأقصر من المشذب ولا منافاة بين هذه الروايات لان فى نفى أصل القصر ونفى الطول البائن لا أصل الطول اشعارا بأنه صلى الله عليه وسلم كان مربوعا مائلا الى الطول وانه كان الى الطول أقرب كما رواه البيهقى ولا ينافى ذلك وصفه بأنه ربعة لانه أمر نسبى والبائن بالهمز من بان اذا ظهر على غيره أو بمعنى بعد أو بمعنى فارق والمراد انه لم يكن فاحش الطول وهذا انما هو اذا كان وحده فان ماشى الطوال طالهم وان جالسهم كانت كتفه أعلى من جميعهم وهذا العلو الحسى اشارة الى العلو المعنوى لما كان لا يساويه أحد فى رتب الكمال بل هو فيها فوق الجميع كان فوق الجميع حسا فلا يتطاول أحد عليه صورة كما لا يتطاول عليه معنى ولشيخنا المحقق فى همزية المديح فى هذا المعنى

وحده ربعة ويعلو اذا ما * مشى الطوال ويجهد الاقوياء

(ولا بالابيض الامهق ولا بالآدم) اشارة الى صفة لونه والامهق الشديد البياض الخالى عن الحمرة والنور كالجص والبرص والآدم الشديد السمرة وهى منزلة بين البياض

تأنيث أعلى بعدهما فى الزمان والعلو مرتبة أخرى علياء اى أعلى منها اى لك فى كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلى منها ما بعدها وهكذا ولهذا قال رب زدنى علما فكان صلى الله عليه وسلم دائم الترقى فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة أعلى مما هو فيها ورأى ان ما قبلها دونها فيستغفر تواضعا وطلبا للتزايد كماله وفى قوله وتسمو الخ من المدح ما لا يخفى من عكس المعهود من كونه يسمو بها لانه تعالى خلقه فى عالم الازل على أكمل كمال يمكن أن يوجد لمخلوق ثم أبرزه فى عالم الخلق متدرجا فى تلك المراتب لتشرف به لا ليشرف بها لانه كامل قبلها

(وبدا للوجود منك كريم (٢٠) من كريم آباؤه كرماء)

اى ظهر للوجود اى لهذا العالم منك كريم اى سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا تجريد وهو ان ينتزع من أمر ذى صفة امر آخر مماثل لذلك الامر فى تلك الصفة مبالغة لكماله فى ذلك الامر حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح أن ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله فى صفة الكرم صح أن ينتزع منه شخص كريم مبالغة فى صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذى ظهر وجد من أصل أى أب وأم كريم اى سالم من نقص الجاهلية آباؤه جميعهم من لدن آدم اليه كما أفادته الاضافة كرماء أى سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم كما تقدم

(نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء)

اى نسبه صلى الله عليه وسلم نسب عظيم بل لا أظهر ولا أجل منه فى الانساب بحسب اى تظن ايها المخاطب العلا جمع عليا ككبرى وكبر وهى المراتب العالية بحلاه جمع حلية بكسر أوله اى بسبب حلى ذلك النسب قلدتها والقلادة ما يجعل فى العنق وضميره عائد على العلا والجملة من قوله قلدتها فى موضع المفعول الثانى لتحسب والاول هو العلا والجوزاء فاعل قلدتها ونجومها على حذف الجار اى بنجومها والجوزاء اسم لبرج فى السماء وتطلق على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهى تشبه المرأة فلذا نسب التقليد اليها اى من كمال هذا النسب وشرفه أن كل من تأمل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها

والسواد والمراد أن بياضه صلى الله عليه وسلم كان نيرا مشربا بحمرة وهو معنى خبر مسلم عن أنس والمصنف عن هند كان أزهر اللون أى أبيض بعلوه اشراق ولمعان فالنفى فى قوله ولا بالابيض الامهق للقيد فقط ويأتى فى خبر على رضى الله عنه أبيض مشرب وهو الذى فى بياضه حمرة وفى خبر أبى هريرة أبيض كأنما صيغ من فضة وفى خبر أبى الطفيل كان أبيض مليحا مقصدا وأشرف الالوان البياض المشرب بحمرة أو صفرة ذهبية أما الاول فظاهر بالوجدان وأما الثانى فلأنه لون أهل الجنة فى الجنة فجمع الله سبحانه للمصطفى بين الاشرفين ولم يكن لونه فى الدنيا كلونه فى الآخرة لئلا يفوته أحد الحسنين (ولا بالجعد القطط ولا بالسبط) اشارة الى صفة شعره صلى الله عليه وسلم والمراد انه لم يكن شعره شديد الجعودة كشعر السودان ولا شديد السبوطة كشعر الروم بل كان فيه تثن وجعونة وهى كونه كانه مشط فتكسر قليلا والقطط بفتحتين وبكسر الثانى شدة الجعودة والسبط بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وتفتح وتسكن والسبوطة فى الشعر ضد الجعودة وهى الامتداد والاسترسال الذى ليس فيه تثن أصلا (بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة) اشارة الى وقت بعثته صلى الله عليه وسلم أى بعثه الله بعثة النبوة بعد استكمال أربعين سنة وأما بعثة الرسالة وهى ارساله الى الخلق لتبليغ الشريعة فكانت بعد ذلك * قال الطيبى الرأس هنا آخر السنة كقولهم رأس الآية أى آخرها وسمى آخر السنة رأسا باعتبار أنه مبدأ مثله من عقد آخر فالمراد بالرأس الطرف الاخير كما عليه الجمهور من أهل السير والتواريخ من أنه بعث بعد استكمال أربعين سنة ثم على ما قال المسعودى وابن عبد البر من أنه بعث فى ربيع الاول شهر ولادته فلا اشكال واما على المشهور عند الجمهور من انه بعث فى شهر رمضان فيكون له حين بعث أربعون سنة ونصف فلعل من قال أربعون ألغى الكسر وحكى عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة انه صلى الله عليه وسلم بعث على رأس ثلاث

واربعين

الجوزاء بنجومها أى جعلت نجومها قلادة لها فعلم من كلامه ان كل واحد من أولئك الآباء الكرام قد ارتفع فى زمانه حتى صار كأنه النجم فى الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به فى ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب متناسب كتناسب العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا الذى تقلده عنق تلك المراتب العلية

(حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء) (٢١)

حبذا كنعم معنى وعملا مع زيادتها عليها باشعارها بأن الممدوح بها محبوب للقلب وأصله حبب بالضم اى صار حبيبا ثم أدغم والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير مطلقا لانه كالمثل أولما فيه من الحذف كالحسن والامر والشان والعقد القلادة من الجوهر والسودد السيادة والفخار التمدح بالخصال الجميلة واليتيمة التى لا شبيه لها فى حسنها والعصماء من العصمة اى المحفوظة الممنوعة من ان تصل اليها ايدى الاغيار

(ومحيا كالشمس منك مضىء * أسفرت عنه ليلة غراء)

المحيا الوجه وهو معطوف على عقد ومنك حال منه ومضىء مبتدأ خبره كالشمس والجملة صلة لمحيا أو حال منه وأسفرت اى أضاءت عن ذلك المحيا وغراء أى بيضاء لظهور نوره صلى الله عليه وسلم فيها والجملة صفة أو حال شبه وجهه صلى الله عليه وسلم بالشمس لمشابهته لها فى الاضاءة والاستنارة والاشراق والحسن والبهاء وقد أوتى صلى الله عليه وسلم الحسن كله ووصفه به من وصفه من الصحابة فقال كأن الشمس تجرى فى وجهه وقال آخر اذا رأيته قلت الشمس طالعة وقال آخر لقد نظرت اليه والى البدر فلهو عندى أحسن من البدر ولان الشمس والقمر فى وسط السماء ونورهما يغشى مشارق الارض ومغاربها فكذلك هو صلى الله عليه وسلم فى موضعه من المدينة المشرفة ونوره قد عم الوجود شرقا وغربا وأرضا وسماء فينتفع المؤمن بل والكافر بشاهد وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ثم ان تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر على سبيل التقريب والتمثيل بأحسن ما يعرف فى الوجود والا فهو

وأربعين سنة * قال فى جمع الوسائل ولعل الجمع بينهما أن بعث النبوة فى أول الاربعين وبعث الرسالة فى رأس ثلاث وأربعين ويؤيده قوله (فأقام) أى بعد البعثة (بمكة عشر سنين) بسكون الشين أى رسولا وثلاث عشرة أى نبيا ورسولا لان العلماء متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد النبوة وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة وسيأتى فى باب سنه عليه السلام رواية اقامته بمكة خمس عشرة سنة وغيرها فقوله أقام بمكة عشر سنين يحتاج الى تأويل وهو ماذكرناه ويحتمل أن الراوى اقتصر على العقد وترك الكسر ولا خلاف فى قوله (وبالمدينة عشر سنين) لكن يشكل على التأويلين قوله (فتوفاه الله تعالى) أى قبض روحه (على رأس ستين سنة) لانه يقتضى أن يكون سنه ستين والمرجح أنه ثلاث وستون وقيل خمس وستون وجمع بأن راوى الاخير عد سنتى المولد والوفاة ومن روى ثلاثا لم يعدهما ومن روى ستين ألغى الكسر قال فى جمع الوسائل واعلم أن ابتداء التاريخ الاسلامى من هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد قدم بها يوم الاثنين ضحى لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول اه * (تنبيهان) * الاول علم مما تقدم أن نبوته كانت بعد أربعين سنة من عمره وانها متقدمة على رسالته بثلاث سنين قال ابن حجر وبه صرح أبو عمر وغيره فكان فى آية اقرأ نبوته وفى المدثر رسالته اه وقد صح قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وهو يقتضى وصفه بالنبوة قبل وجود ذاته ولا منافاة بينهما لان نبوته بعد الاربعين كانت فى عالم الاجساد والشهادة ونبوته قبل وجوده كانت فى عالم الارواح والغيب * قال السبكى فان قلت النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودا فكيف يوصف به قبل وجوده قلت قد جاء أن الله خلق الارواح قبل الاجساد فقد تكون روحه الشريفة آتاها الله ذلك الوصف وأفاضه عليها من قبل خلق آدم فصار نبيا وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ومن فسر ذلك بعلم الله بأنه سيصير نبيا لم يصل لهذا المعنى

صلى الله عليه وسلم أعلى وأجل ومجده أرفع وأكمل وحسنه أبهى وأعظم ونوره أكبر وأدوم ونفعه أتم وأعم.
ولا يلزم في التشبيه أن يكون المشبه به أرفع من المشبه فقد يكون بالمثل وبالدون بشاهد قوله تعالى مثل نوره كمشكاة وأين
نور المشكاة من نوره تعالى

(ليلة المولد الذي كان للدين سرور يومه وازدهاه)

اتفق الاكثرون على أنه ولد عام الفيل أو قبله بخمسين يوما والذي عليه الجمهور وهو الاشهر وأنه ولد في ربيع الاول لاثنتي
عشرة خلت منه وانما كان في شهر (٢٢) ربيع ولم يكن في غيره من الاشهر المعظمة قبل تنبيها على أن الزمان
يحصل له الشرف به (قال)
السهيلي في الروض وأهل
الحساب يقولون وافق مولده
من الشهور الشمسية نيسان
فكان لعشرين مضت منه اه
وفصل الربيع هو أفضل
الفصول وأحسنها وأكثرها
ضوأ ونورا وأبهجها اشراقا
وأقربها الى الاعتدال وأجلبها
لانشراح الصدور والارواح
فتحيا به الارض بعد موتها
وتخرج نباتها وبركاتها وتكسى
انواع الازهار والانوار فكذلك
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ومن اسمائه روح كل شئ
وحياة كل شئ ولذا قال
مولانا عبد القادر الجيلاني
رضي الله عنه في وصفه صلى الله
عليه وسلم مميت حي الشقاوة
ومحيي ميت السعادة فكانت
ذاته صلى الله عليه وسلم نورانية
فالانوار تسطع عليه لاتفارقه
لامطلق الانوار بل انوار مصحوبة برونق غريب وحسن ووقار
بليغ بديع فتنفعل له النفوس الكريمة وتنجذب نحوه الطباع المستقيمة وتميل معه بكليتها الارواح الغير المحجوبة
ويشهد صحيح الادراك في شهوده مطلوبه ومرغوبه وتحصل غاية السرور بقربه ورؤيته اذهو صلى الله عليه وسلم كالجنة
فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فناسب مجيئه في الربيع اذ هو للارواح قوت وربيع وفي المواهب فياشهرا ما أشرفه
وأوفر حرمة لياليه كأنها اللآلئ في العقود ويا وجها ما أشرقه من مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه
بديعا (كما قيل)

فان جميع الانبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله فلابد من خصوصية للنبي
صلى الله عليه وسلم لاجلها أخبر بهذا الخبر اه * الثاني قد تبعه صلى الله عليه وسلم مع قلة
سني بعثته عدد كثير قال العلماء انه صلى الله عليه وسلم توفي عن مائة ألف وأربعة عشر
ألفا من الصحابة كلهم رآه وروى عنه ووقف معه بعرفة مائة ألف وعشرون ألفا والله
يعلم عدد من لم يقف معه ونوح عليه السلام مع طول مكثه في قومه قال الله تعالى وما
آمن معه الا قليل وكذا أمته عليه السلام أقصر الامم أعمارا وأكثرهم أجورا
ليلة القدر خير من ألف شهر وقد غزا صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة سبعا وعشرين غزوة
وأما بعوثه وسراياه فتنيف على الستين * وقد علم من الحديث أن كلا من مكة والمدينة
حظيتا بنصيب وافر منه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله شيخ شيوخنا أبا سالم سيدي
عبد الله عياشا حيث قال مضمنا

ألا يا رسول الله شرفت طيبة * ومكة لما اصرت طرز حلاهما
حللت بهذي مرة ثم مرة * بهذي فطاب الواديان كلاهما

(وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء) الجملة حال من مفعول توفاه وأخرج ابن
سعد باسناد صحيح عن ثابت عن أنس قال ما كان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولحيته الا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء ويأتي للمصنف عنه ما عددت في
رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء وأما ما جاء من
نفي الشيب في روايه فالمراد به نفي كثرته لا أصله ومن ثم صح عن أنس ولم يشنه الله بالشيب
ومقتضى اعتدال مزاجه صلى الله عليه وسلم أن لا يظهر فيه شيب قبل أوانه ولذلك قالوا
تراك يارسول الله قد شبت فقال شيبتني هود وأخواتها فبين صلى الله عليه وسلم أنه انما
شاب قبل أوان الشيب لعارض اهتمامه بأمر أمته كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله لكنه مع
ذلك لم يكثر شيبه وانما ظهر فيه شيب قليل وحكمة قلة شيبه مع ما ورد من أن الشيب

يقول لنا لسان الحال منه * وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي * ربيع في ربيع في ربيع

(والمشهور) أنه ولد يوم الاثنين ففي مسند الامام أحمد عن ابن عباس ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وهاجر من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وفي بعض طرقه وأنزلت على سورة المائدة يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين وفي هذا دلالة على أفضلية يوم الاثنين على سائر أيام الاسبوع الا يوم الجمعة وانما لم يولد في يوم الجمعة اشارة الى أن الزمان يتشرف به ولهذا جاء في السنة تفضيل يوم الاثنين وتشريفه على غيره من الايام الا يوم الجمعة والكلام في نظائر يوم ولادته لا فيه بنفسه فانه أفضل من يوم الجمعة ومن سائر المواسم وقد كان يوم الجمعة معظما عند العرب ويوم السبت معظما عند اليهود ويوم الاحد معظما عند النصارى فعظم الله يوم الاثنين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليكون خاتمة الايام المعظمة كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ثم ما تقدم من كونه ولد نهارا أي بعيد طلوع الفجر جزم به غير واحد وورد ما يدل على أنه ولد ليلا كحديث الحاكم عن عائشة (قال) العراقي والصواب أنه ولد نهارا وجزم به ابن دحية وصححه الزركشي ولا ينافيه ما روى أن النجوم تدلت عند ولادته لان زمن النبوة صالح لخرق العوائد ويجوز سقوط النجوم نهارا على أنهم قالوا ولد بعيد طلوع الفجر بقربه فالنجوم باقية وفي ذلك من المناسبة ما لا يخفى (١) وقد صرح العلماء رضي الله عنهم بأن ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم أفضل من ليلة القدر مطلقا سواء قلنا ولد ليلا أو نهارا ووجه ذلك في المواهب بوجوه ثلاثة كلها مدخولة والصواب ما حققه شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله وذلك أن نقول كل ما له شرف

وقارونور ومن شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة أن النساء يكرهنه في الطبع غالبا فلا تحصل الملاءمة الكاملة لما فيه من ازالة بهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم عيبا فانه يدل على الضعف ومفارقة قوة الشباب والنشاط وأما قول ابن حجر ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيأ كفر فلا يصح على اطلاقه قال في جمع الوسائل لان الكراهة الطبيعية خارجة عن الامور التكليفية قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا حميد بن مسعدة البصري) بفتح الباء وتكسر (قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن حميد عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة) بمعنى المربوع القد والتأنيث باعتبار النفس يقال رجل ربعة وامرأة ربعة ومعناه المتوسط بين الطويل والقصير فقوله (ليس بالطويل ولا بالقصير) كالتفسير لقوله ربعة والمراد ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد فلا ينافي انه أطول من المربوع كما تقدم وفي رواية ليس الخ بدون واو فيكون خبرا بعد خبر (حسن الجسم) أي جملة تعميم بعد تخصيص وهو خبر بعد خبر أي لونا ونعومة واعتدالا في الطول والجسم (وكان شعره ليس بجعد ولا سبط) جعلهما هنا وصفا للشعر وفيما مر لصاحبه قال في جمع الوسائل الظاهر أن نسبتهما هنا على الحقيقة وهنالك على حذف مضاف أو للمبالغة (أسمر اللون) قال العراقي هذه اللفظة انفرد بها حميد عن أنس ورواه غيره عنه بلفظ أزهر اللون ثم نظرنا الى من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير انس فكلهم وصفوه بالبياض دون السمرة وهم خمسة عشر صحابيا اه وعلى ثبوت هذه الرواية فالمراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض لا الادمة التي هي شدة السمرة والعرب تطلق على من كان كذلك أسمر ويؤيده رواية البيهقي عن أنس كان ابيض بياضه الى السمرة قاله ابن حجر فلا منافاة بين هذه الرواية والتي قبلها (اذا مشى يتكفأ) اشارة الى صفة مشيته صلى الله عليه وسلم ويتكفأ بتشديد الفاء بعده همز وقد يترك همزه

(١) ذكر في كتاب الاجارة من المعيار في هذه المسئلة أربعة أقوال عن فقهاء تونس فقال القاضي أبو العباس بن حيدرة ليلة القدر أفضل وعكس ابن مرزوق وقال ابن عرفة بامكان اجتماعهما على القول بالانتقال ورابعها الوقف وألف كل واحد في تصحيح قوله اه من خط المؤلف

انما اكتسبه ونالهمنه صلى الله عليه وسلم فبه تشرف الزمان والمكان وغيرهما اذهو الواسطة فى وصول كل نعمة لكل منعم عليه وبيده مفاتيح الخزائن الالهية فلا يخرج منها شئ من الخصوصيات والفتوحات والانوار والاسرار الاعلى يديه فشرف كل شريف بحسب القرب منه وعلى قدره ولاشك أن ليلة مولده صلى الله عليه وسلم أقرب اليه من ليلة القدر ومن هنا كان خير القرون القرن الذى كان فيه الخ وأفضل الصحابة أبو بكر لشدة قربه منه المعنوى وانظر تفضيل العلماء لموضع قبره صلى الله عليه وسلم على العرش والكرسى والجنة وسدرة المنتهى وغيرها ولذا فضلوا الارض على السماء وقال مالك المدينة أفضل ثم مكة وماء زمزم أفضل من

ماء الكوثر لغسل قلبه الشريف به وكذا الماء الذى نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم نقول انما نص على أفضلية ليلة القدر لتعلم أفضليتها اذ لا تعلم الا من النص وليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم لا يحتاج الى التنصيص على أفضليتها لشدة وضوحها وغاية ظهورها فهو كالاخبار بالمعلوم والله أعلم واذا ثبت أن ليلة ولادته التى ولد فيها أو ولد صبيحتها أفضل الليالى واليوم الذى تسفر عنه أفضل الايام فهو عيد وموسم فيعظم ويحترم ويعمل فيه مايدل على التعظيم والاحترام (١) كما اختاره الحافظان الزين العراقى والجلال السيوطى وقال الامام ابن عباد فى رسائله وأما المولد فالذى يظهر لى أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل مايفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك

تخفيفا وفى رواية تكفأ بلفظ الماضى والتكفؤ الميل الى سنن المشى أى الى قدام كالسفينة فى جريها وسيأتى فى خبر على اذا مشى تقلع كأنما ينحط فى صبب وعنه أيضا اذا مشى تكفا تكفؤا كأنما ينحط من صبب وفى خبر هند اذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب والتقلع رفع الرجل من الارض بهمة وقوة لامع اختيال وتقارب خطا وتكسر وتثن وجر رجل فى الارض لان تلك مشية النساء والمتشبهين بهن والهون الرفق فالمعنى انه كان يرفع رجليه عن الارض بقوة ولا يجرهما بالارض وكان يضعهما عليها برفق وسكينة ووقار وحلم وأناة ولا يضرب برجله الارض ومعنى ذريع المشية واسع الخطوات لامتقاربها كخطوات المختالين فالمقصود أن مشيه كان على وجه التواضع لا على طريق التكبر والخيلاء قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال واقصد فى مشيك أى توسط بين الاسراع والتماوت * وقوله كأنما ينحط من صبب كناية عن سرعة مشيه أى كأنما ينزل فى موضع منحدر وأسرع مايكون الماء جاريا اذا كان الموضع منحدرا فمن بمعنى فى كما فى نسخة والصبب الحدور كما يأتى ويفهم من هذا سرعة مشيته صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى باب ماجاء فى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة مارأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث ويفهم من قوله كأنما الارض تطوى له انه كان يبارك له فى مشيته ومعنى قوله وانه لغير مكترث أن سرعته لم تكن بتكلف لانه غير مكترث بأصحابه فهو مع هون مشيته لايلحق * قال المصنف رحمه الله (حدثنا محمد بن بشار يعنى العبدى) الظاهر انه ليس من كلام المؤلف بل من كلام بعض التلامذة والا لقال من أول وهلة محمد بن بشار العبدى ولا يحتاج الى قوله يعنى كما فى سائر الاسماء المنسوبة وانما لم يقل كذلك محافظة على لفظ الشيخ من غير زيادة وهذا أبهم فى رعاية الامانة ولهذا كان بياء الغيبة انظر جمع

(١) أى بالامور المباحة أما اذا أدى التعظيم الى ارتكاب المحرمات من السرف بايقاد الشموع نهارا واجتماع النساء بالرجال واستعمال آلات اللهو فليس بتعظيم لان تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم انما هو باتباع سنته وارتكاب شريعته لا باستعمال البدع انظر المعيار فقد تكلم على المسئلة فى كتاب الحبس مرتين وفى أولاهما شنع على من يخص ليلة المولد بشئ وذلك لما يحدث من البدع وقد أطال الاستاذ أبو عبد الله الحفار فى بيان ذلك وفى ثانيهما رخص فى ذلك ان كان على الوجه المشروع ونحوه له أيضا فى كتاب الاجارة فلينظر وعلى هذا انفصل الشيخ ابن عباد أيضا فى الرسائل وهو ظاهر لايختلف فيه أحد من أهل الشرع وانظر المدخل لابن الحاج وانظر جامع المعيار اه من خط المؤلف أثابه الله عنه

الوسائل

الوسائل وهو نسبة الى عبد قيس قبيلة من ربيعة كما فى القاموس (نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا) على رواية ضم الجيم اذا كان بالمعنى المتعارف يراد به كامل الرجولية ويكون قوله (مربوعا) خبرا آخر أو قوله رجلا موطئ للخبر وهو كثير فى العرف وفى القرآن أنتم قوم تجهلون انتم قوم مسرفون فيكون قوله مربوعا صفة لرجل على هذا وان كان وصفا للشعر اذ الرجل بكسر الجيم وفتحها وضمها وسكونها بمعنى واحد وهو الذى فى شعره تكسر يسير ويؤيده ما فى بعض النسخ من كسر الجيم وسكونها فيكون قوله مربوعا خبرا آخر لكان كالاحتمال الاول (بعيد ما بين المنكبين) خبر آخر لكان والبعيد ضد القريب ويقرأ مضافا الى ما والمنكب مجمع عظم العضد والكتف ومعناه عريض أعلى الظهر قاله العسقلانى وهو مستلزم لعرض الصدر ومن ثم وقع عند ابن سعد رحيب الصدر وذلك علامة النجابة والقوة والجلالة (عظيم الجمة) أى كثيفها والجمة بضم الجيم وتشديد الميم وهى عند جمهور أهل اللغة ما سقط من شعر الرأس على المنكبين وأما الوفرة فهى التى تصل الى شحمة الاذن وأما ما نزل عن الاذنين ولم يصل الى المنكبين فهو اللمة وعلى هذا قول من قال

الوفرة الشعر لشحمة الاذن * وجمة ان هى لمنكب تكن
وسم ما بينهما باللمة * قد قال ذا جمهور أهل اللغة

وقال الزمخشرى فى المقدمة الجمة ما تدلى من الشعر الى شحمة الاذن وفى الصحاح الجمة الشعر المجموع على الرأس وظاهره مطلقا وفى ديوان الادب ان الجمة هى الشعر اذا تدلى من الرأس الى شحمة الاذن والى المنكبين والى أكثر من ذلك فتحصل ان فى الجمة ثلاثة أقوال ما وصل الى المنكبين ما وصل الى شحمة الاذن ما تدلى من شعر الرأس مطلقا فقوله (الى شحمة أذنيه) انما يأتى على القول الثانى والثالث دون الاول قال بعضهم يمكن أن يكون المراد انها لعظمها اذا جمعت وصلت الى شحمة الاذنين واذا أرسلت وصلت الى المنكب اه وقال بعضهم المراد بيان غلظها وعظمها لا بيان نهاية الجمة أى عظيم الجمة الواصلة الى شحمة أذنيه لا التى نزلت عن ذلك * وقد اختلفت الروايات فى منتهى شعره صلى الله عليه وسلم ففى بعضها الى أنصاف أذنيه وفى أخرى الى أذنيه وفى أخرى الى كتفيه وجمع القاضى عياض بينها بان ذلك لاختلاف الاوقات فكان تارة يحلقه فيقصر وتارة يتركه فيطول وراجع آخر الباب الثالث

من ايقاد الشمع وامتاع البصر والسمع والتزين بلباس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح ثم ذكر حكايته مع الشيخ ابن عاشر السلاوى ثم قال فى رسالة أخرى وكون هذا الامر لم يكن فى الصدر الاول حيث الايمان راسخ فى القلوب وشرائع الاسلام مطوية على تعظيمها والانقياد اليها الاضلاع والجنوب ليس بدافع له حيث لم يبق من الايمان الا الاسم ولا من شرائع الاسلام الا الرسم وقريب ان يذهب من أيدى هؤلاء الناس اسمه ورسمه وتسلب عنهم معرفته وعلمه فلم يبق اليوم بأيدى الناس من الدين الا أنهم اذا سمعوا بذكر النبى صلى الله عليه وسلم تضطرب له أفئدتهم وتنطلق بالصلاة عليه ألسنتهم بل المتفقه فى مثل هذا الوقت المنحوس لو لم يحسن الناموس ويتحل بالانقباض والعبوس ويلزم هيئة مستحسنة فى الملبوس لم يسمع أحد منه فتوى ولا قبل له دعوى وان كان فى علم مالك مثلا (٣) والعوام لا يتأثرون الا بالمحسوسات من المنظورات والمسموعات والملموسات وأما الامور الروحانية فهم بمعزل عنها فلذا ترى الناس يصبحون فى ذلك اليوم متجملين متشوفين الى أن يقرع سمعهم قارع من ذكر اسم نبيهم وحبيبهم فيلهجوا

٣ وذكر ابن السبكى فى الطبقات ان الشيخ كمال الدين أحمد بن عيسى بن رضوان

٤ ش ل القليوبى استنبط من قوله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين ان ما يفعله علماء هذا الزمان فى ملابسهم من سعة الاكمام وكبر العمامة ولبس الطيالس حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تمييزا لهم يعرفون به ويلتفت الى أقوالهم وفتاويهم اه من خط المؤلف كان الله له ولوالديه

بذلك فرحا وسرورا ويبتهجوا به استلذاذا وحبورا ومثل هذا لا يضيع لهم عند ربهم في مرجعهم ومآبهم وهذا أبو
لهب على ما هو عليه رآه العباس رضى الله عنه فسأله عن حاله فقال صرت الى النار ولا يخفف عنى الا يوم الاثنين لانى لما ولد
محمد رسول الله بشرتنى به جاريتى فأعتقتها (٢٦) فاذا أدركت رحمة الله تعالى كافرا قطع عمره فى عداوته واذايته
بسبب فرحه بولادته فما
ظنك بمؤمن صدقه فى مقالته
واتباعه فى دعوته جعلنا الله تعالى
من أمته برحمته اه بج
وانظر المواهب

(وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء)

أى تتابعت بشارة الهواتف
جمع هاتف وهو ما يسمع صوته
ولا يبصر شخصه والمراد هنا
ما هو أعم من ذلك فيعم أخبار
الاحبار والجان والحجر وحق
الهناء أى وجب وثبت الفرح
والسرور به لكل العالم فمن
ذلك ما أخرجه ابن عساكر فى
تاريخه فى حديث عمرو بن شعيب
عن أبيه عن جده قال كان بمر
الظهران راهب يسمى عيصا
من أهل الشام آتاه الله علما
كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة
لاهل مكة يدخل كل سنة الى
مكة فيلقى الناس ويقول
يوشك يا أهل مكة ان يولد فيكم
مولود تدين له العرب ويملك
العجم هذا زمانه فكان لا يولد
بمكة ولد الا سأل عنه فلما كان
صبيحة ذلك اليوم الذى ولد فيه
المصطفى خرج عبد الله بن عبد
المطلب حتى أتى عيصا فناداه فقال عيص كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت أحدثكم عنه يولد خلقت
يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين الخ وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم ان اللات والعزى
خرجا من خزائنهما وهما يقولان ويح قريش جاءهم الامين جاءهم الصديق وكانوا يسمعون صوتا من داخل الكعبة يقول

(عليه حلة حمراء) حال وفى رواية مسلم وعليه حلة بالواو والحلة ثوبان من جنس واحد وتكون غالبا ازارا ورداء وسميا بذلك لانه يحل كل واحد منهما على الآخر وبه فسره ابن حجر وفى القاموس لا تكون حلة الا من ثوبين أو ثوب لبطانة والمتبادر من قوله حمراء انها حمراء خالصة وقد استدل به الشافعى على حل لبس الاحمر وان كان قانئا ومن يقول بمنع لبسه لما ورد من النهى يؤول الحمراء بالتى لها خطوط كالبرود اليمانية التى فيها خطوط حمر وبه فسر العسقلانى أو يعد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بعد تسليم صحة حديث النهى أو يحمل لبسه على ما قبل نهيه أو لبيان ان النهى للتنزيه وسيأتى فى باب اللباس ما فى لبس الاحمر من الخلاف (ما رأيت شيأ) من المخلوقات (قط أحسن منه) الجملة استئناف وهو اجمال بعد تفصيل اشارة لتعذر تفصيل أحوال كماله صلى الله عليه وسلم ورأى يحتمل ان تكون علمية فأحسن مفعول ثان ويحتمل ان تكون بصرية فأحسن صفة قوله شيأ والمراد بنفى رؤية شئ أحسن منه نفى رؤية الاحسن والمساوى معا والمعنى انه احسن من كل ما وقع بصره عليه أو علمه بدلالة العرف كما يقال ليس فى البلد أفضل من زيد بمعنى انه أفضل من كل احد فيها والسر فى ذلك ان الغالب من حال كل اثنين هو التفاضل دون التساوى فاذا نفى أفضلية أحدهما ثبت أفضلية الآخر كذا ذكره المحققون انظر جمع الوسائل والحاصل ان هذا التركيب انما يدل بالمطابقة على نفى الاحسن وأما نفى المساوى فانما يستفاد من قرينة المقام اذ هو مقام مدح ومن هذا الباب قوله تعالى ومن أصدق من الله قيلا وأما قول ابن حجر ان المعنى ما رأيت شيأ قط كان حسنه مثل حسنه لان أفعل قد يراد به أصل الفعل اثباتا ونفيا وان قرن بمن خلافا لما يوهمه كلام غير واحد ومن ذلك قولهم العسل أحلى من الخل والصيف أحر من الشتاء اه ففيه أن من قال لا يكون أفعل بمعنى أصل الفعل اذا قرن بمن انما قال ذلك فيما تمكن فيه المشاركة فى أصل الفعل كزيد أفضل من عمرو والمثالان المذكوران فى كلامه خارجان عما نحن فيه نعم اذا تجرد أفعل عن أل والاضافة ومن قد يستعمل مجردا عن معنى التفضيل مؤولا باسم الفاعل كهو أعلم بكم أو مؤولا بالصفة المشبهة كهو أهون عليه قاله الرضى والدمامينى فى شرح التسهيل نقله فى جمع الوسائل ونظيره قول البراء ما رأيت الخ قول عائشة رضى الله عنها تمدحه صلى الله عليه وسلم

وأجمل منك لم ترقط عينى * وأكمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال ما رأيت شيئا دون ان يقول ما رأيت انسانا ليفيد التعميم حتى يتناول الشمس والقمر وسيأتي لهذا تتمة في قول هند يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر * قال المصنف رحمه الله (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا سفيان) هو سفيان الثوري كما صرح به المصنف في جامعه في هذا الحديث بعينه قال في جمع الوسائل روى ان أبا جعفر الخليفة توجه الى مكة وقد وجه النجارين اليها لينصبوا الخشب ليصلبه عليها وكان سفيان مضطجعا ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجله في حجر ابن عيينة فقالا يا أبا عبد الله اختف لا تشمت بنا أعداءنا فقام ودخل المسجد وتعلق بأستار الكعبة وقال أنا بريء منه ان دخل أبو جعفر مكة فمات أبو جعفر قبل أن يدخلها (عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) من ذي لمة مفعول لرأيت ومن زائدة للتنصيص على استغراق جميع الافراد وأعم من هذا قوله في الخبر السابق ما رأيت شيئا الخ واللمة سبق معناها وقوله (له شعر يضرب منكبيه) ان كان معناه يكاد يضرب منكبيه كان تفسيرا أو بيانا للمة والا كان استئنافا بقصد التعديد (بعيد ما بين المنكبين لم يكن بالقصير ولا بالطويل) تقدم معنى ذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخاري (نا أبو نعيم) هو الفضل بن دكين من شيوخ البخاري (نا المسعودي) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود (عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير شثن) بالثاء المثلثة (الكفين والقدمين) أي ممتلئهما لحما وفسر أبو عبيد الله الشثن بغلظ الاصابع والكف مع القصر وفسره الاصمعي بغلظ في خشونة وتعقب كل من التفسيرين بأنه ثبت في وصفه صلى الله عليه وسلم في خبر هند الآتي انه كان سائل الاطراف وفي حديث أنس ما مسست خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتحقيق ان الشثن الواقع في صفته صلى الله عليه وسلم معناه الغلظ من غير قيد قصر ولا خشونة فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهي مع ذلك لينة وسيأتي في حديث هند رحب الراحة سائل الاطراف مسيح القدمين ينبو عنهما الماء وفي حديث جابر بن سمرة منهوس العقب أي قليل لحمه وعنه أيضا كان في ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة أي دقة (ضخم الرأس) في رواية هند بن أبي هالة عظيم الهامة وهو

الآن يرد على نوري الآن يجيء زواري الآن أطهر من أنجاس الجاهلية أيتها العزى هلكت وتزلزل البيت ثلاثة أيام وأخرج ابن عساكر عن عروة بن الزبير ان نفرا من قريش منهم ورقة وزيد بن عمرو بن نفيل دخلوا على صنمهم فرأوه مكبوبا على وجهه فأنكروا ذلك وردوه لحاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب الثالثة فقالوا هذا الامر حدث

(وتداعى ايوان كسرى ولولا آية منك ماتداعى البناء)

أي تحرك ايوان كسرى وانصدع بل سقط منه أربع عشرة شرافة والايوان بناء في غاية العظمة والاتقان والاحكام يعد للملوك والحكام كان يظن به أنه لا تهدمه الا نفخة الصور وكسرى لقب لملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن والنعمان لملك العرب والنجاشي لملك الحبشة والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك وفي سقوط العدد المذكور اشارة الى زوال ملكهم وعزهم بملك المصطفى وعزه وسر ذلك العدد الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا أربعة عشر فملك عشرة في أربع سنين وأربعة الى زمان عثمان وقد فتح في زمن عمر أكثر أقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان وزال ملكه بالكلية وقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان أمواله وكنوزه تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه وقد بشر أمته في حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة وكان من فقراء أصحابه كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما ظفر بهما عمر ألبسهما اياه اظهارا للمعجزة وقال الحمد لله الذي سلبهما

دال على كمال القوى الدماغية وبكمالها تكمل الانسانية (ضخم الكراديس) أى رؤس العظام نحو المنكبين والركبتين والوركين جمع كردوس بضمتين كل عظمين التقيا فى مفصل على ما فى القاموس والمراد انه جسيم الاعضاء ويأتى عن على أيضا انه جليل المشاش والكتد وهو ما قبله يدل على النجابة والقوة المطلوبة فى الرجال (طويل المسربة) يأتى تفسيرها (اذا مشى تكفأ تكفأ كانما ينحط من صبب) سبق معناه (لم أر قبله ولا بعده مثله) لان حسنه صلى الله عليه وسلم واحد فى الوجود لا ثانى له

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وهذه العبارة مفيدة لهذا المعنى لان نفى المثل يدل عرفا على كونه احسن من كل أحد كما يقال ليس فى البلد مثل زيد والسر فيه انه اذا نفى المثل الذى هو أقرب من الاحسن فى مقام ذكر المحاسن كان نفى الاحسن بالاولى والأحرى * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا ابى عن المسعودى بهذا الاسناد نحوه) اى نحو الحديث المذكور قبله (بمعناه) أى بلفظ آخر مفيد للمعنى المتقدم وهذا مستفاد من قوله نحوه فزيادة قوله بمعناه للتأكيد كما فى ابن حجر وأما المثل فيستعملونه اذا كانت الموافقة بين الحديثين فى اللفظ والمعنى وقد يستعمل كل واحد منهما مكان الآخر جرت عادة أهل الحديث اذا ساقوا الحديث باسناد أولا ثم ساقوا اسنادا آخر يقولون فى آخره مثله أو نحوه اختصارا * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبى البصرى وعلى بن حجر وأبو جعفر محمد بن الحسين وهو) تردد الشراح فى معاد هذا الضمير هل لمحمد او والده الحسين وهو من كلام المصنف أو من كلام أحد تلامذته لبيان اجمال الكلام وكانه لعدم اشتهاره بالغ فى توضيحه (ابن أبى حليمة والمعنى واحد) الجملة حال من الفاعل أى حدثونا حال كون المعنى فى أحاديثهم واحدا يعنى ان مروياتهم وقعت بالفاظ مختلفة ومعنى الكل واحد أو من المفعول أى حدثونا الاحاديث حال كونها بحسب المعنى واحدا قال العصام ونبه بهذا على ان اللفظ المروى لا يعلم انه لفظ على بعينه (قالوا) اى قال كل واحد منهم (نا عيسى بن يونس) خرج حديثه الائمة الستة ويقال لما حج الرشيد ودخل الكوفة أمر أبا يوسف ان يأمر المحدثين بملاقاته الا اثنين عبد الله بن ادريس وعيسى بن يونس فارسل ولديه المأمون والامين ان يروحا اليه ويقرآن الحديث عليه ففعلا فامر بعشرة آلاف درهم فامتنع فظنوا انه استقلها فضوعف له فقال ان ملأتم المسجد الى السقف ذهبا لم آخذ شيأ على الحديث قبل حج

كسرى وألبسهما سراقة (٣)

(وغدا كل بيت نار وفيه * كربة من خمودها وبلاء) (٢٨)

غدا بمعنى صار أو وقع والمرفوع بعدها اما فاعل أو اسم والمنصوب هنا مقدر أى مكروبا والمراد أهله وهو اما حال أو خبر والجملة من قوله وفيه كربة وبلاء ذالة عليه والكربة بضم الكاف غم يأخذ النفس ووباء أهلكها وحصل ذلك لهم مع بلاء عظيم صبه الله عليهم صبا من أجل خمود نارهم فروى ابن عساكر ان نيران كسرى خمدت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد اه وهم مجوس فى اقليم الفرس كانوا يوقدون النار ويعبدونها فأوقدوها المئين من السنين حتى أحالت عادتهم انطفاءها فلما انطفأت من بلادهم كلها وبيوتهم التى كانوا يوقدونها فيها فى ساعة واحدة بغير سبب وهم يوقدونها او يعالجونها علموا ان ذلك لامر عظيم حدث فى العالم وكان ذلك سببا لازالة ملكهم وتمزيقهم كل ممزق

(وعيون للفرس غارت فهل كا ن لنيرانهم بها اطفاء)

غارت العين أى جفت وذهب ماؤها وكان للفرس عيون تتفجر ماء منها عين ساوة وكان فيها من كثرة المياه وسعتها ما يحيل العادة غيضة طولها ستة أميال وعرضها كذلك والاستفهام للتعجب من حالهم وتوبيخهم وتقريعهم أى ما خمدت النار وانطفأت بالمياه المذكورة وانما ذلك

(٣) صرح ابن المنير بان هذا قاله النبى صلى الله عليه وسلم لسراقة لما لحقه مع أبى بكر فى طريق الهجرة ولم يكن سراقة اذ ذاك مسلما وكذا فى حفر الخندق لم يكن أسلم لانه انما أسلم يوم الفتح أو بعد حنين وصرح السهيلى فى الروض بأنه قال ذلك حين أسلم فلا بعد تعدد المقالتين اه من خط المؤلف

خـا

اسرو بجود نبينا صلى الله عليه وسلم اضمحل به كل لهو و باطل

(مولد كان منه فى طالع الكفر وبال عليهم ووباء)

مولد أى عظيم اما بالجر بدل أو بالرفع أى هو صار من أجله على الدوام فى طالع الكفر أى ما به يطلع على عواقبه وغايته كنسوم والهام و بال أى وخم عظيم و وباء أى مرض عام وهما كنايتان عن كسر شوكتهم وضعف قوتهم وفى البيت من البديع الجناس اللاحق وعندهم انه اذا أبدل منه حرف من مخرجه أو قريب منه فهو مضارع كقوله تعالى وهم ينهون عنه و ينئون عنه وكقوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير والا فهو اللاحق كما فى البيت

(يهنيا به لا منه الفضل الذى شرفت به حواء)

الفاء للسببية أى فبسببه ماحصل بوجوده صلى الله عليه وسلم فى هذا الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا ولآبائه وأمهاته من الشرف الاكبر والتمييز الاظهر حق أن يقال فى شأن أمه هنيأ وهنيأ اسم فاعل من هنؤ كشريف من شرف وهو ما لا آفة فيه ولا نكد أو ما أتاك بلا مشقة وهو حال مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذلم يسمع الا كذلك والفضل مبتدأ ولآمنة خبر و به أى بسببه صلى الله عليه وسلم و يعنى ان كل أم انتسب لها النبى صلى الله عليه وسلم فقد حصل لها الشرف والفضل الذى لا آفة فيه ولا نكد ثم وصف هذا الفضل بكونه هو الذى شرفت به حواء أم البشر لكنه فى آمنة أظهر لعدم الواسطة وخص هاتين بالذكر لان حواء هى سبب الايجاد الاول وآمنة سبب المنتهى فهى نتيجة الاسعاد ففيه ذكر الطرفين لدخول الوسط لانه

خمسا وأربعين حجة وغزا خمسا وأربعين غزوة (عن عمر بن عبد الله مولى غفرة قال نى ابراهيم بن محمد) صدوق روى عنه الترمذى والنسائى وابن ماجه (من ولد على بن أبى طالب) من تبعيضية أو بيانية والغرض منه بيان تعيين محمد وهو محمد بن الحنفية المكنى بأبى القاسم المشتهر بالعلم والشجاعة والعبادة وهو أفضل أولاد على بعد السبطين والحنفية أمه حصلت لعلى من سبى بنى حنيفة قيل من سخافة عقول طائفة من الرافضة أنهم يعتقدون فى محمد هذا الالوهية مع ان أبا بكر هو المعطى عليا أمه (قال) أى ابراهيم (كان على) قال المؤلف فى جامعه بعد ايراد هذا الحديث بهذا الاسناد ليس اسناده بمتصل اى لان ابراهيم هذا لم يسمع من جده أمير المؤمنين على ففيه انقطاع (اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط) أى المتناهى فى الطول من قولهم امغط النهار اذا امتد وأصله منمغط اسم فاعل من انمغط مطاوع مغطه بالتشديد فقلبت النون ميما وادغمت فى الميم (ولا بالقصير المتردد) أى المتناهى فى القصر كانه تداخلت أجزاؤه (كان ربعة من القوم) اثبات لصفة الكمال بعد نفى صفتى النقص تكميلا للمدح وعدم الاكتفاء باستلزام النفى للاثبات فى مقام المدح من فنون البلاغة (لم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط) تقدم معناه (كان جعدا رجلا) اثبات لصفة الكمال بعد نفى غيرها أيضا (ولم يكن بالمطهم) هو المنتفخ الوجه الذى فيه جهامة أى عبوس من السمن وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد و يأتى فى خبر هند سهل الخدين أى غير مرتفع الوجنتين (ولا بالمكلثم) هو المدور الوجه كما سيأتى ولما لم يكن هذا على اطلاقه بينه بقوله (وكان فى وجهه تدوير) أى تدوير ما فلم يكن مستديرا كل الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك و يعبر عنه بانه كان فيه سهولة والسهولة ضد الحزونة وهى فى الاصل ما غلظ من الارض والحاصل انه كان بين الاستدارة والاسالة كذا قال البيضاوى وأبو عبيد (أبيض مشرب) أى بحمرة والاشراب خلط لون بلون كان أحد اللونين سقى اللون الآخر (أدعج العينين) أى شديد سواد حدقتهما مع سعة العين وشدة بياضها فالدعج شدة بياض البياض وسواد السواد و يأتى فى خبر جابر بن سمرة أشكل العين أى يخالط بياض عينيه خطوط حمر ولا ينافى هذا ما تقدم من شدة بياض بياض عينيه صلى الله عليه وسلم وانما المنافى مخالطة الحمرة لجميع البياض وامتزاجها به ثم يشكل ما هنا مع ما يأتى فى باب ضحكه صلى الله عليه وسلم عن جابر بن سمرة وكنت اذا نظرت اليه قلت أكحل

أحرى من الطرف الاول لان مدار الفضل على القرب كما تقدم وهو حسى ومعنوى

(من لحواء انها حملت أحـ * ـمد أو انها به نفساء)

هذا بيان لتمييز آمنة على حواء بذلك ومن (٣٠) استفهامية للاستبعاد بمعنى النفى ولحواء يتعلق بمحذوف أى يشفع يقول لو قدر لحواء ان تحمل بسيد المرسلين وتلده من غير واسطة لكان لها نهاية الفخر والفرح لكن لم يقدر ذلك وانما قدر لآمنة كما سبق فى علمه لانه خاتم النبيين فليس لحواء شفيع يشفع لها فى انها تلده لما سبق كذا قرروه ويحتمل عندى وجها آخر وهو انه لما ذكر ان حواء حصل لها شرف الولادة العليا قال من مخبرا لها بأن ذلك الولد الكامل قد برز وظهر ومصداق حملها به قد اشتهر فيبشرها بذلك فيكمل فرحها وضمير انها لآمنة والله أعلم

(يوم نالت بوضعه ابنة وهب * من فخار مالم تنله النساء)

يوم بدل من مولد والظاهر انه ظرف لما يليه وأظهر منه ان يكون متعلقا بمحذوف أى اذكر يوم ونالت أى أعطيت وحازت والفخار التمدح بالخصال الحميدة يقول ان آمنة أعطيت بسبب ولادتها للنبى صلى الله عليه وسلم من الفخار والشرف مالم تنله امرأة من النساء وهذه مزية اختصها الله بها وهى لا تقتضى التفضيل على غيرها مطلقا انظر ابن حجر

(وأتت قومها بأفضل مما * حملت قبل مريم العذراء)

أى ويوم أتت آمنة قومها الرجال والنساء تبسع بمولود أفضل اجماعا من عيسى الذى جاءت به قبل آمنة مريم بنت عمران

العينين وليس بأكحل والجواب ان معنى أكحل فى كلامه مكحول فمن رآه يظن انه مكحول بالكحل وليس بمكحول وانما كان أكحل بحسب الخلقة وهذا أحسن مما أجيب به انظر جمع الوسائل قلت والاشكال مبنى على ان معنى أكحل أسود مع انه من الكحل بفتحتين لا غير الجوهرى رجل أكحل بين الكحل وهو الذى يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال ابن حجر الهيتمى قلت أكحل من الكحل محركا وهو ان يعلو منابت الشعر سواد خلقى أو ان تسود مواضع الكحل ذكره فى القاموس والاول هو المشهور وليس بأكحل حقيقة وانما يظن به عند ابتداء النظر انه أكحل فالاثبات باعتبار ابتداء الرؤية والنفى باعتبار الحقيقة ويؤخذ من ذلك ان اسوداد العين بحيث يوهم انه كحل أشرف من حقيقة الكحل لانه صلى الله عليه وسلم لا يعطى الا الافضل مطلقا اه والجواب مبنى على ان أكحل بمعنى مكحول مع ان كحيل هو الذى بمعنى مكحول فتأمل ذلك (أهدب الاشفار) جمع شفر بضم أوله وقد يفتح وهو حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر قال الشامى والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وانما الاشفار حروف العين ومعنى أهدب الاشفار طويل شعر الاشفار وطول شعر الاشفار مع الانعطاف هو المسمى بالوطف بفتحتين الذى وصفته به أم معبد فان الهدب هو الشعر ولا يحتاج هذا الكلام الى حذف مضاف كما قيل وانما يحتاج اليه فى قول الاصمعى الآتى طويل الاشفار (جليل المشاش والكتد) يأتى معناهما (أجرد) أى غير أشعر والاشعر من عم الشعر جميع بدنه فالاجرد من لم يعمه الشعر فيصدق بمن فى بعض بدنه شعر كالمسربة والساعدين والساقين وقد كان له صلى الله عليه وسلم فى ذلك وفى أعلى الصدر شعر كما يأتى فى حديث هند فوصفه صلى الله عليه وسلم به باعتبار اكثر مواضعه بجعل الاقل فى حكم الاكثر وفى القاموس ان الاجرد اذا جعل وصفا للفرس كان بمعنى صغر شعره واذا جعل وصفا للرجل فمعناه لا شعر عليه فلا يصح تفسير الاجرد هنا بالذى قصر شعره خلافا لمن فسره به (ذو مسربة شثن الكفين والقدمين اذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب) مر الكلام على معانيها (واذا التفت) الى أحد (التفت معا) وفى خبر هند الآتى جميعا أى بجميع بدنه اهتماما بشأن من التفت اليه للكلام أو غيره لا بلىّ العنق فقط لما فى ذلك من التلون وامارة الخفة وعدم التصون وفى ألفية العراقى

يقبل كله اذا ما التفتا * وليس يلوى عنقا تلفتا

ويحتمل ان يكون المراد واذا التفت الى شئ أى شئ كان ويعنى والله أعلم اذا كان

ذلك

العذراء أي البكر التي لم تتزوج وأوقع الناظم ما على العاقل وهو عيسى نادرا وقيل انها تقع على آحاد من يعقل كثيرا والصواب انها هنا وقعت على نيتها معنى الصفة على حد ما قالوا في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يريد أن يوم ولادة آمنة لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو يوم اتيانها (٣١) بالمولود الذي هو أفضل من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بسبب ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الانبياء والمرسلين وخص عيسى بالذكر لما فيه من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة فمن آيات عيسى أنه من أم بلا أب وانما نفخ جبريل في جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها كرامة لها ومعجزة له وانه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وما من مولود من بني آدم الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا الا عيسى بن مريم لقوله تعالى واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ورفع الى السماء وينزل في آخر الزمان فيحكم بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم وكلم الناس في المهد وكل ذلك في الحقيقة آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم لانه الخليفة الاشهر والملك الاكبر الذي له التصرف المطلق والاذن العام في المملكة باجناسها وأنواعها وأصنافها وجزئياتها وذلك بتمليك الله الله تعالى له واستخلافه اياه فهو المعطي والممد والموصل الى كل ذي حظ حظه ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم القاسم لانه المتولي لقسمة نعم الله تعالى وأعطيته فكل من حصلت له رحمة في الوجود أو خرج له قسم من رزق الدنيا والآخرة والظاهر والباطن والعلوم والمعارف والطاعات فانما خرج له ذلك على يديه وبواسطته صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقسم الجنة بين أهلها ولذا عد من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه أعطي مفاتيح

ذلك الشيء خلفه لا عن يمينه أو شماله (بين كتفيه خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها بمعنى الطابع الذي يختم به والمراد هنا هو الاثر الحاصل به لا الطابع والختام الطين الذي يختم به ومنه قوله تعالى ختامه مسك وقيل المراد آخره لانهم يجدون رائحة المسك آخره وأضيف الخاتم الى النبوة امالانه علامة لنبوته صلى الله عليه وسلم فانه نعت به في الكتب المتقدمة كما يأتي في حديث سلمان فيكون من اضافة الدال الى المدلول واما لانه علامة تمامها لان الشيء انما يختم بعد تمامه واما لانه صلى الله عليه وسلم لما ختمت به النبوة كان بمنزلة بيت ختمت فيه النبوة وختم عليه فلا يصل اليه أحد بعده فتكون مصونة محفوظة من غيره كما يختم على الوعاء المملوء درا أو ياقوتا صيانة له عن الناس فلا يصلون الى ما خبي فيه وسيأتي بقية الكلام على خاتم النبوة في الباب بعده مستوفى (وهو خاتم النبيين) أي خاتم نبوة النبيين أي علامة تمامها أو خاتم بيتها فلا نبي أحد بعده فلا ينافي نزول عيسى عليه السلام متابعا لشريعته ولا يأتي هنا الوجه الاول من أوجه الاضافة المتقدمة ومعنى خاتم هنا ما تقدم ويحتمل ان يكون المكسور هنا بمعنى فاعل الختم فمعنى خاتم النبيين انه ختمهم أي جاء آخرهم فلا نبي بعده ولا يصح هذا الوجه في خاتم النبوة وقد مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة ببيت كمل الا موضع لبنة واحدة روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأكمله الا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين فالنبوة كدائرة متألفة من نقط ووجود النقطة الاخيرة هو المتمم لصورة الدائرة والمظهر لحقيقتها بجميع أوصافها * وفي كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مزايا كثيرة دوام شريعته وعدم نسخها ووراثته لما تفرق في الانبياء قبله فبهداهم اقتده والستر على أمته حتى لا يطلع على مساويهم غيرهم من الامم كما اطلعت هذه الامة على مساوي غيرها فكانت متعظة بغيرها لا معظا بها (أجود الناس صدرا) اما من الجودة أي أحسنهم قلبا لسلامته وطهارته من كل رذيلة من بخل وغش وغيرهما من العيوب الباطنة وقد صح ان جبريل شقه واستخرج منه علقة سوداء ورمى بها وقال هذا حظ الشيطان منك واما من الجود بضم الجيم فيكون اشارة الى سخائه وكرمه صلى الله عليه وسلم ونسب الجود للصدر لانه فرع انشراحه وهو محل القلب الذي فيه الجود فيكون من تسمية الشيء باسم محله أو مجاوره وسيأتي

الخزائن و بسبب حيازة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للفضائل كلها والفواضل بأسرها استحق أن يسمى محمدا ومعناه أصالة
من كثر حمد الحامدين له فجاء هذا الاسم الشريف ملائما ومناسبا لذلك المسمى المنيف لما يدل عليه بحسب وضعه الاصلى
الملاحظ بعد الوضع العلمى من تعدد الحمد (٣٢) وكثرته وتكرره كان أسبابه متعددة وطرقه متكاثرة وموجباته غير
منحصرة فهذا بذاك وما أحسن وضع الشئ فى محله واعطاءه لمستحقه ومجيئه به على حقه ولذا قال بعض النحاة ان هذا الاسم الشريف يفيد ما يفيده اللقب من المدح ومن الفضائل التى له صلى الله عليه وسلم أئمة حامديته لله تعالى فانه الاحمد الاكبر والمعروف الاعظم ولذا وصف بأفعل والحامدون كلهم نوابه اذ هو الذى عرفهم الحمد وأوصل اليهم العلم باسبابه فهو الحامد على الاطلاق والمثنى فى جميع الاوقات والآفاق والحامدون عالة عليه اذ الثناء على الله بحسب المعرفة به ومعرفته صلى الله عليه وسلم لم يصلها ولا يصلها أحد فكانت محموداته صلى الله عليه وسلم على حسب ذلك فضعفت المادة دلالة على الكثرة وبهذا تعلم أن كونه صلى الله عليه وسلم أحمد سابق على كونه محمدا وفى هذا الاسم الشريف الاشارة الى كمال محبوبيته صلى الله عليه وسلم لما فى معناه من المكافأة لأحمديته بثنائه تعالى عليه بنفسه فى كتابه و بألسنة خلقه اذ الالسنة
الخلق أقلام الحق فالمحبوبية فيه أظهر وان كانت فى أحمد أيضا من حيث اجتذابه اليه واستعماله امور
فى خدمته وحمده ومعرفته ومعنى المحبة فيه أظهر ولظهور معنى المحبوبية فى محمد كان أذ الاسماء عند جميع المسلمين وأشوق
الى الصلاة والسلام على سيد المرسلين ويفهم من توجيه هذه المطابقة بين الاسم والمسمى ان هذا الاسم الشريف هو اسمه

الكلام على كرمه صلى الله عليه وسلم * وأخرج ابن سعد فى كتاب الطبقات من طريق سعيد بن منصور والحكم بن موسى قالا حدثنا عيسى بن يونس بهذا الاسناد بلفظ أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا والرحب بمعنى السعة فيكون المعنى أوسعهم قلبا بمعنى انه لا يمل ولا يضجر قلبه ولا يضيق صدره من الناس مع اختلاف طبائعهم فيحتمل انه وقع فى رواية المصنف اسقاط قاله فى جمع الوسائل (وأصدق الناس لهجة) أى لسانا أو تحريكه فالمعنى أصدقهم قولا (وألينهم عريكة) أى طبيعة وزنا ومعنى أى أسهل الناس خلقا وهو اشارة الى كمال مسامحته وحيائه ووفور حلمه وتواضعه مع أمته فقوله (وأكرمهم عشرة) أى صحبة كعطف أحد المتلازمين على الآخر وفى بعض النسخ عشيرة بوزن قبيلة ومعناه وقد ورد ان الله اختار القبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم بفتح الفاء وسيأتى الكلام على تواضعه وخلقه وحيائه صلى الله عليه وسلم فى تراجمها (من رآه بديهة) أى رؤية بديهة فهو مفعول مطلق أى أول رؤية من غير معرفة (هابه) أى خافه وأجله وعظمه لجلالته وفخامته قال العلماء والمهابة أثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله تعالى وجلاله ومحبته فان القلب اذا امتلأ بذلك حله النور ونزلت عليه السكينة وألبس رداء الهيبة واكتسى ثوب المحبة فأخذ بمجامع القلوب هيبة ومحبة وخنعت له الافئدة وقرت به العيون وأنست به القلوب ان سكت علاه الوقار وان نطق أخذ بالقلوب والاسماع وهكذا الشأن فى أولياء الله تعالى لامتلاء قلوبهم بمحبة الله وجلاله وعظمته * وفى الصحيح خيار أمتى الذين اذا رؤا ذكر الله أى لما يعلوهم من البهاء والهيبة لانفراد قلوبهم بربهم وأنسهم به فلهم به نسبة وفى البردة

كأنه وهو فرد من جلالته * فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

أى انه من شدة الرفعة وكثرة الجلالة يراه الرائى فيضطر الى تعظيمه ولا يجد محيدا عن اجلاله كأنه ملك فى وسط عساكره وجنوده محدقة به وذلك ان ما حوته السرائر على الاسرة يلوح * قال العلماء ولم يظهر للخلق كمال مهابته وجلاله رحمة من الله بخلقه ولو ظهر لهم ذلك لتلاشوا واضمحلوا ولم يقدروا على التلقى منه ومع عدم ظهور كمال جلاله كان يحدث أصحابه و يؤنسهم و يأخذ معهم فى تدبير أمورهم ويذكر معهم الدنيا والطعام ويمازحهم احيانا ولا يقول الا حقا ويذكرون أشياء بحضرته من

الجامع لمعانى أسمائه اذ كلها دال على فضيلة أو فاضلة نحو طاهر مطهر فاتح خاتم مصطفى مختار أمين مأمون الى غير ذلك من أسمائه ومحمد شامل لجميع ذلك اذ معناه محمود بالطهارة الخ فافهمه هذا بعض ما يتعلق بمعنى الاسم وأما لفظه فقال بعض العلماء فى اسم محمد ثلاث ميمات اذا بسطت كل منها قلت ميم وعدتها تسعون فيحصل من الميمات الثلاث مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين وحاء بتسعة فالجملة ثلثمائة وأربعة عشر فتلك عدة الرسل عليهم الصلاة والسلام وقال آخر الميم الاولى للملكوت الاعلى ولمعرفة علم الاولين والآخرين ولمحو الكفر ولمن الله به على المؤمنين والحاء للحياة بالايمان والحفظ وحكمه فى الخلق بحكم الله والميم الثانية للملكوت الباطن والملك الظاهر ومنه تشهير اسمه مع اسمه ومغفرته لامته والدال الدوام والاتصال لدفع وهمى الانقطاع والانفصال وهو الدليل لجميع الخلق والداعى الى الله ثم ان هذا الاسم الشريف باعتبار هيئته فيه اشارة الى أن مسماه هو المقصود الاكبر من النوع الانسانى ولذلك خلقوا على صورة اسمه وشكل كتابته فقد روى عن ابن عباس وابن عمر وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عمر أتدرى من أنا انا الذى خلق الله آدم

ه ش ل وذريته على حروف هجائى (محمد) هكذا كانت كتابة اسمه صلى الله عليه وسلم فى القديم فالرأس والوجه بمنزلة الميم الاولى واليدان اذا مدتهما بمنزلة الحاء والبطن بمنزلة الميم الثانية والرجلان بمنزلة الدال

أمور الجاهلية فينصت و يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون ولا يزجرهم الا عن حرام وكل ذلك رفق بهم وكان بالمؤمنين رحيما وقد جاء اليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته لما سكن روعه بقوله لست بملك لان الملوكية يلزمها الجبروتية وبقوله انما أنا الخ لان القديد مفضول وهو مأكول أهل المسكنة (ومن خالطه معرفة) أى مخالطة معرفة (أحبه) لما يتحققه من كمال جماله وجلاله وجمعه المحاسن الظاهرة والباطنة وشدة شفقته ورحمته وحسن تدبيره فى أمته وسيأتى فى باب التواضع عن على رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم وفيه أيضا يعطى كل جلسائه بنصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من فاوضه صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء * روى مسلم عن عمرو بن العاصى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملأت عينى قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لى صفه لما قدرت وعلى قدر التحقق بذلك تكون المحبة حتى يصير عنده أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين ولا يصبر عنه ولا يقنع منه (١) ذكر البغوى فى تفسيره ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فى وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى من مرض ولا وجع غير انى اذا لم أرك

(١) وذكر الرصاع فى تأليفه فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر قال ذات يوم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أحب من الدنيا ثلاثا جثوى بين يديك وانفاق مالى عليك وكثرة الصلاة عليك ولقيه صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما أخرجك يا أبا بكر قال الشوق الى رؤيتك وانظر الى السيدة الانصارية التى قتل أبوها وأخوها وزوجها فى غزوة أحد وخرجت تتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى تسأل عن حاله وسلامته وتقول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسيت مصيبتها ولم تطب نفسها حتى رأت وجهه الكريم فقالت مسهلة لمصيبتها بسلامته صلى الله عليه وسلم كل مصيبة بعدك جلل أى صغيرة حقيرة لان بقاءك هو الخير كله فلم تجد على أبيها ولا أخيها ولا زوجها الان حبه صلى الله عليه وسلم فى قلبها أكثر من حب أهلها اه منه

اهـ ذكره العزفي وغيره وقد قال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما ان من تسمى باشهر أسمائه أعنى محمدا أو أحمد ادخله الله الجنة لكرامة اسمه وروى ابن وهب عن مالك انه تطرح البركة فى أهله وجيرانه وانظر المواهب تظفر بعجائب

(شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء)

التشميت بالمعجمة والمهملة هو ان يقال للعاطس يرحمك الله اما دعاء له بان يرحمه الله ويحفظه من شماتة أعدائه أو يبقاه سمته على ما كان عليه لان العطاس ربما كان سببا فى تغييره والاملاك جمع ملك بحمل واجمال وشفتنا أفرحتنا وأدخلت علينا السرور بقولها الآتى الذى يشفى العليل ويبرد الغليل والشفاء بالفاء المشددة هى أم عبد الرحمن بن عوف فقد روى عنها انها قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدى فاستهل فسمعت قائلا يقول يرحمك الله انظر تمامه فى المواهب وظاهره ان استهلاله صلى الله عليه وسلم كان بالعطاس

استوحشت وحشة شديدة حتى أقالك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين وانى ان دخلت الجنة كنت فى منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزل ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية وجاء ان عبد الله ابن زيد كان يعمل فى جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم توفى فقال اللهم أذهب بصرى حتى لا أرى بعد حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أحدا فكف بصره ويرحم الله القائل

اذا لم تراك العين فى كل ساعة * ولم تسمع الآذان منك كلاما
تذوب من الشوق الشديد حشاشتى * عليك كما قلبى يذوب غراما

(والقائل)

أرى ساعة الهجران يوما ويومه * يخيل لى شهرا وشهره عاما
اذا غبت غاب الجفن فى بحر دمعه * فلله جفن فى المدامع عاما

وحكاية الصحابة فى محبته صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تذكر (يقول ناعته) لعجزه عن بيان جماله وكماله تفصيلا والمعنى من شأن كل من يريد نعته أن يقول (لم أر قبله ولا بعده مثله) لانه لا مثل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى شرح هذه العبارة فهذا على رضى الله عنه وهو ما هو فى العلم والمعرفة وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها بعد ان عدد بعض البعض من صفات جماله ونعوت كماله صلى الله عليه وسلم اعترف بالعجز عن استقصاء محاسن هذا الجناب الارفع ورجع الى القصور عن أدراك كمالات هذا الشفيع المشفع اشارة الى ان الجناب المذكور فى غاية العلو ونهاية الارتفاع فمن طاوله ورام استقصاء كمالاته عجز وانقطع وقد نص العلماء على ان حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سر لطيف من اسرار الحق تعالى لا يطلع عليه فى هذه الدار نبى مرسل ولا ملك مقرب وانما أدرك المؤمنون منه ظاهر صورته المحمدية فالخلق عاجزون عن ادراك جماله وعقله وجاهه وعلومه وعبوديته وخوفه ورجائه وزهده وتواضعه وشفقته ورحمته وجوده وقد قال العلماء رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم كنخلة اجتمعت فيها القوات الخلق أصلها فى الارض وفرعها فى السماء وهى مثمرة من أرضها الى منتهى فرعها وكل واحد من الخلق فى أخذ قوتهم منها على حسب قوته ونهاية طاقته ورأسها ممتنع عن الجميع لامتناع وصول البشر الى السماء وقد قال عليه الصلاة والسلام لا يعرف فى حقيقة غير ربى وفى ذلك رحمة بالعباد

(رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ * ـع الى كل سودد ايماء)

رافعا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو العلاء وتدلت زهر النجوم اليه فأضاءت بضوئها الارجاء

وترامت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء)

كما

روى أبو نعيم من حديث ابن عباس قال كانت آمنة تحدث وتقول أتانى آت حين مر بى من حمله ستة أشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شأنك قالت ثم لما أخذنى ما يأخذ النساء ولم

يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالنى ثم رأيت كان جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الروع وكل وجع أجده ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فاصابنى نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينما أنا أتعجب وأقول واغوثاه من أين علمن بى فقلن لى نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بى الامر وأنا أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم واهول مما تقدم فبينما أنا كذلك اذا بديباج أبيض مد بين السماء والارض واذا قائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا (١) قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فاذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتى مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى ثم سمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها وادخلوه البحار ليعرفوه

كما تقدم * قال الامام النووى ما أدرك الناس من حقيقة أمره وخفى سره الاعلى قدر عقولهم البشرية فما ظهر لهم من ذلك فهو نعمة عليهم ليعرفوا قدره ويعظموا أمره وما خفى عنهم من أمره فهو رحمة من الله بهم اذ لو ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق لكان فتنة لهم والله تعالى أرسله رحمة للعالمين فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر والله الموفق اه وفى هذا المعنى يقول شيخنا المحقق فى همزيته

كنهك الاحمدى سر مصون * عن علاه تقاصر العلماء

(وقال فى أواخرها)

قصر القول فالجناب رفيع * من يطاوله أعجزته السماء

وارض بالعجز غاية فقديما * عجزت عن وصوله الشعراء

(وقال ابن الفارض)

كملت محاسنه فلو أهدى السنى * للبدر عند تمامه لم يخسف

وعلى تفنن واصفيه بوصفه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ثم اعلم ان المنفى عموم الشبه لا أصله أو معظمه فلا ينافى ماذكره العلماء من ان الذين كانوا يشبهونه صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وابنته فاطمة وابناها الحسن والحسين وجعفر بن أبى طالب والسائب بن عبيد جد الشافعى وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمى وكابس بن ربيعة رجل من أهل البصرة كان أنس اذا رآه بكى وعبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم ومسلم بن معتب بن أبى لهب وعبد الله بن أبى طلحة الخولانى فى آخرين من التابعين وذكر أيضا فيهم عثمان بن عفان قال فى المواهب وعدهم بعضهم سبعا وعشرين * قول المصنف (قال أبو عيسى) يريد به نفسه اذ هذه كنيته وكأن كنيته غلبت على اسمه ويحتمل ان يكون من كلام الرواة عنه ويشعر به ذكر الكنية (سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين) يعنى ابن أبى حليمة وهو أحد الشيوخ الثلاثة الذين روى عنهم هذا الحديث (يقول) الاظهر انه حال (سمعت الاصمعى) اسمه عبد الملك بن قريب لغوى مشهور منسوب الى جده أصمع بصرى سمع عن جماعة من الائمة منهم مالك بن أنس واتفقوا على انه ثقة وكان شديد التوقى لتفسير القرآن والحديث وكان هرون الرشيد استخلصه لمجلسه وكان يقدمه على أبى يوسف القاضى (يقول فى تفسير صفة النبى صلى الله عليه وسلم) لم يقل فى تفسير هذا الحديث لانه روى كلام الاصمعى كما سمع والاصمعى لم يذكر فى تفسير

(١) أى ملائكة على صور الرجال والا فهم لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة اه مؤلف

بأسمه ونعته وصورته ويعلموا انه سمي فيها الماحي لايبقى شئ من الشرك الامحى فى زمانه ثم تجلت عنه فى أسرع وقت الحديث وروى الخطيب البغدادى باسناده ان آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام رأيت سحابة عظيمة لها نور وأسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم جميع الارض واعرضوه على كل روحانى من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسمعيل ورضا اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه فى اخلاق النبيين قالت ثم انجلت عنى فاذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع من تلك الحريرة ماء واذا بقائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الادخل طائعا فى قبضته قالت ثم نظرت اليه صلى الله عليه وسلم واذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الاذفر واذا بثلاثة نفر فى يد أحدهم ابريق من فضة وفى يد الثانى طست من زمرد أخضر وفى يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما يحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه فى الحريرة ثم احتمله فادخله بين أجنحته ساعة ثم رده الىّ وروى محمد بن سعد عن حديث جماعة منهم عطاء

هذا الحديث ولذلك لم يراع ترتيب الحديث فى تفسير غريبه (الممغط الذاهب طولا قال) أى الاصمعى لا أبو جعفر ولا المصنف خلافا لمن زعم ذلك (وسمعت اعرابيا) منسوب الى الاعراب أهل البادية من العرب وهم أفصح من العرب الذين هم أهل الحضر من القرى لمخالطتهم بالعجم (يقول فى كلامه تمغط فى نشابته) بضم النون وهو السهم والمد دود حقيقة وتر القوس فاضافة المد للنشابة لانها سببه فهى مجاز (أى مدها مدا شديدا) وانما تعرض لتفسير التمغط مع انه ليس فى الحديث للمناسبة بين معناه وبين أصل المعنى المراد من الحديث وهو الامتداد والامغاط فى الحديث اسم فاعل من انمغط مطاوع تمغط فهو من باب الانفعال لا من باب التفعل (والمتردد الداخل بعضه فى بعض قصرا) مفعول له سمى بالمتردد لان اجزاءه كأنها تداخلت وقيل لانه يتردد الناظر فيه هل هو صبى أو رجل (وأما القطط فشديد الجعودة والرجل الذى فى شعره حجونة) أى انعطاف ولما كان هذا على اطلاقه غير صحيح فى وصف شعره صلى الله عليه وسلم قيده من قيده بقوله (أى تثن) هو تفسير من المصنف أو أبى جعفر لكلام الاصمعى فلا يقال الاولى الذى فى شعره تثن لانه أخصر (قليلا) بالنصب أو بالرفع (وأما المطهم فالبادن) هو الضخم من بدن بمعنى ضخم (الكثير اللحم) وتقدم معنى آخر (والمكلثم المدور الوجه والمشرب الذى فى بياضه حمرة) تقدم ان الاشراب خلط لون بلون آخر كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر فالتقييد بالبياض والحمرة كأنه لبيان الواقع فى وصفه صلى الله عليه وسلم (والادعج الشديد سواد العين) الانسب بمقام المدح قول من قال الدعج شدة سواد العين فى شدة بياضها وتقدم ان هذا لاينافى ما ورد من انه كان أشكل العين (والاهدب الطويل الاشفار) على حذف مضاف كما تقدم أى شعر الاشفار اذ لم يذكر أحد من الثقات ان الاشفار هى الاهداب بل هى حروف العين كما تقدم (والكتد) بفتح التاء وكسرها (مجتمع) بضم الميم الاولى وبفتح الثانية اسم مكان (الكتفين وهو) أى مجتمعهما (الكاهل) بكسر الهاء (والمسربة هو الشعر الدقيق الذى كأنه قضيب) وابتداؤها (من الصدر) وانتهاؤها (الى السرة والشثن) بسكون المثلثة (الغليظ الاصابع من الكفين والقدمين) سبق تحقيقه (والتقلع ان يمشى بقوة) أى ان يرفع رجله من الارض رفعا قويا لا كمشى المختال والمرأة والمريض (والصبب الحدور) المكان المنحدر من الجبل ونحوه (يقال انحدرنا فى صبوب) بفتح المهملة وضمها وقيل بالضم جمع (وصبب وقوله جليل المشاش) بضم الميم جمع مشاشة

(يريد

(يريد رؤس المناكب) أى ونحوها كالمرافق والركب (والعشرة الصحبة والعشير الصاحب) ويطلق على الزوج لانه صاحب أيضا فى الحديث يكفرن العشير (والبديهة المفاجأة) أى البغتة ومنه البديهى وهو الحاصل من غير ترو (يقال بدهته بامر أى فجأته) وفى بعض النسخ فاجأته وهو المناسب لقوله والبديهة المفاجأة * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا سفيان بن وكيع نا جميع) قال العسقلانى ضعيف رافضى اه واختلف فى قبول رواية المبتدع والاصح قبولها ان كان ضابطا ورعا ولم تكن بدعته كفرا ولم يكن يدعو اليها (ابن عمر) كذا فى نسخ الشمائل مكبرا وقال ابن حجر فى التقريب جميع ابن عمير بالتصغير فيهما (ابن عبد الرحمن العجلى) نسبة الى عجل قبيلة ينسب اليها جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم (املاء) أى حال كون جميع ممليا أى تاليا (علينا من كتابه) أى لا من حفظه أو يكون تمييزا أو مصدرا لقوله حدثنا وهو مصدر امليت بمعنى أمللت وهما لغتان فى القرآن والمضاعف هو الاصل (قال حدثنى رجل من بنى تميم) صفة لرجل (من ولد أبى هالة) صفة بعد صفة أى من أولاده واسباطه فالمراد ولد بالواسطة (زوج خديجة) صفة لابى هالة أو عطف بيان أو بدل منه واسمه هند بن زرارة وكان من أشرف قريش ومات فى الجاهلية وخديجة هى أم المؤمنين بنت خويلد (يكنى) صفة ثالثة لرجل لا لزوج وهو بضم الياء وسكون الكاف أو فتحها فقوله (أباعبد الله) مفعول ثان ليكنى كان مشددا أو مخففا فى القاموس كنى زيدا أبا عمرو وبه كنية بالكسر والضم سماه به ككناه وكناه وأبو عبد الله هذا مجهول من الطبقة السادسة ولم يخرج حديثه أحد من أئمة الصحاح الا الترمذى فى هذا الكتاب ولقاؤه ابن أبى هالة منتف قطعا لان الطبقة السادسة لم يثبت لهم لقاء الصحابة وابن أبى هالة من قدماء الصحابة لامحالة كذا قال بعض الشراح * قال فى جمع الوسائل انما يتم هذا لو أريد بابن أبى هالة ولده بلا واسطة اما على ان المراد به حفيده كما يأتى فلا اشكال فى الاتصال (عن ابن لابى هالة) وفى نسخة عن ابن أبى هالة وهو حفيد أبى هالة لا ابنه بلا واسطة واسمه هند وهو ابن هند بن أبى هالة شيخ الحسن وتقدم ان اسم أبى هالة هند وعليه فهو ممن اشترك مع أبيه وجده فى الاسم (عن الحسن بن على رضى الله عنهما) سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب أهل الجنة ولد فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة ولما قتل أبوه بايعه على الموت أربعون ألفا ثم سلم الامر الى معاوية فى سنة احدى وأربعين تحقيقا لما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه

وابن عباس ان آمنة بنت وهب قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء وروى الطبرانى أنه لما وقع على الارض وقع مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وروى عن عثمان بن أبى العاصى عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع على رواه البيهقى ويؤخذ منه ان ذلك النور من النبى صلى الله عليه وسلم خلاف ما يفهم من الناظم انه من النجوم وأخرج الامام أحمد والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم عن ذلك دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات الانبياء يرين وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاء له قصور الشام قال الحافظ ابن حجر صححه ابن حبان والحاكم وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار عن أم سلمة عن آمنة قالت لقد رأيت ليلة وضعته نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وأخرج أيضا عن بريدة عن مرضعته فى بنى سعد ان آمنة قالت رأيت كانه خرج من فرجى شهاب أضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام وعن همام بن يحيى عن اسحق بن عبد الله ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاء له قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر رواه ابن سعد قال فى اللطائف وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجئ به

من النور الذى اهتدى به أهل الارض و زالت به ظلمة الشرك كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم وأما اضاءة قصور بصرى بالنور والذى خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام به من نور نبوته وانه دار ملكه كما ذكر كعب الاحبار ان فى الكتب السالفة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى الشام انتهى ملكه ولهذا أسرى به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام الى الشام وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهى أرض المحشر والمنشر وأخرج أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم فى صحيحهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبى اليها خيرته من عباده اه ملخصا من المواهب *(تنبيهات)* الاول روى ابن عساكر عن أبى هريرة انه صلى الله عليه وسلم ولد معذورا أى مختونا مسرورا أى مقطوع السرة وروى الطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من كرامتى على ربى ان ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى أى عورتى وقول الحاكم فى المستدرك تواترت الاخبار بذلك مراده كما قال المنذرى وغيره الاشتهار والاستفاضة بين الناس لا التواتر اصطلاحا وفى العبارة تجوز لان الختان هو القطع وانما المراد انه ولد على تلك الهيئة من غير قطع انظر

بقوله ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين مات فى سنة خمس وأربعين وبقى نسله من ابنيه حسن وزيد (قال سألت خالى) يعنى أخا أمه للام (هند ابن أبى هالة) ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه خديجة أم المؤمنين (وكان وصافا) حال بتقدير قد والوصاف كما فى القاموس العارف للصفة (عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم) الجار متعلق بسألت ويحتمل ان يتنازعه سأل ووصافا لتضمنه معنى مخبرا والحلية الهيئة والشكل وتستعمل بمعنى الزينة وبمعنى ما يتزين به وبمعنى الصفة (وأنا أشتهى) الجملة حال من فاعل سألت (ان يصف لى منها شيأ) من أوصافه الجليلة ونعوته الجميلة ابن حجر وتنوينه للتعظيم والتكثير أو للتقليل وهو الانسب بالسياق (أتعلق به) أى أتشبث وأتبرك به أو أتمسك وأتصف به وانما قال الحسن ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو فى سن من لا يقتضى التأمل فى الاشياء ويحفظ الاشكال والاعضاء (فقال) هند (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة (مفخما) خبر بعد خبر لكان أى عظيما فى نفسه معظما فى العيون والقلوب عند كل من رآه ولم يرد بالفخامة ضخامة الجسم وان كان ضخما فى الجملة لانه لم يكن نحيفا وسيأتى الكلام على ذلك عند قوله بادن متماسك واصاحب جمع الوسائل هنا كلام سيأتى رده (يتلألأ وجهه) يستنير (تلألؤ القمر ليلة البدر) وهى ليلة أربعة عشر لان القمر فيها فى نهاية اضاءته وأشار بهذا الى انه صلى الله عليه وسلم كانت تشرق من طلعته الشريفة الانوار وتتلألأ منه الاضواء فى الليل والنهار وسيأتى قول أنس رضى الله عنه لما كان اليوم الذى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه المدينة أضاء منها كل شئ ومن ثم كانت الجدرات تلاحك وجهه صلى الله عليه وسلم أى يرى شخصها فى وجهه لاستنارته والملاحكة شدة الملاءمة ويرحم الله القائل

لم لا يضئ بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مقمر

وانما خص حسان رضى الله عنه ذلك بالليل فى قوله

متى يبد فى الداج البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كأحمد * نظاما لحق أو نكالا لملحد

لان ظهور النور فى الليل أتم وأشد وأقوى وانما خص الجبين لان النور أول ما يظهر من الاماكن المرتفعة ثم ينتشر وفى البخارى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال كان

رسول

المواهب (الثانى) دار ولادته عليه الصلاة والسلام بمكة بالحومة المعروفة بزقاق المدكا ويقال زقاق المولد ويقال زقاق الحجر وهذه الدار كان وهبها النبى صلى الله عليه وسلم لعقيل بن أبى طالب ولم تزل بيده الى ان مات وباعها ابنه لمحمد بن يوسف أخى الحجاج حتى حجت الخيزران جارية المهدى أم هرون الرشيد وقيل زبيدة زوجة هرون فجعلتها

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه اه ولا يفهم من هذا ان استنارة وجهه خاصة بوقت السرور ولان أصلها ظاهر فى كل وقت لان نورانيته صلى الله عليه وسلم ذاتية لازمة وكمالها وتمامها خاص بوقت السرور وهذا أمر معروف فى كل حسن يتجلى تمام حسنه عند السرور وأكثر وقد دخل صلى الله عليه وسلم يوما على عائشة وأسارير ه تبرق أى يلمع منها شبه البرق فقالت يارسول الله أنت أحق بقول أبى كبير الهذلى فى ربيبه تأبط شرا

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وهذا أصل كما قال القاضى أبو بكر بن العربى فى سراج المريدين فى قلب المعنى الحسن وأخذه من غير حقه ووضعه فى حقه وكان صلى الله عليه وسلم يعرف غضبه ورضاه فى وجهه لشدة صفاء بشرته وقوة نورانيته ثم اعلم ان تشبيه بعض صفاته صلى الله عليه وسلم بنحو الشمس والقمر انما يصح على ضرب من التجوز بل هما اللذان يشبهان بنوره صلى الله عليه وسلم اذ الاضعف هو الذى يشبه بالاقوى ومايقع فى الامداح من تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر والسراج فالمراد منه التمثيل باحسن مايعرف فى الوجود والا فهذه الاضواء من نوره خلقت وبه استنارت فهى الفروع ونوره الاصل وهى المتأخرة ونوره الاول وهى التى تطرأ عليها الطوارئ ونوره المصون المحفوظ منها بل هو الذى يجل عن البقاء على حاله اذ لايزال يتزايد ويستفيض وليس المراد حقيقة التشبيه وطريقته الاغلبية وان وجه الشبه فى المشبه به أتم ونحوه أولى انظر شرح همزية شيخنا المحقق (أطول من المربوع وأقصر من المشذب) هو الطويل البائن من التشذيب وأصله النخلة الطويلة التى شذب جريدها أى قطع لتطول (عظيم الهامة) أى الرأس وقد تقدم قول على ضخم الرأس (رجل الشعر ان انفرقت عقيقته) أى شعر رأسه وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل القاف الثانية وهى الخصلة اذا لويت وضفرت فالمراد شعره المعقوص والانفراق مطاوع التفريق أو الفرق والثانى أنسب بقوله (فرق) بالتخفيف يقال فرق شعره أى ألقاه الى جانبى رأسه فانفرق أى صار متفرقا والمعنى ان انفرقت وانشقت بنفسها عن المفرق فرقها أى أبقاها على انفراقها (والا) تنفرق بنفسها (فلا) أى فلا يفرقها بل يتركها مرسلة أو معقوصة وانظر هذا مع ماسيأتى فى باب ماجاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه فى مسلم من أن أهل الكتاب كانوا يسدلون رؤسهم وانه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ ثم فرق رسول الله صلى

مسجدا فهو الى الآن يزار وموضع الولادة منه معين متميز عليه كسوة خاصة وكان الزقاق المذكور يسمى بزقاق الحجر لاجل الحجرين اللذين هنالك ملصقين بجدارين أحدهما عن يمين الآتى من ناحية المسجد الحرام مارا لتلك الدار بقرب دار أبى بكر رضى الله عنه وبه أثر مرفق ذراع النبى صلى الله عليه وسلم يقال انه اتكأ عليه فلان والآخر يقابله بانحراف يقال انه كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم ويخبره عن حال أبى بكر وقد زرنا جميع ذلك والحمد لله (الثالث) لم يولد لابويه صلى الله عليه وسلم غيره فلم يشركه فى ولادة أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية قاله القسطلانى فى المواهب اللدنية

(وبدت فى رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء
اذ أبته ليتمه مرضعات * قلن مافى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء)

قال فى المواهب فذكروا انه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التى لايوجد مثلها قيمة قالت الطيور نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة قالت الوحوش نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه فنادى لسان القدرة ان

يا جميع المخلوقات ان الله تعالى قد كتب فى سابق حكمته القديمة ان نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة قالت حليمة فيما رواه ابن اسحق وابن راهويه وأبو يعلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم قدمت مكة فى نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء فقدمت على اتان لى ومعى صبى لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة لبن وما ننام ليلنا ذلك اجمع مع صبينا ذلك لا يجد فى ثديى ما يغنيه ولا فى شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى فلما لم أجد غيره قلت لزوجى والله انى لاكره ان أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فأشفقت ان أوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فدنوت منه رويدا فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الايمن فأقبل عليه بما شاء من اللبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم أعلمه الله تعالى ان له شريكا فألهمه العدل اهـ (قلت) وأظهر منه ان يكون اشارة الى ما عليه شريعته وما استقرت اليه عادته من حبه التيامن فى أموره كلها وانه هو وأمته من أهل اليمين وان البركة تظهر عليهم لان اليمن البركة قال بعض المحققين وقد جرت عادة الله تعالى ان من قصر النظر على الصور والظواهر ولم يتأمل البواطن ولم يفحص عن الحقائق كان ذلك فى حقه حجابا ومن نظر الى الشئ نظرا اجماليا

الله عليه وسلم فانه يقتضى ان فرقه وسدله كان عن قصد لا اتفاقيا كما يقتضيه ما هنا الآن يكون المراد هنا انه كان يسدل ولا يفرق الان انفرقت من ذات نفسها أى ثم بعد ذلك فرق كما يأتى ثم استأنف فقال (يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره) أى تركه موفرا فلم يأخذ منه وقيل يصح ان يكون يجاوز مدخول النفى أى ان انفرق شعره بعد ما عقصه فرق أى ترك كل شئ فى منبته والا ينفرق بان استمر معقوصا كان موضعه الذى يجمع فيه حذاء أذنيه فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره أى جمعه (ازهر اللون) فى المهذب الازهر الابيض المستنير (واسع الجبين) أى واضحه وهو معنى ما فى رواية صلت الجبين والجبين ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة وشمالها فلكل انسان جبينان والجبهة ما بينهما وقد يطلق الجبين على الجبهة وهو المراد هنا وقيل كناية عن طلاقة الوجه وشبه بعضهم جبهته المقدسة صلى الله عليه وسلم فى بياضها المشوب بحمرة وصفائها واشراقها واستنارتها بلوح فضة يموج فيه الذهب وفى هذا التشبيه وصف جبهته المشرفة بتمام الحسن وكمال الجمال وتفريح الناظر وظفره بأكمل المطالب وأشرف المآرب ومما ينسب لعائشة رضى الله عنها

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده * لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
ولو حب زليخا لو رأين جبينه * لآثرن بالقطع الفؤاد على الايد

(أزج الحواجب) الحاجب الازج هو المقوس كالنون الطويل الدقيق المستوى بحيث لا تعدو شعرة منه الاخرى فى النبات والاستواء وأطلق الجمع على المثنى لان التثنية جمع فى المعنى بدليل قوله بينهما عرق الخ (سوابغ) أى كوامل حال من الحواجب لانه فى المعنى فاعل أى دقت وتقوست حال كونها سوابغ والاظهر انه منصوب على المدح قاله فى جمع الوسائل وانما قال سوابغ مع انه من أوصاف الازج ليرتب عليه قوله (فى غير قرن) بالتحريك مصدر قولك رجل أقرن أى مقرون الحاجبين وفى رواية من غير قرن ففى بمعنى من والاحسن انه حال متداخلة والمراد انه صلى الله عليه وسلم لم يكن أقرن أى متصل الحاجبين وان كان أبلج ما بينهما أى نقيه من الشعر وعورض هذا بما فى وصف أم معبد رضى الله عنها حيث قالت أزج أقرن وجمع بينهما بانه بحسب ما كان يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمل واما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلا دقيقا فهو أبلج فى الواقع أقرن بحسب ما يبدو للناظر اذا كان بعيدا أو من غير تأمل قال الانطاكى وغيره والعرب تستملح البلج والعجم القرن ونظر العرب أدق وطبعهم أرق

ولم يتنزل الى التفصيل لم يعلمه ولم يظفر بفائدته وذلك ضرب من التساهل والعجز والاعراض وعاقبته الحرمان ومن أمعن وتأمل وغاص على الحقائق واعتنى بمعانى طى الظواهر من السرائر انقشع عنه سحابها وتجلى له لبابها ومن نظر الى الاشياء بالتفصيل عثر على سواء السبيل ووصل الى التحقيق بالبرهان والدليل فغير حليمة من النسوة سلك المسلك الاول فجعل بينهن وبين الكنز طلسم الوهم الذى ليس عليه معول وهى سلكت المسلك الثانى فانجلت اقبالها الطائف معدن المعانى وحصل لها الجمع بين الباقى والفانى * ثم نقول جرت عادة الله تعالى بأن مجرد الطمع فى العرض الزائل عاقبته الحرمان والزهد فى الخير وعدم الاعتناء بالاحسان نتيجته الندم والخسران فالعاقل يصحب حظوظه حقوقا تنغمر فيها وتؤمن غائلتها بصاحبتها ولا يخليها من قصد صحيح ووجه حسن مليح حتى لا يكون من المتصرفين بمجرد الشهوة والهوى وناقص العقل يعتمد شهوته ويجعل طمعه عمدته غير ملتفت الى فوائد الخير ونتائج الاحسان ولا يراعى مقتضى الرحمة ومجازاة الرحمن فحليمة رضى الله عنها سلكت المسلك السابق فلاحت لها الحقائق وأثمرت لها الحدائق وغيرها سلك المسلك اللائق فبقى قاصرا عما وصلت اليه منقطعا غير لاحق ثم نقول جرت عادة الله بأن الشئ العزيز لا يتجلى لكل أحد ابتداء لان الابتذال ينافى العزة وانما يتجلى لمن صدق فى طلبه بالعزم الجازم وهو مدة العزم قبل الوصول محجب عن الخصوصية فاذا استقر عزمه الى أن وصل اليه فحينئذ تتجلى له خصوصيته ليكون مطلوبا مرادا وتحصل ثمرته على غرة وبختا من غير ترتيب على

قال فى جمع الوسائل فكأنه جمع بين لطافة العرب وظرافة العجم صلى الله عليه وسلم (بينهما عرق يدره الغضب) أى يحركه ويظهره وفيه دليل كمال قوته الغضبية التى عليها مدار حماية الديار وقمع الاشرار وكمال الوقار الا أنه صلى الله عليه وسلم لا يخرج عن مقتضى العدل فى الرضا والغضب ولا يغضب الالله وليس غضبه كغضب غيره وسيأتى فى حديث هند فى باب كيف كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وسيأتى فى باب التواضع من حديث على رضى الله عنه لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه وفى باب الخلق عن عائشة رضى الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شئ فاذا انتهك من محارم الله تعالى شئ كان من اشدهم فى ذلك غضبا (اقنى العرنين) وفى رواية أقنى الانف وهما بمعنى واحد والقنى طول الانف ودقة ارنبته وحدب فى وسطه فليس بافطس ولا باشم (له نور يعلوه) الضمير ان للعرنين (يحسبه من لم يتأمله) أى يظن النبى صلى الله عليه وسلم من نظر الى وجهه ولم يتأمله (أشم) مفعول ثان ليحسب والشمم ارتفاع القصبة مع استواء أعلاها واشراف الارنبة قليلا فحسن قناه والنور الذى علاه يخفى على الناظر اليه من غير تأمل حدب وسطه ويظن استواء القصبة ولو أمعن النظر لحكم بخلاف ذلك ويفهم من هذه الاوصاف انه كان لانفه الشريف استقامة وسيلان ودقة أطراف وطرفه وهو الارنبة القدر المحمود من الاشراف ولقصبته ارتفاع وسط وحدب الوسط ولطوله القدر المعتدل السالم من الشطط وان له نورا يعلوه يخفى حدبه فيحسبه من لم يتأمله انه مرتفع أعلى القصبة (كث اللحية) أى كثير شعرها وفى رواية كثيف اللحية وفى أخرى عظيم اللحية ومعلوم ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا وان الطول الزائد بأن يكون فيه زيادة على القبضة غير ممدوح شرعا وسيأتى فى باب رؤية النبى صلى الله عليه وسلم قول يزيد الفارسى فى نعته صلى الله عليه وسلم قد ملات لحيته ما بين هذه الى هذه أى الاذنين قد ملات نحره أى عنقه فالاول اشارة الى عرضها والثانى اشارة الى طولها وقال ابن عباس لو رأيته فى اليقظة ما استطعت ان تنعته فوق هذا (سهل الخدين ضليع الفم) أى عظيمه وواسعه وهو محمود عند العرب وسيأتى فى حديث جابر بن سمرة قلت لسماك بن حرب ما ضليع الفم قال عظيم الفم والضليع فى الاصل الذى عظمت أضلاعه فاتسع جنباه ثم

استعداد ولا انقياد الى محاولة وعلاج فلو تجلت خصوصيته صلى الله عليه وسلم للنسوة ابتداء لتسابقن اليه ولتقاتلن عليه لكن ليس المحب من يبذل له انما المحب من يبذل فيصل ويظفر ثم نقول كانت حليمة رضى الله عنها أفقر تلك النسوة وأحوجهن فتحاماها أهل الرضعاء ولم يدفعوا اليها صبيانهم من أجل فقرها فانهزم بذلك قلبها وانكسرت نفسها فجبر الله كسرها وصدعها وأمن روعها ايذانا بأن فضله لا ينال بجاه ولا يتوصل اليه بعز ولا نخوة ولا يتغلب عليه بحول ولا قوة بل يؤتيه من يشاء من الفقراء والضعفاء لما لهم من وصف الانكسار ومعنى الاضطرار وبذلك يظهر باهر قدرته وغالب مشيئته حيث يرفع النازل ويظهر الخامل وعند ذلك تبطل دعاوى المدعين ويستبين عجزهم وفقرهم الى رب العالمين ثم نقول أيضا ان السيدة حليمة لم يعرض عليها النبى صلى الله عليه وسلم ولا طلبته هى أولا وغيرها عرض عليه فاباه طالبا لعرض الدنيا والجاه فحصل له الحرمان والابعاد وهى رضى الله عنها رضيت بما لم يرض به أهل الغنى فازيح به عنها الشقاء والعنا وكانت فى القضية اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى الزهد فى الدنيا والاعراض عن أهلها وحب الفقراء والانحياش اليهم ومواساتهم *(تنبيهات)* الاول توفى أبوه صلى الله عليه وسلم وهو ابن شهرين قاله ابن أبى خيثمة وقيل وهو ابن سبعة أشهر وقيل وهو ابن ثمانية وعشرين شهرا وقيل بعد حمل أمه به بشهرين في

وهو الراجح المشهور وكان عبد الله قد خرج ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم بالشام ومروا بالمدينة فتخلف عند أخواله بنى عدى بن النجار فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث

استعمل فى موضع العظيم وان لم يكن ثم اضلاع وفيه ايماء الى الفصاحة والبلاغة وقيل ضليع الفم كناية عن كمال الفصاحة وتمام البلاغة وقيل معنى ضليع الفم عظيم الاسنان شديدها وانظر ما معناه اذ لا يصح ان يراد بعظمها غلظها ولا اتساعها لانه غير محمود والمحمود تحديدها والتوسط بين الدقة والاتساع الكثير (مفلج الاسنان) بالفاء أى منفرجها وهو خلاف متراص الاسنان ويروى أفلج الاسنان وليس المراد من أفعل هنا التفضيل وانما جاء الوصف من المادة على وزن افعل كاحرش وفى رواية لابن سعد مبلج الثنايا بالموحدة وسيأتى فى حديث ابن عباس أفلج الثنيتين اذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثناياه قال بعضهم المراد بالثنيتين العليان دون السفليين لان المدح خاص بفلج العليين فرواية مفلج الاسنان ومبلج الثنايا ترجع لرواية ابن عباس لان انفراج الاسنان كلها غير محمود ويأتى فى باب الكلام فى آخر حديث هند ويفتر عن مثل حب الغمام وفى رواية لابن عساكر براق الثنايا فيفهم من ذلك انه كان لاسنانه صلى الله عليه وسلم غاية البياض والبريق واللمعان وفى رواية اشنب والشنب دقة الاسنان ورونقها وصفاؤها وعذوبتها قال ابن حجر أخرج أبو نعيم انه بزق فى بئر بدار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها واخرج أحمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم شرب من دلو ثم صب فى بئر أو قال مج فى البئر ففاح منها رائحة المسك ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بعد ان نفث فيها من ريقه على ظهر عتبة بن فرقد السلمى وكان به شرى أى قروح صغار حمر حكاكة مكربة فما كان يشم أطيب منه رائحة قالت أم عاصم امرأته كنا عند عتبة بن فرقد ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وما يمس عتبة طيبا الا أن يمس دهنا وكان أطيب ريحا منا فقلت له فى ذلك فقال أصابنى الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدنى بين يديه والقيت ثيابى على عورتى فنفث فى كفه ثم دلك بها الاخرى ثم أمرهما على ظهرى وبطنى فعبق بى ما ترون وبصق يوم خيبر بعينى على وبه رمد فبرئ وكان يوم عاشوراء يتفل فى أفواه رضعائه ورضعاء ابنته فاطمة ويقول للامهات لا ترضعنهم الى الليل وكان ريقه يجزيهم (دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة) الجيد هو العنق فغاير بينهما كراهية التكرار اللفظى والدمية فى الاصل الصورة من العاج واستعمل هنا فى مطلق الصورة التى بولغ فى تحسينها فشبه عنقه بجيد الدمية فى الاستواء والطول والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال وبالفضة

في اللون والاشراق والجمال فقوله في صفاء الفضة خبر بعد خبر لكان وهو اشارة الى بياض رقبته صلى الله عليه وسلم والى أن بياضه كان في غاية الصفاء (معتدل الخلق) يحتمل ان يكون اشارة الى أن عنقه الشريف لم يكن مفرط الطول أو الى انه معتدل الخلق أي بجميع الاعضاء فيكون اجمالا بعد تفصيل بالنسبة لما سبق (بادن) اسم فاعل من بدن بمعنى ضخم والضخامة قد تكون بعظم الاعضاء وقد تحصل بالسمن فان كان المراد هنا الاول كان قوله (متماسك) اشارة الى أن عظم اعضائه لم يخرجها عن حد الاعتدال وان كان المراد بالبادن السمين كان معنى قوله متماسك أنه ليس بمسترخي اللحم لان استرخاءه مذموم عند العرب مكروه في المنظر أي فهو معتدل الخلق بين السمن والنحافة وهذا هو الظاهر والخلاف في انه سمين أولا لفظي قاله في جمع الوسائل هنا وأما قوله في شرح قوله فخما مفخما انه صلى الله عليه وسلم زادت ضخامته في آخر عمره لما آتاه الله بجميع سؤله وأراحه من غم أمته فضعيف أو غير صحيح فان غاية ما ورد أنه ثقل به بدنه حتى كان أكثر صلاته وهو جالس وكيف يلتئم ما ذكره من التعليل مع ما يأتي من انه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقوله شيبتني هود واخواتها نعم من الناس من تسمنه الغيبة في المحبوب فيشغله الفرح والسرور بمحبوبه عن السابقة والعاقبة ويكون اشتغاله بشهوده والفرح به أهم اليه فيسمن جسمه وقد مشى أبو يزيد البسطامي لزيارة رجل من القوم سبعمائة فرسخ فلما رآه وجده سمينا فندم على القدوم عليه فتوسم الرجل فيه ذلك فقال له يا أبا يزيد لا تفسد مسيرك الى سبعمائة فرسخ فان سمني من فرحي به وفي لطائف المنن نقلا عن الشيخ أبي العباس المرسي قال كان ببلاد المغرب ولي من أولياء الله تعالى يتكلم على الناس فرقي المنبر يوما ليتكلم على الناس فقال رجل مكشوف الرأس هذا رجل يزهدنا في الدنيا وهو كالدب فكوشف به الشيخ فقال من فوق المنبر يا أبا دويس ما سمنني الا حبه وقيل لبعض التابعين ما هذا السمن فقال كلما تذكرت كثرة امة محمد صلى الله عليه وسلم وما اختصهم الله تعالى به ازددت سمنا وقال بعض العارفين كلما تذكرت اني عبد الله وانه أهلني للايمان والايقان زاد سمني وقال عياض رحمه الله

ومما زادني طربا وتيها * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * وأن صيرت أحمد لي نبيا

اليه الحرث فوجده قد توفي ودفن في دار التابعة وتوفيت أمه صلى الله عليه وسلم وعمره ست سنين ومائة يوم كما أسنده ابن سعد عن جمع وذكره ابن عبد البر واقتصر عليه ابن فارس ويذكر عن ابن عباس لما توفي أبوه صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما فقال الله عز وجل أنا حافظه وناصره وقيل لمولانا جعفر الصادق لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق اه ومما قيل في قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى وان كان خلاف الظاهر انه من قولهم درة يتيمة قال في الكشاف والمعنى ألم يجدك وحيدا في قريش عديم النظير اه واختار شيخ شيوخنا ابن زكري رحمه الله ان يتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ارهاص (١) وتأسيس وذلك انه نشأ نشأة كاملة تامة من جهة التخلي عن كل نقيصة وبراءة الساحة من كل عيب وتقدس الجناب من كل ما يستقبح ومن جهة التحلي بفضائل الصفات وسني الحالات وأكمل الكمالات وليس ذلك من شأن الايتام الذين ليس لهم أب ولا أم فكان في ذلك آيات وعبر وعلامات تطابق مشهور الخبر تتنزل على أوصافه في الكتب القديمة وتحقق انه ابنة التمام والدرة اليتيمة وقول سيدنا جعفر رضي الله عنه لئلا يكون عليه حق لمخلوق أي حق لازم في جل الاوقات لا يكافأ لعظمه فلا ينتقض بحق من كفله لانه يكافأ وقد كانت بركاته صلى الله عليه وسلم ظاهرة على كافليه فكانوا هم الذين يرغبون في كفالته وقربه لما شاهدوا من كراماته وخيراته والحاصل ان المراد ان تكون يده العليا على كل أحد وان يكون كل أحد يخضع له ويتأدب معه فلم يناسب

---

(١) من الرهص بكسر الراء وهو أساس الحائط ويطلق على ما هو تأسيس لقاعدة النبوة اه من خط المؤلف بواسطة

ذلك وجود الابوين * (التنبيه الثانى) * السيدة حليمة هى بنت أبى ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث يقال لها السعدية نسبة الى جدها سعد واسم زوجها الحرث بن عبد العزى وكانت حليمة وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرام قومها اجتباها الله لرضاع نبيه كما اختاره من أشرف البطون والاصلاب قال ابن الجوزى وابن المنذر وعياض وغيرهم وقد قدمت على المصطفى بعد النبوة فاسلمت وأسلم زوجها قال فى الاستيعاب وروى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه روت عن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنها عبد الله ابن جعفر اه وصحح ابن حبان وغيره اسلامها واسلام ابنتها الشيماء (١) وذكر بعضهم انها أسلمت هى وزوجها وبنوها وذكرها الرعينى فى الصحابة عن الطبرانى وابى عمر وأبى نعيم وابن منده وكذا ذكرها فيهم ابن الجوزى وروى يونس بن بكير عن ابن اسحق عن أبيه عن رجال من بنى سعد بن بكر ان الحرث بن عبد العزى زوج حليمة أباه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلم وحسن اسلامه فقالت له قريش الا تسمع ما يقول ابنك هذا قال ما يقول قالوا يزعم ان الله عز وجل يبعث بعد الموت الحديث وفيه فصدقه الحرث اه قال المناوى وفى كونها حليمة

(١) بهذا كله يرد ما وقع لابن السبكى فى أواخر الطبقات من انكار اسلامها والرد على ابن عبد البر اه من خط المؤلف بواسطة ويرد أيضا على الدمياطى وأبى حيان

واما ما ورد من ان الله يبغض السمين (١) فمحله كما قال فى جمع الوسائل اذا نشأ عن غفلة وكثرة نعمة حسية كما يدل عليه رواية يبغض اللحامين والله أعلم (سواء البطن والصدر) بالاضافة والمعنى ان صدره وبطنه متساويان بطنه لضموره لا يزيد على صدره وصدره لكونه عريضا مساو لبطنه فقوله (عريض الصدر) كالمؤكد لما قبله (بعيد ما بين المنكبين) يستلزمه قوله عريض الصدر (ضخم الكراديس) سبق معناه (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة وكسرها أى مشرق العضو الذى هو موضع التجرد عن الثوب على الفتح أو مشرق العضو العارى عن الثوب على الكسر (موصول ما بين اللبة) وهى النقرة التى فوق الصدر (والسرة بشعر يجرى) عند (كالخط) أى طولا ودقة وفى رواية كالخيط (عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك) الخط والمعنى لم يكن على ثدييه وبطنه شعر غير مسربته وقولنا عارى الثديين من الشعر لا ينافى انه كان فى أعلى صدره شعر كما أشار له بقوله (أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر) أى كثيره أو طويله فلا يحتاج الى ما تكلفه بعضهم من أن المراد عارى الثديين من اللحم لئلا ينافى قوله وأعلى الصدر ونفى بعضهم شعر الابط وضعف بما صح انه عليه السلام كان ينتف شعر ابطيه نعم قال ابن حجر الذى نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة كما ثبت فى الصحيح (طويل الزندين) بفتح الزاى وسكون النون وبالدال المهملة وهو من الذراع ما انحسر عنه اللحم وله رأسان الكوع والكرسوع قال فى القاموس الكوع بالضم طرف الزند الذى يلى الابهام والكاع طرف الزند الذى يلى الخنصر وهو الكرسوع بالعين المهملة كما فى القاموس ولبعضهم

فعظم يلى الابهام كوع وما يلى * لخنصره الكرسوع والرصغ ما وسط

فمعنى طويل الزندين طويل الذراعين والله أعلم (رحب الراحة) أى واسع الكف حسا ومعنى ولحسان بن ثابت رضى الله عنه

له راحة لو ان معشار جودها * على البر كان البر أندى من البحر
له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى أجل من الدهر

وقوله ان بكسر الهمزة (٢) بمعنى صب ومعشار بالرفع نائب الفاعل (شثن الكفين والقدمين)

(١) فى اختصار محمد بن عبد الباقى الزرقانى حديث ان الله يكره الحبر السمين حسن موقوف وورد نحوه مرسلا ولا أعلمه موصولا اه منه

قوله ان بكسر الهمزة (٢) كذا بالاصل ولعل الصواب بضم اذ هو مبنى للنائب كما لا يخفى اه مصحح

والقدمين) سبق ان معناه ممتلئهما لحما (سائل الاطراف) أى طويل الاصابع ممتدها لبست بمتعقدة ولا متقصفة أى متكسرة وروى بعضهم سائن بالنون وهو لغة فى سائل كجبرين وجبريل (أوقال) شك من الراوى هند أو من دونه من رجال السند (شائل الاطراف) بالشين المعجمة من الشول وهو الارتفاع اى مائلة الى الطول ووقع فى رواية وسائر الاطراف بواو العطف وبالراء وهو اشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قاله عياض فى الشفاء وامابدون واو فكأنه على حذف كاف التشبيه ان صحت الرواية (خمصان الاخمصين) يقال خمص بالضم والفتح والكسر خمصا ورجل خمصان بالضم وامرأة خمصانة اذا كانا ضامرى البطن والاخمص باطن القدم فمعنى خمصان الاخمصين ضامر باطن القدمين بمعنى ان وسط قدمه مرتفع عن الارض ونقل فى النهاية عن ابن الاعرابى انه عليه السلام كان معتدل خمص الاخمص فلم يكن مرتفعا جدا ولا مستويا جدا لانه اذا كان هكذا فهو أحسن مايكون واذا استوى اوارتفع جدا فهو ذم اه وبه يظهر وجه الجمع بين هذه الرواية التى ذكرها المصنف و بين مانقله القاضى عياض فى الشفاء عن أبى هريرة رضى الله عنه من انه عليه الصلاة والسلام كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له خمص اه و بيان الجمع ان من اثبت الخمص أراد ان فى قدمه خمصا يسيرا ومن نفاه نفى شدته وأما قول عياض ان قوله (مسيح القدمين) يوافق ماقاله أبوهريرة ففيه ان الراوى ذكر قوله مسيح القدمين عقب قوله خمصان الاخمصين فلو أريد به انه لم يكن خمص لكان بينهما تدافع وانما معنى قوله مسيح القدمين انه املس القدمين ليس فيهما تكسر ولا تشقق ويؤيد ذلك قوله (ينبو) اى يرسر يعاو يتباعد ويتجافى (عنهما الماء) وقال ابن الجزرى مسيح القدمين الذى ليس بكثير اللحم فيهما انظر جمع الوسائل وانظر مع ماتقدم فى تفسير شثن الكفين والقدمين نعم سيأتى ان النبى صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت أى انتفخت قدماه وقال البوصيرى نفعنا الله به

ورمت اذرمى بهاظلم الليـ * ـل الى الله خوفه والرجاء
دميت فى الوغى لتكسب طيبا * ماأراقت من الدم الشهداء
فهى قطب المحراب والحرب كم دا * رت عليها فى طاعة ارحاء

(وقال)

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

السعدية من الفال الحسن والبشارة العظمى بحصول غاية الحلم والسعد لهذا الرضيع مالايخفى عظيم وقعه وقد كان المصطفى يحب الفال الحسن اه قلت الظاهر ان اسمها فأل له عليه الصلاة والسلام ونسبتها فال لها الانها ساعدت به *(التنبيه الثالث)* لما قال ابن اسحق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء اعترضه النسابة عبد الملك بن هشام بأن الصواب المراضع كما قال الله عز وجل وحرمنا عليه المراضع قال السهيلى فى الروض والذى قاله ابن هشام ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية ابن اسحق تخرج من وجهين احدهما حذف المضاف كأنه قال ذوات الرضعاء والثانى ان يكون أراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه ولا يبعد فى ان يقال التمسوا له رضيعا علما بأن الرضيع لابد له من مرضع اه فكلام الناظم يؤول بالوجه الاول *(التنبيه الرابع)* قال السهيلى فى الروض التماس الاجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع الحرة ولاتأكل بثدييها وكان عند بعضهن لابأس به فقد كانت حليمة وسطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اختيار الله اياها لرضاع نبيه عليه السلام كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب لانه يغير الطباع * وفى المسند عن عائشة ترفعه لاتسترضعوا الحمقاء فان اللبن يورث ويحتمل ان تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطرار اللأزمة التى أصابتهم والسنة الشهباء التى أقحمتهم وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فلوجهين أحدهما تفريغ النساء الى الازواج والثانى لينشأ الطفل

فى الاعراب فيكون أفصح لسانه وأجلد لجسمه وقد قال عليه السلام لابى بكر حين قال له مارأيت أفصح منك يارسول الله فقال ومايمنعنى وأنامن قريش وأرضعت فى بنى سعد اه بخ

(أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء

أصبحت شولا عجافا وأمست * مابها شائل ولا عجفاء

أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبى منها غذاء)

(اذا زال زال قلعا يخطو تكفؤا ويمشى هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب) سبق الكلام على هذا فى حديث أنس (واذا التفت التفت جميعا) تقدم فى حديث على رضى الله عنه (خافض الطرف) أى البصر يعنى اذا لم ينظر الى شئ يخفض بصره لان هذا شأن من يكون دائم الفكرة لاشتغال قلبه بربه فقوله (نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء) كالتفسير لما قبله ويحتمل ان يكون وصفا مستقلا اشارة الى نهاية تواضعه وخضوعه وغاية حيائه من ربه وكثرة خوفه وخشوعه وسيأتى من حديث أبى سعيد الخدرى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها قال العراقى

حياؤه يربو على العذراء * فى خدرها الشديدة الحياء

نظره للارض منه أكثر * الى السماء خافض اذ ينظر

وأما مارواه أبو داود من انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يتحدث يكثر ان يرفع طرفه الى السماء فيحتمل ان يقال الاكثر لاينافى الاكثار ويحتمل ان الرفع محمول على حال توقعه انتظار الوحى فى أمر ينزل عليه قد نرى تقلب وجهك فى السماء أو نظره الى الارض أطول حال السكوت وعدم التوجه الى أحد انظر جمع الوسائل (جل نظره الملاحظة) من اللحظ وهى النظر باللحاظ بفتح اللام وهو شق العين مما يلى الصدغ يقال لحظه ولحظ اليه أى نظر اليه بمؤخر العين والمراد والله أعلم انه لم يكن نظره الى الاشياء كنظر أهل الحرص والشره بل بقدر الحاجة سيما الى الدنيا وزخرفها ويحتمل ان يكون ذلك حال العبادة كما فى جمع الوسائل *(تتمة)* ورد مايدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يرى البعيد كما يرى القريب ويرى من خلفه كما يرى من أمامه ويرى فى الليل كما يرى فى النهار وانه كان يرى فى الثريا أحد عشر نجما أو اثنى عشر فلم تكن رؤيته على الطريق المألوفة من الخلق انظر شرح الهمزية لشيخنا المحقق (يسوق أصحابه) أى يقدمهم أمامه ويمشى خلفهم تواضعا أو اشارة الى انه كالمربى فينظر فى أحوالهم وفى هيئتهم لمن يقدم دابته ليتفقد أحوالها أو رعاية للضعفاء واغاثة للفقراء أو تشريعا وتعليما لان خفق النعال وراء الاحمق قلما يبقى من دينه وأخرج الدارمى باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال خلوا ظهرى للملائكة قال العراقى

يمنع ان يمشى خلفه أحد * بل خلفه ملائك الله الاحد

وفى بعض النسخ يقدم أصحابه من التقديم ويروى يفس أصحابه والنس السوق وفى ذلك

اللبن بكسر اللام هو لبن الرضاع خاصة فاستعماله ثانيا فى مطلقه للمشاكلة والشاء جمع شاة وانما سقتهم مع ذلك المحل لانها ببركة النبى صلى الله عليه وسلم أصبحت شولا فهو تعليل لقوله فسقتها الخ أوحال من الشاء باعتبار صورته أو صفة له بمراعاة ال الجنسية على حد * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وشولا بالتشديد جمع شائل وهو فى الاصل الناقة التى تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها فاستعماله فى الشاة مجاز علاقته المشابهة والعجاف الهزيلات وأمست أى صارت اذ ليس المراد بالاصباح والامساء حقيقتهما وانما المراد انها كانت على حال فاعتراها نقيضه فى أقرب زمان وأسرعه والخصب بكسر أوله ضد الجدب أى كثر قوت الآدميين والدواب والضمير فى عندها عائد على حليمة أو الشاء ويرجحه قوله منها والمحل شدة الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض وانما حصل ذلك الاخصاب وقت أو لاجل أن صار للنبى الاعظم صلى الله عليه وسلم من تلك الشاء غذاء بالمعجمة أى لبان يغذيه وفى حديث حليمة المتقدم فودع الناس بعضهم بعضا وودعت أنا أم النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتانى وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدى فنظرت الى الاتان وقد

رد

ردعلى أرباب الجاه وأصحاب التكبر والخيلاء (ويبدر من لقى بالسلام) أى يسبق ويبادر بالتسليم على من لقيه لأن ذلك شيمة المتواضع وقد نص العلماء على ان هذه سنة أفضل من الفرض لانها سبب لحصوله فثوابها أكثر وفى بعض النسخ يبدأ من البدء بمعنى الابتداء * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر) هو المعروف بغندر (نا شعبة عن سماك بن حرب) أدرك ثمانين من الصحابة (قال سمعت جابر بن سمرة) كلاهما من الصحابة (يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم) تقدم فى حديث هند (أشكل العين) فى نسخة العينين أى فى بياضها خطوط حمر كما تقدم انما فى حديث على (منهوس العقب) ضبطه الجمهور بالسين المهملة وقال صاحب مجمع البحرين وابن الاثير روى بالمهملة والمعجمة وهما متقاربان أى قليل لحم العقب وهو بفتح العين المهملة وكسر القاف مؤخر القدم (قال شعبة) المذكور فى السند (قلت لسماك) شيخه (ماضليع الفم قال عظيم الفم) على هذا الاكثرون وقيل عظيم الاسنان كما تقدم (قلت ما أشكل العين قال طويل شق العين) بفتح الشين المعجمة قال عياض هذا وهم من سماك والصواب ما اتفق عليه العلماء وجميع أصحاب الغريب من ان الشكلة حمرة فى بياض العين وهو محمود عند العرب جدا والشهلة بالهاء حمرة فى سوادها (قلت ما منهوس العقب قال قليل لحم العقب) فى القاموس المنهوس من الرجال قليل اللحم منهم * قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا عبثر) بعين مهملة مفتوحة ثم باء موحدة ثم ثاء مثلثة مفتوحة ثم راء (ابن القاسم) الزبيدى بالتصغير (عن أشعث يعنى) هو من كلام المؤلف أو هناد أو عبثر (ابن سوار) ولم تقل أشعث بن سوار محافظة على لفظ الشيخ من غير زيادة وهذا أبهم فى رعاية الامانة كما تقدم وسوّار بتشديد الواو روى لأشعث هذا مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأخرج البخارى حديثه فى التاريخ فقول العصام انه ضعيف غير صحيح (عن أبى اسحق عن جابر ابن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة) بالتنوين (إضحيان) بالتنوين أيضا وهو صفة ليلة أى مقمرة وانما صرف مع زيادة الالف والنون لانه ليس على وزن فعلان وانما جردمن التاء مع انه جار على مؤنث لتأويل الليلة بالليل أو لأنه من الاوصاف الخاصة بالمؤنث كطالق وحائض وفى الفائق انه يقال ليلة اضحيان وليلة اضحيانة وهى المقمرة من أولها الى آخرها ولا شك ان نور القمر فى هذه الليلة أعم وحسنه أتم (وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو عندى) انما زاد قوله عندى لبيان

سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى وتقول النساء لى وهن ورائى يا ابنة أبى ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك مرة وترجعك أخرى فأقول تالله انها هى فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت فكنت أسمع أتانى تنطلق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا بعثنى الله بعد موتى ورد لى سمنى بعد هزالى ويحكن يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين اه ومن المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حياة الموجودات وسرها وكيمياؤها فلذا حصل للاتان من حمله ومباشرته والاتصال به شبه الحياة بعد الموت بالقوة بعد الضعف ودخول السرور بعد الغم والشبع بعد الجوع والفهم بعد الجهل والنطق بعد البكم فتقدمت على القوم ليتقدم الحقيق بالتقدم وسجدت شكرا لله تعالى على تلك النعمة العظيمة التى أنعم عليها بها واعترفت بما أدركت من أفضليته صلى الله عليه وسلم ونظير هذا حزن ناقته بعد موته صلى الله عليه وسلم فلم تأكل ولم تشرب حتى ماتت والقاء حماره يعفور نفسه فى بئر فمات حزنا وصياح الجذع الذى كان يخطب عليه لمفارقته وسكونه لما التزمه ووضع يده المباركة عليه وميلان حراء فرحا به وهو كثير ثم قالت حليمة وجئت به رحلى فقام صاحبى تعنى زوجها الى شارفنا فاذا انها لحافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبى يا حليمة والله انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة ألم ترى ما بتنا فيه الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قالت ثم قدمنا منازل

بنى سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها وكانت غنمى تروح على حين قدمت به شباعا لبنا فنحلبها ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم اسرحوا حيث يسرح راعى غنم بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامى شباعا لبنا قالت فقال أهل القرية ياحليمة ان هذا المولود الذى عندك على وجهه نور فلو أخذتيه معنا حتى نستسقى به الغيث قالت فاخرجته لهم فأخذوه وحملوه على أيديهم وخرجوا الى ظاهر البلد فدعوا الله به واذا السحاب قد جاءت بالغيث حتى خفنا الغرق اه أى فبسببه صلى الله عليه وسلم حصلت الخيرات وتزايدت البركات للسيدة حليمة ثم لعظم قدره صلى الله عليه وسلم عم الخير جميع بنى سعد ولذا قال فى المواهب فلله درها من بركة كثرت بها مواشى حليمة ونمت وارتفع قدرها وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة ولله در القائل

لقد بلغت بالهاشمى حليمة
مقاما علا فى ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها
وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

(يالها منة لقد ضوعف الاجـ
ـر عليها من جنسها والجزاء)

يالها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهى ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوى ترجوه والعرب اذا استعظمت شيأ نادته على سبيل التعجب وهو من مجاز التشبيه شبه ما يتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل والتقدير يا متعجبا تأمل ما استقر لها ومنة تمييز أى نعمة عنها عليه واللام فى لقد للقسم وتضعيف الاجر كثرة الثواب أى توالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فالاستعلاء مجازى

الواقع والافتخار باعتقاده لا للاحتراز عن غيره فانه كذلك عند كل مسلم رآه بنور النبوة خلافا لعمى البصائر كما أخبر عنهم عز وجل بقوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون أى جمالك وكمالك لنقصان بصائرهم كالخفاش لم يقدر على النظر لجرم الشمس من غير جرم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(أحسن من القمر) لان حسن القمر ونوره وحسن كل حسن فى الوجود انما هو مستمد ومقتبس من حسنه ونوره صلى الله عليه وسلم فحسنه صلى الله عليه وسلم هو المشهود فى كل حسن ونوره صلى الله عليه وسلم هو المشهود فى جميع الانوار من شمس وقمر ونجوم وغيرها فصار كل من الشمس والقمر والنجم مظهرا ومجلى لنوره صلى الله عليه وسلم قال شيخنا المحقق فى شرح همزيته فعلى المحب أن يشهد جماله صلى الله عليه وسلم فى كل جميل عند رؤيته فيذكره معظما بقلبه ويتبع ذلك بذكر لسانه وقد شاهدت بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى اذا رأى شيأ حسنا أو وقع فى قلبه معنى حسن بادر الى قوله الصلاة والسلام عليك يارسول الله ثم ذكر لى ان هذا المعنى بالقياس على ما اشتهر بين الناس عند رؤية الورد والزهر ونحوهما أو شم ذلك فيثبت له ثواب الذكر اللسانى والقلبى ويفوز باستعمال تلك اللحظة فى خدمته صلى الله عليه وسلم بل وشهوده اه ومن ثم قال بعض العارفين ينبغى لمن زار وليا من أولياء الله تعالى ان يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم فيكون بذلك زائرا له صلى الله عليه وسلم * وقد روى ابن المبارك وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لم يقم مع شمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج اه ولهذا لم يظهر له صلى الله عليه وسلم ظل فقد ذكر ابن سبع فى الشفاء ونقله القاضى عياض فى الشفاء انه لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر ووجه ذلك أيضا بحفظ ظله الذى هو مثال صورته فى القدر عن الامتداد على الارض اجلالا أولا لأن الظل المرتسم معرض للارتسام على الاماكن القذرة ولوطء المارين عليه وبأن الظل ملزوم للظلمة فى الجملة بالنسبة الى النور اذ هو حجاب له وهو صلى الله عليه وسلم النور المنير فلا تظهر منه ظلمة وبان الشمس والقمر منه ظهرا وعنه نشآ فلا يستتران به اذ المظهر للشئ يمتنع ان يكون ساترا لما أظهره ولا يقال كيف يتأتى هذا مع انه صلى الله عليه وسلم بشر كما نطق به القرآن لأنا نقول ليست بشريته كبشرية غيره فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر كما قال أبو الحسن

الشاذلى

أوعلى التعليل على حد قوله تعالى لتكبروا الله على ماهداكم وقوله من جنسها حال من الاجر وعطف الجزاء على الاجر من
عطف المرادف والمعنى انها لما تكرمت على أكرم الخلق وجادت على أجود الموجودات جوزيت عما لا نسبة لعطائها الى من
صنف عطائها وهو ابن شاتها اونوعه وهو تيسر قوتها وقوت زوجها

وعيالها وذهاب أثر الجدب عنهم
بل وعن قبيلتها

وإذا سخر الإله أناسا
لسعيد فإنهم سعداء)

أى من المقرر فى المعقول والمنقول ان الله تعالى اذا سخر اى ذلل ووفق الناس لخدمة سعيد ومحبته والقيام بشأنه ومؤنته فانهم بسبب ذلك سعداء لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تنسحب عليهم حتى يكون من سعداء الدنيا والآخرة لان المرء مع من احب وان لم يعمل بعمله كما صح فى الحديث ولان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها فى عالم الارواح ائتلف فى عالم الاجساد ومن اعظم اجرها وسعادتها أن تبدل عسرها الباطن اى افلاسها من الايمان والهداية واتصافها بالجهالة والغواية وظلمة القلب بران الكفر والشقاوة بحصول الايمان والمعرفة بالله تعالى وتنوير القلب بأنوار اليقين والسعادة تخالفت الاضداد الاضداد وعوض عن ايام النحوس والاشكاس ايام السعود والاعياد راجع التنبيه الثانى

الشاذلى رضى الله عنه فهو مع بشريته نور ولذلك سمى نورا قاله شيخنا المحقق فى شرح همزيته وفى حديث عمر رضى الله عنه يا عمر بن الخطاب أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله عز وجل أول كل شئ نورى فسجد له فبقى فى سجوده سبعمائة عام فاول كل شئ سجد له نورى ولا فخر يا عمر أتدرى من أنا أنا الذى خلق الله العرش من نورى والكرسى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الابصار من نورى والعقل الذى فى رؤس الخلائق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا فخر اه فالانوار والاضواء كلها من نوره خلقت وبه استنارت فهى الفروع وهو الاصل ولا نسبة للفروع بالاصول فأهل الحسن وارباب الجمال اذا تجلى بينهم جمال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرز عليهم حسنه ظهر بكمال حسنه نقص حسنهم وتبين بارتفاع جماله انحطاط جمالهم * ويرحم الله القائل فى مدحه صلى الله عليه وسلم

بهرت بالحسن اهل الحسن فانبهروا * حتى كأنهم فى الحى ما ظهروا
وصرت قطب جمال فاستمد سنى * من وجهك النيران الشمس والقمر

وما أحسن قول حسان رضى الله عنه فى وصفه صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه ورجع الى قومه فقالوا له صف لنا ما رأيت وبذلوا له مالا على أن يهجوه بما يناسب بغضهم فيه

لما نظرت الى أنواره سطعت * وضعت من خيفتى كفى على بصرى
خوفا على بصرى من حسن صورته * فلست أنظره الا على قدر
لأنوار من نوره فى نوره غرقت ٢ * والوجه مثل طلوع الشمس والقمر
روح من النور فى جسم من القمر * كحلة نسجت فى الانجم الزهر

فقالوا له ما هذا فقال هذا الذى رأيت وعار على الرجل أن يصف الكذب * قال المصنف نفعنا الله به (حدثنا سفيان بن وكيع نا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسى) بضم الراء بعدها همزة ويجوز ابدالها واوا (عن زهير) بن محمد التميمى ضعف لعدم استقامة رواية أهل الشام عنه قال أبو حاتم حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه واما زهير بن حرب بن شداد فثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث وأخرج حديثه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه ولم يدرك أبا اسحق قاله فى جمع الوسائل نقلا عن العصام ثم رأيت فى صحيح البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبى اسحق الخ الحديث فقال ابن حجر زهير بن معاوية ثقة فانظر تمامه فيه فمراد المصنف هنا زهير بن معاوية

٢ قوله لأنوار بدرج الهمزتين للوزن كما لا يخفى

---

٧ ش ل المتقدم وفى البيت من فن البديع النوع المسمى بالكلام الجامع وهو ان يأتى الشاعر ببيت تكون جملته حكمة اوموعظة اوتنبيها اونحو ذلك من الحقائق الجارية مجرى الامثال كقول ابى الطيب

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام (حبة انبتت سنابل والعصف لديه يشرف الضعفاء)

كما فى ابن حجر لازهير بن محمد لانه ضعيف خلافا للعصام ولازهير بن حرب لانه لم يدرك أبا اسحق فاعرف ذلك (عن أبى اسحق قال سأل رجل البراء بن عازب أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف) أى فى البريق واللمعان (قال) أى البراء (لا بل مثل القمر) بالنصب خبرا لكان المقدرة وقد تقدم ان هذا من التمثيل بأحسن مايعرف فى الوجود وليس على حقيقة التشبيه الذى يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم فان نوره صلى الله عليه وسلم أبهى وأبهر من نور الشمس والقمر ويحتمل أن يكون المعنى لم يكن مثل السيف بل لم يكن مثل القمر بل كان أحسن كما تقدم فى قول جابر فلهو عندى أحسن من القمر لكن فى بعض النسخ برفع مثل وقد ورد فى مسلم عن جابر بن سمرة ان رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا * قال المصنف رحمه الله تعالى (حدثنا أبو داود المصاحفى) نسبة الى المصاحف جمع مصحف بتثليث الميم اى كاتبه أو بائعه (سليمان ابن سلم) بفتح فسكون (نا النضر بن شميل عن صالح بن أبى الاخضر عن ابن شهاب) هو أبو بكر محمد بن مسلم الزهرى فقيه حافظ تابعى صغير متفق على جلالته واتقانه منسوب الى زهرة بن كلاب (عن أبى سلمة) بن عبد الرحمن بن عوف اسمه عبد الله أو ابراهيم (عن أبى هريرة) اسمه على الاصح عبد الرحمن بن صخر الدوسى وفيه أربعون قولا (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ) اى صنع (من فضة) باعتبار ما كان فى بياضه من النور والاضاءة فلا ينافى انه كان مشربا بحمرة كما مر (رجل الشعر) قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث بن سعد) امام فى الفقه والحديث قال الشافعى انه كان أفقه من مالك الا أنه ضيع فقهه أصحابه (عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله) أحد المكثرين رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على الانبياء) بالمعنى الاعم الشامل للرسل والمذكورون فى الحديث كلهم رسل وكان هذا العرض ليلة الاسراء أو فى المنام قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر والمرئى على الاول صورهم الحقيقية التى كانوا عليها فى حياتهم لانه ثبت ان الانبياء احياء وعلى الثانى فالمرئى أمثلة صورهم والله أعلم قال فى جمع الوسائل وفى قوله عرض على الانبياء ولم يقل عرضت على الانبياء ايماء الى فضيلته صلى الله عليه وسلم وأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالحشم له والعسكر يعرض على السلطان دون العكس ولهذا قال بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم بمنزلة القلب فى الجيش والانبياء مقدمته والاولياء

لما قرر ما حصل للسيدة حليمة من الخصب ومن الجزاء من جنس العمل بين المضاعفة المشار اليها اى هذه الفعلة الصادرة من حليمة كحبة ووجه الشبه بينهما تضاعف الجزاء وتلك الحبة انبتت سنابل كثيرة جمع سنبلة وهو مجتمع الحب فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف والواو فى قوله والعصف واو الحال اى والحال ان ورق النبات اليابس يتطلع عنده الضعفاء اى حصلت تلك المضاعفة الكثيرة فى تلك السنابل والحال أن الوقت وقت عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقراء يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن النبات فضلا عن الحب كما أن حليمة حصل لها ذلك الخصب وكثرة اللبن والحال أن قومها يتطلعون الى ورقة حبة او قطرة لبن فلا يجدونه كذا قرره ابن حجر وأن المشبه به مقيد بحال الشدة وان قوله والعصف الخ من تمام المشبه به وليس بظاهر والذى ذكره المفسرون فى الآية المشار اليها هو الانفاق مطلقا من غير تقييد بزمان الجدب وهو أبلغ من تخصيصه به وعليه فتقدير كلام الناظم حالها كحال حبة أنبتت سبع سنابل ثم نبه على انه حصل لها هذا الامر خاصا بها دون قومها اذهم من شدة الجدب يطلبون العصف فلا يجدونه فظهرت عليها المزية واختصت باعظم الخصوصية وذلك فى الابتداء لتظهر الكرامة ثم بعد ذلك عم النفع وبلغ كل مرامه * ولشيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله

ساقته سنة باعتبارها هى خضرا * وفى حق غيرها شهباء

انظر شرحه

(وأتت جده وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء)

أى وبعد ان انتهى رضاعه لبلوغه سنتين أتت به جده عبد المطلب والحال انها قد فصلته أى فطمته والحال انه قد لحق بها من أجل فصاله أى فطامه البرحاء أى التألم الكثير لما شاهدت من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها

(اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بانهم قرناء)

أى أتت به وقت أولاجل انه أحاطت اى أحدقت به ملائكة الله لاجل شق قلبه الآتى وهذا ظاهر على الرواية الآتية أنهم ثلاثة وكذا على رواية أنهما اثنان لانهما أقل الجمع عند جماعة فظنت حليمة بانهم اى زائدة قرناء أى شياطين يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من تبعته

(ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء)

ورأى جده وأمه حين ردته اليهما وجدها اى شدة محبتها له وتعلقها به فردداه معها لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتى فى الرواية وهذا حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه ومن الوجد لهيب أى نار تصلى أى تحترق به الاحشاء جمع حشى وهو ما انضمت عليه الضلوع والجملة حالية مبينة لعظمة ذلك الوجد الذى رآه بها او يحتمل انها استئنافية فى ابتدائية وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة اى شأن الوجد أنه ينشأ عنه ذلك اللهب الذى يحرق الاحشاء وأن وجدها من هذا القبيل فمن ثم رق لها اهلها واطفأ نار ذلك الوجد برده اليها

(فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لايمل منه الثواء)

هذا بدل من أتت وكرها حال أى حال كونها ذات كراهية لفراقه لما شاهدت فى اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها والحال انه كان عندها مقيما لايمل منه الثواء أى الاقامة أى لاتمل اقامته بل يحب

سائقه والملائكة يمنة ويسرة متظاهرين متعاونين والشياطين قطاع الطريق فى الدين اه فالنبى صلى الله عليه وسلم هو قطب الدائرة وعليه المدار وهو سند الكل وعمدة الجميع ويرحم الله سيدى على بن وفا حيث قال

عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد

وكما ان نور العين المعبر عنه بانسان العين وبذباب العين هو سر العين وزينتها وفائدة وجودها وبه يتوصل الجسد الى منافعه ويهتدى الى مراشده ولولاه لم يكن للعين ابصار ولكان الجسد صورة بلا روح وشبحا بلا معنى لان الاعمى ميت وان لم يقبر كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو روح أوائك العيون وحياتها وسر وجودها ولولاه لم يكن لها نور ولا دلالة بل لذهبت وتلاشت بل لم يكن لها وجود كما قال القطب مولانا عبد السلام بن مشيش ولاشئ الا وهو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط (فاذا موسى) عليه السلام (ضرب من الرجال) أى متوسط بين الخفة والسمن (كانه من رجال شنوأة) بضم الشين المعجمة وضبطه العصام بفتحها وعبارة القاموس محتملة اسم قبيلة معروفة من اليمن ومنه ازدشنوأة وهم متوسطون بين الخفة والسمن قال فى جمع الوسائل والظاهر أن المراد تشبيه صورته بهم لا تأكيد خفة اللحم لان الافادة خير من الاعادة وفى رواية البخارى مضطرب كانه الخ ومعناه طويل وفى رواية وأما موسى فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط اه والزط جنس من السودان طوال الاجساد مع نحافة ومعنى جسيم كما قال عياض طويل الجسم فلا ينافى ما تقدم من أنه ضرب من الرجال فلعل التشبيه فى قوله كانه من رجال شنوأة فى الطول فيكون غير قوله ضرب الخ وكانه شبهه بغير معين بخلاف من بعده لعدم تشخصه وتعينه فى خاطره أو فى نظرهم (ورأيت عيسى بن مريم) عليهما السلام (فاذا أقرب من رأيت) أى أبصرت (به) متعلق بقوله (شبها) منصوب على التمييز من نسبة أقرب الى المضاف اليه بين به أن المراد القرب بحسب الصورة (عروة بن مسعود) الثقفى خبر أقرب وعروة بن مسعود هذا هو أحد الرجلين الذين قيل فيهما لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكان بالطائف والرجل الآخر هو الوليد بن المغيرة وكان بمكة شهد عروة صلح الحديبية كافرا ثم أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف واستأذنه فى الرجوع فرجع فدعا قومه الى الاسلام فأبوا ورماه واحد منهم بسهم فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه خبره مثل عروة مثل صاحب يس

ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس (قلت) والانسب تقديم هـذا البيت على الذى قبله لارتباطه بقوله اذا أحاطت به الخ ومعنى فارقته أجمعت وعزمت على فراقه وقدمت به على جده ولما رق قلبها فى حبه رق عليها بقربه والظاهر مما ذكروه هنا انه عليه الصلاة والسلام كانت تأتيه الملائكة تتعاهده وتزوره وتؤنسه ليعتادها فرآها والداه من الرضاعة فخافا عليه منها فرداه الى أمه ثم ردته اليهما فلما وقع الشق بالفعل اشتد خوفهما فرداه وتركاه عندها فانظره

(شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء)

قالت حليمة رضى الله عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شئ على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركته عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين اوثلاثة مع أخيه من الرضاعة بقرب بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه فقال أى بنى ما شأنك قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى ثم استخرجا منه شيأ فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا قال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابنى قد اصيب فانطلقى نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نخوف قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه قالت ما رد كما به وقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث

دعا قومه الى الله فقتلوه وكأنه صلى الله عليه وسلم لم يضبط لهم حلية ابن مسعود اكتفاء بعلم المخاطبين لكن فى صحيح البخارى ربعة أحمر كانما خرج من ديماس يعنى الحمام وفيه أيضا فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر (ورأيت ابراهيم) عليه السلام (فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعنى نفسه) من كلام جابر أو من دونه قال فى جمع الوسائل ويبعد أن يكون من كلام المصنف لكونه بصيغة الغائب (ورأيت) عطف على رأيت (جبريل) عليه السلام عده من الانبياء لكثرة اختلاطه معهم فى تبليغ الوحى اليهم تغليبا ولانه يطلق عليه رسول لقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ولا يضر اصطلاح الشرع ان الرسول انسان أوحى اليه بشرع وأمر بتبليغه ويبعد عطفه على قوله عرض على الانبياء فيكون من عطف قصة على أخرى (فاذا أقرب من رأيت به شبها دحية) أكثر أهل الحديث واللغة انه بكسر الدال المهملة وقال ابن ماكولا فى الاكمال بفتح الدال وهو ابن خليفة الكلبى من كبار الصحابة لم يشهد بدرا وشهد ما بعدها من المشاهد وبايع تحت الشجرة وهو ممن يضرب به المثل فى الحسن والجمال نزل الشام وبقى الى أيام معاوية وفى الصحيحين كان جبريل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورته أى غالبا والسر فى ذلك ان العرب كانت فى الجاهلية تبعثه الى الملوك والنبى صلى الله عليه وسلم أعظم الملوك فكان يأتيه جبريل فى صورته جريا على عادتهم وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته العظيمة التى خلقه الله عليها مرتين فرآه وهو بغار حراء قد سد الافق له ستمائة جناح ورآه عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء قال فى جمع الوسائل ولعل وجه تخصيص هؤلاء الرسل الثلاثة من بين الانبياء ان ابراهيم جد العرب والعجم وهو مقبول عند جميع الطوائف وموسى وعيسى رسولا بنى اسرائيل من اليهود والنصارى ويستفاد من الحديث أنه ينبغى تبليغ صور العظماء الى من لم يرهم فان فى احضار صورهم بركة كما فى ملاقاتهم وفيه مزيد حث على ضبط خلقه صلى الله عليه وسلم اهـ قال ابن حجر وفيه جواز تشبيه الانبياء والملائكة بغيرهم ووجه مناسبته للترجمة دلالته على أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان أشبه الناس بأبيه ابراهيم * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع ومحمد بن بشار والمعنى واحد قالا حدثنا يزيد بن هرون) أحد المشهورين بالحديث والفقه سمع كثيرا من التابعين قال يحيى بن أبى طالب سمعت يزيد بن هرون فى مجلسه ببغداد وكان يقال ان فى المجلس سبعين ألفا (عن سعيد الجريرى قال سمعت أبا الطفيل) اسمه عامر بن

واثلة

واثلة الليثى أدرك من حياة النبى صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وتأخرت وفاته الى سنة مائة واثنتين ولم يبق على وجه الارض صحابى غيره كذا فى ابن حجر (يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وما بقى على وجه الارض) احترز به عن عيسى عليه السلام فانه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى السماء قيل وعن الخضر فانه كان حينئذ على وجه الماء (أحد رآه غيرى) لانه آخر الصحابة موتا وقال العصام توفى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة على وفق اخباره صلى الله عليه وسلم فى آخر حياته انه لا يبقى على رأس المائة ممن على وجه الارض أحد وقال سيدى العربى الفاسى رحمه الله

آخرهم موتا أبو الطفيل فى * مائة أو وعشرة وذا اصطفى

وفى قوله وما بقى الخ اشارة الى أنه أحق بأن يسئل عن وصفه صلى الله عليه وسلم لانحصار الامر فيه ولذا قال سعيد راويه (قلت صفه لى قال كان أبيض مليحا) من الملاحة بمعنى حسن اللون وقيل الملاحة بمعنى الصباحة وهى قدر زائد على حسن اللون (مقصدا) أى وسطا فى جميع أحواله ومنه قوله تعالى واقصد فى مشيك أى توسط فيه فليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ولا نحيف * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا ابراهيم بن المنذر الحزامى نا عبد العزيز بن ثابت الزهرى) قال بعض الشراح الصواب ابن أبى ثابت كما حققه المحققون من علماء أسماء الرجال احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه فترك (حدثنا اسمعيل بن ابراهيم ابن أخى) بالرفع صفة لاسمعيل فيكتب بالالف (موسى بن عقبة عن موسى بن عقبة عن كريب) مولى ابن عباس (عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين) الفلج بالتحريك فرجة بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنايا فاريد بالفلج هنا الفرق بقرينة نسبته الى الثنايا فقط ذكره فى النهاية وتبعوه وفى القاموس رجل مفلج الثنايا منفرجها والفلج بالتحريك تباعد ما بين الاسنان وتقدم ان المدح خاص بالعلمين فهما المراد هنا (اذا تكلم رؤى) لم يقل رأيت اشارة الى أن الرؤية لم تكن مختصة باحد (كالنور) أى مثله أى شئ أبيض له صفاء يلمع وقيل الكاف زائدة للتعظيم (يخرج) أى خارجا فهو حال (من بين ثناياه) قال فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر والحديث وان كان فى سنده هذا مقال الا أنه أخرجه الدارمى والطبرانى وغيرهما

(باب ما جاء فى خاتم النبوة)

أى ما جاء من الاخبار فى صفة خاتم النبوة كلونه ومقداره وتعيين محله من جسده صلى

قالت فما الذى ابكاكما قصدقانى شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره قالت اخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابنى هذا شأن عظيم فدعاه عنكما وفى حديث شداد بن أوس عن رجل من بنى عامر عند أبى يعلى وأبى نعيم وابن عساكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم فى بطن واد مع اتراب لى من الصبيان اذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من الذهب ملئ ثلجا فأخذونى من بين أصحابى وانطلق الصبيان هرابا مسرعين الى الحى فعمد أحدهم فاضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى وأنا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج احشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى وأنا أنظر اليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبى وامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فامر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فانهضنى من مكانى انهاضا لطيفا ثم قال للاول زنه بعشرة من أمته فوزنونى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بالف فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بامته كلها لرجحهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب الله لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك (قال فى المواهب) والمراد بالوزن فى قوله زنه بعشرة الخ الوزن الاعتبارى فيكون المراد به الرجحان فى الفضل وفائدة

فعل ذلك ليعلم الرسول به فيخبر به غيره و يعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية اه وقد ذكر ابن العربى الحاتمى فى الفتوحات

حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وزنت أنا وأبو بكر فرجحته ووزن أبو بكر بالامة فرجحها اه قال فى المواهب

والحكمة فى شق صدره الشريف فى حال صباه واستخراج العلقة منه تطهيره من حالة الصبا حتى

يتصف فى سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ صلى الله عليه وسلم على اكمل الاحوال من العصمة اه قال المناوى وتلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فازيلت من قلبه فلم يبق منه محل قابل لالقاء شىء منه وانما خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من الاجزاء الانسانية فعدمها نقص من البدن الانسانى ولان اخراجها بعد خلقها ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها اه

(ختمه يمنى الامين وقد او دع مالم تذع له انباء)

سمى جبريل امينا لانه امين الله على كتبه ووحيه والجملة من قوله وقد اودع حالية اى والحال ان ذلك القلب الشريف قد اودع حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية ما اى الذى اوشيأ لم تذع بضم التاء وكسر الذال المعجمة اى تنشره وتحط به أنباء اى اخبار لانه لا يعلمه الا مولاه المتفضل به عليه

الله عليه وسلم وفى كونه من العلامات التى كان أهل الكتاب يعرفونها وتقدم فى حديث على رضى الله عنه ضبط الخاتم ومعناه فى الاصل وأوجه اضافته الى النبوة وقد اختلف فى وقت وضع خاتم النبوة فقيل ولد به وهو قول نقله أبو الفتح وأنكره بعضهم وروى أبو نعيم انه جعل عقب ولادته وفى الحديث ما يقتضى ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع قالوا وهو الاصح وفى حديث أبى ذر ما يقتضى انه وضع فى الشق الثانى وهو ابن عشر سنين لكن قال بعضهم هذا وضع ثان للتأكيد والاعتناء وحكمة ختمه أنه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التى لا شئ أنفس منها ولا ذخيرة تساويها ولا تقاربها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء درا وياقوتا لنفاسة ما فيه كما أشار اليه البوصيرى رحمه الله فى قوله

شق عن قلبه وأخرج منه * مضغة عند غسله سوداء

ختمته يمنى الامين وقد أو * دع مالم تذع له أنباء

صان أسراره الختام فلا الفض * ملم به ولا الافضاء

ثم أشار الى ثمرة الحكمة التى وضعت فى قلبه بقوله

ألف النسك والعبادة والخلـ * ـوة طفلا وهكذا النجباء

واذا حلت الهداية قلبا * نشطت للعبادة الاعضاء

قال المصنف (حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد قال نا حاتم بن اسمعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال سمعت السائب بن يزيد) يكنى أبا يزيد الكندى ولد فى السنة الثانية من الهجرة حضر حجة الوداع مع أبيه ومات سنة ثمانين (يقول ذهبت بى خالتى) قال العسقلانى لم أقف على اسم خالته وأما أمه فاسمها علبة بضم العين المهملة وسكون اللام بعدها موحدة بنت شريح أخت مخرمة بن شريح (الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابن أختى وجع) بفتح الواو وكسر الجيم أى ذو وجع بفتح الواو وهو لام وكان ذلك فى لحم قدمه بدليل انه وقع فى البخارى فى أكثر الروايات وقع بالقاف المكسورة بدل الجيم والوقع بالتحريك هو وجع لحم القدم لكن قوله (فمسح رأسى) يقتضى ان مرضه كان برأسه وقد يقال انما مسح الرأس لانه رئيس الاعضاء فأثره لانه أشرف ويحتمل غير هذا (ودعا لى بالبركة) النماء والزيادة فى العمر بدلالة المقام أو فى غيره معه أو وحده وقد أخرج ابن سعد من طريق عطاء مولى السائب انه صلى الله عليه وسلم قال فى حقه بارك الله فيك فاستجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم فى حقه وروى عن الجعد

راويه

(صان اسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء)

صان حفظ واسراره مفعول به اى التى اودعت فيه والختام فاعل وهو ما يختم به الكتاب فبسبب هذه الصيانة لا الفض اى الكسر بالتفرقة ملم به اى واقع لذلك الختم ولا الافضاء اى الاشاعة واقعة لذلك السر بمعنى ان ذلك السر ليس له انتقال عن

ذلك المحل وتقدم شاهد الختم من الحديث وحكمة الختم انه لما ملئ قلبه الشريف بالاسرار الربانية والحكم الالهية التي لا شئ انفس منها ولا ذخيرة تساويها ولا افتقار بها ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء درا وياقوتا للنفاسة ما فيه والحديث السابق يقتضي ان وضع الخاتم كان عقب الشق بعد الرضاع قالوا وهو الاصح وموضعه عند نغض كتفه اليسرى على الصحيح ونغض الكتف بضم النون ويفتح وسكون الغين المعجمة اعلاها وهو العظم الرقيق الذي على طرفها او الذي يظهر منها عند التحرك يجيء ويذهب وحكمة وضعه عند نغض كتفه الايسر أنه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم قاله السهيلي واما صفته فقال القاضي عياض والقرطبي ما حاصله ان الاحاديث في ذلك متقاربة وليس بينها اختلاف بل كل شبه بما سنح له واتفقوا على انه شئ بارز في جسده الشريف عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة او زر الحجلة وما جاء مما يدل ظاهره على المخالفة كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا فسر بجمع الكف اي بضم الاصابع الى الكف على هيئة الاكز فيؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة ما ذكر لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة ونحوها وحولها شعر وخيلان جمع خال وعن جابر رضي الله عنه قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم على مسكا أي يسطع ريحه لامتلائه بسر الله وحكمته * (تنبيهات) * الاول روي شق صدره صلى الله عليه وسلم مرة ثانية وهو ابن عشر سنين رواها ابو نعيم في الدلائل ورواها عبد الله ابن الامام احمد في زوائد مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتدئت به

راويه أنه قال رأيت ابن يزيد وهو ابن أربع وتسعين جلدا معتدلا وقال قد علمت أني ما متعت بسمعي وبصري الا ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على غاية تلطفه مع صحبه وكمال شفقته عليهم وعلى تقدس ذاته عن الكبر والخيلاء والترفع (وتوضأ) اي قصدا أو اتفاقا (فشربت من وضوئه) الرواية بفتح الواو أي ماء وضوئه قال ابن حجر وهو ما اعد للوضوء أو ما فضل عنه أو ما استعمل فيه اهـ والاول بعيد بدليل فاء التعقيب ولهذا اقتصر البيضاوي على الاحتمالين الاخيرين وفيه دليل على طهارة فضلة الوضوء والمستعمل فيه قال ابن مخاص وفيه انهم كانوا يقصدون بركة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يصيبهم من الامراض ويستشفون ببركة لمس يده المباركة وبالشرب من بقية وضوئه فيجدون الشفاء في ذلك (وقمت خلف ظهره) قصدا أو اتفاقا (فنظرت الى الخاتم) لانكشاف محله أو لكشفه صلى الله عليه وسلم له ليراه (بين كتفيه) الظاهر انه حال من الخاتم وهذه البينية تحتمل أن تكون حقيقية وهو الذي رجحه كثير من المحدثين وأعرضوا عن روايتي اليسرى واليمنى لتعارضهما وقال في جمع الوسائل البينية المذكورة تقريبية والا فالاصح انه كان عند أعلى كتفه الايسر قاله السهيلي لما في خبر مسلم من حديث عبد الله بن سرجس فنظرت خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى وفي رواية غضروف كتفه الايسر وفي رواية نغض كتفه الايسر ونغض الكتف بضم النون وتفتح وسكون المعجمة الاولى أعلاها وهو العظم الرقيق الذي على طرفها أو الذي يظهر منها عند التحرك يجيء ويذهب وهو الناغض وهو الغضروف وحكمة وضعه عند نغض كتفه الايسر انه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم قاله السهيلي وفي رواية أبي نعيم انه كان عند كتفه الأيمن وهي ضعيفة وقد استفيد مما تقدم أن هذا الخاتم اثر ختم الملكين على قلبه صلى الله عليه وسلم وقول القاضي عياض ان هذا الخاتم أثر شق الملكين بين كتفيه رده النووي بان شقهما انما كان في صدره وأثره انما كان خطا واضحا من صدره الى مراق بطنه اهـ ومن ثم صح عن أنس رضي الله عنه كما في صحيح مسلم كنت أرى أثر المخيط في صدره وتعقبه العسقلاني بأن سبب التغليط فهم ان الكتفين متعلق بشق وليس كذلك بل بأثر الختم لخبر أحمد وغيره انهما لما شقا صدره قال أحدهما للآخر خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة أي فلما ثبت انه ختم بين كتفيه عند شق الصدر أضاف القاضي ذلك الاثر الذي كان بين كتفيه الى الشق

من امر النبوة قال انى لفى صحراء واسعة امشى ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق راسى يقول احدهما لصاحبه اهو هو .
قال نعم فاخذانى فاضجعانى ثم شقا بطنى وكان احدهما يختلف بالماء فى طست من ذهب والآخر يغسل جوفى فقال
احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدرى فيما ارى مفلوق لا اجد له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق
قلبى فقال أخرج الغل والحسد
منه فاخرج شبه العلقة فنبذبه
ثم قال أدخل الرحمة والرافة
قلبه فادخل شيأ كهيئة الفضة
ثم ذر عليه ثم نقر ابهامى ثم قال
اغد فرجعت بما لم اغد به من
رحتى للصغير ورأفتى للكبير
* وثبت شق صدره الشريف مرة
ثالثة عند مجئ جبريل له بالوحى
وهو بغار حراء رواها ابو نعيم
ولفظه ان جبريل وميكائيل
شقا صدره وغسلاه ثم قالا اقرأ
باسم ربك الآيات والحكمة
فيه كمال التهيئ والتقوى على
ما يلقى اليه من القول الثقيل
بقلب قوى فى اكمل احوال
التطهير * وثبت مرة رابعة ليلة
الاسراء ففى البخارى وغيره انه
شق قلبه بها وهو بالمسجد قبل
ان يخرج به الى ركوبه البراق
فشق من ثغرة نحره الى قرب
عانته فاستخرج قلبه ثم غسل
بطست ذهب مملوء حكمة وايمانا
ثم حشى وحكمة هذا الشق
التهيؤ الى الملا الاعلى والتقوى
على استجلاء ما شاهد تلك الليلة
وكونه بطست من ذهب لانه من
احوال الغيب فالتحق باحوال
الآخرة اهـ *(الثانى) هذا الشق ابلغ فى الصبر والكرامة مما وقع لاسمعيل مما هو مقدمة ذبح حديثان
فى مقتل واحد وهذا فعل فى مقاتل عديدة وهى شق الصدر واخراج القلب وشقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق
الاول نوع مشقة لرواية فاقبل وهو منتقع اللون أى صار كلون النقع أى الغبار وهو شبيه بالوان الموتى ومعنى قول من قال

الذى كان فى صدره والتأم لانه وقت ظهوره فصار كأنه أثره وليس مراده ان الشق نفسه وقع بين الكتفين بل الختم الذى جعل عند شق الصدر والله أعلم (فاذا هو مثل زر) بكسر الزاى والراء المشددة (الحجلة) الجمهور على أن المراد بالحجلة بفتح الحاء والجيم بيت كالقبة له أزرار وعرا وقيل المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها وهذا بعض ما ورد فى صفة الخاتم ويأتى للمصنف غدة حمراء مثل بيضة الحمامة ويأتى له أيضا شعرات مجتمعات ويأتى أيضا كان فى ظهره بضعة ناشزة ويأتى أيضا مثل الجمع حولها خيلان كأنها الثآليل وفى بعض الاحاديث انه مثل البندقة من اللحم وفى بعضها كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة مما يلى الفقار وهو قول عائشة رضى الله عنها قالت فلمسته حين توفى فوجدته قد رفع قال العسقلانى ورواية كركبة عنز أو كشامة خضراء أو سوداء أو مكتوب فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سر حيث شئت فانك المنصور لم يثبت منها شئ وتصحيح ابن حبان ذلك وهم اهـ قال بعض العلماء وليس هذا باختلاف بل كل شبهه بما سنح له وقال القاضى عياض والقرطبى ما حاصله أن الاحاديث فى ذلك متقاربة متفقة على انه شئ بارز فى جسده عند كتفه الايسر قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة وما جاء مما يدل ظاهره على المخالفة كرواية بيضة النعامة ورواية مثل الجمع اذا فسر بجمع الكف يؤول على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة ما ذكر لكنه أصغر منه فى قدر بيضة الحمامة ونحوها قالوا وكان خاتمه صلى الله عليه وسلم ينم أى يسطع مسكا * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى نا أيوب بن جابر عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم غدة) بضم المعجمة وتشديد المهملة وهى قطعة اللحم المرتفعة والمراد انه شبيه بها (حمراء) أى مائلة للحمرة فلا ينافى ما فى مسلم انه كان على لون جسده صلى الله عليه وسلم (مثل بيضة الحمامة) فى المقدار * قال المصنف (حدثنا أبو مصعب المدينى) وفى نسخة المدنى وهو القياس نسبة لطيبة لانه منها وفى الصحاح النسبة لطيبة مدنى ولمدينة المنصور يعنى بغداد مدينى ولمدائن كسرى مدائنى وعلى هذا فالمدينى لا يصح هنا وقال البخارى المدينى من أقام بطيبة والمدنى من أقام بها ثم فارقها فعلى ما ذكره يصح ذلك قاله فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر (نا يوسف بن الماجشون عن أبيه) يريد به جده الاعلى الذى نسب اليه فى قوله يوسف بن الماجشون لانه يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون (عن عاصم بن عمر بن قتادة عن جدته رميثة) صحابية لها

فشقه وماشق عليه انه صبر صبر من لم يشق عليه وعما يدل على المشقة أنه بعيد ما فطم صح انفراده عن أمه وتيمه من أبيه
واختطافه من بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه فى المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم أحد قال
اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية انه غسل ليلة الاسراء بماء زمزم أى لانه يقوى القلب ويسكن
الرعب *(الثالث)* أخرج البيهقى والخطيب عن العباس ابن عبد المطلب قال قلت يارسول الله دعانى الى الدخول فى دينك أمارة لنبوتك رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك فحيث أشرت اليه مال قال انى كنت أحدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة وفى فتح البارى عن سيرة الواقدى أنه صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ما ولد وذكر ابن سبع فى الخصائص ان مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة له وأخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث انها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا فلما ترعرع كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيجتنبهم الحديث

حديثان ثانيهما فى صلاة الضحى روايه عن عائشة (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أشاء أن أقبل الخاتم الذى بين كتفيه من قربه) أى الخاتم الذى بين كتفيه ومن تعليلية (لفعلت) جواب لو وجملة الشرط وجوابه معترضة وهذا يدل على كمال مباسطتها وخصوصيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاية تواضعه وحسن معاشرته ولطف خلقه مع أمته لاسيما العجائز والمساكين (يقول) بدل اشتمال من مفعول سمعت او حال منه (لسعد بن معاذ) اى فى شأنه أولاجله أو عنه وليست اللام للمشافهة لتحقق موت سعد وهو سيد الانصار أسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية على يد مصعب بن عمير وأسلم باسلامه بنو عبد الاشهل ودارهم أول دار أسلمت من الانصار وكان مقدما مطاعا فى قومه شهد بدرا وثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى احد ورمى بالخندق فى أكحله فلم يرقا الدم حتى مات بعد شهر وذلك فى ذى القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن بالبقيع وحضر جنازته سبعون ألف ملك وقد أهدى للمصطفى حلة حرير فجعل صحبه يتعجبون من لينها فقال اتعجبون لمناديل سعد فى الجنة خير منها وألين قال المناوى فاذا كان المنديل المعد للوسخ والامتهان ألين منها فما بالك بغيره (يوم مات) ظرف ليقول فيكون من كلامها هذا هو الظاهر ويحتمل ان يكون ظرفا لقوله (اهتز له عرش الرحمن) فيكون من كلام النبى صلى الله عليه وسلم أى تحرك العرش فرحا بلقاء الله تعالى سعدا فيكون من قبيل احد جبل يحبنا ونحبه لاغضبا على من قتله اذ لا يناسبه قوله الرحمن نعم لو قال القهار لناسب ذلك ويحتمل ان يكون المراد حركة أهل العرش من الملائكة استبشارا بقدوم روحه أو للنزول على وجه الارض ليصلوا عليه فيكون من باب حذف المضاف كقوله تعالى واسأل القرية وقع فى بعض طرق الحديث بلفظ اهتز العرش لموت سعد ففهم منه البراء رضى الله عنه ان المراد بالعرش السرير فقد روى البخارى فى صحيحه هذا الحديث عن جابر وفيه فقال رجل لجابر فان البراء يقول اهتز السرير فقال جابر انه كان بين الحيين ضغائن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ قال العسقلانى انما قال جابر ذلك اظهارا للحق فكانه تعجب ذلك من البراء كيف قال ذلك مع انه أوسى ثم قال وأنا وان كنت خزرجيا وكان بين الاوس والخزرج ما كان لم يمنعنى ذلك من أن أقول الحق فذكر الحديث بلفظ اهتز عرش الرحمن لكن العذر للبراء ما تقدم وقد تأول ابن عمر أيضا مثل ما تأوله البراء وقد صح عن ابن عمر انه رجع عن

٨ ش ل (ألف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا الصبيان)

لما فرغ من ذكر رضاعه وما وقع له عقبه من شق صدره ذكر حكم نشأته فى حال طفوليته وما بعدها مبينا أن الله ماذكر نتيجة ما أودعه الله فى قلبه بعد شقه من لطائف الاسرار وكمالات الانوار فقال ألف النسك الخ وعطف العبادة على النسك من

عطف التفسير أى اعتادهما واستمر عليهما وجعلهما ديدنه وهجيراه حتى صارا إلفه والخلوة الانفراد عن الناس وطفلا منصوب على الحال فيؤخذ منه مابعده بالاحرى والجمهور على انه كان غير متعبد بشريعة من قبله وأما قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فالمراد بها التوحيد أو الرفق والحلم الذى لم يوجد كمالهما لمن قبله الالابراهيم وقد قال تعالى فبهداهم اقتده وروى ابن اسحق وغيره انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حراء شهرا فى كل عام يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة والظاهر كما قاله غير واحد أن عبادته كانت الذكر والفكر مع اكثاره من الخلوة والانعزال عن الناس بحراء وغيره انظر ابن حجر وقد ذكر الصوفية رضى الله عنهم ان العزلة أحد الاركان التى هى أساس المريدين ولذا قال فى الحكم ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكره وقال المناوى حبب اليه الخلوة والانفراد والنفور من المخالطة حتى فى الاهل والمال والعيال بالكلية واستغرق فى بحر الاذكار العلية فانقطع عن الاضداد فاستشعر حصول المراد وحصل له الانس بالخلوة فتذكر من أجل ذلك الجلوة ولم يزل ذلك الانس يتضاعف ومرآته تزداد من الصفاء والصقال حتى بلغ أقصى درجات الكمال فظهرت تباشير صبح الوحى وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وأبرقت فكان لا يمر بشجر وحجر الا قال بلسان صحيح ونطق فصيح السلام عليك يا رسول الله فلا يرى شيأ اه قوله وهكذا الانبياء أى ومثل هذا الشأن العلى شأن الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على الاطلاق وهذا

ذلك وجزم بأنه اهتزله عرش الرحمن وقد جاء حديث اهتز العرش لموت سعد عن عشرة من الصحابة قال الحاكم الاحاديث المصرحة باهتزاز عرش الرحمن مخرجة فى الصحيحين وليس لمعارضها ذكر فى الصحيح اه بالمعنى * قال المصنف (حدثنا أحمد بن عبدة الضبى وعلى بن حجر وغير واحد) ذكر منهم فيما تقدم على بن الحسين وكان المصنف أشار بما ذكره هنا الى انه رواه عن غير الثلاثة أيضا (قالوا حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن عبد الله مولى غفرة قال) أى عمر المذكور (حدثنى ابراهيم بن محمد من ولد على بن أبى طالب قال) أى ابراهيم (كان على) تقدم ان ابراهيم لم يدرك جده عليا ففيه انقطاع (اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر) أى ابراهيم أو على وهو الاقرب (الحديث بطوله وقال) أى على (بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين) المقصود من ايراده فى هذا الباب مع انه تقدم فى الباب الاول قوله بين كتفيه خاتم النبوة فانه يدل على وجود الخاتم وتعيين محله من جسده صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو عاصم) الشهير بالنبيل مصغرا بالنون الموحدة من أكابر العلماء حديثه فى الصحاح الستة (نا عزرة بن ثابت نى علباء بن أحمر قال نى أبو زيد عمرو) بالواو (ابن اخطب الانصارى) صحابى جليل من الاربعة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى جمع الوسائل قال فى الاستيعاب ولا يصح ذلك وأبو زيد الذى هو أحد الاربعة المذكورين هو أبو زيد الانصارى اسمه قيس بن السكن (قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا زيد ادن منى فامسح ظهرى) أمره بذلك امالانه أحس بشئ يؤذيه فى ظهره وامالانه تفرس واطلع على انه أراد النظر الى الخاتم فاجابه صلى الله عليه وسلم الى ما أراده واستشرفت نفسه له بوجه لطيف وفيه دليل على كمال عنايته صلى الله عليه وسلم به وفى جامع المصنف انه دعاله وفى رواية انه قال اللهم جمله قال عروة بن ثابت حفيده انه عاش مائة وعشرين سنة وليس فى رأسه ولحيته الا شعرات بيض (فمسحت ظهره فوقعت اصابعى على الخاتم قلت) قائله علباء لابى زيد (وما الخاتم قال شعرات) أى ذو شعرات أو ما فيه شعرات أو عليه شعرات (مجتمعات) وظاهره انه لم ير الخاتم بعينه فاخبر عما وصل اليه يده وهو الشعر الذى كان عليه وانما قدرنا ما قدمنا ليحصل الجمع بين الاحاديث وقد أخرج هذا الحديث ابن سعد بهذا الاسناد عن أبى رمثة قال قال لى الخ فيحتمل أن تكون رواية الترمذى أصح ويحتمل تعدد الواقعة * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعى نا على بن حسين بن واقد حدثنى

تذييل وفي البيت تشابه الاطراف

(واذا حلت الهداية قلبا * نشطت للعبادة الاعضاء)

أي انما كان هذا شأن النجباء من الانبياء ثم صالحي أممهم لما هو المستقر (٥٩) المعلوم انه اذا حلت الهداية وهي الوصول الى الحق كما في قوله تعالى انك لا تهدي من أحببت أي لا توصله وتطلق الهداية على الدلالة ومنه وأما ثمود فهديناهم أي دللناهم ولم نوصلهم بدليل فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا ما استحبوا ذلك وانما كان اذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه في صلاحه وفساده ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا من الكلام الجامع * قال المناوي حفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم في شبابه مما كان عليه أهل الجاهلية قال ابن اسحق فيما رواه البيهقي وغيره شب المصطفى صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أدناس الجاهلية لما أراد من كرامته حتى صار أفضل قومه مروأة وأحسنهم خلقا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق الدنية * وأخرج أبو نعيم عن عائشة ان المصطفى صلى الله عليه وسلم قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب ما ذبح لغير الله فما ذقت شيئا ذبح على النصب حتى أكرمني الله برسالته وأخرج ابن عساكر عن جبير بن مطعم رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو يقف على بعيره بعرفة منفردا عن قومه حتى يدفع منه توفيقا من الله تعالى قال العلماء كان صلى الله عليه وسلم لم يدع قبل

أبي في عبد الله بن بريدة قال سمعت أبي) هو صحابي سكن المدينة ثم البصرة ثم مرو وتوفي بها (بريدة) بالنصب بدل من أبي أو عطف بيان (يقول جاء سلمان الفارسي) هو من أصبهان ولا تعلق له بفارس الا ان العرب كانوا يسمون ما تحت ملوك العجم كله فارسا واصبهان كان منها وكان من أبناء الامراء ولم يعلم اسم أبيه وسئل عن نسبه فقال انا سلمان ابن الاسلام ويقال له سلمان الحبر بالمهملة فالموحدة وهو احد الذين اشتاقت اليهم الجنة في الحديث ان الله ليرضى لرضا سلمان ويسخط لسخطه وان الجنة لتشتاق الى سلمان أشد من اشتياق سلمان الى الجنة وهو صحابي كبير قيل عاش مائتين وخمسين وقيل ثلثمائة وخمسين والاول أصح وقال أبو نعيم ادرك عيسى عليه السلام وعليه فعمره أكثر من ذلك وقرأ الكتابين وكان عطاؤه خمسة آلاف يفرقه ويأكل من كسب يده بعمل الخوص ولمزيد في الزهد فانه مع طول عمره المستلزم لزيادة الحرص لم يزدد الا زهدا قيل هرب من أبيه في طلب الدين القويم وكان أبوه مجوسيا فلحق براهب ثم بجماعة رهبان في القدس الشريف وكان في صحبتهم الى وفاة آخرهم فدله الحبر على الحجاز وأخبره بظهور النبي صلى الله عليه وسلم فقصد الحجاز مع جمع من الاعراب فباعوه في وادي القرى من يهودي ثم اشتراه منه يهودي آخر من قريظة فقدم به المدينة فأقام بها حتى قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الراهب قد وصف له العلامات الدالة على النبوة فجاء (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في السنة الاولى من الهجرة (حين قدم المدينة بمائدة) الباء للتعدية متعلقة بجاء أو للمصاحبة يدل على ذلك رواية فاحتملتها على عاتقي والمشهور عند أرباب اللغة ان المائدة خوان عليه طعام فاذا لم يكن عليه طعام فلا يسمى مائدة فعلى هذا قوله (عليها رطب) لتعيين ما عليها من الطعام وقال العسقلاني قد تطلق المائدة على كل ما يوضع عليه الطعام ولا تختص بوصف مخصوص أي ليس بلازم ان يكون خوانا (فوضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقي ظاهر هذا ان ما أحضره سلمان كان رطبا فقط وروى أحمد والطبراني باسناد جيد من حديث سلمان نفسه انه قال فاحتطبت حطبا فبعته فصنعت به طعاما فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني أيضا باسناد جيد فاشتريت لحم جزور بدرهم ثم طبخته فجعلت قصعة ثريد فاحتملتها على عاتقي ثم أتيت بها ووضعتها بين يديه فلعله كان في المائدة طعام ورطب ولعله اكتفى في هذا الحديث بالرطب لان معظم الطعام كان رطبا (فقال يا سلمان) يحتمل ان يكون هذا أول ملاقاته وعلم اسمه بالوحي أو باخبار

النبوة بالامين قال ابن عباس كان يسمى بالامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وذكر ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس قال النضر بن الحرث لقريش قد كان فيكم محمد غلاما حدثا ارضاكم فيكم وأصدقكم حديثا واعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو ساحر وكان صلى الله عليه وسلم يتحاكم اليه فى الجاهلية قبل الاسلام لما استقر عندهم من عدله واصابة رأيه وصدقه وأمانته وظهور فصل المسائل على أتم وجه وأحسنه على يديه بحيث يستحسن ذلك أهل العقول السليمة وتستصوبه أصحاب الآراء المستقيمة وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن داود ابن الحصين قال قالوا شب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل قومه مروأة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جوارا وأحسنهم حلما وأمانة وأصدقهم حديثا وأبعدهم من الفحش والاذى ما رئى مماريا ولا ملاحيا أحدا حتى سماه قومه الامين (وأخرج) أبو داود وأبو يعلى وابن منده فى المعرفة والخرائطى فى مكارم الاخلاق عن عبد الله بن أبى الحمساء قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث ببيع فبقى له على شئ فوعدته ان آتيه فى مكانه فذهبت فنسيت ذلك اليوم والغد فأتيته اليوم الثالث فوجدته فى مكانه ذلك فقال الغد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك * وأخرج ابن سعد عن الربيع بن خيثم قال كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام فهو صلى الله عليه وسلم الامين المطلق الذى لا تقيد أمانته بقيد غريزة من خلقه العظيم عرفه بها من عرفه منذ عرفه وكذا العدل وهو وضع الشئ فى محله ومعاملته بما هو أهله من غير افراط ولا تفريط وحصول هاتين

جبريل أو بسؤاله اياه أو باخبار بعض من حضر مجلسه الشريف ممن عرف سلمان ويحتمل ان يكون لقيه قبل ذلك وعرفه (ما هذا) أى ما الحامل لك على الاتيان به ووضعه (فقال صدقة عليك وعلى أصحابك) مفهوم الصدقة مشعر بما لا يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لانها تنبئ عن تذلل الآخذ والترحم عليه (فقال ارفعها فانا) معاشر الانبياء أو أنا وأقاربى من بنى هاشم دون المطلب أو والمطلب أو الضمير للعظمة (لا نأكل الصدقة) ولا يصح ان يفسر ضمير المتكلم به وباصحابه اذ لم يقل أحد بتحريم الصدقة على أصحابه قال فى جمع الوسائل والصدقة محرمة فرضها وتطوعها عليه وعلى آله صلى الله عليه وسلم فمن جعل علة التحريم انها أوساخ الناس جعلها محرمة على آل محمد أبدا ومن جعل علة تحريمها دفع التهمة عنه أنه لم يعط حق الفقراء لم يجعلها بعده محرمة عليهم واليه ذهب جماعة من متأخرى الشافعية وكذا جماعة من متأخرى أصحابنا الحنفية وبعض المالكية (قال فرفعها) أى من عنده صلى الله عليه وسلم الى أصحابه فقد روى أحمد والطبرانى أنه قال لاصحابه كلوا وأمسك وانما أكل صلى الله عليه وسلم من شاة صدقة أخذتها بريرة وقال هى صدقة عليها ولنا هدية ولم يأكل من صدقة سلمان على أصحابه لان مسئلة بريرة فيها التمليك ومسئلة الاصحاب انما فيها اباحة الاكل لهم فلا يصح لهم الاباحة لغيرهم قاله فى جمع الوسائل بمعناه قلت وانظر قوله انما فيها اباحة الاكل لهم دون التمليك مع انه قال صدقة عليك وعلى أصحابك فانه كالصريح فى التمليك اللهم الا ان يقال الصدقة على أصحابه انما كانت بالتبع للصدقة عليه وهو المقصود بها بخلاف صدقة بريرة فلو أكل مع اصحابه من صدقة سلمان عليهم لانعكس الحال وصار التابع متبوعا والمتبوع تابعا فى نفس الامر دون الظاهر المتبادر فكان مقتضى الاحتياط ترك الاكل بالكلية والله أعلم (فجاء) سلمان (الغد بمثله) أى بنحو ما جاء به أولا (فوضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا سلمان فقال هدية لك) مفهوم الهدية مشعر باكرام المهدى اليه والتحبب له والتقرب اليه ولم يقل هنا ولاصحابك اشارة الى ان القصد هو التقرب اليه من غير مشاركة لاحد معه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه) بطريق الانبساط (ابسطوا) أى ايديكم للاكل نظير لئن بسطت الى يدك أو من البسط بمعنى النشر أى انشروا الطعام فى المجلس بحيث تصل اليه يد كل أحد وانما أمرهم بهذا دفعا لما يتوهم من انه يختص بها عنهم واشارة الى حسن الادب مع الخدم والاصحاب اظهارا لما أعطاه الله من الخلق العظيم والكرم العميم وحديث من أهدى له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها ضعيف وعلى

الخصلتين يستتبع حصول غيرهما

(بعث الله عند مبعثه الشهـب حراسا وضاق عنها الفضاء * تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء

فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحى ما لهن امحاء)

فرض ثبوته فالمراد بجلسائه الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه ويتفقدون أموره لا كل من كان جالسا فى ذلك الوقت قاله الترمذى فى الاصول وأما ما اشتهر على الالسنة من ان الهدايا مشترك فليس للفظه اصل وان كان هو فى معنى الضعيف المتقدم وقد أتى بعض المشايخ بهدية عظيمة من دنانير أو دراهم وكان عنده فقير مسافر فقال يا مولانا الهدايا مشترك فقال الشيخ الانفراد أحسن فظن الفقير أنه يريد الانفراد لنفسه فتغير حاله فقال الشيخ لك فشرع فى أخذه فعجز عن حمله وحده فاشار الشيخ الى بعض أصحابه باعانته ومن اللطائف ان الامام أبا يوسف اتى بهدية من النقود فقيل له الهدايا مشترك فقال اللام للعهد أى الهدايا من الرطب والزبيب وامثالهما قال فى جمع الوسائل فانظر الفرق البين بين علماء الظاهر والباطن وفى بعض النسخ انشطوا بنون ثم شين معجمة من النشاط وهو قريب من الانبساط أى كونوا ذوى نشاط للاكل معى وفى نسخة انشقوا بالنون والشين المعجمة والقاف المشددة من الانشقاق بمعنى الانفراج ولعله أمرهم به ليدنو سلمان ويقرب منه صلى الله عليه وسلم ويجلس فيما بينهم وفى الحديث قبول الهدية ممن يدعى انه ملكه اعتمادا على مجرد ظاهر الحال من غير بحث عن باطن الامر فى ذلك ولعل سلمان كان مأذونا فى ذلك من مالكه قاله فى جمع الوسائل وقد يقال للنبى صلى الله عليه وسلم ان يتصرف فى مال غيره بغير اذنه وفيه أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وذلك من خصائصه اذ الحكام لا يجوز لهم قبولها لانها رشوة نعم قال فى المختصر وفى هدية من اعتادها قبل الولاية قولان وجزم فى باب القرض بالجواز فى هذه الصورة وقضية ابن الاتبية فى البخارى وغيره مشهورة فانظر ما فى كتاب الهبة ان شئت والله أعلم (ثم نظر الى الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا دليل الترجمة وأتى بثم الدالة على التراخى لما فى كتب السير ان سلمان لبث بعد ذلك ينتظر رؤية الآية الثالثة التى أخبره عنها آخر مشايخه الى ان مات واحد من نقباء الانصار فشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازته وذهب معها الى بقيع الغرقد وجلس مع أصحابه فى ذلك المكان ينتظر دفنه فجاء سلمان واستدار خلفه لينظر الى خاتم النبوة فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبره عرف انه يريد أن يستثبت شيأ وصف له فالقى الرداء عن ظهره فنظر سلمان الى الخاتم (فآمن به) بلا تراخ ومهلة لما رأى من انطباق أوصافه المذكورة فى التوراة عليه صلى الله عليه وسلم فهذا مفرع على مجموع ماسبق من الآيات الثلاث (وكان لليهود) يحتمل انه كان مشتركا بين جماعة منهم ويدل

أى أرسل الله بقرب زمان بعثته صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة الشهب جمع شهاب وهى نار تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله وكانوا يسترقون السمع فيخطف أحدهم الكلمة ثم يضم اليها مائة كذبة ثم يلقيها للكاهن وقوله حراسا اما جمع حارس على غير قياس كقائم وقيام فهو حال أو مصدر أى لاجل الحراسة لشريعته التى سيأتى بها من الشياطين ان يخلطوا بها ماليس منها وهى للمبالغة والتأكيد لانه معلوم من قوله تطرد الجن ففيه التتميم كقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين فى نواحى السماء ضاق عنها الفضاء أى المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه حتى يسترقوا السمع منه وقوله تطرد حال من الشهب أو صفة له كما فى

ولقد أمر على اللئيم يسبنى

لكن ظاهر المقام ترجيح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة والجن أجسام نارية تقدر على التشكل فى الصور المختلفة وعن مقاعد أى أمكنة قريبة من السماء يقعدون فيها ليسمعوا شيأ من الملائكة المتكلمين بما سيقع فى الارض من الاقضية والمغيبات اما لكون رئيسهم يلقى ذلك عليهم ليكتبوه فيتلقونه منه أو ان بعضهم ينسخه من كتب البعض الآخر زيادة فى الاعتناء والظهور للملائكة ثم طرد تلك الشهب لاولئك الشياطين طردا بالغا جدا كالذى أو كطرد الذئاب جمع ذئب بالهمزة

عليه قوله الآتي على ان يغرس لهم ويحتمل انه على تقدير مضاف اى لبعض اليهود وقد صح عن سلمان انه قال تداولني بضعة عشر من رب الى رب كما فى صحيح البخارى وكان ذلك من لطف الله سبحانه الخفى وهو اخفاء الامور فى صور اضدادها نحو ما أخفى ليوسف عليه السلام من انالة الملك فى الباس ثوب الرق حتى قال ان ربى لطيف لما يشاء فان ما وقع له رضى الله عنه كان سببا فى ملاقاته بالنبى صلى الله عليه وسلم ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم له حتى كان أحد النجباء الاربعة عشر وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت

لا تنكره المكروه عند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله فى طى المصائب كامنه

(فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى خلصه من رقه ولذلك يعد من موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسند أحمد عن سلمان انه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت على ثلثمائة نخلة وأربعين أوقية ذهبا زاد فى بعض الروايات وبقى الذهب فجاءه صلى الله عليه وسلم مثل البيضة من الذهب من بعض المعادن فقال صلى الله عليه وسلم لسلمان أدّه عنك (بكذا وكذا درهما) قيل أربعون أوقية من فضة والاوقية كانت اذ ذاك أربعين درهما وقيل من ذهب (على ان يغرس لهم) أى لمن ملكه (نخلا فيعمل سلمان) بالنصب عطف على يغرس فيفيد ان عمله من جملة الكتابة وتصريحه بالفاعل هنا يشعر بأن فاعل يغرس هو النبى صلى الله عليه وسلم (فيه) أى النخيل وفى بعض النسخ فيها بالتأنيث والكل صحيح فى القاموس النخل معروف كالنخيل ويذكر واحدته نخلة جمعها نخيل وفى القرآن نخل منقعر ونخل خاوية (حتى يطعم) بالياء والتاء أى حتى يثمر يقال أطعمت النخلة اذا أثمرت وهو بصيغة المبنى للفاعل واعلم ان فى كتب السير ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أعانوا سلمان بامره صلى الله عليه وسلم اياهم باعانته فجمعوا الفسلان على قدر مقدرتهم حتى اجتمع له ثلثمائة فسيل ثم حفر سلمان لها فى أرض عينها أصحابه ولما جاء وقت الغرس أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء (فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى بيديه الكريمتين (النخل) أى جميعه (الا نخلة واحدة غرسها عمر) رضى الله عنه (فحملت النخل من عامها) أى من سنة غرسها وفى نسخة فى عامها وهى اظهر (ولم تحمل نخلة عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأن هذه فقال عمر يا رسول الله انا غرستها) وكان عمر ما عرف ان رسول الله

او خفف الرعاء بضم أوله وكسره جمع راع أى كما نطرد الرعاة الذئاب اذا ارادت العدو على غنمهم وتشبيه الجن بالذئاب مصرح به فى الحديث فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت آية الكهانة مفعول مقدم والكهانة بفتح الكاف مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا أى مخبرا بالغيوب الخفية والآية العلامة وهى ما كانت تأتى به الكهان وتذكره من المغيبات التى تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الائمة ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب وفاعل محت آيات من جملة آى الوحى ما لهن انمحاء أى ذهاب ولا تغير وأصل ما ذكره الناظم قوله تعالى قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وفى حديث ابن عباس عند أحمد كان الجن يستمعون الوحى فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعونه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصاب منه فشكوا ذلك لابليس فقال ما هذا الا لامر عظيم قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فأخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض رواه النسائى وصححه الترمذى وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من أحد يريد استراق السمع الا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا تخطئ أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير

غو لا يضل الناس فى البرارى فعلم منه ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما الذى ينفصل تلك الشعلة وقيل ينفصل ثم يرجع الى مكانه * (تنبيهان) * الاول قال فى الكشاف الصحيح ان الرجم كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى شعر أهل الجاهلية ولكن لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وفى قوله ملئت حرسا دليل على ان الحادث هو الملء والكثرة وكذلك نقعد منها مقاعد أى نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها اه مخ والحاصل ان أصل الرجم كان فى الجاهلية وكثر عند ولادته صلى الله عليه وسلم تأسيسا وارهاصا وغلظ واشتد عند مبعثه ومنع الاستراق أصلا وبذلك يحصل التوفيق بين كلام الائمة *(الثانى)* فى صحيح البخارى عن مولاتنا عائشة رضى الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء (١) وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد حتى فاجاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ (٢)

صلى الله عليه وسلم اراد بالغرس اظهار المعجزة بل مجرد المعاونة (فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرسها فحملت من عامها) فكان فى ذلك معجزتان غير ما سبق الغرس فى غير أوان الغرس والاثمار فى عامه وقد تضمن هذا الحديث قضية اسلام سلمان وما وقع فى ذلك من الآيات وقد أشار البوصيرى رحمه الله الى هذه الآيات وغيرها من الآيات التى ظهرت على يده الشريفة صلى الله عليه وسلم بقوله

درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء
نبع الماء اثمر النخل فى عا * م بها سبحت بها الحصباء
أحيت المرملين من موت جهد * اعوز القوم فيه زاد وماء
فتغذى بالصاع الف جياع * وتروى بالصاع الف ظماء
وفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
افلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء
وازالت بلمسها كل داء * أكبرته اطبة واساء
وعيون مرت بها وهى رمد * فارتها ما لم تر الزرقاء
واعادت على قتادة عينا * فهى حتى مماته النجلاء

(ولشيخنا المحقق فى همزيته)

كفت السائلين خطا وتحريـ * ـبا فنها الاستسقاء واستصحاء
وغدا العود غصنا اذا امسكته * يتثنى أوراقه خضراء
سبحت من جمالها وأبادت * من جلالها فى الوغى الحصباء

قال المصنف نفعنا الله تعالى به (حدثنا محمد بن بشار نا بشر بن الوضاح نا أبو عقيل) اسمه بشير بن عقبة (الدورقى عن أبى نضرة) اسمه المنذر بن مالك بن قطعة بضم القاف وفتح المهملتين (قال سألت أبا سعيد) هو سعد بن مالك بن سنان الانصارى ولابيه صحبة وشهد ما بعد أحد (الخدرى) بالدال المهملة نسبة الى بنى خدرة (عن خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى خاتم النبوة) قائله أبو عقيل وضمير يعنى لابى نضرة (فقال كان فى ظهره بضعة) بفتح موحدة وسكون معجمة وفى النهاية وقد تكسر الباء قطعة من اللحم وهو بالنصب على انه خبر كان واسمها ضمير الخاتم وفى ظهره ظرف لغو وبالرفع على انه اسم كان وفى ظهره خبر مقدم أو على ان كان تامة وقوله (ناشزة) أى مرتفعة صفة لبضعة

(١) هذا لا ينافى ما تقدم من قول الناظم الف النسك الخ لان ما هنا محمول على الترتيب الاخبارى أو التحبب أخص من الائتلاف فهو غيره والله أعلم اه من خط المؤلف بواسطة

(٢) هذا استفهام طلب ودخلت الباء مشاكلة للاولين ولا يبعد اعتبار الاستبعاد فيكون شبيها بالنفى اه من خط المؤلف بواسطة

فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم الحديث وكان هذا المبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة قيل وأربعين يوما وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين من يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لاربع وعشرين ليلة * والوحي كما قال المنذري أصله القاء المعنى في النفس في خفاء ثم قيل للكلام الالهي الذي يلقى الى الانبياء وحي وهو انواع * الاول الرؤيا الصادقة في المنام * الثاني نفث الملك في روعه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب * الثالث ان يأتيه الملك في صورة رجل فيخاطبه وصح انه كان يأتيه في صورة دحية الى غير ذلك من الانواع وغالبها في صفة حامل الوحي وقول الناظم ما لهن انمحاء يشير الى ان آيات الله تعالى باقية على ممر الدهور الى ان ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة بموت الطائفة الذين أخبر الصادق عنهم بانهم لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله تعالى أي ريح لينة تقبض أرواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله فتقوم الساعة

قال في جمع الوسائل ذكر صاحب المشكاة عن أبي رمثة قال دخلت مع أبي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعني أعالج الذي بظهرك فاني طبيب فقال انت رفيق والله الطبيب قال الطيبي الذي في ظهره خاتم النبوة فتوهم الرائي أنه سلعة تولدت من فضلات البدن فأجابه بانه ليس مما يعالج وان كلامه يفتقر الى العلاج حيث سمى نفسه طبيبا والله هو الطبيب العالم بحقيقة الداء والدواء وانت ترفق بالمريض في العلاج اه قال المصنف (حدثنا أحمد بن المقدام أبو الاشعث العجلي) البصري (نا حماد بن زيد) قال ابن معين ليس أحد أتقن منه وقال ابن يحيى ما رأيت أحدا أحفظ منه وقال ابن مهدي ما رأيت أعلم منه (عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس) سرجس كنرجس أو كجعفر (قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في ناس من أصحابه فدرت هكذا من خلفه فعرف الذي أريد فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم) أي الطابع أو الاضافة بيانية (على كتفيه) أي قريبا من كتفه الايسر كما مر والقول بتعدد الخاتم بعيد جدا لم يقل به أحد وقال العصام أي مشرفا على كتفيه والمقصود ان ارتفاعه يزيد على ارتفاع كتفيه وقال ابن حجر أي بين كتفيه (مثل الجمع) بضم الجيم وسكون الميم يريد مثل جمع الاصابع أي ضمها الى الكف والتشبيه في الهيئة لا في المقدار (حولها) أي الخاتم وأنث باعتبار انه قطعة لحم (خيلان) جمع خال وهو الشامة في الجسد (كأنها) أي الخيلان (الثآليل) كقناديل جمع ثؤلول وهي الحبة التي تظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها (فرجعت) أي من خلفه (حتى استقبلته فقلت) شكرا لالقائه الرداء حتى رأيت الخاتم (غفر الله لك يا رسول الله) الظاهر انه انشاء لا خبر بدليل قوله (فقال ولك) أي وغفر الله لك أيضا حيث استغفرت لي وهذا من مقابلة الاحسان بالاحسان ولا شك ان دعاء النبي له أفضل من دعائه حقيقة وان كان دونه صورة فلا ينافي قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها والقول بان المعنى وغفر لك حيث سعيت لرؤية الخاتم بعيد قال عاصم الاحول الراوي عن عبد الله بن سرجس (فقال القوم) عند مسلم قال فقلت له استغفر الخ فاسناد القول الى القوم جميعهم في رواية المصنف على سبيل المجاز ويحتمل ان القوم أيضا سألوه كما سأله عاصم فتارة نسب السؤال اليهم وتارة الى نفسه (أستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم) في رواية عند الطبراني هل استغفر لك الخ فقوله هنا استغفر لك استفهام بحذف حرفه ويدل أيضا على انه استفهام لا خبر قوله (فقال) أي عبد الله بن سرجس (نعم ولكم) اذ لو كان خبرا لخلا قوله نعم عن الفائدة

(ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء)
شرع في قصة تزويجه صلى الله عليه وسلم بخديجة وكان الاليق تقديمها الموافق الواقع فقوله ورأته اي علمته وأبصرته وخديجة هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر والتقى هو

ومقصود

التبرى من كل شئ سوى الله وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء المحارم وقد قال عليه الصلاة والسلام ان أتقاكم وأعلمكم بالله انا والزهد هو أخذ أقل الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام بر ثلاثة أيام تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة هو وأهله طاويا لا يجدون عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان ابن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ما يجد من الدقل أى بالتحريك أى أردأ التمر ما يملأ بطنه وخبر انه كان يمضى الشهران لا يوقد فى بيته صلى الله عليه وسلم نار وانما طعامهم التمر والماء(١) والسجية الخلق الغريزى الطبيعى لان مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم غريزية غير مكتسبة والحياء فيه سجية أيضا على أكمل غاياته ففى البخارى من حديث أبى سعيد كان صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء أى البكر فى خدرها وهو ستر يجعل لها اذا شبت بجنب البيت تنفرد فيه حتى عن النساء وهى فيه أشد منها حياء خارجه اذ الخلوة مظنة وقوع الفعل فالمراد الحالة التى تعتريها عند الدخول عليها لا التى عليها حال الانفراد به أو اجتماعها بمثلها فيه قاله المناوى وهو أظهر مما فى ابن حجر والحياء بالمد لغة تغير وانكسار يعترى الانسان من فعل ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح وارتكاب المليح ومن ثم صح انه لا يأتى الا بخير

ومقصود عاصم بهذا الاستفهام تثبيت رؤية عبد الله بن سرجس النبى صلى الله عليه وسلم وصحبته له فقد نقل ابن عبد البر فى الاستيعاب عن عاصم انه كان ينكر صحبة عبد الله بن سرجس ولعل ذلك قبل ان يسمع هذه الواقعة منه ولهذا لما سمعها منه استفهمه متعجبا من هذه الواقعة فيحتمل انه رجع عن ذلك وروى عنه الحديث والله أعلم قاله فى جمع الوسائل بمعناه (ثم تلا) أى عبد الله بن سرجس استدلالا على ما ادعاه من ان النبى استغفر لهم كما استغفر له (هذه الآية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فان النبى صلى الله عليه وسلم أمر فى هذه الآية بأن يستغفر لجميع من آمن به فدل ذلك على انه قد استغفر لهم البتة لان من شأنه المبادرة الى الامتثال قال ابن مخلص وفى هذه الآية اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم اه وفى هذه الآية اشارة الى أن فى قوله ولكم تغليب الذكور على الاناث وتغليب الحاضرين على الغائبين وقال بعض الشراح قائل فقال القوم هو عبد الله والمراد بالقوم الصحابة وقالوا له ذلك استفهام تعجب وضمير فقال لعبد الله أو للنبى صلى الله عليه وسلم وكذلك ضمير تلا قال فى جمع الوسائل ويمكن الجمع بأن هذا القول صدر من الصحابة أولا ثم صدر من أصحاب عبد الله لما حدثهم به فارتفع ما ذكره الشراح من المنازعات اه بالمعنى وهو بعيد فتأمله ثم المعتقد ان الانبياء معصومون من الذنوب مطلقا فيقال أى ذنب يتصور فى حقه صلى الله عليه وسلم حتى أمر بالاستغفار منه فى هذه الآية والجواب انه صلى الله عليه وسلم لا يزال فى ترق دائم فكلما انتقل من مرتبة الى ما فوقها رأى المقام فى الاولى نقيصة بالنسبة لما فوقها وان كان فى نفسه من أكمل الكمال فهو من باب حسنات الابرار سيآت المقربين فأمر بالاستغفار مما كان يراه نقيصة وقيل المغفرة على ضربين ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها بعد وقوعها وهذا مستحيل فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحيلولة بين العبد وبين الذنوب فلا يصدر منه شئ منها وهذا هو المراد هنا فيكون معنى استغفر لذنبك اطلب منه ان يحول بينك وبين الذنب أى اطلب منه الثبات على العصمة التى وهبت لك وان كنت مأمون العاقبة رعاية لقاعدة الخشية فانها غاية عبودية المقربين

(باب ما جاء فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى ما جاء من الاخبار فى صفة شعره صلى الله عليه وسلم طولا وقصرا او كثرة وقلة وهل كان يضفره أولا وهل كان يرسله أو يفرقه * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل

(١) راجع كلام ابن السبكى الذى نقلناه فى قوله مستقل دنياك الخ وحاصله ان هذا كان من النبى صلى الله عليه وسلم اختيارا اه من خط المؤلف بواسطة

وانه من الايمان وجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم واشيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله

ورات خلقه فلم تر خلقا * مثله جل ماله أكفاء

بشر خارج عن الجنس كاليا * قوت فى جنسه له الاضواء (٦٦) طابق الخلق خلقه ولضوء * م المعانى مفتوحها اسماء

ابن ابراهيم عن حميد) الطويل (عن أنس بن مالك قال كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم) منتهيا (الى نصف أذنيه) أضاف الواحد الى التثنية كراهية اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد اى نصف كل واحدة من أذنيه ويعنى فى بعض الاحيان أو اذا جمع وعقص أو حين لا يفرقه فلا ينافى ما ورد من أنه كان يصل الى منكبيه * قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه) عروة بن الزبير بن العوام قال ابن شهاب كان عروة بحرا لا يكدر وقال ابن عيينة كان أعلم الناس بحديث عائشة وهو أحد الفقهاء السبعة المشار اليهم بقول من قال

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

(عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أغتسل) فى التعبير بالمضارع اشعار بتكرار ذلك واستمراره (أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم) بالرفع عطف على أنا بتغليب المتكلم على الغائب اذ لا يصح ان يكون قوله ورسول الله فاعلا باغتسل كما غلب المخاطب على الغائب فى قوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة ونكتة ذلك فى الآية أن آدم عليه السلام أصل فى سكنى الجنة وفى الحديث ان النساء محل الشهوات وهن الحاملات على الاغتسال فكن أصلا فيه قاله فى جمع الوسائل عن الطيبى وروى بالنصب على انه مفعول معه (من اناء واحد) زاد فى رواية عن عائشة ومارأيت منه ولارأى منى تعنى الفرج قلت وهذا لايمنع من الاستدلال به على جواز نظر كل من الزوجين عورة الآخر والله أعلم اذ لو حرم ذلك لوجب ان يتستر كل واحد من الزوجين من صاحبه خلافا لما فى جمع الوسائل وفى رواية للبخارى من اناء يقال له الفرق بفتحتين واختلف فى مقداره والمشهور عند الجمهور انه ثلاثة آصع وقيل صاعان ويؤيد الاول ما رواه ابن حبان من طريق عطاء عن عائشة بلفظ قدره ستة اقساط والقسط بكسر القاف نصف صاع باتفاق أهل اللغة وفى الحديث ان فضلة ماء المرأة طهور كفضلة الرجل (وكان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة) أى كان فى بعض الاحيان شعره بين الجمة والوفرة وهى اللمة كما تقدم فى قول من قال * الوفرة الشعر لشحمة الاذن * الخ وقد روى هذا الحديث أبو داود بهذا الاسناد الا انه قال فوق الوفرة ودون الجمة وقد جمع بينهما العراقى فى شرح جامع الترمذى بان المراد من قوله فوق ودون تارة بالنسبة الى المحل وتارة بالنسبة الى المقدار فقوله فوق الجمة أى أرفع منها فى المحل ودون الجمة أى أقل منها فى المقدار وكذا فى العكس قال العسقلانى وهو جمع جيد لولا أن مخرج الحديث

يعنى ان خديجة رضى الله عنها لما رأت خلقه الظاهر وصفاته الصورية وجماله الذاتى فلم تر خلقا مثله فى ذلك علمت ان اختصاصه بالمكارم دون سائر الناس لامر عظيم خص به فانه صلى الله عليه وسلم

منزه عن شريك فى محاسنه

فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وفى الحديث عن سيدنا على كرم الله وجهه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ويرحم الله ابن رشيد حيث يقول

لتوراة موسى فاسألوا عن محمد

تقول لكم ما للحبيب مثيل

لكل حبيب منزل ومكانة

ولكن ما مثل الحبيب رسول

وهو صلى الله عليه وسلم بشرى الظاهر ملكوتى الباطن (١) وقد قالوا انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأتى شيأ من أحواله البشرية الا تأنيسا لامته وتشريعا لها ولذا قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله يارسول الله ما أكلت ولا شربت ولا نكحت الا لنا وقد قال الناظم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر * وأنه خير خلق الله كلهم

متعد

---

(١) وتأمل قوله تعالى قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك فلم يقل ولا أقول انى ملك اه من خط المؤلف بواسطة

ويرحم الله القائل

محمد بشر لا كالبشر (٢) * بل هو كالياقوت بين الحجر

فاستدلت خديجة رضى الله عنها بما رأت من كمال خلقه الظاهر وهو بفتح فسكون على كمال خلقه الباطن لان الظاهر عنوان الباطن ولهذا المعنى قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخير والمعروف عند حسان الوجوه خرجه البخارى فى التاريخ الكبير وابن أبى الدنيا والطبرانى عن عائشة والطبرانى أيضا والبيهقى عن ابن عباس وابن عدى عن عبد الله ابن عمر وابن عساكر عن أنس ووجهه العلماء بان الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل وبين الخالق والخلق تقارب وتشابه فى الغالب قال الشاعر

لقد قال الرسول وقال حقا
وخير القول ما قال الرسول
اذا الحاجات عزت فاطلبوها
الى من وجهه حسن جميل

وهذا الغالب والنادر لا حكم له

(وأتاها ان الغمامة والسر
ح أظلته منهما افياء)

أى أتاها الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وهما ان الغمامة أى السحابة والسرح أى الشجر العظيم أظلته أفياء حال كونها منهما والافياء جمع فىء وهو ما بعد الزوال من فاء اذا رجع والظل الستر لا يتقيد بوقت فالظل أعم من الفىء وقد يطلق الفىء على ما يعم الظل مجازا * قال أهل السير لما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتى عشرة سنة فى قول ابن سعد أو ثلاث عشرة فى قول ابن عبد البر خرج معه عمه أبو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقيل له ما علمك به فقال انكم حين أشرفتم به من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر

متحد اهـ قال ابن حجر ويرد بأنه اذا أول الفوق والدون بما ذكر لم يؤثر فيه اتحاد المخرج اهـ وقال بعض الشراح يمكن ان يقال لعل اغتسال عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وقع متعددا أو يكون ذلك الاختلاف ناشئا عن اختلاف الاحوال قال فى جمع الوسائل لا يخفى ان هذا انما يأتى على ان جملة وكان الخ حال وأما اذا كانت معطوفة على كنت فلا تعلق له بالاغتسال فيكونان حديثين مستقلين وهو أظهر والا فيلزم ان يكون فى كل غسل اختلاف حال وهو غير ملائم كما لا يخفى * قال المصنف (حدثنا أحمد ابن منيع نا أبو قطن) اسمه عمرو بن الهيثم بن قطن البصرى وهو قدرى لكنه صدوق ثقة أخرج حديثه الائمة الستة (نا شعبة عن أبى اسحق عن البراء بن عازب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيد ما بين المنكبين وكانت جمته تضرب شحمة أذنيه) أى معظمها يصل الى الشحمة وبقيتها الى المنكبين أو أطلق الجمة على الوفرة أو على مطلق الشعر وقد تقدم اختلافهم فى تفسير الجمة * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار حدثنا وهب بن جرير بن حازم حدثنى أبى عن قتادة) تابعى جليل بصرى ثقة ثبت ولد أكمه قد اتفقوا على انه أحفظ أصحاب الحسن البصرى روى عن ابن المدينى أنه قال سأل اعرابى على باب قتادة وانصرف ففقد واقدحا فحج قتادة بعد عشر سنين فوقف أعرابى فسألهم فسمع قتادة كلامه فقال صاحب القدح هذا فسألوه فأقر به وقد أخرج حديثه الائمة كلهم (قال قلت لانس) أى ابن مالك كما فى نسخة (كيف كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالجعد ولا بالسبط كان يبلغ شعره) أى المجموع منه أو فى بعض الاحيان (شحمة أذنيه) * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى بن أبى عمر المكى) أكثر الرواية عنه مسلم فى صحيحه وكل ما ذكر فى الشمائل ابن أبى عمر فالمراد به محمد بن يحيى وكذا فى صحيح مسلم (نا سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد) مات بمكة وهو ساجد لقى جماعة من الصحابة امام فى العلم والفقه (عن أم هانئ) اسمها فاختة بكسر الخاء وقيل عاتكة وقيل هند (بنت أبى طالب) أخت على كرم الله وجهه أسلمت عام فتح مكة روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وأربعين حديثا (قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة) وكان له صلى الله عليه وسلم قدومات أربعة لمكة عمرة القضاء وفتح مكة وعمرة الجعرانة وحجة الوداع وبعض الروايات يدل على ان هذا المقدم يوم فتح مكة لانه حينئذ اغتسل وصلى الضحى فى بيتها (وله أربع غدائر) جمع غديرة أى أربع ضفائر ويقال ذوائب * (تنبيه) * أورد المصنف هذا الحديث

(٢) قوله محمد الخ هكذا بالاصل وشطره الاول غير مستقيم الوزن فليحرر

ساجـدا ولا يسجد الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل غضروف كتفه كالتفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل أباطالب ان يرده تخوفا عليه من اليهود ثم رجع نصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان المصطفى فى رعية الابل قال أرسلوا اليه فاقبل وغمامة تظله ثم نزلوا فى ظل شجرة بقربه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصانها أى مالت وانعطفت عليه وروى أبونعيم وابن عساكران أخته الشيماء بنت حليمة رأته فى الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت * وخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى وله اذ ذاك خمس وعشرون سنة فنزل تحت ظل شجرة فقال نسطور الراهب ما نزل تحت ظل هذه الشجرة الا نبى وفى رواية بعد عيسى وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس ثم ان المصطفى صلى الله عليه وسلم باع وربح ربحا لم يربحه أحد من أهل القافلة حتى قال له ميسرة تجرنا لخديجة سنين ما رأيت ربحا مثل هذا وكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال له الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة هذا نبى والذى نفسى بيده ولما رجعوا الى مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره وملكان يظلان عليه رواه أبونعيم وهذا كله اعتناء بخديجة رضى الله عنها حيث أطلعها الله على هذه المعجزات وعرفها بهذه الخوارق للعادات حتى اهتدت لمعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته والتصديق برسالته فكان ذلك تعرفا من الله اليها فكانت رضى الله عنها ونفعنا ببركاتها ممن تعرف الله اليهم بنوره ولا يستوى من تعرف الله اليه

هنا من طريق مجاهد وقال فى جامعه قال محمد يعنى البخارى لانعرف لمجاهد سماعا من أم هانئ وقال فى فتح البارى فى باب الجعد رجال هذا الحديث ثقات وأخرجه أبوداود أيضا وقال فى موضع آخر أخرجه أبوداود والترمذى بسند حسن قال فى جمع الوسائل أقول ولا منافاة اذ العلة التى ذكرها البخارى انما تمنع الصحة عنده اهـ * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك) ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد صوفى عابد وكان أبوه مملوكا لرجل من همدان (عن معمر عن ثابت) البنانى وهو أبو محمد البصرى ثقة عابد مات وله أحوال ظاهرة (عن أنس ان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الى أنصاف أذنيه) أراد بالجمع ما فوق الواحد والمقصود من ايراد هذا الحديث من رواية ثابت عن أنس هنا مع ما تقدم من رواية حميد عنه أول الباب تقوية الحديث المذكور وانه روى باسنادين وانتفاء ما يتوهم من تدليس حميد * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهرى نا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) فقيه ثبت أخرج حديثه الائمة وهو أحد الفقهاء السبعة وأبوه أيضا من اعيان العلماء الراسخين وجده عتبة أخو عبد الله بن مسعود (عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره) أى يرسله أى يترك شعر ناصيته على جبهته كالقصة بضم القاف وهو بفتح الياء وكسر الدال أوضمها وقيل السدل ان يرسل الشخص شعره من ورائه ولا يجعله فرقتين والفرق أن يجعله فرقتين كل فرقة ذؤابة وهو المناسب للمقابلة بقوله (وكان المشركون يفرقون رؤسهم) بسكون الفاء وضم الراء وكسرها قال العسقلانى الفرق قسمة الشعر والمفرق وسط الرأس وأصله من الفرق بين الشيئين (وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم) أى شعرها (وكان صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ) اما لانهم أهل توحيد ونبوة فلهم مشاركة فى القواعد الحنيفية واما لارادة تألفهم وتقريبهم الى الحق فانهم أقرب الى الايمان لانهم كانوا متمسكين ببقايا من شرائع الرسل فكانت موافقتهم أحب اليه من موافقة عبدة الاوثان قيل فعله ائتلافا لهم فى أول الاسلام ليكونوا عونا له على مخالفة عبدة الاوثان فلما أغناه الله تعالى عن ذلك وظهر الاسلام خالفهم فى أمور كصبغ الشيب وردان أهل الكتاب لا يصبغون فخالفوهم وصوم يوم عاشوراء أمر بنوع مخالفة لهم فيه بصوم يوم قبله أو بعده واستقبال القبلة ومخالطة الحائض والنهى عن صوم يوم السبت فقد جاء

من طرق متعددة وصرح أبو داود بأنه منسوخ وناسخه حديث أم سلمة انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم السبت والاحد يتحرى ذلك ويقول انهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم وفى لفظ ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صيامه يوم السبت والاحد أخرجه النسائى انظر جمع الوسائل (ثم فرق) بالتخفيف ويشدد (رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه) بأن ألقى شعر رأسه الى جانبيه ولم يترك منه شيأ على جبهته وهل الفرق واجب أو مستحب أو جائز فقط قال القاضى عياض نسخ السدل فلا يجوز فعله ولا اتخاذ الناصية والجمة قال ويحتمل أن المراد جواز الفرق لا وجوبه ويحتمل أن الفرق كان اجتهادا فى مخالفة أهل الكتاب لا بوحى فيكون الفرق مستحبا اه وقال العسقلانى جزم الحازمى أن السدل نسخ بالفرق واستدل برواية معمر عن الزهرى عن عبيد الله بلفظ ثم أمر بالفرق وكان الفرق آخر الامرين أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه وهو ظاهر والله أعلم وقال القرطبى انه مستحب وحكى ذلك عن عمر بن عبد العزيز وهو قول مالك والجمهور وقال النووى الصحيح جوازه انظر جمع الوسائل فتحصل ان من العلماء من جزم بوجوب الفرق ومنهم من جزم باستحبابه ومنهم من جزم بجوازه والله أعلم ويؤيد عدم وجوب الفرق ماروى أن من الصحابة من كان يسدل فلو كان الفرق واجبا ما سدلوا بعد ذلك قال فى جمع الوسائل والفرق زين العرب وهو أقرب الى النظافة وأبعد عن الاسراف فى غسله وعن مشابهة النساء ولذلك قالوا ان محل جواز السدل حيث لم يقصد به التشبه بالنساء والاحرم من غير نزاع اه وقوله وعن مشابهة النساء لعله فى ذلك الزمان والا فمن النساء من يفرق اليوم والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن ابراهيم بن نافع المكى عن ابن ابى نجيح عن مجاهد عن أم هانئ قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع) جمع ضفيرة كغدائر جمع غديرة وهما بمعنى والضفر نسج الشعر وغيره والضفيرة العقيصة قال فى الاحياء وكان صلى الله عليه وسلم يخرج كل اذن من بين غديرتين وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ وقال أبو الربيع بن سبع يخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين تكتنفانها واليسرى كذلك تتوقدان كأنهما الكوكب الدرية بين سواد شعره صلى الله عليه وسلم اه وهذا معنى قول شيخنا المحقق فى همزيته

اذنه والغدائر البدر والليـ * ـل فهى مستنيرة سوداء

بنوره مع من تعرف الى الله بعقل اه قال ابن حجر وأشار غير واحد الى أن تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا للنبوة ومما يدل على انقطاع ذلك أن الصديق رضى الله عنه أظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة فى الهجرة لما أصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح أنه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمى الجمرة وظلل به مرة أخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا فى أسفارهم اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم انتهى *

(وأحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
فدعته الى الزواج وما أحـ ـسن ما يبلغ المنى الاذكياء)

أى وأتاها أيضا أحاديث أى أخبار الاحبار والرهبان والكهان بأن وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مصدر مضاف لمفعوله أى وعد الله له وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا فى الخير بالبعث أى بالارسال الى الخلق كافة حان أى قرب منه أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله الوفاء أى قرب وفاء الله سبحانه وتعالى بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك مارواه ابن اسحق انه كان لنساء من قريش عيد يجتمعن فيه فى المسجد فاجتمعن فيه فجاء يهودى فقال يا معشر نساء قريش يوشك أن يظهر فيكن نبى فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبته النساء وقبحنه وأغلظن عليه وعضت خديجة على قوله ووقر ذلك فى نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رآه قالت ان كان ما قاله اليهودى حقا فهو ذاك هو * ولما قدمت التجارة ورأت ربحها ضعف ما كانت تربح أضعفت له ما سمت له اه فبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحمل من له ذرة من عقل على أن يغسل قدميه ويشرب غسالهما دعته

أى خطبته الى الزواج أى الى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم انى قد رغبت فى نكاحك لما رأيته وعرفته منك وكان سنها يومئذ أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله رجلين وما أحسن بلوغ الاذكياء الامانى والاذكياء جمع ذكى كغنى وأغنياء والذكاء شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء وتسمى هذه القوة الذهن وجودة تهيئها التصور ما يرد عليها من الغير الفطنة قاله فى المطول والمنى بمعنى الامانى جمع أمنية وهى ما يتمناه الانسان أى شئ عظيم حسن بلوغ الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل من أكملهم خديجة رضى الله عنها فلذا كانت أفضل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن على الاصح كما سيأتى * ولما عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على خويلد ابن أسد فخطبها اليه فتزوجها عليه السلام وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤساء مضر فخطب أبو طالب فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد أى من أصله وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته أى الكافلين له وسواس حرمه أى المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان فى المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالى كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل فزوجها أبوها منه وقد ذكر الدولابى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم أصدق خديجة اثنتى عشرة أوقية ذهبا ونصف أوقية قالوا وكل

فشبه أذنه لما لها من النورانية والاضاءة بالكوكب وشبه سوالفه بالليل لذلك الكوكب وفى الحديث جواز الضفر للرجال ولا يختص بالنساء والفرق يكفى فى عدم التشبه بهن ومحصل الاخبار التى أوردها المصنف فى هذا الباب مع ما تضمنه حديث البراء المذكور فى الباب الاول من أن شعره صلى الله عليه وسلم كان يضرب منكبيه خمس روايات نصف أذنيه الى شحمة أذنيه فوق الجمة ودون الوفرة وعكسه ويوافق هذه رواية بين أذنيه وعاتقه كما فى البخارى من حديث أنس يضرب منكبيه له أربع غدائر وقد تقدم غير مرة وجه الجمع بينهما وظاهر هذه الاخبار أن المصطفى كان لا يحلق ولا يقصر لغير نسك وهو الذى اعتمده العراقى فقال

يحلق رأسه لاجل النسك * وربما قصره فى نسك

قال بعض شراح المصابيح ولم يحلق النبى صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة الا عام الحديبية ثم عام عمرة القضاء ثم عام حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه فى تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفى بعدها بثلاثة أشهر قال فى جمع الوسائل ولم ير تقصير الشعر منه صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة كما وقع فى الصحيحين وقد اضطرب لفظ الشراح فى تحقيقه لفظا ومعنى كما بين فى موضعه اه وقد صرح ابن العربى وصاحب المدخل والطرطوشى بأن حلق الرأس لغير نسك بدعة وقال الجزولى اذا تمالأ قوم عليه وجب أن يجاهدوا لان ذلك علامة لبدعتهم لان المصطفى صلى الله عليه وسلم جعله من شعار الخوارج لخبر سيماهم التسبيد أى الحلق ولهذا قال العراقى اثر ما تقدم

وقد رووا لا تؤخذ النواصى * الا لاجل النسك المحاصى

ولكن ذلك لا يدل على المنع لانه لا يحرم علينا جميع ما يفعلونه وحكى ابن عبد البر الاجماع على الجواز وفهم الجمهور أن ترك النبى صلى الله عليه وسلم للحلق لم يكن لانه من السنة بل لان ذلك كان عادة قومه وعرفهم ومن كان عرفه بخلاف ذلك فليعمل على عرفه قال الشيخ على الاجهورى فى حاشيته على الرسالة تبعا للحطاب فى حاشيته عليها انما يحبس الشعر اليوم غالبا من لا خلاق له أو من ليس من أهل العلم أو لغرض فاسد وقليل من يفعله اتباعا للسنة فيكون الحلق أولى لعدم التشبه بمن ذكر أى خلافا لمن قال بالمنع أو بالكراهة وليس بمثله والا لما جاز فى حج ولا عمرة

(باب ما جاء فى ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الترجل

أوقية أربعون درهماً وما تقدم من أن والدها هو الذي زوّجها اياه هو الذي في سيرة الزهري والذي عليه الأكثر وصححه السهيلي ان الذي زوّجها هو عمها عمرو بن أسد

(فأماطت عنها الخمار لتدري
أهو الوحي أم هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس
جبريـل فما عاد أو أعيد الغطاء)

اى ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه لما اتاه جبريل ليلقي اليه الوحي وكان عندها من الايمان علم اليقين فأحبت ان تنتقل الى عين اليقين وكيف لاتريد هذه المرتبة العلية. ولصاحب اللب اى العاقل الكامل في الامور اى الاحوال التي قد تشتبه ارتياء اى استبصار وفراسة يميز بها حسنها من قبيحها وهذا الشطر جملة اعتراضية مناسبة لما قبلها وما بعدها وفيه حكمة ومثل فبسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل اماطت اى ازالت عن رأسها ما تخمره به اى تغطيه به لتدري اى لكي تعلم عين اليقين أهو اى هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى أخرجه عن حالته المألوفة منه الوحي اى حامله وامينه الذي كان يأتي به الانبياء قبله ام هي معادلة الهمزة المطلوب بهما التعيين والاغماء هو من الامراض العادية ومن ثم جاز على الانبياء دون الجنون فبسبب ازالتها الخمار عن رأسها اختفى جبريل عند كشف خديجة رأسها فما عاد الى ان اعادت غطاء رأسها فاعيد ماض مبني للمفعول والغطاء نائبه وقد ادخل الناظم أو التي بمعنى الى على الماضي والمعروف عند النحاة انها لاتدخل الا على المضارع نحو لألزمنك او تعطيني حقي فالمعنى فما عاد او يعاد الغطاء انتهى كلام ابن حجر

الترجل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه وفي المشارق رجل شعره اذا مشطه بماء أو دهن ليلين ويرسل الثائر ويمتد المنقبض قال العسقلاني نقلاً عن ابن بطال هو من باب النظافة وقد ندب اليه الشرع اه أى بقوله النظافة من الدين وأخرج أبو داود بسند حسن عن أبي هريرة رفعه من كان له شعر فليكرمه وفي الموطا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً ثائر الرأس واللحية فأشار اليه باصلاح رأسه ولحيته وهو مرسل صحيح السند وله شاهد من حديث جابر أخرجه أبو داود والنسائي بسند حسن ثم قال العسقلاني وأما حديث النهي عن الترجل الا غبا فالمراد به ترك المبالغة في الترفه قال في جمع الوسائل يعني المشعر بأنه من هوى النفس والمشير بأنه في تنظيف الباطن أولى والمومي الى الجمع بينه وبين ما ورد من حديث البذاذة من الايمان وهي رثاثة الهيئة وترك الترفه والتواضع مع القدرة لا بسبب جحد النعمة ووقع في أبي داود من حديث عبد الله بن بريدة قال قال رجل لفضالة بن عبيد مالي أراك شعثا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهانا عن كثير من الارفاه بكسر الهمزة وسكون الراء بعدها فاء وآخره هاء التنعم وقيد في الحديث بكثير اشارة الى أن الوسط المعتدل منه لا يذم وبذلك يجمع بين الاخبار اه وسيأتي الكلام على حديث نهى عن الترجل الا غبا * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري نا معن) بن عيسى بن يحيى الاشجعي مولاهم ثقة ثبت كان يتوسد عتبة الامام مالك فلم يلفظ بشيء الا كتبه (نا مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شعره (وأنا حائض) يستفاد منه أن القرب المنهي عنه في قوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن قرب خاص لا مطلق القرب وفي صحيح البخاري عن عائشة كان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض وكان يخرج رأسه الي وهو معتكف فأغسله وأنا حائض وهذا توسط بين جانبي الافراط والتفريط فان اليهود لا يقربون الحائض بوجه والنصارى لا يتحاشون من جماع الحائض فجاء الشرع بمنع الجماع دون غيره وفي حديث البخاري دلالة على طهارة بدن الحائض وعرقها وأن المباشرة الممنوعة للمعتكف هي الجماع ومقدماته وأن الحائض لا تدخل المسجد وفيه جواز استخدام المرأة في الترجيل ونحوه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حائض) كذا في بعض النسخ وهو تكرار مع الحديث قبله الا أن الاول عن هشام عن عروة

(فاستبانت خديجة انه الكنـز الذي حاولته والكيمياء)

اى لما اختفى جبريل عند القاء الخمار علمت خديجة وظهر لها اتم ظهور ان ما يعرض للنبى صلى الله عليه وسلم الذى طلبت الوقوف فيه على عين اليقين الكنز اى الشئ النفيس الذى لا أنفس منه الذى حاولته اى ارادت حيازته والظفر به وانه الكيمياء وهو العلم البديع الذى يقلب الاعيان الرديئة الى الاعيان النفيسة واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيمياء وهو العلم المعروف للوحى لان بهما تحصل الذخائر النفيسة المنتفع بها حالا ومآلا كما ان الوحى كذلك وايضا هما لا يظفر بهما الا الفذ النادر كما ان الوحى لا يظفر به الا اكمل البشر وهم فى غاية الندرة والقلة بالنسبة لبقية الناس ويحتمل أن يكون اسم ان عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الاختبار الذى وقع من خديجة رواه اصحاب السير عنها انها علمت من عمها ورقة ان جبريل لا يحضر محلا فيه امرأة مكشوفة الرأس فلذا فعلت ما ذكره الناظم ثم اعلم ان السيدة خديجة رضى الله عنها ملكت امر نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم كما أنفقت عليه مالها وأتمنته فيما قال لها وامتثلت أوامره فيما امرها وتلك آية صدق المحبة وعلامة صحتها اذ علامة بيع الروح وتسليمها ايثار رضا المحبوب على هوى النفس حتى لا يبقى للمحب غرض فى غير رضا محبوبه فالروح اول ثمن المحبة فمن عزت عليه روحه فهو مفلس فى سوق المحبة فلا يطمع فى تحصيلها اذ لا ثمن عنده والسلعة نفيسة عزيزة لها تجار يرصدونها فلا يصل اليها المطالون ولا يظفر بها المفلسون والشئ العزيز النفيس يكثر المدعون لتحصيله

بعضهم

وهذا عن ابن شهاب عن عروة قال بعض وكلاهما مستقيم لان مالكا أخذ العلم عن محمد بن شهاب الزهرى وعن هشام بن عروة وأخذ كل منهما عن عروة وقال فى جمع الوسائل بمجرد صحة رواية مالك عن الزهرى لا يصح أن يكون هنا سند آخر والصواب أنه خطأ من الناسخ صحف هشاما بشهاب فجمع بينهما بعض النساخ فتوهم أنهما سندان ويدل على بطلان تعدد السند هنا عدم ذكر الشراح مع اتفاقهم على أن أحاديث الباب خمسة وهذا فائدة التعداد * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا الربيع بن صبيح) بفتح الصاد (عن يزيد بن أبان) على وزن سحاب مصروف (هو الرقاشى) بفتح الراء وبقاف مخففة منسوب الى رقاش (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن) بفتح الدال استعمال الدهن بضمها (رأسه وتسريح لحيته) بالنصب عطف على دهن وجره خطأ قال العسقلانى ذكر ابن الجوزى فى كتاب الوفاء عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مضجعه من الليل وضع له سواكه وطهوره ومشطه فاذا انبهه الله عز وجل من الليل استاك وتوضأ وامتشط وأخرج الخطيب البغدادى فى الكفاية عن عائشة قالت خمس لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يدعهن فى سفر ولا حضر المرآة والمكحلة والمشط والمدرى والسواك وفى رواية وقارورة دهن بدل المدرى وأخرج الطبرانى فى الاوسط من وجه آخر عن عائشة قالت كان لا يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ومشطه وكان ينظر فى المرآة اذا سرح لحيته اه ملخص ما قاله العسقلانى قال فى جمع الوسائل وقال ميرك أورد ابن الجوزى فى الوفاء رواية الخطيب من طريق أبى ابراهيم الترجمانى قال نا حسين بن علوان عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سبع لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركهن فى سفر ولا حضر القارورة والمشط والمرآة والمكحلة والسواك والمقص والمدرى قلت لهشام المدرى ما باله قال نى أبى عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له وفرة الى شحمة أذنيه فكان يحركها بالمدرى وهو بكسر الميم وسكون المهملة عود تدخله المرأة فى رأسها لئلا ينضم بعض شعرها الى بعض والمقص بكسر الميم آلة القص بمعنى القطع وهو المقراض (ويكثر القناع) أى لبسه واستعماله وهو خرقة تلقى على الرأس تحت العمامة بعد استعمال الدهن وقاية للعمامة من أثر الدهن واتساخها به (حتى) غاية ليكثر (كأن ثوبه ثوب زيات) بفتح الزاى وتشديد الياء أى صانع الزيت أو بائعه واختلف الشيوخ ما المراد بهذا الثوب فقرره

بعضهم على أن المراد به ما جاور عنقه من القميص والرداء منه لا لانتشار الدهن اليه لكثرته وملابسة قناعه قال وهذا هو الذى يدل عليه سياق كثير من الاحاديث ولو أريد بالثوب القناع نفسه لكان المناسب أن يقال حتى كأنه ثوب زيات وقرره آخرون على أن المراد بالثوب القناع نفسه لان المناسب لنظافته صلى الله عليه وسلم أن لا يكون ثوبه كثوب زيات ولو أريد المعنى الاول لم يكن لذكر القناع فائدة ولكان المناسب أن يقال كان يكثر دهن رأسه حتى كان ثوبه ثوب زيات وقال بعضهم الربيع بن صبيح كان عابدا ولم يكن الحديث من صناعته فوقع فى حديثه المنا كير من حيث لا يشعر كما قال ابن حبان ومن منا كيره قوله فى هذا الحديث كأن ثوبه ثوب زيات فان النبى صلى الله عليه وسلم كان أنظف الناس ثوبا وأحسنهم هيئة وأجملهم سمتا وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال ما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه وقال صلى الله عليه وسلم أصلحوا ثيابكم حتى تكونوا كالشامة بين الناس لكن زيف شارح المصابيح كونه منكرا بايراد البغوى اياه فى المصابيح من غير تعرض لضعفه وكذا فى شرح السنة وبايراد الترمذى فى جامعه وفى جامع الاصول من غير تعرض لهذا على أن الربيع لم يتفرد به بل له متابع عند ابن سعد أخرجه من طريق عمر بن حفص العبدى عن يزيد بن أبان عن أنس بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر التقنع بثوب حتى كأن ثوبه ثوب زيات أودهان اهـ هذا ملخص ما فى جمع الوسائل قال فى سمط الجوهر الفاخر قال الفقهاء من قال ان ثوب النبى صلى الله عليه وسلم وسخ يريد بذلك عيبه قتل كفر الاحذا وقد نصوا على انه كان لا يتسخ له ثوب لانه كان لا يبدو منه الا طيب انتهى * قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا أبو الاحوص عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه) هو أبو الشعثاء اسمه سليم بن عامر وغلط من قال انه أدرك النبى صلى الله عليه وسلم (عن مسروق) سرق فى صغره فسمى بذلك وكان أعلم بالفتيا من شريح ثقة عابد مخضرم (عن عائشة قالت ان) مخففة من الثقيلة بدليل اللام بعدها اوهى مهملة أو اسمها ضمير الشأن محذوف (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحب التيمن) أى الابتداء باليمين لانها مشتقة من اليمن وهو البركة وتفاؤلا بأصحاب اليمين لانهم أهل الجنة يؤتون كتابهم بيمينهم أو لمزية مزيد قوتها المقتضية لمزيد اكرامها بمقتضى العدل لكن هذا انما يأتى فى اليد ولا يأتى فى غيرها مما يأتى انه يطلب فيه التيمن فاليمين وما نسب اليها وما اشتق منها محمود ممدوح لغة وشرعا

والانتساب اليه لعزته وتنافسه فلذلك طولب المدعون للمحبة باقامة البينة على صحة دعواهم فان دعواهم تقتضى انهم بذلوا أرواحهم وذلك أمر خفى بينته ايثار رضا المحبوب وصيرورة هوى المحب تابعا له كما تقتضيه قاعدة الملك قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فعند ذلك افتضح كثير من المدعين وظهر عجزهم والصادقون منهم أقاموا البينة بمتابعة الحبيب فى أقواله وأفعاله واخلاقه فطولبوا بتزكية البينة وتزكية شهودها وذلك بالجهاد فى سبيل الله لا يخافون لومة لائم والجهاد جهاد العدو وجهاد النفس وذلك هو بيعها لله تعالى المشار له بآية ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة فلما عرفوا جلالة المشترى وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضى من غير ثبوت خيار فقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلم المبيع قيل لهم قد صارت نفوسكم واموالكم لنا ورددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية قال الشيخ زروق وقد قيل من الحكمة فى اشترائه مع أن الملك ملكه ثلاثة أشياء (أحدها) البشارة بعدم الرد بالعيب لان المشترى عالم (الثانى) ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره اذ لا يتم بيع الا بعد تسليم ولا كفالة الا بعد اقباض (الثالث) اظهارة تمام الفضل فى ظهور النسبة الى الله تعالى اهـ وانظر شرح همزية شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله * (فائدة) * قال ابن عبد البر اتفقوا على أن خديجة أول من آمن مطلقا وقال ابن الاثير خديجة أول خلق الله اسلاما باجماع المسلمين ولم يتقدمها رجل ولا امرأة وكذلك حكى هذا

الاجماع الذهبي والثعلبي وانما اختلفوا فيمن أسلم بعدها وقال ابن الصلاح وأصله للطبراني الاولى التوفيق بين الروايات
كلها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة وأول ذكر أسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفيا
باسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم واظهر اسلامه أبو بكر وأول من اسلم من الموالي زيد بن حارثة

ودنيا وآخرة والشمال على النقيض وقد شرف الله أهل الجنة بنسبتهم اليها كما ذم أهل النار بنسبتهم الى الشمال فقال ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وعكس في أصحاب الشمال زاد البخاري في رواية له ما استطاع فنبه على المحافظة على ذلك ما لم يمنع مانع وستأتي هذه الرواية في النعل ويأتي شرحها بأتم مما هنا فانظره هنالك (في طهوره) بضم الطاء وفتحها أي تطهره وقد يستعمل المفتوح اسما للماء يتطهر به فيحتاج الى تقدير مضاف أي استعماله (اذا تطهر) أي وقت اشتغاله بالطهارة وهو شامل للوضوء والغسل والتيمم وهذا بالنسبة لليدين والرجلين دون الخدين والاذنين (وفي ترجله) أي تسريح شعر رأسه ولحيته (اذا ترجل) أي وقت ايجاد هذا الفعل وفي معناه الادهان (وفي انتعاله) أي لبسه النعل (اذا انتعل) فيه احتراز من الانخلاع بأنه يبدأ باليسار تشريفا لليمين ولا خصوصية للطهور والترجل والانتعال بهذا بل كل ما كان من قبيل التكريم حكمه كذلك ويدل على العموم رواية الشيخين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في تنعله وترجله وفي طهوره وفي شأنه كله ويدل على استثناء ما ليس من باب التكريم ما رواه أبو داود عن عائشة قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى قال النووي هذه قاعدة شرعية وهي ان ما كان من باب التكريم والتشريف كلبس الثوب والسراويل والخف والانتعال ودخول المسجد والسواك وتقليم الاظفار وقص الشارب وترجيل الشعر ونتف الابط وحلق الرأس والسلام من الصلاة وغسل أعضاء الطهارة والخروج من الخلاء والاكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الاسود وغير ذلك مما هو في معناه يستحب التيامن فيه فأما ما كان بضده مثل دخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء وخلع الثوب والسراويل والخف وأخذ النعلين وغسل الرجلين في الطهارة وما أشبه ذلك فيستحب التياسر فيه وذلك كله من كرامة اليمين وشرفها اهـ وقيل ان حلق الرأس من باب الخلع فيستحب فيه التياسر لا من باب التحسين وانظر حكاية أبي حنيفة مع الحجام فقد ذكرها القلشاني وغيره * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد) ابن فروخ بفتح الفاء وضم الراء المشددة (عن هشام بن حسان) الظاهر انه فعال للمبالغة من الحسن فيصرف لان النون أصلية وان كان فعلان من الحس بتشديد السين فلا يصرف ونظيره انه قيل لبعضهم أتصرف عفان قال نعم ان هجوته لا ان مدحته لانه على

ومن العبيد بلال وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجتك قد أتتك باناء فيه طعام أو ادام وتمرات فاذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللؤلؤ المجوف وجاء من وجوه انه صلى الله عليه وسلم قال أفضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون قال الشيخ ولي الدين العراقي خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار وقيل عائشة وكذا صحح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرا منها لا والله ما رزقني الله خيرا منها الخ وجمع أبو امامة بن النقاش بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الاسلام وموازرتها ونصرتها وقيامها في الدين لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين وتأثير عائشة في أخذ الاسلام وحمل الدين وتبليغه الى الامة وادراكها من الامة ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به دون غيرها وفي حديث الحلية ومثله في الاستيعاب خطابا لفاطمة يا بنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين فقالت يا أبت فأين مريم بنت عمران قال تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك

الاول من العفونة وعلى الثانى من العفة (عن الحسن) أى البصرى كما فى نسخة وهو أنصارى مولاهم قال الفضيل بن عياض أدرك الحسن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وثلاثين وهو أفضل التابعين أو من أفضلهم كانت أمه خادم أم سلمة فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فيه فبورك فيه حتى صار عالما زاهدا فقيها فصيحا تضرب الامثال بنسكه مات بالبصرة سنة ستين أو خمس وسبعين (عن عبد الله بن مغفل) من أهل بيعة الرضوان (قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الترجل) أى تسريح الشعر (الاغبا) اى وقتا بعد وقت ومنه حديث زر غبا تزدد حبا رواه جماعة وقيل هو ان يفعل يوما ويترك يوما وأصله ورود الابل الماء يوما وتركه يوما ثم صار يستعمل فى فعل الشئ مرة وتركه أخرى قال ابن العربى موالاته تصنع وتركه تدنس واغبابه سنة وقال عياض المراد النهى عن المواظبة عليه والاهتمام به لانه مبالغة فى التزين اهـ وهذا فى حق الرجال وأما النساء فذلك الشأن فيهن * قال المصنف (حدثنا الحسن بن عرفة) بمهملتين مفتوحتين ثم فاء (نا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن أبى خالد) قال بعضهم الصواب اسقاط لفظ ابن لان أبا خالد كنية يزيد لا أبوه (عن أبى العلاء الاودى عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل) قيل هو الحكم بن عمرو وقيل عبد الله بن سرجس وقيل عبد الله بن مغفل وهو الاقرب للحديث الذى قبله (من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم) وأصحابه رضى الله عنهم كلهم عدول فيصح الاحتجاج بالحديث ولا يضر الجهل بالصحابى خلافا لمن غفل فقال الحديث لا يحتج به للجهل فى اسناده (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يترجل غبا) وفى رواية النسائى عن حميد بن عبد الرحمن قال لقيت رجلا صحب النبى صلى الله عليه وسلم كما صحبه أبو هريرة أربع سنين قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمتشط أحدنا كل يوم * قال فى جمع الوسائل تنبيه ورد بسند ضعيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتنور وكان اذا كثر شعره أى شعر عانته حلقه لكن صح أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا طلى بدأ بعانته فطلاها بالنورة وأعل بالارسال وهو لا يضر لان المرسل حجة عند الجمهور وأما خبر أنه صلى الله عليه وسلم دخل حمام الجحفة فموضوع باتفاق الحفاظ وان وقع فى كلام الدميرى قال ابن حجر ولم تعرف العرب الحمام ببلادهم ولا بعد موته صلى الله عليه وسلم

(باب ما جاء فى شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى ما جاء من الاخبار الواردة فى تحقيق شيبه ومعناه كون الشعر أبيض والمحصل من

اهـ وهو صريح فى تفضيل فاطمة على اخواتها وعلى عائشة ويبقى النظر فيما بينها وبين أمها خديجة لحديث البخارى خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة اى نساء عالمها والتفضيل بلفظ السيادة أرجح فى جانب فاطمة مع ضميمة كونها بضعة ورجحان كونها افضل من مريم أظهر لفضيلة نساء هذه الامة وقد فضلت امها التى فضلتها فكيف لا تفضل مريم التى فضلت المفضول وهو نساء عالمها وتبين بهذا ايضا انتفاء نبوة مريم والا لما سويت بخديجة فى الحديث المذكور وكذا لا يلزم التساوى مع اخواتها الا ان اطلاق البضعة فى حقها يفيد مزيد شبه به فى اخلاقه الكريمة وخلقه ولذلك قالت عائشة ما رأيت أصدق لهجة من فاطمة بعد أبيها وذكر علم الدين العراقى ان فاطمة وأخاها ابراهيم افضل من الخلفاء الاربعة وروى عن مالك انه قال لما سئل عن ذلك لا أفضل على بضعة من النبى احدا قال بعض العارفين أما من حيث المعارف والاسرار الربانية فأبو بكر افضل ثم هم على الترتيب وأما من حيث البضعة ففاطمة افضل فكأنه يريد فاطمة أشرف من حيث الجوهر والجسم وابو بكر أشرف من حيث العرض القائم بالجسم والسر المتوارد عليه اهـ ومن معنى هذا ما فى نوازل النكاح من المعيار من قول عمر فى رسالته لعلى عند توقفه عن مبايعة ابى بكر رضى الله عنهم ولعمرى انك اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ولكنه اقرب منك قربة قال ابو عبد الله محمد ابن القاضى عياض القرابة لحم ودم والقربة روح ونفس اهـ وفى الاتقان للسيوطى ما نصه استدل الامام فخر الدين الرازى بقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى مع قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم على ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه افضل الناس بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الآية الاولى نزلت فيه باجماع اه قلت ويتركب من الآيتين قياس من الشكل الاول
وهو ابو بكر اتقى الناس بحكم الآية الاولى لان الحذف يقتضى العموم حتى يقوم دليل على الخصوص والمفضل عليه فى
الآية محذوف فيقدر عاما وكل من كان اتقى من غيره فهو اكرم منه بمقتضى الآية الثانية ينتج

ابو بكر اكرم من غيره اى من
الامة وهو المطلوب *(تنبيه)*
قال ابو عمر اجمعوا على ان
خديجة ولدت له صلى الله عليه
وسلم اربع بنات كلهن ادركن
الاسلام وهاجرن وهن زينب
وفاطمة ورقية وام كلثوم
واجمعوا على انها ولدت له ابنا
يسمى القاسم وبه كان يكنى صلى
الله عليه وسلم وقال عقيل عن
ابن شهاب ولدت له خديجة
فاطمة وزينب وام كلثوم
ورقية والقاسم والطاهر
وكانت زينب اكبر بنات رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
الزبير ولد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم القاسم وهو اكبر
ولده ثم زينب ثم عبد الله وكان
يقال له الطيب ويقال له الطاهر
ولد بعد النبوة ثم أم كلثوم ثم
فاطمة ثم رقية هكذا الاول
فالاول ثم مات القاسم بمكة وهو
أول ميت مات من ولده ثم عبد الله
مات أيضا بمكة اه وولد للنبى
صلى الله عليه وسلم ابراهيم من
مارية القبطية وانظر تفصيل
ذلك فى المواهب وتوفيت خديجة
رضى الله عنها فى السنة الحادية
عشرة من البعثة بعد موت عمه أبى طالب بثلاثة أيام وذكر فى المواهب انه روى
مرفوعا انما سميت فاطمة لان الله قد فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة أخرجه الحافظ الدمشقى وروى الغسانى مرفوعا
لان الله قد فطمها ومحبيها عن النار وسميت بتولا لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا وحسبا وقيل لانقطاعها عن الدنيا

الروايات ان شيبه صلى الله عليه وسلم كان فى ثلاثة مواضع فى مفرق رأسه وفى الصدغين وفى العنفقة وهى ما بين الذقن والشفة السفلى وكان فيها أكثر من غيرها *قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود) الطيالسى لانه سمع همام بن يحيى دون المصاحفى واسمه سليمان بن داود (نا همام) بن أبى يحيى به يتميز عن همام بن منبه (عن قتادة قال قلت لانس بن مالك هل خضب) بفتح الضاد أى صبغ (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى شعره (قال لم يبلغ ذلك) الضمير المستكن فى لم يبلغ للنبى أو للشيب المذكور حكما بقرينة خضب والمشار اليه بذلك هو الخضاب المستفاد من خضب ويدل على ما ذكرنا من ان الاشارة بذلك للخضاب ما فى مسلم من رواية محمد بن سيرين قال سألت أنس بن مالك هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب فقال لم يبلغ الخضاب أى حده (انما كان) أى شيبه (شيأ) أى قليلا (فى صدغيه) تثنية صدغ وهو ما بين العين والاذن ويسمى الشعر النابت عليه أيضا صدغا وهو المراد هنا وفى رواية شيأ فى صدغيه أى بياضا يسيرا وفى رواية للبخارى انما كان شئ بالرفع أى شئ من الشيب واعلم ان فى هذا الحديث اشكالين أحدهما ان هذا الحصر ينافى ما سيأتى عن أنس انه ما عد فى رأسه ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء وما فى البخارى من أن البياض كان فى عنفقته والثانى ان كلام أنس يقتضى نفى خضابه صلى الله عليه وسلم وسيأتى خلافه عن ابن عمر فى الصحيحين وغيره والجواب ما أشار اليه العسقلانى ونصه وجه الجمع ما وقع عند مسلم عن أنس قال لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان البياض فى عنفقته نبذ بضم ففتح أو بفتح فسكون أى شعرات متفرقة وعرف من مجموع ذلك أن الذى شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها ومراد أنس انه لم يكن فى شعره ما يحتاج الى الخضاب وقد صرح بذلك فى رواية محمد بن سيرين قال سألت أنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب قال لم يبلغ الخضاب ولمسلم من طريق حماد عن ثابت عن أنس لو شئت ان أعد شمطات كن فى رأسه لفعلت زاد ابن سعد والحاكم ما شانه بالشيب ولمسلم من حديث جابر بن سمرة قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين فان لم يدهن تبين انتهى كلامه قال بعضهم لم يظهر لى وجه الجمع بما ذكر وقال فى جمع الوسائل والذى يظهر لى ان مراده والله أعلم ان هذا الحديث مقتطع من حديث طويل لانس فالجمع باعتبار المجموع قال ثم كلام العسقلانى متضمن للجواب عن اشكال آخر وهو انه قد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم خضب كما سيأتى فى باب الخضاب

فكيف

(ثم قام النبى يدعو الى الله وفى الكفر نجدة واباء * أمماً أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء) (٧٧)

اى ثم بعد نزول أول الوحى ووقوع الفترة ونزول قوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ قام النبى صلى الله عليه وسلم بجد واجتهاد فى حال كونه يدعو الى عبادة الله والايمان به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وفى الكفر نجدة أى قوة تامة واباء أى امتناع من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به ومفعول يدعو امما أى جماعات هم أمة الدعوة من وصفهم انهم حينئذ أشربت بالبناء للمفعول قلوبهم الكفر أى اختلطت به بتقدير تجسمه وتمكن فيها حبه حتى صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ فداء الضلال الذى استقر فيهم أى مرضه داء وبرؤه عياء بمهملة مفتوحة فتحتية أى داء عضال اعيا الاطباء مداواته والمعنى انه صلى الله عليه وسلم قام نذيرا يدعو الخلق الى الله تعالى امتثالا لقوله له قم فانذر وانما اقتصر على ذكر الانذار لانه الثابت اذ ذاك اذ لم يكن على وجه الارض مؤمن يستحق التبشير ومن المعلوم ان الارض كانت مملوءة بطوائف الكفار وصناديد الطغاة والعتاة فقام صلى الله عليه وسلم يخرجهم عن أديانهم وهو وحده لا وزير له ولا اتباع فى الارض وهو مع ذلك ثابت القلب قوى العزم لا يخاف فى الله لومة لائم ولا يخشى عناد معاند ولا انكار منكر مع ان أهل الشر والعناد

فكيف يجمع بينه وبين قول أنس انه لم يخضب فأشار الى الجواب بأن مراد أنس انه لم يكن فى شعره ما يحتاج الى الخضاب بمعنى انه لم يكثر شيبه صلى الله عليه وسلم وهذا لا ينافى انه خضب وأما قول ابن حجر قول أنس لم يخضب انما قاله بحسب علمه فبعيد جدا لان أنسا خادم ملازم له صلى الله عليه وسلم فكيف يخفى عليه مثل هذا ويطلع عليه غيره ثم يمكن أن يقال من نفى الصبغ أراد نفيه بصفة الدوام والاغلبية ومن أثبته أراد اثباته بطريق الندرة فلا منافاة وقد ثبت عن ابن عمر فى الصحيحين انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة وأما احتمال أن يكون مراده يصبغ الثوب لا الشعر فيرد بأنه ثبت عن ابن عمر انه كان يصفر لحيته انتهى ملخصا وقد تقدم لنا فى شرح الحديث الاول ان حكمة عدم كثرة شيبه صلى الله عليه وسلم الرفق بأزواجه فان النساء يكرهن الشيب طبعا وجبلة لما فيه من ازالة بهجة الشباب ورونقه ومفارقة القوى والانذار بقرب الاجل فان الشيب عنوان الموت وقد شرح هذا المعنى من قال

قالت أرى مسكة الليل البهيم وفت * كافورة أخلقتها راحة الزمن
فقلت طيب بطيب والتبدل فى * روائح الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت ولكن ليت ذاك كذا * المسك للعرس والكافور للكفن

وقال آخر

أعرضت حين أبصرت شعرات * فى عذارى كأنهن الثغام
قلت هذا تبسم الدهر لكن * قد سعى فى صدودك الابتسام

ولا يبعد الجمع الذى ذكره العسقلانى قوله (ولكن أبو بكر خضب) لان معناه انه كثر شيبه وخضب والله أعلم ووجه الاستدراك ان أبا بكر مناسب للنبى صلى الله عليه وسلم وقريب منه فى السن (بالحناء) معروف (والكتم) فى النهاية قال أبو عبيد الكتم بتشديد التاء والمشهور التخفيف واختلفوا فى تفسيره ففى بعض كتب اللغة هو ورق يشبه ورق الآس يصبغ به وفى المهذب هو الوسمة وفى الصحاح الكتم نبت يخلط مع الوسمة وفى النهاية يشبه أن يكون معنى الحديث انه صبغ بكل منهما منفردا عن الآخر فان الخضاب بهما يجعل الشعر أسود وقد صح النهى عن السواد ولعل الحديث بالحناء أو الكتم بأو على التخيير ولكن الروايات على اختلافها بالواو اه وقال العسقلانى الكتم الصرف يوجب سوادا مائلا الى الحمرة والحناء يوجب الحمرة فاستعمالهما يوجب ما بين السواد والحمرة انتهى وعليه فالواو على بابها لا بمعنى أو * (تنبيه) * قول الحنفى ان الانسب بهذا

والطغيان والفساد لهم غاية القوة والشوكة ونهاية الجسارة والجرأة

(ورأينا آياته فاهتدينا * واذا الحق جاء زال المراء رب ان الهدى هداك وآيا * تك نور تهدى بها من تشاء)

اى ورأينا معشر الامة أى أبصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة آياته أى معجزاته وخلقه وبديع صفاته فاهتدينا أى وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا الى ذلك لانا أصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لامرية فيه ولا شبهة فعلمنا انه اذا جاء الحق زهق الباطل وزال المراء أى الضلال والجدال فيه وهذا فيه تعريض بمن لم يؤمن مع مشاهدته ماذكروا لكن يارب ان الهدى أى اتباع الحق ليس الا توفيقك وهدايتك كما قلت فى كتابك العزيز فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وان آياتك التى أقمتها أدلة على صدق أنبيائك نور كما قلت قد جاءكم من الله نور تهدى بها من تشاء هدايته وتضل عنها من تشاء هدايته وفيه اقتباس

(كم رأينا ما ليس يعقل قد أل‍ * ‍هم ما ليس يلهم العقلاء
اذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفي‍ * ‍ل ولم ينفع الحجا والذكاء)

لما ذكر ان الهدى هدى الله وانه يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الآيات وحدها لا تجزى شيأ ذكر ما يستغرب من ذلك وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم مرة أى مرارا كثيرة رأينا أى علمنا أو أبصرنا ما أى شخصا ليس يعقل أصلا كالحيوان والجماد قد ألهم من المصالح والجملة فى موضع نصب مفعول ثان لرأى وما الثانية مفعول (يارسول

الحديث باب الخضاب قال فى جمع الوسائل فيه انه لما كان الشيب مثبتا فى هذا الحديث ناسب ذكره فى هذا الباب وموضوع ذلك الباب انما هو ثبوت الخضاب اه بالمعنى * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور ويحيى بن موسى قالا نا عبد الرزاق) هو ابن همام بن نافع الحميرى مولاهم ثقة حافظ كبير مصنف شهير روى الستة حديثه قال العصام وكان يتشيع والله أعلم (عن معمر عن ثابت عن أنس قال ما عددت فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء) هذا لا ينافى قوله فى صدر الكتاب وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء الذى هو بحسب العرف فى معنى نحو العشرين لان الاربع عشرة نحو العشرين لانها أكثر من نصفها ثم قدمنا هنالك انه روى عن أنس ما شانه الله بالشيب ما كان فى رأسه ولحيته الا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء الا أن يكون هذا بحسب الظن والتخمين وما ذكره هنا اخبار عما تحصل عنده بالعد والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا أبو داود نا شعبة عن سماك بن حرب قال سمعت جابر بن سمرة سئل) فى نسخة وسئل (عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان اذا دهن رأسه) بفتح الهاء أى طلاه بالدهن وأما ادهن بتشديد الدال فهو وان كان بمعنى استعمل الدهن لكنه لازم فلا ينصب المفعول فلا يصح هنا دراية وان زعم بعض انه ثابت رواية والظاهر انه انما روى فى حديث ليس فيه ذكر الرأس وسياق (لم ير منه شيب) لالتباس بياضه بلمعان الشعر من الدهن (فاذا لم يدهن) بضم الهاء (رئى منه) يفهم من الحديث قلة شيب رأسه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن عمر بن الوليد الكندى) بكسر الكاف منسوب الى كندة قبيلة من العرب (الكوفى نا يحيى بن آدم عن شريك عن عبيد الله بن عمر) بن حفص ابن عاصم بن عمر بن الخطاب ثقة ثبت قدمه أحمد بن صالح على مالك عن نافع وقدمه ابن معين على القاسم عن عائشة وعلى الزهرى عن عروة عنها (عن نافع) مولى ابن عمر (عن ابن عمر) بن الخطاب ولد بعد البعثة بيسير قيل شهد أحدا وما بعده وقيل شهد الخندق وما بعده وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف وستمائة وثلاثون حديثا (قال انما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء) سبق الكلام عليه * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبى اسحق) السبيعى (عن عكرمة) مولى ابن عباس من كبار التابعين (عن ابن عباس قال قال أبو بكر) لرقة قلبه وشدة شفقته على قرة عينه صلى الله عليه وسلم

ألهـم واذظرف أو علة وأبى امتنع الفيـل مما أتى اليـه أى عزم عليه صاحبـه وهو أبرهة الحبشى والذى أتى اليه صاحب
الفيـل فامتنع الفيل منه هو هدم الـكعبة وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وبين أتى وأبى الجناس المصحف كقوله تعالى وهم
يحسـبون انهم يحسنون صـنعا ولم ينفع الحجا أى العـقل الوافر والذكاء اللذان اتصف بهما من لم
يوفق لما وفق له الفيـل وقصـة الفيـل معروفة مشهورة فى كتب التفسير والسـيرة مسـطورة انظرها فى أوائـل المواهب

(يارسول الله قد شبت) أى ظهر فيك شيب وهذا لا ينافى ماسبق من قلة شيبه صـلى الله عليه وسـلم فلا يحتاج الى قوله فى جمع الوسائل ان معنى قوله شبت ظهر فيك أثر الشيب من الثقل وضعف البدن ونحوهما فلا ينافى ماسبق من قلة الشيب اه وقد تكون حكمة سؤال أبى بكر رضى الله عنه عن ذلك ان مزاجه صـلى الله عليه وسـلم اعتدلت فيه الامزجة والطبائع الاربعة واعتقد الهامستلزم لعدم الشيب قبل أوانه فكانه يقول مقتضى اعتـدال مزاجك أن لا يظهر فيك شيب الآن فأجابه صلى الله عليه وسلم بانه انما ظهر قبل أوانه اللائق باعتـدال مزاجه لعارض اهتمامه بأمر أمته وملاحظة عاقبة أمرهـم وما آلهم وشدة خوفه وشفقته عليهـم أن يصيبهم شئ مما نزل بغيرهم من الامم حسبما قصه الله علينا فى كتابه فى سورة هود وغـيرها من السور التى ذكر فيها ذلك ولهذا (قال) صلى الله عليه وسلم (شيبتنى هود) بالتنوين ان كان اسما للنبى ويكون على حذف مضاف أى سورة هود وبدونه ان كان علما على السورة (والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت) وأما قول ابن حجر ان اعتدال المزاج مستلزم لعدم الشيب ولو فى أوانه فغير صحيح لان الاعتـدال انما يقتضى الاعتـدال بأن لا يتقدم على أوانه ولا يتأخر عن أوانه ولا يقتضى عدم الشيب ولو فى أوانه اللائق بالاعتدال قاله فى جمع الوسائل ثم المراد هـذه السور وأمثالها مما يدل على أحوال القيامـة وأهوالها أو على أنواع العـقوبات والمثلات التى نزلت بالامم السالفة وليس المراد خصوص هـذه السور بدليـل الرواية الآتيـة وهى قوله شيبتنى هود وأخواتها وقد أخرج ابن سعد عن أنس قال قال أبو بكر بأبى وأمى ما أخواتها قال الواقعـة والقارعـة وسأل سائل واذا الشمس كورت وقد علمت ان القارعـة وسأل سائل غـير مـذكورتين فى السور المذكورة هنا وأما قول ابن حجر كان وجـه تخصيص هذه السور بالذكر انه صـلى الله عليـه وسـلم حالة اخباره بذلك لم يكن أنزل عليـه مما يشتمل على ما مر غيرها فغير صحيح اذ لاشك ان السؤال كان بالمدينـة والسور المكية هى التى تشتمـل على وقائع الامم السالفة كالشعراء وطه والانبياء والقصص وغـيرها والمدنيات منحصرة فى الخمس الاول وفى الرعـد والفتح والتى قبلها وبعدها والرحمن والحـديد وقد سمع والحشر والنصر وليس فى شئ منها ما يناسب المذكور فى غيرها قاله فى جمع الوسائل والاحاديث فى شـدة اهتمامه صـلى الله عليه وسـلم بأمته واعتنائه بامورهم وشفقته عليهـم ورحمته بهـم كثيرة مشهورة وقـد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت فقدت ليـلة أطلب النبى

(والجمادات أفصحت بالذى أخرس عنه لاحمد الفصحاء)

أفصحت أى نطقت بكلام فصيح من غـير حياة أنطقها الله الذى أنطق كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده أو بخلق الحياة والادراك كما يدل عليـه حنين الجذع ولذا التزمه النبى صلى الله عليه وسـلم وضمه اليـه وبشره وافصاحها كان بالشهادة بالانباء والارسال الذى أخرس عنه الفصحاء فهو نائب فاعـل أخرس ولاحمـد متعلق بأفصحت بمعنى ان العرب مع كونهـم أرباب الفصاحـة وفرسان البـلاغـة امتنعت ألسنتهم من النطق له صـلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة له بالرسالة وشهـدت له بذلك الجمادات الصم بافصح لسان وأبلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى فى يده ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر يسمع تسبيحهن من فى الحلقة رواه جماعة وهو مشهور وصح

عن ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى سماعهم لذلك غاية الكرامة لهـم
وصح أيضا انى لاعرف حجرا بمكة كان يسـلم على قبـل أن أبعث انى لاعرفه الآن قيـل هو الحجر الاسود وقيل البارز بزقاق
المرفق لانه كان بممره صـلى الله عليه وسـلم من دار خديجة الى المسجد وعليـه أهل مكة خلفا عن سلف وصح عن على كرم الله

وجهه كنت امشى مع النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا فى بعض نواحى مكة فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى البزار وأبو نعيم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى البيهقى وابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس وبنيه بملاءته وقال يارب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد أو حراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك الا نبى او صديق أو شهيد وصح انه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل الايمان فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة فدعاها وهو صلى الله عليه وسلم على شاطئ الوادى فأقبلت تخد الارض خدا أى تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت الى منبتها وفى رواية قال اذهب فقل للشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فى ذلك الموضع فاستقرت فقال الاعرابى ائذن لى ان أسجد لك قال لو كنت آمر أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها انظر ابن حجر

صلى الله عليه وسلم وقد خرج من البيت فوجدته بالبقيع فيقول قائما يارب أمتى وساجدا يارب أمتى فقلت يارسول الله وأين القرآن فقد نسيته لاجل هذه الامة فلما سمع قال لى ياعائشة أتعجبين من هذا أقول مادمت فى الحياة يارب أمتى فاذا دخلت القبر قلت يارب أمتى فاذا نفخ فى الصور أقول يارب أمتى وسيأتى للمصنف فى حديث صلاة الكسوف ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويبكى ويقول رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وأنا فيهم رب ألم تعدنى أن لا تعذبهم وهم يستغفرون ونحن نستغفرك وانظر الى ماذكره القرطبى فى التذكرة من قوله صلى الله عليه وسلم فاذا عصف الصراط بأمتى نادوا وامحمداه وامحمداه فأبادر من شدة اشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فأنادى رافعا صوتى رب أمتى رب أمتى لا أسألك اليوم نفسى ولا فاطمة ابنتى انتهى قال شيخنا المحقق فى كتابه الالمام والاعلام بنفثة من بحور علم ماتضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام فيحق على المؤمن اذا سمع بهذا وأمثاله أن تعظم محبته صلى الله عليه وسلم فى قلبه وان يعظمه ويوقره باتباع سنته ولزوم طريقته ولا يسعى الا فيما يرضيه ولا يحب أن يأتيه يوم القيامة الا بما يحب أن يظهر على أمته وان يسعى فى تفريحه وادخال السرور عليه بتفريح أمته وادخال السرور عليهم والاعتناء بأمورهم الدنيوية والاخروية ومن هنا والله أعلم عظم ثواب من دعا للامة حتى كان لمن قال كل يوم على ماروى عن الخضر عليه السلام اللهم اغفر لامة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم أمة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم استر أمة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجبر أمة محمد صلى الله عليه وسلم انه يكتب من الابدال لما فيه من تفريحه صلى الله عليه وسلم بالاعتناء بأمته ومن عمل بهذه النية كثر ثواب عمله وسهل عليه العمل اذ من استحضر انه يرضى محبوبه الجليل العظيم الوجيه الفخيم خف عليه ما كان ثقيلا وقصر فى نظره ما كان طويلا وجاء بما كان به بخيلا انتهى * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا محمد بن بشر عن على بن صالح عن أبى اسحق عن أبى جحيفة) صحابى مشهور كان فى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ روى عنه خمسون حديثا اثنان فى البخارى وثلاثة فى مسلم (قال قالوا) اى الصحابة أو رئيسهم أبو بكر والجمع للتعظيم (يارسول الله نراك) بصرية أو علمية (قد شبت) حال على الاول ومفعول ثان على الثانى (قال شيبتنى هود وأخواتها) أى اشباهها التى ذكر فيها أحوال السعداء والاشقياء وأهوال القيامة كما تقدم والهموم والاحزان اذا تفاقمت الانسان أسرع اليه الشيب

قال

(ويح قوم جفوا نبيا بأرض * ألفته ضبابها والظباء)

ويح منصوب بفعل محذوف أو منادى على حد ياحسرة على العباد أى احضر هذا أوقتك وقد صرح النحاة بأن المصدر

اذا كان بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله ثم يجوز رفع بعضها كويح وفي القاموس ويح لزيد وويحا له
كلمة رحمة ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار فعل اهـ وقال ابن طاهر متى أضفت وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا
لا خبر له انظر المغني وويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل

قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

قال الزمخشري ومما مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر وأصبح أبيضه كالثغامة فقال رأيت القيامة والناس يقادون الى النار بالسلاسل فمن هول ذلك أصبحت كما ترون اهـ وفي هذا الحديث اشارة الى أن من شأن المؤمن العاقل أن يهتم بامر ربه ويجعل الآخرة وأهوالها نصب عينيه وان يستعظم قبيح حالته ويخاف من عاقبة ذلك دنيا وأخرى ولا يأمن ان يكون ممن يصدق عليه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله الآية وقد ذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بأية آية قال قوله فاستقم كما أمرت اهـ فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عصمته ورفعة منزلته يهتم لامر ربه حتى يظهر أثر ذلك في بدنه فكيف بامثالنا الغافلين عن حقوق رب العالمين فنسأل الله سبحانه ان يجعل خلاصنا بفضله وقد قطع خوف الطرد والبعد قلوب أقوام لا يحصون في هذه الامة المشرفة وحكاياتهم في ذلك كثيرة قال عطاء السلمي خرجنا مع عتبة الغلام فبينما نحن نمشي معه ذهب بمكان فسقط مغشيا عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاؤا بماء فنضحوا وجهه فأفاق فسألوه عن أمره فقال اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وأنشدوا

بكت عينه لما بكت عين قلبه * ولولا بكاء العين لم تدر ما به
اذاب بخوف الله صحة جسمه * وأبلى بتقواه رداء شبابه

وقال ميمون بن مهران لما نزل قوله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه ثم خرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدر عليه * قال المصنف

(حدثنا علي بن حجر نا شعيب بن صفوان عن عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط العجلي عن ابي رمثة) يأتي في الباب بعد ان اسمه رفاعة (التيمي تيم الرباب) بكسر الراء وتخفيف الموحدتين واحترز عن تيم قريش قبيلة أبي بكر وتيم بالجر بدل من التيمي لان معناه المنسوب الى التيم ونكتة البدل تعدد التيم كأنه يقول أعني بالتيم الذي نسب اليه تيم الرباب لا تيم قريش قال ابن حجر الرباب خمس قبائل من جملتهم تيم غمسوا أيديهم في رب وتعاقدوا وتحالفوا فصاروا يدا واحدة اهـ والخمس ضبة وثور وعكل وتيم

هما بمعنى والاحسن ان الترحم هنا باعتبار النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه فلذا يحق ان يتأسف على قوم جفوا نبيا بلغ من مراتب الجلالة والتعظيم مالم يبلغه نبي أي بغضوه وآذوه الايذاء البالغ بل قصدوا قتله بأرض ألفتة ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن هذا فقال له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال من أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابي وانظر حديث الضب مع ماثبت انه صلى الله عليه وسلم قرب اليه لحم ضب فامتنع من أكله فسئل عن ذلك فقال لم يكن بارض قومي فاجدني

أعافه وقد يجاب بأن معناه لم يكن بارض قومي ما كولا فالنفي مسلط على الخبر والظباء جمع ظبي وحديثه رواه البيهقي
وأبو نعيم والطبراني وساقه المنذري وهو بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث

وعدى (قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى) الجملة حال من فاعل الاتيان ولم يسم هذا الابن وفى رواية ابى داود والنسائى رأيت النبى مع أبى زاد أبو داود ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى ابنك الخ فرواية الترمذى عن الاب ورواية أبى داود والنسائى عن الابن والله أعلم (قال) أى أبو رمثة (فاريته) ان كان مبنيا للمفعول فالمعنى ارانيه الناس وعرفونى به وان كان مبنيا للفاعل فالمعنى انه أراه لابنه وعرفه بما رأى عليه من علامات النبوة ونورها وآثار الهيبة الالهية فان الظاهر عنوان الباطن وما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر كما قال فى الحكم وتقدم قول من قال

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

فقوله (فقلت لما رأيته هذا نبى الله) على الوجه الاول تصديق لمن عرفه به وعلى الثانى ظاهر (وعليه ثوبان أخضران) الجملة حال من مفعول رأيت وقوله أخضران أى مصبوغان بالخضرة بتمامهما وهذا أكثر لباس أهل الجنة كما ورد ويحتمل أنهما كانا بخطوط خضر كما ورد فى بعض الروايات بردان بدل ثوبان ويأتى فى باب اللباس والغالب أن البرود ذوات الخطوط وقال العصام المراد بالثوب بين الرداء والازار (وله شعر قد علاه شيب) أى قليل لما تقدم من أنه انما شاب منه قليل (وشيبه أحمر) يعنى خلقة وهو مبادى الشيب أو بصبغ ويؤيده ما رواه الحاكم عن أبى رمثة أيضا ان شيبه أحمر مصبوغ بالحناء وسيأتى هذا فى الباب بعده * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا سريج بن النعمان نا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب قال قيل لجابر بن سمرة أكان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم شيب قال لم يكن فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم شيب الا شعرات فى مفرق) بفتح الميم وسكون الفاء وكسر الراء أى محل تفرق شعر (رأسه) وقال الحنفى بوسطه وقال ابن حجر أى مقدمه ولم ينبه على ما كان فى لحيته من الشيب لانه انما سئل عن الرأس (اذا ادهن) أى استعمل الدهن ووضعه على رأسه (واراهن) أى أخفاهن (الدهن) بضم الدال وان قرئ بفتح المهملة وساعدته الرواية فهو أظهر من جهة المعنى لان السببية فيه أقوى كما لا يخفى وروى مسلم كان اذا ادهن لم يتبين واذا شعث تبين قال الطيبى شعث أى تفرق شعر رأسه فدل هذا على انه عند الادهان كان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تتبين فاذا شعث رأسه ظهرت اه ويقال شعث الشعر اذا تلبد لقلة تعهده

بالدهن

مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة فى وثاق واعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان فى ذلك الجبل فاطلقنى حتى أذهب فارضعهما وأرجع فقال وتفعلين فقالت عذبنى الله عذاب العشار (١) أى المكاس ان لم أعد فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها صلى الله عليه وسلم فانتبه الاعرابى فقال يارسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء فرحا وتضرب برجلها الارض وتقول أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وفى ذلك قيل

وجاء أمرؤ قد صاد يوما غزالة
لها ولد خشف تخلف بالكدا
فنادت رسول الله والقوم حضر
فاطلقها والقوم قد سمعوا الندا

ولم يرد الناظم الحصر فى هذين

(١) أى الذى يأخذ العشر ظلما وهو معروف كذا عند ابن الفاكهانى فى الفجر المنير ونص ما عند الحافظ زكى الدين سيدى عبد العظيم المنذرى فى كتاب الزكاة عن عقبة بن عامر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل صاحب مكس الجنة قال يزيد بن هرون يعنى العشار رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم كلهم من رواية محمد بن اسحق وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم كذا قال ومسلم انما أخرج لمحمد ابن اسحق فى المتابعات قال البغوى يريد بصاحب المكس الذى يأخذ من التجار اذا مروا عليه مكسا باسم العشر قال الحافظ أما الآن فانهم يأخذون مكسا باسم العشر ومكوسا أخر ليس لها اسم بل شيأ يأخذونه حراما وسحتا ويأكلونه فى بطونهم نارا حجتهم فيه داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اه من المنذرى بلفظه اه من خط المؤلف بواسطة

بالدهن فله معنيان على هذا

* (باب ماجاء فى خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

الخضاب يطلق على ما يخضب به أى ما يلون به كما فى القاموس ويطلق مصدرا بمعنى التلوين وهذا المعنى أنسب بالباب لان معظمه بهذا المعنى خلافا لاستبعاد ابن حجر وانما جاء حديث واحد فى الباب يناسب المعنى الاول قاله فى جمع الوسائل (حدثنا أحمد ابن منيع نا هشيم) بضم ففتح (نا عبد الملك بن عمير عن اياد بن لقيط قال أخبرنى أبو رمثة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابن لى) ظرف لغو متعلق بأتيت وفى نسخة معى بياء المتكلم خبر مقدم وقوله ابن لى مبتدأ مؤخر والجملة حال من فاعل أتيت لكنه اكتفى بالضمير (فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابنك هذا) على حذف همزة الاستفهام وقد ظهرت فى رواية أخرى (فقلت نعم) بفتحتين وقرئ فى السبعة بكسر العين وحكى أهل اللغة كسرهما (اشهد به) جملة مقررة لقوله نعم يروى بصيغة الامر من الثلاثى المجرد أى كن شاهدا على اعترافى بأنه ابنى وفى نسخة بصيغة المضارع من الثلاثى المجرد أيضا أى أقر به واعترف ولما كان فى هذه الجملة ما يشعر بأنه ملتزم بجنايته على عادة الجاهلية من مؤاخذة الوالد بجناية ولده وعكسه أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بأن الشريعة المطهرة قد أبطلت ذلك (فقال) صلى الله عليه وسلم (لا يجنى عليك ولا تجنى عليه) أى لا تؤاخذ بذنبه ولا يؤاخذ بذنبك زاد فى رواية قال وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تزر وازرة وزر أخرى وبه يظهر لك بطلان قول من قال يمكن ان يكون هذا الكلام دعاء لهما أو اخبارا عن الغيب (قال) أى أبو رمثة وأعاد كلمة قال لفصل الكلام وسقطت فى بعض النسخ (ورأيت الشيب أحمر) أى خلقة لقربه من البياض أو بسبب الخضاب وتقدم ان فى رواية الحاكم من هذا الوجه وشيبه أحمر مخضوب بالحناء ولابى داود من حديثه وكان قد لطخ لحيته بالحناء وعند أحمد فاذا رجل له وفرة بها ردع من حناء وفى رواية فرأيت برأسه ردع حناء وأخرج ابن الجوزى فى طريق الوفاء من طريق غيلان بن جامع عن اياد بن لقيط عن أبى رمثة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكتم وهذه الرواية صريحة فى خضابه صلى الله عليه وسلم (قال أبو عيسى) يريد به نفسه كما تقدم (هذا) الحديث (أحسن شئ) أى أرجح حديث (روى فى هذا الباب) أى باب الخضاب (وأفسره) أى أوضحه دلالة على المراد وانظر هذا مع ان قوله وشيبه أحمر أو رأيت الشيب أحمر محتمل كما تقدم

وانما اقتصر عليهما لانهما أشد الوحوش توحشا فقد صح ان الذئب أخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما انه أخذ شاة فانتزعها الراعى منه فقال الا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فتعجب الراعى من كلامه له فقال له الا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفى رواية بما مضى وما هو كائن الخ وكلمه أيضا الحمار والجمل وسجدت له الغنم انظر ابن حجر والفجر المنير لابن الفا كهانى

(وسلوه وحن جذع اليه وقلوه وده الغرباء)

أى نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله والحال انه قد حن جذع اليه كما جاء من طرق كثيرة صحيحة وذلك انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقف عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضعه الآن بمسجده ثم تخطى الجذع يوم الجمعة ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من فى المسجد وفى رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية أخرى خار حتى تصدع وانشق وفى أخرى فجعل يئن أنين الصبى وفى أخرى حن حنين الناقة أى لتى انتزع ولدها فنزل اليه النبى صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفى رواية فمسحه بيده وفى أخرى ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفى أخرى والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل قالوا انه أبدع من احياء عيسى عليه السلام الموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم وفى رواية عند الدارمى انه صلى الله عليه

وسلم خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه فى الجنة يأكل أولياء الله من ثمره ثم أصغى اليه فقال اختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقلوه أى أبغضوه والحال انه قد ودّه أى أحبه الغرباء الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار من الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الموسم ليعرض نفسه على قبائل العرب فلقى بعضا من الخزرج من أهل المدينة فعرض عليهم الايمان فاجابوه وواعدوه العام القابل ليأتوا بقومهم وهذه هى العقبة الاولى ثم لقيه منهم فى العام القابل خمسة عشر فاسلموا ورجعوا وهذه هى العقبة الثانية فاظهر الله الاسلام فيهم وما فى المدينة دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل اليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن فاسلم على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد بن حضير وجميع بنى عبد الاشهل ثم جاؤا فى العام الثالث بنحو الخمسين رجلا فبايعهم على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود ثم أمر صلى الله عليه وسلم من بقى معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا وأقام هو ينتظر الاذن له فى الهجرة فاستأذنه أبو بكر فقال لا تفعل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر فى ان يهاجر معه صلى الله عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وأمر من معه ان يلحق بالمدينة انه اشتوروا بدار الندوة فى ان يحبسوه أو يقتلوه أو يخرجوه فاعترضهم ابليس فى صورة رجل جليل من أهل نجد وأظهر لهم إنه يريد نصحهم وأمرهم ان يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل نحبسه فقال قد ينتزع منكم فقيل نخرجه

فكيف يكون هذا أفسر من غيره قال بعضهم ومعنى قوله (لان الروايات الصحيحة أتت (أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب) أنه لم يظهر البياض فى شعره كثيرا فلم يخضب وانما بلغ مقدمة الشيب وهى الحمرة الذاتية اه وهذا يدل على انه لم يصح عنده شئ من الروايات المصرحة بالخضاب فى طرق حديث أبى رمثة قال ابن حجر بعد ذكر هذا التقرير وليس بظاهر لان الترمذى قائل بالخضاب بدليل سياقه لاحاديثه الآتية ولان هذا لو كان مراده لم يسق هذا الحديث فى هذا الباب أصلا بل كان يقتصر على سياقه فى الباب قبله ولا يضره ذكر كونه أحمر لأن المراد حينئذ حمرته الذاتية التى هى مقدمة للشيب فذكره له بتمامه فى البابين يدل على ان له مناسبة بكل منهما وهى ان فيه اثبات الشيب وهو المناسب للباب السابق وانه كان احمر بالخضاب وهو المناسب لهذا الباب وأما الروايات الصحيحة انه لم يشب فمعناها انه لم يكثر شيبه مع انه كان يستره بالحمرة فى بعض الاحيان اه قلت الظاهر ان مراد المصنف بهذا الكلام ما تقدم من ان حمرة شعره لم تكن بالخضاب وانما كانت ذاتية وانه لم يخضب وانما أعاد هذا الحديث فى هذا الباب حينئذ اشارة الى أن أحاديث الخضاب وقع فيها اشتباه على الرواة فالتبس عليهم حمرة الشعر التى هى مقدمة الشيب بحمرة الخضاب فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم خضب مع انه لم يخضب ولاجل ان هذا هو مراده صدر هذا الباب بحديث أبى رمثة حتى يكون كل ما يذكر بعده من الاحاديث ليس على ما يتبادر منه من ثبوت الخضاب ثم استدل على نفى الخضاب بما ذكره من ان الروايات الصحيحة ان النبى لم يبلغ الشيب ولو كان مراده ما قال ابن حجر من أن شيبه كان أحمر بالخضاب لكان كلامه متدافعا متناقضا لان قوله لان الروايات الخ انما يصلح دليلا لنفى الشيب لا لثبوته والحاصل ان المصنف فهم ان شيبه كان أحمر بغير الخضاب بدليل ما صح ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب وحينئذ فيجب ان يكون حديث أبى رمثة هذا هو الحجة فى هذا الباب وغيره من أحاديث الباب ليس على ما يتبادر منه لكن ما فهمه المصنف بعيد وغير متعين فقد تقدم حديث ابن عمر فى الصحيحين وأخرج أبو نعيم الاصبهانى عن عائشة قالت كان أكثر شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فودى رأسه وكان أكثر شيبه فى لحيته حول الذقن وكان شيبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ بين سواد الشعر فاذا مسه بصفرة وكان كثيرا ما يفعل ذلك صار كأنه خيوط الذهب اه وأما ما استدل به المصنف من انه صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب فليس معناه انه لم يخضب وانما معناه

فقال يأتيكم بما لا طاقة لكم به فقال أبو جهل نرى ان نأخذ من كل قبيلة غلاما قويا ثم نعطيهم شفارا فيضربه به كل ضربة
فيفرق دمه فى القبائل فلم يقدر أحد من أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأى فاجمعوا
عليه فأتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا فى الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه

فأمر عليا رضى تعالى الله عنه
بأن ينام مكانه ثم خرج عليهم
فلم يبق أحد منهم الا أخذ الله
على بصره فلم يره ونثر على رأس
كل واحد منهم ترابا كان فى يده
وهو يتلو يس الى لا يبصرون
وصح انه ما أصاب واحدا منهم
تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا
بخيبتهم فوضع كل يده على رأسه
فوجد التراب وفى هذا نزل
قوله تعالى واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك الآية

(أخرجوه منها وآواه غار
وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ
ه ومن شدة الظهور الخفاء)

آواه أى ضمه والورقاء ما فى
لونها بياض يخالطه سواد وما
فى قوله ما كفته مفعول ثان
لكفته الاولى أى كفته
العنكبوت أمر الاعداء الذى
كفته اياه الحمامة والحصداء
مستعار من قولهم شجرة
حصداء أى كثيرة الورق لكثرة
ريشها كذا عند الشراح
وخطأهم الشهاب الخفاجى
فى شرح الشفاء وقال الصواب انها الجنانة بالجيم ونونين وهى الدرع لانها تجن صاحبها أى تستره عند الحرب وملاقاة العدو
والحصداء بالصاد والدال المحكمة النسج ويفسره قوله فى البردة وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع الخ
واختفى عطف على آواه وعلى بمعنى مع ومرآه أى محل رؤيته وفيه تعجيب للسامع وحكمة هذا الاستتار ان من جملة

انه لم يكثر شيبه كما تقدم فى كلام ابن حجر وذلك غير مناف لقول من قال انه صلى الله عليه
وسلم خضب وغاية الكلام فى ثبوت الخضاب وعدم ثبوته والله أعلم ويأتى لذلك تتمة
فى آخر الباب ويوجد فى بعض النسخ (وأبو رمثة اسمه رفاعة بن يثربى التيمى) نسبة الى تيم
قبيلة وقد تقدم تحقيقه وكان المصنف انما أخر هذا الى هذا الباب لذكر اسمه ونسبه بعد
تمام كلامه * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا أبى) وكيع (عن شريك
عن عثمان بن موهب) بفتح الهاء وهذا نسبة الى جده وأبوه من الرابعة عبد الله كما نبه
عليه بقوله الآتى وروى أبو عوانة الخ وعثمان هذا تيمى مولاهم مدنى شهير بالاعرج ثقة
أخرج حديثه الشيخان وغيرهما وأما عثمان بن موهب المنسوب الى الاب من الطبقة
الخامسة لم يخرج من أصحاب الصحاح حديثه الا النسائى وهو الراوى عن أنس (قال
سئل أبو هريرة هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم) سيأتى ما فيه (قال
أبو عيسى وروى أبو عوانة) هو الوضاح الواسطى البزار روى عنه الستة (هذا
الحديث عن عثمان بن عبد الله بن موهب فقال عن أم سلمة) ظاهر هذا ان أم سلمة رضى
الله عنها أخبرت أن النبى صلى الله عليه وسلم خضب وليس هذا هو المراد بين لك ذلك
ما أخرجه البخارى وابن ماجه وأحمد ومن طريقه ابن الجوزى فى الوفاء وابن سعد قالا
سمعنا من طرق كثيرة عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال دخلت على أم سلمة فأخرجت
شعرا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا هذا لفظ البخارى وزاد ابن ماجه
وأحمد بالحناء والكتم ولابن سعد من طريق نصير بن أبى الاشعث عن ابن موهب ان
أم سلمة أرته شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمر وأخرجه البخارى أيضا وعند
البخارى أيضا ان هذا الشعر كان عند أم سلمة فى جلجل من فضة وكان اذا أصاب
الانسان عين أو شئ بعث اليها مخضبه اه فكانت تفرك ذلك الشعر فى ماء فاذا شربه
العليل أو اغتسل به عوفى من مرضه قال الاسماعيلى ليس فيه بيان ان النبى صلى الله
عليه وسلم هو الذى خضب بل يحتمل ان يكون احمر بعده لما خالطه من طيب فيه صفرة
اه وهذا الاحتمال الذى أبداه قد ثبت معناه عند البخارى فى باب صفة النبى صلى الله
عليه وسلم ونصه بعد قول أنس وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال ربيعة
فرأيت شعرا من شعره فاذا هو أحمر فسألت فقيل احمر من الطيب اه قال فى جمع
الوسائل نقلا عن بعض الشراح ولم يخرج ابن سعد ولا ابن الجوزى رواية أبى هريرة مع
انهما استوعبا طرق أخبار من قال من الصحابة بخضابه صلى الله عليه وسلم ولم يتعرض

شدة الظهور وعليهم بالغلبة والمعونة الالهية الخفاء عنهم الذى حصل له خرقا للعادة واتيانه بالظهور مرادبه ماذكر
ومقابلته بالخفاء الموهم انه أريد به ضده تورية وايهام ثم اسناد الاخراج اليهم مجاز لان ايذاءهم له كان السبب فى ذلك
ثم انتظر الاذن فاذن له قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى
مخرج صدق واجعل لى من لدنك
سلطانا نصيرا أخرجه الترمذى
وصححه الحاكم وذكر الحكيم
ان خروجه عليه الصلاة
والسلام كان بعد بيعة العقبة
بثلاثة أشهر أوقريبا منها وجزم
ابن اسحق بأنه خرج أول يوم
من ربيع الاول فعلى هذا
يكون بعد البيعة بشهرين
وبضعة عشر يوما وكذا جزم
به الاموى فى المغازى عن ابن
اسحق وقدم المدينة لاثنتى
عشرة ليلة خلت من ربيع
الاول قال فى فتح البارى وعلى
هذا خرج يوم الخميس وقال
الحاكم تواترت الاخبار ان
خروجه يوم الاثنين الا أن محمد
ابن موسى الخوارزمى قال انه
خرج من مكة يوم الخميس
ويجمع بينهما بأن خروجه من
مكة كان يوم الخميس وخروجه
من الغار كان ليلة الاثنين لانه
أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة
وليلة السبت وليلة الاحد
وخرج اثناء ليلة الاثنين وكان
مدة مقامه بمكة من حين النبوة
الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة
وأمره جبريل ان يستصحب
أبابكر وأخبر عليه الصلاة والسلام عليا بمخرجه وأمره ان يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع
التى كانت عنده للناس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل
لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر فداله أبى وامى والله ماجاء به فى هذه

العسقلانى لروايته وهذا دليل على انه لم يصح بل لم يرد عن أبى هريرة فى هذا الباب
شئ فدل على ان مراد المصنف بايراد طريق أبى عوانة الاشارة الى ان رواية شريك شاذة
بل منكرة وليس مراده بذلك تقوية خبر أبى هريرة اه فتبين انه لادليل فيماذكره هنا
على ان النبى صلى الله عليه وسلم خضب امافيمارواه شريك فلانه منكر وأمافيماروى
عن أم سلمة فلادليل فيه كما تقدم عن الاسماعيلى والله أعلم * قال المصنف (حدثنا ابراهيم
ابن هرون نا النضر بن زرارة عن أبى جناب) بجيم مفتوحة فنون مخففة ثم موحدة
كسحاب ومايوجد فى النسخ ممايخالف هذا غير صحيح وهذا محدث مشهور ضعفوه
لكثرة تدليسه (عن اياد بن لقيط عن الجهذمة) بفتح الجيم وسكون الهاء وفتح الذال
المعجمة بعدها ميم (امرأة بشير) على وزن بديع (ابن الخصاصية) بفتح الخاء والصاد
وتخفيف الياء وخطأ الفيروزابادى وهو صاحب القاموس ابن الاثير وغيره ممن قال بأن
الياء مشددة قائلا بأنه من أوزان المصدر وليس فى كلام العرب فعالية بالتشديد
وانماهو بالتخفيف ككراهية وعلانية وطواعية قال ابن حجر وفيه نظر لان هذا
من الاعلام وقديقع فيها مالايوافق الاوزان المعروفة اه وهى اسم أمه ويقال غير
النبى صلى الله عليه وسلم اسمها وجعله ليلى وأبوه معبد (قالت أنارأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم) فى تقديم المسند اليه افادة تفردها بهذه الرواية (يخرج من بيته) حال
من المفعول (ينفض) بضم الفاء أى يمسح (رأسه) أى شعر رأسه بيده ليقطر عنه الماء
والجملة حال متداخلة أومترادفة وكذا قوله (وقداغتسل) والواو فى قوله (وبرأسه
ردغ) اماحالية أوعاطفة وردغ بفتح الراء وسكون الدال المهملة وبغين معجمة
فى القاموس انه جمع ردغة بالتحريك أوالتسكين وهو الرجل الشديد فعلى هذا الكلام
على التشبيه أى فى رأسه لطخات غليظة من الصبغ الذى هو الحناء أوالزعفران أوغير
ذلك (أوقال) أى ابراهيم شيخ المصنف (ردع) بعين مهملة وهو لطخ من زعفران وأثر
الطيب على مافى القاموس ولخفاء دلالة الرواية الاولى على المقصود صحح بعض
الشيوخ الرواية الثانية وفى بعض النسخ (من حناء) بالمد ولادلالة فى هذا أيضا على
الخضاب لان الحناء قدتستعمل لغير الخضاب كالتداوى (شك فى هذا الشيخ) وفى نسخة
الشك هو لابراهيم بن هرون ومآلهما واحد * قال المصنف (حدثنا عبدالله بن
عبد الرحمن) هو أبو محمد الدارمى الحافظ صاحب المسند أخرج حديثه مسلم وأبوداود
والترمذى فى الشمائل قال أبوحاتم هو امام أهل زمانه (نا عمرو) بالواو (ابن عاصم

نا

الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بابي أنت وأمي يارسول الله قال السهيلي وذلك ان عائشة قد كان أبوها أنكحها منه عليه الصلاة والسلام قبل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انه قد أذن لي في الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبي أنت وأمي يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يارسول الله احدى راحلتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن (فان قلت) لم لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ماهو أكثر من هذا فقبل (أجيب) بانه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه الصلاة والسلام في استكماله فضل الهجرة الى الله وان تكون على أتم الاحوال اه قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة من جراب وجعلنا فيها شاة مطبوخة فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وقطعة أخرى ربطت بها فم القربة فبذلك سميت بذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور جبل باسفل مكة ولم يعلم بخروجه عليه الصلاة والسلام الا علي وآل أبي بكر ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هناك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده وروي ان أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا فيه فالقمه عقبه لئلا يخرج منه مايؤذي رسول الله صلى

نا حماد بن سلمة أخبرنا حميد) هو الطويل (عن أنس) أي ابن مالك (قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا) قال بعض الشراح الثابت عن أنس في الصحيحين وغيرهما من طرق كثيرة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ شيبه الى الخضاب ولم يرو عنه خلاف ذلك الا في هذا الخبر فاما ان يحكم بشذوذ هذه الرواية فان راويه حميد وان كان ثقة فهو مدلس قال حماد بن سلمة عامة مايرويه حميد عن أنس سمعه من ثابت فدلسه وأحاديث من هو أوثق منه عن أنس كمحمد بن سيرين وثابت وقتادة في نفي الخضاب ثابتة في الصحيحين وغيرهما وهو واحد وهم جماعة ولذا قال المصنف عقبه (قال حماد المذكور (وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عقيل) أي ابن أبي طالب الهاشمي وأم عبد الله زينب بنت علي رضي الله عنه وعبد الله صدوق (قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك مخضوبا) اشارة الى شذوذ رواية حميد واما ان يكون معناه ان أنسا رآه مخضوبا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي طلحة أو عند أمه أم سلمة (١) أو عند غيرهما وقد ورد عن أبي هريرة انه قال لما مات النبي صلى الله عليه وسلم خضب من كان عنده شئ من شعره ليكون أبقى له أخرجه الدارقطني في رجال مالك ورآه عبد الله بن محمد عند أنس وقد أنكر أحمد انكار أنس انه خضب وذكر حديث ابن عمر كما تقدم ووافق مالك أنسا في انكار الخضاب وتأول ماورد في ذلك قال النووي والمختار أنه صلى الله عليه وسلم خضب في وقت لما دل عليه حديث ابن عمر في الصحيحين ولا يمكن تركه ولا تأويله وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وهو صادق والله أعلم اه ويحتمل ان من أثبت الخضاب شاهد الشيب أبيض ثم لما واراه الدهن ظن انه خضب ومن نفاه علم انه لم يخضب وانما واراه الدهن *(تنبيهات حسنة)* الاول قد اختلف أهل العلم هل الخضاب أولى لحديث الشيخين ان اليهود والنصارى لايصبغون فخالفوهم ولهذا خضب أبو بكر وعمر وعثمان والحسن والحسين أو ترك الخضاب أولى لحديث الترمذي عن كعب بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وأخرج الطبري من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره تغيير الشيب ولهذا لم يخضب علي وسلمة ابن الاكوع وأبي بن كعب وجمع من كبار الصحابة وأما ما أخرجه الطبري من حديث

---

(١) قوله أم سلمة أصلح بعضهم وظنه بانى اغلطة سلمة بسليم فائلا أم أنس هي أم سليم لا أم سلمة بل أم سلمة هي أم المؤمنين رضي الله عن جميعهم وعنا ببركتهم كذا بهامش الاصل

الله عليه وسلم فجعلت الحيات والافاعي يضربنه ويلسعنه ودموعه تتحدر وفي رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووضع رأسه في حجر أبي بكر ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب ما يجده وفي الدر المنثور
مما أخرجه ابن مردويه عن
أنس بن مالك قال لما كانت
ليلة الغار قال أبو بكر يا رسول
الله دعني لادخل قبلك فان كان
حية أو شئ كانت بي قبلك
قال ادخل فدخل أبو بكر فجعل
يلتمس بيديه فلما رأى جحرا أخذ
قطعة من ثوبه ثم ألقمها الجحر
حتى فعل ذلك بثوبه أجمع
وبقي جحر فوضع عليه قدمه
وقال ادخل فلما أصبح قال صلى
الله عليه وسلم أين ثوبك يا أبا بكر
فأخبره بالذي صنع فرفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر
معي في درجتي يوم القيامة فأوحى
الله اليه ان الله قد استجاب لك اه
وأخرج ابن مردويه عن
جندب بن سفيان قال لما انطلق
أبو بكر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الغار قال له أبو بكر
لا تدخل يا رسول الله حتى
أستبرئه فدخل أبو بكر الغار
فأصاب يده شئ فجعل يمسح الدم
عن اصبعه وهو يقول

هل أنت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت

اه وهذه مخاطرة منه رضي الله عنه بروحه وتغرير بنفسه في محبة محبوبه صلى الله عليه وسلم وعند
ذلك يفتح باب الوصل للمحبين ويباح التمتع بالشهود للمشتاقين ويرحم الله القائل

ومن لم يخاطر في هواه بروحه * فذاك بروايا الحسن لا يتمتع

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا من شاب شيبة فهي له نور الا أن ينتفها أو يخضبها فقال العسقلاني أخرجه الترمذي وحسنه ولم أر في شئ من طرقه الاستثناء المذكور اه وجمع الطبري بأن من شانه الشيب ينبغي له الخضاب ومن لم يشنه فلا يستحب له ولكن الخضاب مطلقا أولى لان فيه امتثالا للامر في مخالفة أهل الكتاب وفيه صيانة للشعر عن تعلق الغبار وغيره الا ان كان من عادة أهل البلد ترك الصبغ فالترك أولى لان فعله حينئذ داع الى الشهرة اه ويكون بما يحمر أو يصفر ويكره بالسواد لحديث جابر قال أتي بأبي قحافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال صلى الله عليه وسلم غيروا هذا واجتنبوا السواد أخرجه مسلم والثغامة بضم المثلثة وتخفيف المعجمة نبات شديد البياض زهره وثمره وجنح النووي الى التحريم وأول من خضب بالسواد فرعون وهذا في غير الجهاد وفي حق الرجال ويجوز للرجال في الجهاد لايهام العدو ويجوز للنساء لانه زينة كما يجوز للمرأة خضب اليدين والرجلين دون الرجل * الثاني يكره نتف الشيب عند أكثر العلماء لحديث لا تنتفوا الشيب فانه نور المسلم رواه الاربعة وقال الترمذي حسن وقال بعض العلماء لا يكره نتف الشيب الا على وجه التزين قال ابن العربي وانما نهى عن النتف دون الخضب لان فيه تغيير الخلقة من أصلها بخلاف الخضب فانه لا يغير الخلقة على الناظر اليه انظر جمع الوسائل وفي حواشي الحطاب على الرسالة قال في سماع ابن القاسم من كتاب الجامع سئل مالك عن نتف الشيب فقال ما علمت حراما وتركه أحب الي من نتفه قيل له فقرضه قال أكره ان يقرضه من أصله وهو عندي يشبه النتف وأقره ابن رشد ووجهه فانظره فيه اه * الثالث ورد في فضل التعمير عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين لين الله حسابه فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة اليه فاذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في الارض وشفع في أهل بيته زاد في رواية لابي هريرة فاذا بلغ مائة سنة سمي حبيب الله في الارض وحق على الله ان لا يعذب حبيبه اه من تفريج القلوب بالخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب للامام الحطاب وفي الحديث ان الله يستحيي ان يعذب عبده وأمته اذا أسنا في الاسلام وأنشدوا

ان

و بكاؤه لم يكن شكاية بما لاقاه وحصل له فى طريق الحب انما كان من غلبة الالم والخوف من وصول ذلك الى الحبيب بعد موته هو ولو علم انه يموت ويسلم حبيبه ويبقى ما ضره ذلك فان المحبين يفرحون ببذل أرواحهم فى محبوبهم ورضاه عنهم بذلك ويحصل لهم بذلك غاية السرور ولقد كان لسان حاله رضى الله عنه يقول

قد لذلى فيك وجدى
فلست بالوجد أشقى
ولا أريد التشكى
لما أنا فيك ألقى
فان أمت فسرورى
بأن أموت وتبقى

ويحتمل أن يكون بكاؤه فرحا بما من الله به عليه من مرافقة حبيبه وخلوته بخليله وقد بكى لما أخبره بالهجرة معه ولما ذكر ابن اسحق قول عائشة ما كنت أرى أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح قال السهيلى فى الروض قالت ذلك لصغر سنها وانها لم تكن عالمة بذلك قبل وقد تطارقت الشعراء لهذا المعنى وأخذته استحسانا له فقال الطائى يصف السحاب

دهم اذا وكفت فى روضة طفقت
عيون أزهارها تبكى من الفرح

وقال أبو الطيب وزاد على هذا المعنى

فلا تنكرن لها صرعة
فمن فرح النفس ما يقتل

وقال بعض المحدثين

ورد الكتاب من الحبيب بأنه
سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى انه
من فرط ما قد سرنى أبكانى (١)

اهـ وهذا لا ينافيه لا تحزن لانه قد يتبدل الحال برؤية ما يوشوش الخيال من الخيال وفى مسند البزار ان الله عز وجل أمر

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم أعتقوها عتق ابرار
وأنت يا مالكى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق اعتقنى من النار

(باب ما جاء فى كحل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعقبه للخضاب لانه نوع من التزين والكحل بالفتح مصدر بمعنى استعمال الكحل فى العين وبالضم اسم لما يكتحل به من اثمد أو غيره والمسموع من حيث الرواية الضم وان كان للفتح وجه بحسب المعنى فان الباب كما ذكر فيه ما يكتحل به ذكر فيه أيضا بيان كيفية اكتحاله صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى) وهو أبو عبد الله روى عن ابن المبارك وروى عنه أحمد ويحيى وأخرج حديثه أبو داود والترمذى وابن ماجه (نا أبو داود الطيالسى) منسوب الى الطيالسة جمع طيلسان (عن عباد بن منصور) وهو أبو سلمة البصرى القاضى بها وهو ضعيف اتفاقا ورمى بالقدر وكان يدلس (عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اكتحلوا بالاثمد) أى دوموا على استعماله وهو بكسر الهمزة وسكون المثلثة وميم مكسورة حجر يكتحل به قال التوربشتى هو الحجر المعدنى أى المعروف وقيل هو الكحل الاصفهانى ينشف الدمعة والقروح ويحفظ صحة العين ويقوى عصبها سيما للشيوخ والصبيان وفى رواية بالاثمد المروح وهو الذى أضيف اليه المسك الخالص كذا قاله الترمذى وفى سنن أبى داود أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاثمد المروح عند النوم وقال ليتقه الصائم (فانه) أى الاثمد أو الاكتحال به (يجلو البصر) أى يزيد نور العين ويدفع المواد الرديئة المنحدرة من الرأس (وينبت الشعر) أى شعر اشفار العين والمخاطب الاصحاء وأما العين المريضة فقد يكون غير الاثمد خيرا لها بل ربما أضر بها الاثمد قاله المناوى والامر للندب اجماعا قاله ابن حجر وتعليله بالمنافع الدنيوية لا ينافى كون الامر للسنية سيما وقد وقعت مواظبته الفعلية وترغيباته القولية وتلك المنافع وسيلة الى الامور الاخروية كمعرفة الطهارة وجهة القبلة وغير ذلك من منافع البصر وقد نص العلماء على ان الامر بالاكل قد يكون فرضا والامر بالسحور سنة مع ان نفعه راجع الى البدن قالوا ولو امتنع المضطر أو المرتاض عن الاكل بل عن السؤال حتى يموت جوعا مات عاصيا واتفقوا على حرمة أكل التراب والطين ونحوهما لاجل ضرر البدن وانما حرم الخمر لضرر العقل وبهذا تبين لك ما فى قول العصام لا يخفى انه لا يظهر اذا أمر بشئ لنفع البدن كونه سنة أو فرضا اهـ نعم فى التعليل اشارة لطيفة وهى أن

---

(١) وبعده
ياعين صار الدمع منك عادة * تبكين فى فرح وفى أحزان
اهـ من هامش الاصل

المكتحل اذا أراد تحصيل السنة ينبغي أن يقصد بالاكتحال الدواء والمعالجة لا مجرد الزينة كالنساء ولهذا قال مالك بكراهة الاكتحال للرجال مطلقا الا للتداوى اه ملخصا من جمع الوسائل (وزعم) اى ابن عباس كما يفهم من رواية ابن ماجه وتصرح به الاحاديث الآتية والزعم قد يطلق بمعنى القول المحقق وهو المراد هنا وان كان أكثر ما يستعمل فيما شك فيه قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا وانما أتى به المصنف ولم يقل وان النبى لطول الفصل كما يقع اعادة قال فى كثير من العبارات وايماء الى أن الاول حديث مرفوع والثانى موقوف والاول قولى والثانى فعلى وقيل ضمير زعم لمحمد بن حميد وعليه فالزعم باق على معناه المتبادر اشارة الى ضعف حديثه باسقاط الوسايط بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ولا يؤيد هذا الاحتمال نسبة هذا القول فى الحديث الثانى الى يزيد بن هرون لان المراد بقول المصنف وقال يزيد بن هرون فى حديثه أى حديثه الذى يرويه عن ابن عباس لانه فى حديث نفسه خلافا للعصام قاله فى جمع الوسائل ولما كان زعم يستعمل غالبا بمعنى ظن فتح همزة أن فقال (أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة) بضم الميم المهملة اسم آلة الكحل والمراد منها ما فيه الكحل (يكتحل منها كل ليلة) بالنصب أى قبل أن ينام كما يأتى وانما آثر الكحل بالليل لانه ليلا أبقى فى العين وأمكن فى السراية الى طبقاتها (ثلاثة فى هذه) أى اليمنى (وثلاثة فى هذه) أى اليسرى والمشار اليه عين الراوى بطريق التمثيل وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال من اكتحل فليوتر رواه أبو داود والواحد وان كان وترا لكن التعدد مطلوب وخصوصا فى الادوية ولا وتر بعد الواحد الا الثلاث ويفهم من قوله ثلاثة فى هذه الخ انه لا ينتقل لليسرى حتى يستكمل اليمنى واختار بعض العلماء أخذا بالرواية الآتية والله أعلم أن يبتدئ باليمنى ويختم بها تكريما لها بأن يستعمل فيها اولا مرودين فاذا استكمل اليسرى رجع الى اليمنى فزادها مرودا ثالثا والله أعلم وروى فى شرح السنة أن يكتحل فيهما خمسة ثلاثة فى اليمنى واثنين فى اليسرى وعليه فينبغى أن يكون الابتداء والانتهاء باليمنى أيضا كما أفاده الفيروزابادى وجوز اثنين فى كل عين وواحدة بينهما أو فى اليمنى ثلاثا متعاقبة وفى اليسرى ثنتين فيكون الوتر المأمور به بالنسبة اليهما جميعا وأرجحها الاول لحصول الوتر شفعا * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن الصباح الهاشمى البصرى نا عبيد الله ابن موسى أخبرنا اسرائيل عن عباد بن منصور ح) من قاعدة المحدثين اذا كان للحديث اسنادان أو أكثر كتبوا عند الانتقال من اسناد الى اسناد ح اشارة الى

التحويل

العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد وقد روى ان الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج العنكبوت فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت * وذكر فى المواهب عن الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه شجرة أم غيلان فحجبت عن الغار أعين الكفار وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك حتى قيل

ودود القزان نسجت حريرا
يجمل لبسه فى كل شئ
فان العنكبوت أجل منها
بما نسجت على رأس النبى

وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار * وقد صرحوا بأن العنكبوت انما كان مانعا من اقتحام الغار ودخوله لا من رؤيتهما وانما الله تعالى صرف أبصارهم بدليل ما ورد ان بعضهم جاء الى فم الغار وبال وهما ينظران اليه وفى الصحيح عن أنس قال أبو بكر يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله

التحويل من اسناد الى آخر وقيل هى من الحيلولة وقيل هى اشارة الى قولنا الحديث يعنون الى آخره وبعضهم يجعلها خاء معجمة يريد انها اسناد آخر وبعض المتقدمين من الحفاظ كتب مكانها صح وهذا اشعار بأنها رمزها قال العراقى فى الفيته

وكتبوا عند انتقال من سند * لغيره ح وانطقن بها وقد
رأى الرهاوى بأن لا تقرآ * وانها من حائل وقد رأى
بعض أولى الغرب بأن يقولا * مكانها الحديث قط وقيلا
بل حاء تحويل وقال قد كتب * مكانها صح فحاء منها انتخب

وأشار بقوله وانطقن بها الى أن القارئ يتلفظ بها عند الوصول اليها يقول حاء ويمد فى القراءة وأشار بقوله وقد رأى الخ الى القول بعدم النطق بها وبه العمل عندنا فيما رأينا وفائدة هذا الرمز ليعلم أن الاسناد المذكور لم يصل الى منتهاه ولئلا يتوهم ان حديث هذا الاسناد سقط ولئلا يركب الاسناد الثانى على الاسناد الاول فيصير اسنادا واحدا * قال المصنف (و نا على بن حجر) وفى بعض النسخ قال أى المصنف و نا ولعله وقع من تلامذته (نا يزيد بن هرون نا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يكتحل قبل أن ينام) أى عند النوم كما يأتى (بالاثمد ثلاثا فى كل عين وقال يزيد بن هرون فى حديثه) أى فى روايته عن ابن عباس (ان النبى صلى الله عليه وسلم) بكسر الهمزة نظرا الى قال ويجوز فتحها نظرا الى حديثه (كانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا فى كل عين) قيل حتى فى السفر قال بعض الشراح قوله وقال يزيد بن هرون الخ موصول بالاسناد المتقدم وليس بمعلق ولا مرسل كما توهم والمقصود منه بيان اختلاف الالفاظ بين رواية اسرائيل ورواية يزيد يعنى رواه اسرائيل باللفظ المتقدم ورواه يزيد بهذا اللفظ كلاهما عن عباد وقد فهم من كلام المصنف فى حديث ابن عباس هذا ان الواسطة فى الاسناد الاول المتصل بالباب بينه وبين عباد بن منصور اثنان وفى الاسناد الثانى ثلاث فهو بالنسبة الى ما قبله نازل باعتبار العدد لكن شيخه الاول محمد بن حميد الرازى لم يرو عنه الشيخان وعبد الله ابن الصباح شيخه الثانى على شرط الشيخين وروى عنه أبو داود والنسائى فيكون الثانى أعلى من الاول علوا معنويا أعنى باعتبار الضبط والاتقان فلا يضره كثرة العدد وبملاحظة النزول المذكور تحول من سند ابن الصباح الى سند على بن حجر شيخه الثالث فان الواسطة فيه بين عباد وبينه اثنان كالاول نقل ذلك فى جمع الوسائل * قال

ثالثهما وروى أيضا ان أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت أنا فانما أنا رجل واحد وان قتلت أنت هلكت الامة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعنى بالمعونة والنصر فأنزل الله سكينته عليه أى على أبى بكر لانه كان منزعجا وأيده يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعنى الملائكة ليحرسوه فى الغار أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن عن رؤيتهما وقيل ان أبا بكر لما رأى الكفار وهو فى الغار ذكر ذلك للمصطفى صلى الله عليه وسلم فقال لو جاؤنا من هنا خرجنا من هنا فنظر أبو بكر الغار وقد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر وسفينة بجانب الغار قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر لكن لم يرد اه قال فى المواهب انظر لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه قوى قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا فكانت تحفة ثانى اثنين مدخرة له دون الجميع فهو الثانى فى الاسلام والثانى فى بذل النفس والمال وفى الرسول عليه السلام بماله ونفسه جوزى بمواراته معه فى رمسه وقام مؤذن التشريف ينادى على منابر الامصار ثانى اثنين اذ هما فى الغار ولقد أحسن حسان حيث قال لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم هل قلت فى أبى بكر شيأ

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

فقال له أحسنت يا حسان وتأمل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فموسى خص بشهود المعية ولم تتعد منه المعية الى اتباعه ونبينا تعدت منه الى الصديق فلذا لم يقل معي لانه أمد سيدنا أبا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة على أبي بكر والا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود وأين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم اه

(تنبيهان) الاول المشهور ان مكثهما في الغار كان ثلاث ليال وكان يبيت عندهما عبد الله ابن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف أي ثابت المعرفة بما يحتاج اليه لقن أي سريع الفهم فيدلج عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيروحها حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو ابن منحتهما يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وكان صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه استأجرا عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش

المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا محمد بن يزيد عن محمد بن اسحق) أي ابن يسار امام أهل المغازي صدوق أخرج حديثه البخاري في التعليق والترمذي في الشمائل وباقي الائمة الاربعة في صحاحهم (عن محمد بن المنكدر) تابعي جليل أخرج حديثه الائمة الستة (عن جابر) أي ابن عبد الله كما في نسخة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد) أي خذوه فهو راجع الى معنى قوله اكتحلوا (عند النوم فانه يجلو البصر وينبت الشعر) قد يكون من فوائد اكتحاله صلى الله عليه وسلم بالليل دون النهار الاشارة الى أنه من زينة النساء وفعله ليلا لا يذهب أثره وقد تقدم ان مذهب مالك انه للرجال مكروه الا لقصد التداوي * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أي ابن سعيد كما في نسخة (نا بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير) أي الاسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه روايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة قتل بين يدي الحجاج أخرج حديثه الائمة الستة في صحاحهم وهو تابعي جليل بل قيل هو أفضل التابعين (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خير أكحالكم الاثمد) فيه دليل على أن الاثمد نوع خاص من الكحل والمراد انه خير الاكحال لحفظ صحة العين لا لمرضها الان الاكتحال لا يوافق الرمد كما تقدم (يجلو البصر) استئناف لتعليل الجملة قبله (وينبت الشعر) عطف على المستأنف * قال المصنف (حدثنا ابراهيم بن المستمر البصري نا أبو عاصم) الضحاك بن مخلد (عن عثمان بن عبد الملك عن سالم) أي ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب تابعي جليل أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان رأسا في العبادة والزهد كان يلبس الثوب بدرهمين وأقرانه مثل علي بن الحسين زين العابدين وقاسم بن محمد وهم أبناء الخالات وأمهاتهم بنات يزدجرد ملك فارس (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر) كرر المصنف هذا الحديث بأسانيد مختلفة تقوية لاصل الخبر وتأكيد المضمونه لما تقدم من أن عباد بن منصور ضعيف اتفاقا وكان يدلس ورمي بالقدر قاله في جمع الوسائل

(باب ما جاء في لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اللباس بالكسر ما يلبس والمراد ما جاء في بيان ما كان يلبسه من الثياب وما كان يقوله عند لبس الثوب الجديد وقد تقدم انا قبيل الترجمة الاولى ان وجه ادخال اللباس والطعام والنوم والاثاث ونحو ذلك في الشمائل ان هذه الامور مما تدعو اليه ضرورة الحياة فألحقوها بما هو ضروري لا اختيار للعبد فيه ككمال الخلقة وحسن

ولم يعرف له اسلام (١) فدفعا اليه راحلتيهما وعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فاخذبهم على طريق الساحل * (الثانى) * فى حديث أخرجه أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل العنكبوت وقال انه جند من جنود الله وأخرج ابن سعد عن أبى بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على فى الغار قال المناوى وهذا فى عنكبوت خاص وهو ما لا يؤذى وأما ما يؤذى ففيه ورد ما أخرجه ابن عدى عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت شيطان مسخه الله تعالى فاقتلوه أى ندبا وأخرج أبو داود فى مراسيله انه صلى الله عليه وسلم قال العنكبوت شيطان فاقتلوه انتهى

(ونحا المصطفى المدينة واشتا قت اليه من مكة الانحاء)

أى وقصد المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة مع أبى بكر وعامر ابن فهيرة وعبد الله بن الاريقط وذكر غير واحد انهم مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية (٢) ==

الصورة وأعقب اللباس الترجل والخضاب والكحل لانه نوع من الزينة ويستفاد من الباب بيان خلقه صلى الله عليه وسلم فى اللباس فان أحاديث الباب متضمنة لذلك والمأخوذ من الاحاديث التى سردها المصنف ومن غيرها انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يتأنق فى لباسه ولم تطلب نفسه التعالى فيه ميلا للتواضع والعبودية واشارة الى أن هذا الطريق أسلم بالنسبة الى كل طريق وان كرم المؤمن وعزه انما هو بتقوى الله لا بارتكاب أوجه الترفعات الدنيوية والتميز بها بين عباد الله ولان المباهاة والتزين من شأن النساء والمحمود للرجال نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وعدم اسقاطه لمروءة لابسه ومن كلام عمر رضى الله عنه اياكم ولبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعضهم

اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهت * واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد مما يناسب لباس قومه وكان من عادتهم ولم يقتصر من اللباس على صنف بعينه حتى لا يتميز على الناس ويكون فيما بينهم كواحد منهم فكان يلبس الكساء الخشن ويقسم أقبية الخز المخوصة بالذهب فى صحبه هذا هو الغالب من حاله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم لبس أيضا من الثياب الفاخرة وأكل من اللذيذات الطيبة الطاهرة * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى نا الفضل بن موسى وأبو تميلة) بالتاء المثناة مصغرا يحيى بن واضح المروزى الانصارى (وزيد بن حباب) أخرج حديثه الستة كالذين قبله (عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة) قيل اسمها هند (قالت كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) أحب بالرفع اسم كان والقميص بالنصب خبرها ان كان المقصود تعيين الاحب وبالعكس ان كان المقصود بيان حال القميص عنده صلى الله عليه وسلم ورجحه العصام بان أحب وصف فهو أولى بكونه حكما فهما روايتان على ما قاله بعض والثياب جمع ثوب وهو ما يلبسه الناس من الكتان والقطن والصوف والخز والفراء والقميص قال فى القاموس معلوم وقد يؤنث ولا يكون الا من القطن وأما الصوف فلا انتهى وكأن حصره المذكور للغالب والظاهر ان

(١) لفظ السهيلى فى الروض ولم يكن اذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح انه أسلم من بعد ذلك انتهى وفى الاصابة لابن حجر ولم أر من ذكره فى الصحابة الا الذهبى فى التجريد اه وفى نور النبراس أنه صحابى أسلم بعد هذه القصة اه من خط المؤلف بواسطة

(٢) قال السهيلى فى الروض وأما أم معبد التى مر بخيمتها فاسمها عاتكة بنت خالد احدى بنى كعب من خزاعة وهى أخت حبيش بن خالد وله صحبة ورواية وقد قدمت أم معبد المدينة ومعها ابن لها قد بلغ السعى فمر فى المدينة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلم الناس على المنبر فانطلق الى أمه يشتد فقال لها يا أمتاه انى رأيت اليوم الرجل المبارك فقالت له يا بنى ويحك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها أبو معبد يقال ان له رواية أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرف اسمه وكان منزل أم معبد بقديد اه بمعناه وانظر آخر الاستيعاب لابن عبد البر فقد استوعب خبرها اه من خط المؤلف

= وكانت امرأة برزة(١) جلدة تحتبى (٩٤) بفناء القبة ثم تسقى وتطعم فسألوها تمرا ولحما ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيأ من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين فنظر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال ماهذه الشاة يا أم معبد قالت خلفها الجهد عن الغنم قال هل فيها من لبن قالت هى أجهد من ذلك قال أفتأذنين لى أن أحلبها قالت نعم بأبى أنت وأمى ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها فى شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا حتى ملأه ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء أبو معبد زوجها يسوق أعنزا عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال من أين لك هذا اللبن والشاة عازب حيال ولا حلوب فى البيت فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ووصفته له فقال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا اهـ قوله مرملين أى نفدت أزوادهم ومسنتين أى مجدبين وكسر الخيمة جانبها وتفاجت بتشديد الجيم فتحت ما بين رجليها ويربض الرهط أى يرويهم ويثقلهم والثج السيلان وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت (الحديث)

كونه من القطن مرادفى الحديث لان الصوف يؤذى البدن ويدر العرق ورائحته يتأذى بها وقد أخرج الدمياطى كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول والكمين وقد ورد ان المصطفى لم يكن له الا قميص واحد فعن عائشة قالت مارفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قط غداء لعشاء ولا عشاء لغداء ولا اتخذ من شئ زوجين لا قميصين ولا ازارين ولا رداءين ولا زوجين من النعال انظر المناوى وانما كان القميص أحب اليه لانه أستر للبدن لاحاطته بالبدن بالخياطة بخلاف الازار والرداء والشملة ونحوها مما يحتاج الى ربط أو امساك أو لف أو عقد اذ ربما غفل عنه لابسه فيسقط عنه بخلاف القميص ولانه أخف على البدن وأقل مؤنة ولان لبسه من الامر القديم كما يدل عليه آية اذهبوا بقميصى هذا الخ ويقال ان هذا القميص هو قميص الخليل عليه الصلاة والسلام الذى أتاه به جبريل من الجنة لما عرى فى ذات الله وكان بنوه يتوارثونه وكان من خاصيته ان المبتلى اذا لبسه عوفى ولما أخبر يوسف بأن يعقوب عليهما السلام ابيضت عيناه من الحزن بعث به اليه ليعافى مما كان به والله أعلم * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا الفضل بن موسى عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) المتن واحد والاسناد متعدد فذكره للحكم مؤكد * قال المصنف (حدثنا زياد بن أيوب البغدادى) قيل الرواية باهمال الدالين وقيل الاولى مهملة والثانية معجمة وقيل بالعكس وهو أبو هاشم طوسى الاصل أخرج حديثه الشيخان والترمذى والنسائى (نا أبو تميلة عن عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن أمه) لم تسم (عن أم سلمة قالت كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص) قد أورد المصنف هذا الحديث بثلاثة أسانيد الا أن هذا السند الثالث يغاير الاسنادين قبله بزيادة عن أمه مع مغايرة بعض رجاله ووقع فى هذا الاسناد فى بعض النسخ جملة يلبسه قبل القميص أى كان يحب لبسه لا نحو افتراشه أو التغطى به أو اهدائه ثم لما كان قد يتوهم ان زيادة عن أمه من تصرفاته لمعرفته أنه سقط من اسناد زياد فدفع نقصان الاسناد بهذه الزيادة لم يكتف بالاسناد المتقدم وعقبه بقوله (قال) أى أبو عيسى المصنف كما فى بعض النسخ وحذفه لدلالة السياق عليه (هكذا قال زياد بن أيوب فى حديثه) اى بزيادة عن أمه فى السند فالاشارة الى السابق والى اللاحق وهو ما فى الاسناد من قوله (عن عبد الله ابن بريدة عن أمه عن أم سلمة) ولم يكتف باسم الاشارة عن قوله عن عبد الله الخ لئلا يتوهم ان هكذا اشارة الى متن الحديث ثم أشار بقوله (وهكذا روى غير واحد) الى أن غير واحد من مشايخه من أهل الضبط والاتقان روى (عن أبى تميلة مثل رواية زياد بن أيوب) والمقصود بهذا تقوية رواية زياد بن أيوب وأما قوله (وأبو تميلة يزيد فى هذا

(١) برزة على وزن ضخمة أى تبرز وليست محجوبة كالصغيرة من النساء ومعنى جلدة ذات قوة وشدة اهـ مؤلف

الحديث) أى فى ذكره (عن أمه) فأشار به الى أنه لم يزد بين الرواة عن عبد المؤمن هذه الزيادة وهى عن أمه الا أبو تميلة دون رفيقيه الفضل بن موسى و زيد بن حباب وغيرهم فانهم كلهم لم يزيدوا عن أمه وأما الرواة عن أبى تميلة فيفهم مما تقدم ان جميعهم روى عنه هذه الرواية كزياد بن أيوب وغيره من مشايخ المصنف الا محمد بن حميد الرازى ثم أشار الى ترجيح زيادة عن أمه فقال (وهو أصح) فى جامع المصنف انه سمع محمد بن اسمعيل يعنى البخارى يقول حديث ابن بريدة عن أمه عن أم سلمة أصح اه فالمصنف مسبوق بهذا التصحيح وبذلك تعلم بطلان قوله فى جمع الوسائل ان قائل هو أصح هو أبو تميلة وان المعنى أنه عقب قوله عن أمه بقوله وهو أصح وانما زاد قوله عن أمه تعيينا لموقع هذه الزيادة اه وانما حكم البخارى بكونه أصح اما لانه لم يثبت عنده سماع عبد الله بن بريدة عن أم سلمة مطلقا أو فى هذا الحديث بخصوصه واما لان أبا تميلة أوثق وأحفظ من رفيقيه وهما الفضل بن موسى و زيد بن حباب فان على بن المدينى قدم أبا تميلة على الفضل بن موسى وقال روى الفضل أحاديث مناكير وقال أحمد زيد بن الحباب صدوق ولكنه كان كثير الخطا وأما أبو تميلة فثقة محتج به عند الجماعة والله أعلم انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجاج) صدوق أخرج حديثه الترمذى فقط (نا معاذ بن هشام) أخرج حديثه الستة (حدثنى أبى عن بديل) بدال مهملة مصغرا (يعنى ابن ميسرة) هكذا الصواب كما حققه المحققون فى أسماء الرجال كالمزنى والذهبى والعسقلانى ووقع فى بعض نسخ الشمائل بديل بن صليب بضم الصاد وفتح اللام وسكون الياء بعدها باء موحدة (العقيلى عن شهر بن حوشب) صدوق كثير الارسال قال النووى فى شرح مسلم وثقه كثيرون من أئمة السلف حتى قال أحمد بن حنبل ما أحسن حديثه (عن أسماء بنت يزيد) الانصارى صحابية لها أحاديث (قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم) واصلا (الى الرسغ) فى القسم بالسين والصاد بدل السين لغة فيه وهو منفصل الساعد والكف وفى جعل الكم الى الرسغ توسط لانه متى جاوز اليد شق على لابسه ومنعه سرعة الحركة والبطش ومتى قصر عن الرسغ تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد وأخرج السيوطى عن ابن عباس كان يلبس قميصا وكان فوق الكعبين وكان كمه مع الاصابع وجمع بعض بينهما بأن هذا فى الحضر وذلك فى السفر أو يحمل على تعدد القميص أو تحمل رواية الكتاب على التخمين والتقريب وروى عن على رضى الله عنه انه ابتاع قميصا وأمر الخياط أن يقطع من كمه ما زاد على الاصابع وقال لا فضل

بقيت الشاة التى لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة زمان عمر بن الخطاب وكانت تحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الارض ابن قليل ولا كثير قوله واشتاقت اليه من مكة الانحاء أى النواحى والجهات فهو جمع نحو والنحو الجهة بمعنى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة مهاجرا الى المدينة اشتاقت اليه مكة وحنت له وتأسفت على فراقه وتلهفت لذهابه وتوحشت لفقد الانس به اذ هو روح الكون كله وسر الوجود بأسره واشتياقها اليه وحنينها له صلى الله عليه وسلم حقيقة لا مجاز على الاصح وراجع ما تقدم من حنين الجذع اليه وغيره وقد أنشد بعض الصحابة

الصبر يحمد فى المواطن كلها
الا عليك فانه لا يحمد

ومن جملة انحاء مكة الجمار الثلاث والمقام والبيت والموقف والصفا والمروة وغيرها من نواحى الحرم وقد صرحوا بأن ألم الفراق أشد من ألم النار *(تنبيه)* كما اشتاقت مكة للحبيب صلى الله عليه وسلم اشتاق هو لها لما لها من النسبة اذ فيها بيت الله تعالى ومزار الانبياء ومنزل الرحمة ومحل التعظيم والاجلال حتى وعده الله بدخولها والتمكن من تطهيرها من آثار الكفر والتصرف فيها بمقتضى الحق فقال تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى معاد له شأن وبه اعتداد وذلك يوم الفتح لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور الاسلام وأهله وخمود الشرك وحزبه فالتنكير فى معاد للتعظيم وبهذا الوصل منه عاد لمكة رونقها وانسها وزالت وحشتها وحزنها وبه أمكنها الصبر ولم تضمحل اجزاؤها لان الفراق اذا لم يكن عن بغض وتسخط من المحبوب فانه يرجى بعده الوصل ولا يعد هجرا الا فى الصورة دون الحقيقة * قال ابن الفارض رحمه الله

اذا كان حظى الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندى هو الوصل
وما الصد الا الود مالم يكن قلى * وأصعب شئ غير اعراضكم سهل

(وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء)

قالت أسماء بنت أبي بكر ولما خفي علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك فقلت لا والله لا أدرى اين أبى قالت فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم وجهى لطمة خرج منها قرطى قالت وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو ينشد

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به
فقد فاز من أمسى رفيق محمد (١)
فيال قصى ما زوى الله عنكم
به من فعال لا يجارى وسودد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها واناتها
فانكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب
يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمع ذلك حسان بن ثابت جعل يجاوب الهاتف وهو يقول (٢)

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليهم ويغتدى

لكمين على الاصابع ففى هذا دليل على ان السنة ان لا يتجاوز كم القميص الاصابع وفى حاشية الحطاب على الرسالة قال القرافى فى شرح الجلاب قال ابن شعبان فى الزاهى لا ينبغى أن يضيق الكم والجمال أقرب عند الله عز وجل وقد رد شريح شهادة رجل ضيق الكم قال مالك قصر الكم مثلة اه كلام القرافى وقال فى مختصر المدارك لابن رشيق قال مالك حياة الثوب طيه وعيبه قصر أكمامه اه وفى العارضة السنة فى القميص ان لا يطول كمه اه الحطاب ويريد بتطويل الكم أن يطول جدا الينفق كلامه مع ما تقدم انتهى * قال المصنف (حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث نا أبو نعيم نا زهير عن عروة بن عبد الله بن قشير عن معاوية بن قرة) أخرج حديثه السنة (عن أبيه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رهط) فى القاموس بسكون الهاء ويحرك قوم الرجل وقبيلته أو من ثلاثة الى عشرة وفى بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا فى أمم (من مزينة) صفة لرهط وهى قبيلة معروفة من مضر (لنبايعه) متعلق بأتيت (وان قميصه لمطلق) قال العسقلانى اى محلول غير مزرور والجملة حال (أو قال زر قميصه مطلق) بلا لام أى غير مشدود الازرار والشك من شيخ الترمذى فان ابن سعد أخرج عن أبى نعيم بهذا الاسناد ولم يشك بل قال ان قميصه لمطلق وأخرج أيضا من طريق عبد الله بن يونس والحسن بن موسى جميعا عن زهير بهذا اللفظ بغير شك فوهم من قال الشك من معاوية أو من دونه زاد ابن سعد قال عروة فما رأيت معاوية ولا أباه الا مطلقى الازرار فى شتاء ولا فى خريف اه والعبارة غير صريحة فى أنه كان لجيب قميصه زر وعروة فيحتمل انه لم يكن له زر ولا عروة ويؤيد هذا ما ذكره ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عمر انه قال ما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصا له زر (قال) اى قرة (فأدخلت يدى) بصيغة الافراد (فى جيب قميصه) المراد بالجيب هنا الطوق وفائدته الاتساع ليدخل الرأس بسهولة وأكثر ما كان على الصدر وقد يكون على أحد الكتفين قال فى العارضة ولا تبالى بالجيب كان بالمقدم أو بالجنب الا أن يكون للناس عادة يسلكونها فذلك أسلم للمرء قال الاسماعيلى جيب الثوب أى جعل فيه ثقبا يخرج منه الرأس قال العسقلانى وقوله فادخلت يدى يقتضى ان جيب قميصه كان فى صدره اه نقله فى جمع الوسائل وسلمه وانظر من أين يقتضى ذلك وقد يطلق الجيب على ما يجعل فى صدر الثوب ليوضع فيه الشئ وبذلك فسره أبو عبيد وليس هو المراد هنا (فمسست) بكسر السين الاولى على اللغة الفصيحة وحكى أبو عبيد الفتح أيضا (الخاتم) أى خاتم النبوة لا بقصد التبرك ومن

ثم

(١) هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد كذا أنشده فى الروض والذى فى الاصل هو لفظ الاستيعاب اه مؤلف (٢) هذا لفظ الاستيعاب وحروفه ولفظ الروض ويروى ان حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنى وما هتف به فى مكة قال يجيبه انتهى قيل والظاهر انه انما قال ذلك بعد اسلامه اه من خط المؤلف بواسطة

ثم اغتفر له هذا الامر المنافى لرعاية الادب وفيه كمال تواضعه عليه الصلاة والسلام وان جعل جيب القميص على الصدر ليس ببدعة كما ظن من لا علم عنده وهذا على تسليم ما قاله العسقلانى وحل اطلاقه وسعته بحيث تدخل اليد فيه * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد) أخرج حديثه مسلم وغيره (نا محمد بن الفضل) أى السدوسى لانه الذى أخرج عنه المصنف فى الشمائل (نا حماد بن سلمة عن حبيب) بفتح المهملة وكسر الموحدة (ابن الشهيد عن الحسن) أى البصرى (عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج) أى من بيته (وهو متكئ) أى معتمد (على اسامة بن زيد) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه وابن مولاته أم أيمن وحبه وابن حبه أمره على جيش فيه أبو بكر وعمر وهو دون عشرين سنة وسيأتى فى باب الاتكاء عن أنس بلفظ ان النبى صلى الله عليه وسلم كان شاكيا فخرج يتوكأ على اسامة الخ وهذا يحتمل أن يكون فى شكواه الذى مات فيه وأن يكون فى مرض آخر والاول أظهر ففى رواية الدارقطنى أنه خرج بين أسامة بن زيد والفضل بن عباس الى الصلاة فى مرضه الذى مات فيه فصلى بأصحابه ويؤيده أيضا ما عند البخارى عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه وعليه ملحفة متعطفا بها قال العسقلانى أى متوشحا مرتديا ويعضده قول المصنف (عليه) أى على النبى صلى الله عليه وسلم (ثوب) بالتنوين (قطرى) منسوب الى قطر بكسر القاف بلد باليمن يجلب منها برود فيها حمرة ولها اعلام وفيها بعض الخشونة والجملة الاولى حال من فاعل خرج بالضمير والواو ومعا وهذه الجملة حال أيضا بالضمير وحده نحو كلمته فوه الى فى (قد توشح به) يقال توشح بثوبه وبسيفه اذا ألقاه على عاتقه كالوشاح قال بعض والمراد ههنا انه أدخل الثوب تحت يده اليمنى وألقاه على منكبه الايسر كما يفعل المحرم ويأتى قول آخر فى معنى التوشح (وصلى بهم) أخرج ابن سعد من طريق أبى ضمرة الليثى عن حميد عن أنس انه قال آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القوم فى مرضه الذى قبض فيه فى ثوب واحد متوشحا به قاعدا * قال المصنف (قال عبد بن حميد) شيخ المصنف (قال محمد بن الفضل سألنى يحيى ابن معين) بفتح الميم مجمع على جلالته وثقته وحفظه وتقدمه فى هذا الشان حتى قال أحمد بن حنبل السماع من يحيى بن معين شفاء لما فى الصدور وغسل على السرير الذى غسل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل على ما حمل عليه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ذكره العصام (عن هذا الحديث) الذى فيه ذكر لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم

ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عماية هم هاديه كل مهتدى
وقد نزلت منه على أهل يثرب
ركاب عدى حلت عليهم بأسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وان قال فى يوم مقالة غائب
فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده
بصحبته من يسعد الله يسعد
ويهن بنى كعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد (١)

ولم يبق بيت بمكة الا انتبه لهتف الهاتف بخروج النبى صلى الله عليه وسلم واستيقظ فلما أصبحوا بكرة اجتمعوا وقالوا سمعتم ما كان البارحة قالوا سمعناه قالوا فقد كان مخرج صاحبكم عن طريق الشام من حيث تأتيكم الميرة فاطلبوا صاحبكم فردوه قبل أن يستعين عليكم بكلاب العرب فجمعوا سرية من خيل ضخمة فخرجت فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا بأم معبد رضى الله عنها فسألوها عنه فأشفقت عليه منهم فكتمت عليهم فقالت انكم لتسألونى عن أمر ما سمعت به قبل عامى هذا وهى صادقة لم تسمعه الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لاستوحش منكم تسألونى عن رجل يخبركم بخبر السماء وان لم تنصرفوا عنى لاصيحن فى قومى عليكم وكانت فى عز من قومها فى الجاهلية

(١) هذا البيت الاخير لم يذكره فى الروض وذكره فى الاستيعاب له اهـ من خط المؤلف بواسطة

فانصرفوا ولم يعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه ولو قضى الله لهم أن يسألوا الشاة من حلبك لقالت محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انها جعلت شاهدا فعمى الله عليهم مسئلة الشاة وسألوا أم معبد رضي الله عنها فكتمتهم
ولما ارتحل المصطفى صلى الله عليه وسلم عن أم معبد مر بعبد يرعى غنما فاستسقاه اللبن فقال ما عندي
شاة تحلب غير ان هنا عناقا
حملت أول العام وما بقي لها لبن
قال ادع بها فاعتقلها ومسح
ضرعها ودعا بحلاب فسقى أبا بكر
ثم الراعي ثم شرب فقال الراعي
من أنت فقال محمد بن عبد الله
رسول الله قال الذي تزعم
قريش أنه صابئ(١) قال انهم
يقولون ذلك قال فاشهد انك
نبي وأن ما جئت به حق رواه
البيهقي وهذا محمول على أن رب
العبد أذن له في ذلك وعلم بذلك
النبي صلى الله عليه وسلم
وأخرج أبو نعيم عن مالك بن
أوس الاسلمي قال لما هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر مروا بابل لنا بالجحفة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لمن هذه الابل قال لرجل من
أسلم فالتفت الى أبي بكر فقال
سلمت ان شاء الله فقال ما اسمك
فقال مسعود فالتفت الى أبي
بكر فقال سعدت ان شاء الله اه

(واقتفى اثره سراقة فاستهـ
وته في الارض صافن جرداه
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ
ف وقد ينجد الغريق النداء)

اقتفى أي تبع وسراقة هو ابن
مالك بن جعشم (٢) المدلجي

(أول ما جلس الي) أي أول زمان جلوسه أو زمان أول جلوسه (فقلت نا حماد بن سلمة فقال) يحيى بن معين (لو كان) أي التحديث (من كتابك) أي لكان خيرا لكونه أوثق ويحتمل أن تكون لو للتمني فلا تحتاج الى جواب (فقمت) أي من المجلس (لاخرج كتابي) أي كتاب روايتي من بيتي (فقبض) يحيى (على ثوبي) أي أمسكه مانعا لي من القيام (ثم قال أمله علي) بفتح الهمز وكسر الميم وتشديد اللام المفتوحة أمر من الاملال وهو بمعنى الاملاء يقال أمللت الكتاب وأمليته اذا ألقيته على الكاتب ليكتبه وفي بعض النسخ بسكون الميم وكسر اللام المخففة من الاملاء أي حدثني بالاملاء أولا (فاني أخاف أن لا ألقاك) أي ثانيا المانع كموت أحدهما قبل تلاقيهما ولذا قيل الوقت قاطع وبرق الخوف لامع وفيه كمال التحريض على تحصيل العلم والسير والتنفير من الامل سيما في الاستباق الى الخيرات (قال) أي محمد (فأمليته عليه) أي على يحيى وفي نسخة فأمليت عليه بدون الضمير المنصوب والجمع بين اللغتين تفنن في العبارة (ثم أخرجت كتابي فقرأت عليه) أي الحديث من املائي أيضا وفي نقل رواية عبد بن حميد قول محمد بن الفضل مزيد توثيق لهذا السند اذ محمد بن الفضل كان ممن يستوثق به يحيى بن معين وكان واثقا في هذا الحديث حيث وافقت روايته قراءته من كتابه قاله العصام * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن اياس الجريري) بضم الجيم (عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا) أي لبس ثوبا جديدا وعند ابن حبان من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة (سماه باسمه) أي الموضوع له لا باسم خاص بخلاف أسلحته ودوابه فقد كان يجعل لها أسماء خاصة تتميز بها (عمامة أو قميصا أو رداء) بدل من قوله ثوبا أو من قوله باسمه لانه في محل نصب على أنه مفعول ثان لسماه والمراد انه ان كان عمامة سماه عمامة وان كان قميصا سماه قميصا وهكذا مثل أن يقول رزقني الله هذا القميص أو كساني هذه العمامة (ثم يقول) أي بعد التسمية واللبس (اللهم لك الحمد كما كسوتنيه) الضمير راجع الى المسمى قال بعضهم ويحتمل أن يكون المراد بقوله سماه باسمه ان يأتي باسمه بدلا عن ضمير كسوتنيه بأن يقول اللهم لك الحمد كما كسوتني هذا القميص أو العمامة مثلا قال الطيبي والاول أظهر للعطف بثم اه وما مصدرية والكاف بمعنى على أو للتعليل على حد اذكروه كما هداكم أو للتشبيه أي الحمد على قدر نعمة الكسوة وبطبقه وازائه فالجار والمجرور راجع لقوله لك الحمد على الاظهر ويبعد أن يكون راجعا لقوله (أسألك

(١) بالهمز خارج من دين الى دين سموه بذلك زعما منهم انه خرج من دينهم الى الاسلام مع انه ما دخل في دينهم قط اجماعا اه من خط المؤلف (خيره)
(٢) قوله جعشم ضبط في نسخة بضم الجيم والشين وكتب عليه المؤلف ما نصه ضمهما معا هو الثابت وحكى الجوهري فتحهما وأنكر عليه اه

خيره) أى ان توصل الى خيره (وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له) وخير الثوب بقاؤه ونقاؤه وكونه ملبوسا للضرورة والحاجة لا للفخر والخيلاء وكونه حلالا وخير ما صنع له هو دفع الضرورات التى من اجلها يصنع اللباس من الحر والبرد وشر الثوب عكس المذكورات وهو كونه حراما او نجسا أو لم يبق زمانا طويلا أو يكون ملبوسا للمعاصى والشرور وشر ما صنع له أن لا يتوصل به الى المطلوب من دفع الضرر ويحتمل أن يكون معنى خير ما صنع له خير ما خلق له وهو الشكر بالجوارح والقلب وشر ما صنع له أى خلق له وهو الكفران انظر جمع الوسائل فقد أشار الى الاحتمالين قلت ويحتمل أن يكون المعنى أسألك خيره وهو دفع ضرورة الحر والبرد والتجمل وخير ما صنع له أى ما شأنه ان يتخذ له كالصلاة به واظهار نعمة الله ونحو ذلك من المقاصد الحسنة وشره أن يكون مشؤما على لابسه بأن يحسد عليه ويؤذى من أجله بقتل أو ضرب أو نحو ذلك وشر ما صنع له أن يلبسه بنية سيئة كالكبر والخيلاء ونحو ذلك وهذا الاحتمال أقرب وللشراح هنا خبط كثير هذا وقد ورد فيما يدعو به من لبس ثوبا جديدا أحاديث آخر منها ما أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه والمؤلف فى جامعه وحسنه من حديث عمر مرفوعا من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى خلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله وفى ستر الله حيا وميتا ومنها ما أخرجه الامام أحمد والمؤلف فى جامعه وحسنه وأبو داود والحاكم وصححه وابن ماجه من حديث معاذ وأنس مرفوعا من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه زاد أبو داود فى روايته وما تأخر * قال المصنف رضى الله تعالى عنه (حدثنا هشام بن يونس الكوفى نا القاسم بن مالك المزنى عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه) أى فى المعنى ولو قال مثله يراد فى اللفظ كما تقدم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أنس بن مالك قال كان أحب الثياب) بالرفع والنصب (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه) ضمير المذكر لأحب وفى نسخة يلبسها وضمير المؤنث للثياب وهو احتراز من الافتراش وغيره (الحبرة) كعنبة خبر كان أو اسمها وهى نوع من برود اليمن تتخذ من كتان أو قطن مخططة بخطوط حمر وربما كانت بزرق أو خضر * قال القرطبى سميت حبرة لانها تحبر أى تزين والتحبير التحسين قال المناوى انما كانت أحب اليه للينها وموافقتها لجسده الشريف فانه كان

والسين والتاء فى قوله فاستهوت لجرد التأكيد أى غاصت قوائم فرسه فى الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها والصافن من الخيل الذى يقوم على ثلاث قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر والجرداء الرقيقة الشعر والقصيرته مستعار من الشجرة التى قل ورقها وفاعل نادى سراقة ومفعوله النبى صلى الله عليه وسلم بأن قال له الامان يا محمد وما مصدرية أى بعد سوم الفرس الخسف أى كادت الفرس أن تخسف جملة بعد خسف بعضها ومن الحكم المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل أنه قد ينجد الغريق النداء أى الدعاء لله بانكسار وتذلل قال الزهرى وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى وهو ابن أخى سراقة بن جعشم ان أباه أخبره أنه سمع سراقة يقول جاءتنا كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتلهما أو أسرهما فركبت فرسى وخرجت لاحقابهما حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الارض حتى بلغت الركبتين فخررت عنها فنهضت فلم تكد تخلع يديها فلما استوت قائمة خرج من أثر يديها دخان ساطع فناديتهم بالامان فوقفا وركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم انه سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك جعلوا فيك الدية وأخبره بخبرهم وما يريدون به وعرض عليهم الزاد فلم يأخذوا منه شيأ وسألوه أن يخفى أثرهم قال سراقة وسألته أن يكتب لى كتابا آمن به فأمر عامر بن فهيرة فكتب لى فى رقعة من ادم ثم مضى وفى رواية البخارى عن أبى بكر فارتحلنا والقوم يطلبونا فلم يدركنا الا سراقة على فرس له فقلت

يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لاتحزن ان الله معنا حتى اذا دنا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة قلت
يارسول الله هذا الطلب وبكيت فقال لى لم تبكى قلت أما والله ما أبكى على نفسى ولكن أبكى عليك فدعا عليه صلى الله عليه
وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت فرسه الى بطنها فى أرض طر نوثب عنها وقال يامحمد ان
هذا عملك فادع الله أن ينجينى
مما أنا فيه فوالله لأعمين عمن
ورائى من الطلب وهذه كنانتى
فخذ منها سهما فانك ستمر بابلى
بموضع كذا وكذا فخذ منها
حاجتك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاحاجة لى فيها
ودعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأطلق ورجع الى صاحبه
ولما رجع وجد القوم يلتمسون
فقال ارجعوا فقد استبرأت
لكم ماهنا قال فخرجت وأنا
أحب الناس فى تحصيله
ورجعت وأنا أحبهم فى أن لا يعلم
به أحد وفى ذلك يقول سراقة
مخاطبا لابى جهل

أباحكم لو كنت والله شاهدا
لأمر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فانى
أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم
بأن جميع الناس طرا يسالمه

وأخرج سراقة كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم حنين
فنفذه وأمنه ومن يلوذ به ثم
أسلم بالجعرانة بعد مارجع
النبى صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف قاله ابن اسحق وقيل انه أسلم يوم الفتح
وعليه اقتصر ابن حجر فى الاصابة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا لبست سوارى كسرى (١) فالبسهما له عمر

على غاية من النعومة واللين ونحو الخشن يؤذيه ولا ينافى هذا ما سبق لأن ذلك بالنسبة للمخيط وهذا المايرتدى به أو القميص اذا كان عند نسائه والحبرة حين يكون بين أصحابه أو كان يتخذ القميص من الحبرة اه أو المراد ان ماذكر من جملة الاحب كما قيل فيما ورد فى كثير من الاشياء انه أفضل العبادات قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا محمد بن غيلان نا عبد الرزاق أنا سفيان) أى الثورى كما فى نسخة وقيل ابن عيينة (عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم) أى فى بطحاء مكة وهو موضع خارج مكة ويقال له الابطح ففى البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم بالبطحاء بالهاجرة وخرج فى حلة حمراء مشمرا وفيه أيضا قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يبتدرون بلال وضوئه أى ما فضل من ماء وضوئه فمن أصاب منه شيأ مسح به وجهه ومن لم يصب منه شيأ أخذ من بلل صاحبه وزاد من طريق شعبة عن عون عن أبيه وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بهما وجوههم قال فأخذت يده فوضعتها على وجهى فاذا هى أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك (وعليه حلة حمراء) تقدم فى الباب الاول بيانها (كأنى أنظر) أى الآن (الى بريق ساقيه) أى لمعانه وفيه اشارة الى مطلوبية تقصير الثياب وسيأتى ما فى ذلك (قال سفيان) المطلق من هذا الاسم يراد به الثورى واذا أطلق الحسن فالمراد به البصرى واذا أطلق عبد الله فهو ابن مسعود قاله فى جمع الوسائل (أراها) بضم الهمزة (حبرة) أى أظن الحلة الحمراء حبرة أى ثوبا مخططا بخطوط حمر وفى نسخة نراه حبرة بضم النون وذكر الضمير بتأويل الحلة بالثوب وكأنه انما فسرها بذلك جمعا بين الادلة لحديث النهى عن لبس الاحمر أخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال رأى على النبى صلى الله عليه وسلم ثوبين معصفرين فقال ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسهما وفى لفظ له فقلت أغسلهما فقال أحرقهما والمعصفر هو المصبوغ بالعصفر وغالب ما يصبغ به يكون أحمر وهذا الذى قاله سفيان من تخصيص المنع بالذى يصبغ كله دون المخطط هو أحد الاقوال فى لبس الاحمر وللعلماء فى لبس الاحمر أقوال أخر الجواز مطلقا أخذا بظاهر حديث وعليه حلة حمراء المنع مطلقا لحديث مسلم المتقدم ثالثها كراهة المفدم دون ما كان خفيفا لحديث ابن عمر نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المفدوم بالفاء وتشديد الدال رابعها كراهة الاحمر مطلقا فى المحافل للشهرة ويجوز فى البيوت خامسها اختصاص النهى بما صبغ بعد النسج دون ما صبغ غزله ثم نسج بناء على أن الحلة الحمراء والبرود الحمر التى لبسها النبى صلى الله

(١) نص ابن المنير على ان هذه المقالة كانت يوم لحقهما فى الهجرة والذى للسهيلى فى الروض انه قال ذلك حين أسلم ولا يبعد تعدد المقالة اه من خط المؤلف

عليه وسلم نسجت بعد صبغ غزلها سادسها اختصاص النهي بما يصبغ بالعصفر لورود النهي عنه دون ما صبغ بغيره ثم القائلون بالنهي منهم من علل بأنه من زي الاعاجم ومنهم من علل بما فيه من التشبه بالنساء وعلى الوجهين يكون النهي عنه لا لذاته بل للتشبه ومنهم من علل بالشهرة أو خرم المروءة وعليه فيفرق بين لبسه في المحافل والبيوت انظر العسقلاني وأخرج البيهقي في الشعب من طريق أبي بكر الهزلي وهو ضعيف عن الحسن البصري عن رافع بن يزيد الثقفي رفعه ان الشيطان يحب الحمرة فاياكم والحمرة وكل ثوب ذي شهرة انظر جمع الوسائل وقد ترجم البخاري بباب القبة الحمراء من ادم اشارة الى تضعيف أحاديث النهي عن الاحمر فانظره وقال عياض أجاز لبسه جماعة من السلف والفقهاء والشافعي وأهل الكوفة وقال مالك لا اعلمه حراما وغيره أحب الي منه انظر تمامه فقد ذكر ما في المسئلة من الخلاف وفي الابي بعد أن ذكر الخلاف ما نصه ثم قد يختص بلباسه في بعض الاوقات أهل الفسق والدعارة فيكره التشبه بهم وقد قال عليه السلام من تشبه بقوم فهو منهم ولا يختص هذا بالحمرة بل في جميع الالوان والاحوال حتى لو اختص أهل الفسق والظلم بشيء مما أصله السنة كالخاتم والخضاب فينبغي لاهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم وأيضا فقد يظن من لا يعرفهم أنهم منهم فيكون قد أعان على اساءة الظن به اه * قال المصنف (حدثنا علي بن خشرم نا عيسى بن يونس عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال ما رأيت أحدا من الناس أحسن في حلة حمراء) لبيان الواقع لا للتقييد (من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كانت جمته) كأنه أطلقها على مطلق الشعر (لتضرب قريبا من منكبيه) * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا عبيد الله بن اياد) زاد في نسخة وهو ابن لقيط (عن أبيه عن أبي رمثة) بكسر الراء وسكون الميم وفتح المثلثة قاله المناوي (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بردان) في النهاية البرد نوع من الثياب مخطط معروف (أخضران) أي فيهما خطوط خضر لما تقدم عن النهاية وتقدم لنا في باب الشيب أن الاخضر أكثر لباس أهل الجنة كما ورد وقال ابن بطال الثياب الخضر من لباس اهل الجنة وكفى بذلك شرفا قال في جمع الوسائل قلت ولذلك صارت ثياب الشرفاء وهذا الحديث قال المؤلف في جامعه حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن إياد وفي المشكاة عن يعلى بن أمية قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا ببرد أخضر رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي

اظهارا لمعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رضي الله عنه سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان رضي الله عنه

* (تكميل) * لما تسامع المهاجرون الذين اجتمعوا بقباء والانصار خروجه صلى الله عليه وسلم تحرك لذلك ما كان منهم ساكنا وظهر عليهم من آثار الشوق وعلامة الوجد ما كان فيهم كامنا فان قلوب أهل المحبة بعد الفراق تكون منطوية على نارها قد استمرت مع حرارة جمارها فاذا برق لهم بارق الوصال وطمعوا في تبدل الانفصال بالاتصال تأججت نارهم بهبوب رياح التذكار واشتعلت جمارهم باجتماع حطب الانتظار وحينئذ ينشد لسان حالهم

فليت شعري والدنيا مفرقة
بين الرفاق وأيام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة
أم هل تعود لنا أيامنا الاول
يا ظاعنين بقلبي أينما ظعنوا
ونازلين بقلبي أينما نزلوا
لقد جرى حبكم مجرى دمي فدمي
بعد التفرق في أطلالكم طال

وعن عروة بن الزبير قال لما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم أوفى رجل من يهود على اطم (١) من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه

(١) في القاموس الاطم بضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع آطام وأطوم اه وهذا الرجل من اليهود قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه اه من خط المؤلف

فنادى بأعلى صوته يابنى قيلة (١) هذا جدكم أى حظكم ومطلوبكم قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم (٢) فتلقوه فنزل بقباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول لاثنتى عشرة ليلة خلت منه قال انس بن مالك لما كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة أضاء منها كل شئ وخرجت ذوات الخدور وجعلت النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا

من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا

ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا

جئت بالامر المطاع

وجعلت نساء بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بنى النجار

ياحبذا محمد من جار

(٣) فرحبا بالنبى المختار

ومرحبا بسيد الابرار

فقال لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحببننى قلن اى والله فقال والله انى أحبكن قال الطبرانى. وتفرق الغلمان والخدم فى الطريق ينادون جاء محمد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وقد حق لهم والله أن يزدحموا على شهود تلك الطلعة المباركة ويتسابقوا الى رؤية ذلك الوجه الذى هو معدن كل خير وبركة ويقول قائلهم قولها بين جماله وجلاله صلى الله عليه وعلى آله

انظر جمع الوسائل * قال المصنف رحمه الله (حدثنا عبد بن حميد نا عفان بن مسلم نا عبد الله بن حسان) بالصرف وعدمه (العنبرى عن جدتيه دحيبة وعليبة) بالتصغير فيهما (عن قيلة بنت مخرمة) كذا وقع فى نسخ الشمائل والصواب عن جدتيه دحيبة وصفية بنتى عليبة وهكذا ذكره المؤلف على الصواب فى جامعه وابن منده وابن سعد فى الطبقات وهما جدتا عبد الله بن حسان احداهما من قبل الاب والاخرى من قبل الام لما وقع الزواج بين ابن الخالة وبنت الخالة وهما ترويان عن جدة ابيهما قيلة بنت مخرمة وكانت ربتهما وكانت من الصحابيات وبهذا تعلم بطلان ما قاله ابن حجر انظر جمع الوسائل (قالت رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال مليتين) من قبيل جرد قطيفة فهو من اضافة الصفة الى الموصوف والاصل مليتان سملان والمراد بالجمع ما فوق الواحد ليطابق التثنية ومفرده سمل بفتحتين يقال ثوب سمل اذا كان خلقا ويقال ثوب اسمال اذا كانت الخلوقة فيه كله فالجمع اشارة الى أن كل جزء منه خلق حتى كأنه صار قطعا كما يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وهو أحد ما جاء على بناء الجمع ومليتين تثنية ملية بتشديد الياء تصغير ملاءة بالضم والمد لكن بعد حذف الالف قيل الازار وقيل الملحفة ويصدق بكل منهما قول القاموس هى كل ثوب لم يضم بعضه لبعض بخيط بل كله نسج واحد (كانتا) أى المليتان (بزعفران) أى مصبوغتين به (وقد نفضته) أى نفضت الاسمال الزعفران أو نفضت كل واحدة من المليتين الزعفران وفى نسخة نفضتا بالبناء للفاعل والفاعل ضمير المليتين والمفعول محذوف أى نفضت المليتان لون الزعفران وأصل النفض التحريك فاسناد النفض الى المليتين مجاز ويجوز أن يكون من قولهم نفض الثوب نفوضا فهو نافض أى ذهب بعض لونه وزال معظم صبغه ولم يبق الا اليسير منه وعليه فلا يحتاج الى ارتكاب حذف المفعول لكن يؤيد حذف المفعول نسخة نفضته بذكر المفعول ونسخة نفضتا بالبناء للمفعول ولا ينافى ما هنا ما فى صحيح البخارى عن أنس نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل لان المراد بأن يستعمله فى بدنه لما فيه من التشبه بالنساء ثم فيه أيضا عن ابن عمر نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يلبس المحرم ثوبا مصبوغا بورس أو زعفران لكن مفهوم المحرم ان الحلال يجوز له ذلك وهذا مذهب مالك ومن يقول ان النهى عن لبس المزعفر يعتذر عما هنا بأنه لما نفض كان الباقى منه بمنزلة العدم قال فى جمع الوسائل ويمكن أن يكون قبل النهى ويدل عليه ما فى القصة الطويلة انها كانت فى أول الاسلام ويأتى لهذا تتمة فى باب الخلق فى قوله عليه السلام

(١) هى الجدة الكبرى للانصار والدة الاوس والخزرج وهى بنت كاهل بن عذرة اه من خط المؤلف

(٢) انما خرجوا بالسلاح اظهارا للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر صدقهم له فى مبايعتهم اياه على ان يمنعوه مما يمنعون به أنفسهم وأبناءهم اه من خط المؤلف

(٣) قوله فرحبا بالنبى المختار كذا بالاصل ولعله فمرحبا بذا النبى المختار أو نحو ذلك ليتزن اه

السلام لو قلتم لم يدع هذه الصفرة وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم انما آثر بذاذة الهيئة ورثاثة اللبسة جريا على ما تقتضيه حالة العبودية وميلا الى التواضع وغير ذلك مما تقدم وقد تبعه على ذلك السلف الصالح وجمهور الصوفية وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أردت اللحوق بى فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ولا تستبدلى ثوبا حتى ترقعيه واياك ومجالسة الاغنياء وقال أبو هريرة كانت عائشة تتصدق بعشرة آلاف ودرعها مخروق وكانت تقول لا حاجة لى فى الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لسلمان الفارسى مالك لا تلبس الخز من الثياب فقال ما للعبد وللثوب الحسن فاذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا وقد طاف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعليه ثوب مرقع بأزيد من اثنتى عشرة رقعة وكان منها اثنتان من ادم وقد لبس يوم القدس جبته وهى مبلولة فعارضه فى ذلك أبو عبيدة فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام فان طلبنا العز بغيره أذلنا الله فلما خرجت اليه الاحبار ووجدوه لابسا جبة مبلولة على بعير مخطوم قالوا كذا وجدنا انه يدخل علينا فلم يكن تنافسهم فى تزيين الظاهر بالثياب السنية واستعمال المراكب البهية وانما كان المدار عندهم على طهارة القلوب ومراقبة علام الغيوب وما أحسن قول الشافعى رضى الله عنه ونفعنا به آمين

على ثياب لو يباع جميعها * بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها * نفوس الورى كانت أعز وأكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده * اذا كان عضبا حيث وجهته فرا

(وأنشدوا)

ما عيبك الفقر اليوم يغفر لك * لأن تجر به مستكبرا حللك
كم من جديد ثياب دينه خلق * تكاد تلعنه الاقطار حين سلك
وكم مرقع اطمار جديد تقى * بكت عليه السما والارض حين هلك

ولما صار لباس الدون زى أهل الخصوصية وتميزوا بذلك عن الناس تزيا بزيهم من ليس منهم فاتخذوا رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا وشبكة يصطادون بها قلوب أهلها فانعكس الحال وصارت مخالفتهم فى ذلك لله من باب العمل بالحق قال فى المعارضة كان ترقيع الثياب من شعار الصالحين وسنة المتقدمين حتى اتخذته الصوفية شعارا فجعلته من الجديد وأنشأته مرقعا من أصله وهذا ليس سنة بل بدعة عظيمة وانما المقصود بالترقيع استدامة لبس الثوب على هيئته اه ومن ثم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى

أبرق بدا من جانب الغور لامع * أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع
نعم أسفرت ليلى فصار بوجهها * نهارا به نور المحاسن ساطع
ولما تجلت للقلوب تزاحمت * على حسنها للعاشقين مطامع
اطلاعتها تعلو البدور ووجهها * له تسجد الاقمار وهى طوالع
تجمعت الاهواء فيها وحسنها * بديع لانواع المحاسن جامع

وان أردت الاطلاع على تمام خبر هذه السيرة فعليك بمطالعة كتب السيرة والله الموفق

(فطوى الارض سائرا والسموا
ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التى كان للمخـ
ـتار فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسيـ
ـن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانى حسرى
دونها ما وراءهن وراء)

لا شك أن ملاحظة الواقع فى نفس الامر تقتضى تقديم الاسراء على الهجرة والقعساء الثابتة الدائمة التى لا يطرقها تقصير ولا زوال ولا تغيير فهى رتب جليلة تسقط الامانى جمع أمنية وحسرى جمع حسير من حسر اى عى ودونها ظرف لتسقط أى لجلالة هذه الرتب وعزتها على الخلق سقطت أمنياتهم وتخلفت طلباتهم عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه اليها حال كونها عاجزة عن التأهل لها أولا وهى ما وراءهن وراء أى ما قدامهن قدام بمعنى انه ليس بعد تلك المراتب مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم اعلم أن الكلام فى الاسراء لا يفى ببيانه مخلوق ولكن نذكر بعضه ليستدل به على مجمل باقيه * قال فى المواهب وقضية الاسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين البينات وأقوى الحجج المحكمات وأصدق الانباء وأعظم الآيات وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه صلى الله عليه وسلم

بعموم الكرامات والحق انه اسرى واحد بروحه وجسده يقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عنه ويدل عليه قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده اذ العبد اسم للجسد والروح كما فى قوله أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه ولان الدواب لاتحمل الارواح وانما تحمل الاجسام ولان الاسراء لايكون فى النوم ولا يكون الافى الليل وانما صرح باسم الليل مع ذلك فى الآية تنبيها على عظم خرق العادة اذ الليل يتعذر أو يتعسر فيه مايسهل بالنهار وفيه انه قطع مسيرة أربعين مرحلة فى وقت واحد باعتبار بيت المقدس أو نحو ثمانية آلاف سنة بالنسبة الى السموات أيضا والتنكير فى ليلا للتقليل أى فى بعض منه فان العرب تقول سرى فلان ليلا اذا سار جميعه ولا يقال أسرى ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فنقول على هذا فائدة قوله ليلا التنصيص على ان ذلك وقع فى ليل واحد لان التنوين قد يراد به الوحدة فقط فلفظ أسرى يفيد انه وقع فى ليل مع احتمال تعدد الليالى فنص على الوحدة بقوله ليلا والله أعلم * وفى وقته خلاف كثير قيل ليلة الاثنين أو الجمعة أو السبت من رمضان أو من شوال أو من رجب وبه جزم النووى فى الروضة أو من الحجة أو ليلة الثالث عشر من ربيع الآخر وبه جزم النووى فى فتاويه أو من ربيع الاول وعليه جرى فى شرح مسلم ثم قيل بعد البعث بخمس سنين أو بعشر او باحدى عشرة او اثنى عشرة وحيث لم يرد فضل فى العمل فيها ولم تكن مقصودة لذاتها وانما المقصود ماوقع فيها لم يقع اعتناء بتعيينها فكثر الخلاف فيه وهو على الوجه المذكور

وقد

رضى الله عنه لذى رثاثة أنكر عليه جمال هيئته ياهذا هيئتى هذه تقول الحمد لله وهيئتك هذه تقول أعطونى من دنيا كم شيأ لله فاذا حسنت النية كان يقصد بحسن الهيئة التستر بحاله والبعد عن الرياء والسمعة فى أفعاله أو اظهار نعمة الله عليه دون التفاخر والخيلاء كان التجمل محمودا أيضا وقد قال تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جميل يحب الجمال وفى رواية نظيف يحب النظافة وفى السنن ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وكان صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود وروى النسائى ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وعليه ثوب دون فقال له هل لك من مال فقال نعم فقال من أى المال قال من كل ما آتى الله من الابل والشياه فقال كل ما آتاك الله من مال فلير عليك أى كثر نعمته وكرامته عليك فأظهر أثر نعمته بلسان المقال وبلسان الحال قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ومن الناس من يقصد بالتجمل السلامة من اذاية الناس والتوصل الى حقوقه معهم وقد قال عليه السلام فيما أخرجه البزار باسناد حسن اللهم اجعلنى شكورا واجعلنى صبورا واجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعين الناس كبيرا قال شيخنا المحقق فى شرح الحكم وأى شئ يضر الانسان كونه فى أعين الناس كبيرا اذا كان عند نفسه صغيرا غاية الامر انهم يوفون حقوقه ولا يظلمونه ولا يؤذونه فيهجون منه ويهجونهم ويخالطونه بسلامة الصدور واسقاط الجاه ليس مطلوبا لذاته بل لما يتبعه من غلظ النفس أو لما يقع من الزيادة على مايحتاج اليه منه والا فلابد للانسان من جاه ما فى معاشه لئلا تبخس حقوقه وتنتهك حرمته اه وحيث صار الناس انما يعتبرون ظاهر الصور فلا بأس أن يستعمل الانسان من اللباس أو غيره مايتوصل به الى حقه ويسلم به من الاذاية وقد أخذ بعضهم من هذا قوله تعالى يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين أى لتميز الحرة من الامة عند الخروج ومن ثم قال هلال بن هذيل وكان من العلماء وذكره ابن رشد فى جامع البيان والتحصيل فى التجمل بالثياب

حسن ثيابك مااستطعت فانها * زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع فى اللباس تخشنا * فالله يعلم ماتسر وتكتم
فرثاث ثوبك لايزيدك رفعة * عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لايضرك بعدما * تخشى الاله وتتقى مايحرم

الى تلك الحضرات العلية لم يكن لاحد من الانبياء غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولذا قيل

ولقد سريت الى المهيمن ليلة * والله ما أحد سرى مسراك
بالجسم كان سراك لا عن ريبة * وبه قرت فى ملكه عيناك

وقد كان مالك يتجمل فى ملبسه ولا يتبذل قال أبو يوسف دخل مالك على الرشيد وعليه ثياب عدنية سود والله ما رأيت قط شيأ أحسن منه فتزحزح له هرون حتى أجلسه معه على المنصة وقال أهل العلم ينبغى للعالم ان يظهر وأنه فى ثيابه اجلالا للعلم وكان عمر يقول أحب ان يكون القارئ أبيض الثياب وأستحسن لاهل العلم والصلاح حسن الزى والتجمل المباح وفى الرسالة من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وفيها أيضا لأن القى الله بجميع المعاصى أحب الى من أن القاه بذرة من التصنع * دخل سيار البصرة فبينما هو يصلى وكان حسن الصلاة وعليه ثياب جياد فرآه مالك بن دينار فجلس اليه فسلم سيار فقال له مالك هذه الصلاة وهذه الثياب فقال له سيار ثيابى هذه ترفعنى عندك أو تضعنى قال تضعك قال هذا أردت ثم قال يا مالك انى لاحسب ثوبيك هذين قد أنزلاك من نفسك ما لم ينزلك الله فبكى مالك وقال له أنت سيار فقال نعم فعانقه مالك وقعد بين يديه وبالجملة فالاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وعن عائشة ان قوما من الصحابة اجتمعوا بباب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج يريدهم فجعل ينظر فى آنية ماء ويسوى من رأسه ولحيته قالت فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا قال نعم اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيئ من نفسه فان الله جميل يحب الجمال قال فى الاحياء والجاهل ربما يظن ان ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وهيهات فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كى لا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته فى أعينهم كى لا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم اه (وفى الحديث قصة طويلة) اقتصر ابن حجر منها على ما نصه هى ما رواه الطبرانى بسند لا بأس به ان رجلا جاء فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وعليه أسمال مليتين قد كانتا بزعفران فنفضتا وبيده عسيب نخلة قاعدا القرفصاء فلما رأيته أرعدت من الفرق فنظر الى فقال عليك السكينة فذهب عنى ما أجد من الروع اه قال فى جمع الوسائل القصة أطول من هذا بكثير وتركتها لما فى النسخة من كثرة التصحيف الذى لا يفهم معه المقصود مع طولها فانه قريب من ورقتين اه بمعناه وانظره بطوله فى غنية القاضى عياض وكذا فى الاستيعاب والاصابة لابن حجر * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا بشر بن المفضل عن عبد الله بن عثمان بن خثيم) بالتصغير والثاء المثلثة (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم) اسم فعل

والاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى والعروج من الارض الى السموات والمعراج آلة العروج وستأتى ومن الحكم فى كون الاسراء ليلا أن النبى صلى الله عليه وسلم سراج والسراج تظهر قوة نوره فى الليل وينشد

قلت يا سيدى ولم تؤثر الليـ
ـل على بهجة النهار المنير
قال لا أستطيع تغيير رسمى
هكذا الرسم فى طلوع البدور
انما زرت فى الظلام لكيما
يشرق الليل من أشعة نورى

وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فقد عرج بشمس الوجود فى الليل الى السماء والكلام على حديث الاسراء من وجوه * (أحدها) * قوله فيه أتيت بالبراق الخ حذف الفاعل للعلم به وهو جبريل وسمى براقا لسرعة سيره (١) أو من البريق واللمعان أو من قولهم شاة برقاء اذا كان فى خلال بياضها سواد ولا ينافيه وصفه بالبياض لان البرقاء من الغنم معدودة من البيض والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما يأتى والحكمة فى كونه دابة أى هو شبيه بها دون البغل وفوق الحمار ولم يكن على شكل الفرس الاشارة الى أن الركوب كان فى سلم وأمن لا فى خوف

(١) وليس هو بذكر ولا أنثى أبيض يضع خطوه عند منتهى طرفه اه من خط المؤلف بواسطة

وحرب أو لاظهار المعجزة بوقوع الاسراء الشديد بدابة لا توصف بذلك فى العادة * (الثانى) * روى معمر عن قتادة عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما فاستصعب عليه البراق فقال له جبريل ما حملك على هذا فما ركبك خلق أكرم على الله منه قال فارفض عرقا أخرجه الترمذى وصححه ابن حبان بمعنى ان

البراق فعل فعل التائه المتكبر لخروج عن حسه ولم يضبط أمر نفسه لشدة فرحه وسروره بركوب سيد السادات وعين العيون وصدرا صدور عليه كأنه تيهته بذلك عن الاكوان وغيبته لذة الانس ونشوة السكر بها عن مقتضى الادب فرده اليه جبريل وهكذا يقع لاهل الانس ولذلك توجه اليهم العتاب فحصل له الزهو على الوجود بسيد الوجود ولم يقصد الاستعصاء وانما غلب عليه الوجد فلم يضبط حال نفسه ولهذا لما نبهه جبريل عليه الصلاة والسلام سال عرقه وأدركه عظيم الخجل وفى رواية ابن سعد وكان الذى أمسك بركابه جبريل وبزمامه ميكائيل اه وفى المواهب ما نصه وفى كلام بعض أهل الاشارات لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ورفعها الى حضرة قربته والطواف بها على ندمان حضرته أرسل اليه أعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما ولجنابه خادما وافاه على فراشه نائما فقال قم يا نائم فقد هيئت لك الغنائم قال يا جبريل الى أين قال يا محمد فان ارفع الاين من البين انما أنا رسول القدم أرسلت اليك من جملة الخدم يا محمد أنت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وأنت مراد لاجله أنت صفوة كأس المحبة أنت درة هذه الصدفة أنت شمس المعارف وأنت بدر اللطائف ما مهدت الدار

أى خذوا معشر الامة (بالبياض) أى بلبس الابيض البالغ فى البياض حتى كأنه عين البياض كرجل عدل ويرشد اليه بيانه بقوله (من الثياب ليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها) أى الثياب البيض (من خير ثيابكم) علله فى الحديث الآتى بقوله فانها أطهر وأطيب ولم يقل خير ثيابكم حتى يدل على ان الابيض أفضل من غيره لاحتمال ان الاخضر أفضل فانه من لباس أهل الجنة أومساو للابيض لكن ورد أن أحب الالوان الى الله البياض وذلك يوجب القطع بكونه أفضلها ويؤيده أيضا اطلاق لفظ أطيب فى الحديث بعد فانه مشعر بزيادة من فى قوله من خير ثيابكم وانظر المناوى * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن حبيب ابن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البسوا البياض) أى الثياب البيض وجعلها نفس البياض مبالغة كما تقدم (فانها أطهر) لان المصبوغ اذا أصابته نجاسة لا تظهر فيه مثل ظهورها فى الابيض فاذا كانت فى الابيض أظهر كان من غيره أطهر ولان البيض أكثر تأثرا من الثياب الملونة فتكون أكثر غسلا فتكون أكثر طهارة ولان الابيض يغسل من غير مخافة على ذهاب لونه فيبالغ فى غسله ما لا يبالغ فى غسل الملون فيكون أطهر من غيره (وأطيب) اما من طاب الشئ بمعنى حل ومعنى أطيب أحل ففى النهاية أكثر ما يرد الطيب بمعنى الحلال كما ان الخبيث بمعنى الحرام قال تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب اه وانما كان الابيض أحل من الملون لكونه أقرب الى التواضع وعدم التفات النفس اليه غالبا بخلاف الملون فتلتفت اليه النفس ويصحبه الكبر والخيلاء والعجب ولان الابيض أخف مؤنة فى الغالب من الملون فيتيسر تحصيله بادنى شئ بخلاف غيره واما من طاب بمعنى حسن فيكون معنى أطيب أحسن وانما كان الابيض أحسن من الملون لبقائه على اللون الذى خلقه الله عليه وترك تغيير خلق الله أحسن ويحتمل ان يكون معنى أطيب ألذ لان لذة المؤمن فيما يكون أنقى وأحل وأقرب الى التواضع وأنسب بالعبودية وأسهل تحصيلا وفى الحديث من كرامة المؤمن على الله نقاوة ثوبه ورضاه باليسير أى من الثياب أو بالقليل من الدنيا والقناعة بما يبلغه الى العقبى وقد علمت مما تقدم المغايرة بين المتعاطفين فليس من عطف المترادفين كما قيل (وكفنوا فيها موتاكم) للمزايا المتقدمة ولان الميت بصدد ملاقاة الملائكة والاجتماع بهم فتطلب مواجهتهم بما هو أطهر وأطيب كما يطلب ذلك فى المحافل والمساجد وملاقاة العلماء والكبراء الا يوم العيد

فان المطلوب فيه التجمل بالثياب الفاخرة وفيه ايماء الى أن مآله الى الخلاقة والبلى فلا ينبغى للعاقل ان يتكلف و يتجمل فى تحصيل ماعاقبته البلى والى أن أحق ما يأتى به العبد مولاه الفطرة الاصلية التى فطر الله الناس عليها وهى فطرة التوحيد الجبلى فانها كالثياب البيض الباقية على أصل الخلقة والى طهارة الباطن من الغش والغل وسائر الاخلاق الذميمة الشبيهة بالنجاسات الحقيقية أو الحكمية قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ثم اعلم ان وجه دخول هذين الحديثين فى باب لباسه صلى الله عليه وسلم لا يخلو عن خفاء اذ ليس فيهما تصريح بأنه صلى الله عليه وسلم لبس الثوب الابيض لكن يفهم من أمره بلبسه وترغيبه انه كان يلبسه أيضا وقد وقع التصريح بذلك فى حديث أبى ذر المخرج فى الصحيحين حيث قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وسيأتى فى باب صفة عمامته صلى الله عليه وسلم انه لبس عمامة سوداء ويأتى وجه ذلك * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا يحيى بن زكريا ابن أبى زائدة) اسمه خالد ويقال هبيرة بالتصغير (نا أبى عن مصعب بن شيبة) فى نسخة شعبة (عن صفية بنت شيبة عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة) قيل كلمة ذات مقحمة وفائدتها دفع مجاز المشارفة وقيل ذات الشئ نفسه وحقيقته والمراد به ما أضيف اليه أى خرج غداة أى بكرة فان العرب يستعملون ذات يوم وذات ليلة ويريدون حقيقة المضاف اليه نفسه (وعليه مرط) بكسر فسكون كساء طويل واسع من خز أو صوف أو شعر أو كتان يؤتزر به ولذا بينه بقوله (من شعر) وفى نسخة مرط شعر بالاضافة (أسود) بالرفع صفة مرط وبالفتح صفة شعر ممنوع من الصرف والجملة حال من فاعل خرج وقد أخرج مسلم وأبو داود هذا الحديث بلفظ وعليه مرط مرجل من شعر أسود ومرجل اما بالجيم المشددة بمعنى من لباس الرجال أو عليه صور المراجل أى القدور واحدها مرجل واما بالحاء المهملة المشددة ومعناه الموشى المنقوش عليه صور الرحال وقيل المراد بيان اختلاف الالوان التى كانت فيه لان الارحل من الخيل هو الابيض الظهر ومن الغنم الاسود الظهر فكأنه كان موشى وهذا أقرب الى ما كان يلبسه وعلى هذا فوصف المرط بقوله أسود لاجل ان السواد فيه أغلب ووقع فى روايتهما من الزيادة فجاء الحسن بن على فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء على فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفى ذلك اشارة الى انهم المراد بأهل البيت فى الآية وصح

الاجلال ماحى ذلك الجى الالوصال نمارق كأس المحبة الاشربك فقال عليه السلام يا جبريل الكريم يدعونى اليه فما الذى يفعل بى قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا جبريل فما العيالى وأطفالى قال ولسوف يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الآن طاب قلبى ها أنا ذاهب الى ربى ثم قال جبريل يا محمد انما جاء بى اليك الليلة لأكون خادم دولتك وحاجب حاشيتك وحامل غاشيتك وجئت بالمركوب اليك لاظهار كرامتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا حبيبا أو استدعوا قريبا وأرادوا اظهار اكرامه واحترامه أرسلوا أخص خدامهم وأعز نوابهم لنقل أقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك ومن اعتقد انه اتصل اليه بالخطا فقد وقع فى الخطا ومن ظن انه محجوب بالغطاء فقد حرم العطاء اه وروى انه لما وصل الى بيت المقدس لم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثيرون ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم فلما انصرفت قال لى جبريل أتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبى بعثه الله *(الثالث) فى رواية ابن اسحق انه عليه السلام قال لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيأ أحسن منه وهو الذى يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر والمعراج بكسر الميم وحكى ضمها من عرج بفتح الراء يعرج بضمها اذا صعد وهو آلة العروج ويقال السلم وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج وفى شرف المصطفى انه أتى بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة وفى رواية أبى سعيد عند البيهقى ثم أتيت بالمعراج الذى يعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر

الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج هذا وفي حديث ابن عباس فاخذ جبريل بيدى وأتى بى الى ناحية الصخرة ثم نادى يا اسمعيل دل المعراج فدلاه فاذا له مائة درجة ما رأيت شيأ أحسن منه فصعدت على أول درجة فرأيت ملائكة ثيابهم حمر وألوانهم حمر ثم صعدت الثانية فاذا بملائكة ثيابهم صفر وألوانهم صفر ثم فى الثالثة ملائكة ثيابهم خضر وألوانهم خضر وفى الرابعة ملك معه عمود وحوله ملائكة تبرق أجسادهم ووجوهم كما تبرق المرايا المجلوة وفى الخامسة فاذا عليها ملائكة مثل الجن والانس ويأجوج ومأجوج واذا فيها أنهار وأشجار ليس لهم كلام الا لا اله الا الله وفى السادسة فاذا ملك عظيم على كرسى من ذهب حوله ملائكة شاخصة أبصارهم هيبة لله تعالى ليس لهم الا قول ما شاء الله وفى السابعة فكاد نور يخطف بصرى من نور ملائكة استقبلونى بالتعظيم وفى الثامنة فاذا فيها ملائكة وجوههم من نور وعليهم ثياب من السندس وبيدهم اعلام من نور فلما رأونى قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة فسلموا على ورحبوا بى وفى التاسعة فرأيت ملائكة قصرت عن صفتهم وفى العاشرة فاذا ملائكة لا يحصون لكثرة عددهم ولا يحصيهم الا الذى خلقهم ولولا أن الله عز وجل ثبت بصرى لذهب من نورهم فاستقبلونى بالتعظيم والترحيب ولم أزل أصعد درجة درجة وجبريل يحث البراق (١) فى

انه صلى الله عليه وسلم جعل عليهم كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم فقال انك على خير وعليه فلا اشكال فى الآية وان حملت الارادة على معناها المتبادر منها المقتضى ان الله أراد اذهاب الرجس بمعنى الاثم عنهم وان ما أراده هو الواقع وان كان المراد بأهل البيت ما يشملهم وغيرهم من كل من للنبى صلى الله عليه وسلم عليه ولادة وغيرهم من الاشراف الذين لهم قرابة بالنبى صلى الله عليه وسلم فيحتاج الى حمل الارادة فى الآية كما قال الشيخ أبو اسحق الشاطبى على الامرية وهى انما تستلزم الرضا بالمراد لا وجوب وقوعه لان مذهب أهل السنة ان عصاة أهل البيت فى المشيئة ومحل أحاديث التبشير على غلبة الرجاء فى حق من علم الله انه منهم لا الجزم بمؤاخذتهم لا يقال لا خصوصية لاهل البيت بارادة الامرية مع ان الآية جاءت لبيان مزيتهم وخصوصيتهم لانا نقول لما أمر أمهات المؤمنين باوامر ونهاهن عن نواه عقب ذلك بقوله انما يريد تحريكا لهمم العالية وتذكيرا لما خصهم به من المزية التى لا يناسبها الا غاية النزاهة وكمال الطهارة وهو معنى قوله أهل البيت نداء معترضا بين المتعاطفين أى قوموا بحفظ هذه النسبة العظيمة وصونوها وابعدوا عما لا يناسبها ولا يليق بالمتصف بها كأنه يقول انما أمرناكم بكذا ونهيناكم عن كذا لانا نرضى لكم الا الكمال بأن تأتونا طاهرين من كل شئ فهذا كما يقول الناصح لمنصوحه ذى المنزلة والقدر لا تفعل كذا وانما نهيتك عنه نصيحة ونظرا لك حتى يبقى قدرك محفوظا ولهذا قال بعض أهل العلم الحسنة فى نفسها حسنة وهى فى بيت النبوة أحسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى فى بيت النبوة أشين لانهم أقارب النبى صلى الله عليه وسلم وأولى الناس بالارث الاقارب لانهم أحق الناس باتباع طريقه والتخلق باخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم وهذه الآية كما قال أهل العلم منبع فضل أهل البيت النبوى لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته فى اذهاب الرجس الذى هو الاثم وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وفى بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة فى وصولهم لاعلاه ورفع التجوز عنه وتنوينه للتعظيم والتكثير والاعجاب المفيد انه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف قرر ذلك شيخنا المحقق فى همزيته * حكى الحافظ أبو بكر الخطيب قال دخل يحيى بن معاذ على علوى ببلخ أو بالرى زائرا له ومسلما عليه فقال العلوى ليحيى ما تقول فينا أهل البيت قال ما أقول

---

(١) هذا من جملة ما استدل به من قال ان العروج وقع بالبراق والاصح خلافه ولا دليل فيه لاحتمال انه صعد على المعراج والبراق مع ذلك يساق على عادة العظماء اهـ من خط المؤلف بواسطة

في طين عجن بماء الوحي وغرست فيه شجرة النبوة وسقي بماء الرسالة فهل يفوح منه الا مسك الهدى وعنبر التقى فقال العلوي ليهني ان زرتنا فبفضلك وان زرناك فبفضلك علينا فلك الفضل زائرا ومزورا * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا يونس بن أبي اسحق) اسمه عمرو بن عبد الله السبيعي (عن أبيه) أبي اسحق (عن الشعبي) بفتح الشين وسكون العين اسمه عامر بن شراحيل (عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه) المغيرة (ان النبي صلى الله عليه وسلم لبس جبة) هي ثوبان بينهما قطن الا ان تكون من صوف فقد تكون غير محشوة (رومية) كذا هنا وفي أكثر روايات الصحيحين وغيرهما جبة شامية ولا منافاة بينهما لان الشام من عمالة قيصر ملك الروم (ضيقة الكمين) في رواية البخاري انها كانت من صوف وكان ذلك كان في سفر وانه غسل وجهه ولم يستطع ان يخرج ذراعيه منها فاخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه قال المغيرة فأهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما وفي رواية أحمد وأبي داود ان ذلك كان في غزوة تبوك وفي الموطأ ومسند أبي داود ان ذلك كان عند صلاة الصبح وفي مسلم عن المغيرة قال أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني من المكان الذي توضأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فأدرك النبي صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فافزع ذلك الناس وفي الحديث ان الاصل في الثياب الطهارة وان كانت من عمل الكفار ولا دليل في هذا على ان الصوف لا ينجس بالموت لاحتمال انه جز في الحياة خلافا للقرطبي وفي الحديث ان ملابس السفر قد تكون مخالفة لملابس الحضر لانه يحتاج فيه الى تشمير لا يحتاج اليه في الحضر ويحتمل انه لبسها للدفء من البرد أو غير ذلك وفيه جواز لبس الصوف وكرهه مالك لمن يجد غيره لما فيه من الشهرة بالزهد لان اخفاء العمل أولى ولعل هذا بالنسبة لاهل بلده الذين غلب عليهم لباس غير الصوف أما غيرهم فلا لانتفاء العلة المذكورة وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم كان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد وانظر باب صفة ازار النبي صلى الله عليه وسلم

(باب ما جاء في عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم)

كذا في النسخ ذكر هذا الباب في هذا المحل والانسب ذكره بعد الفراغ من أبواب

ورسول يأتيني بعد رسول يقول يا جبريل بجلال محمد صلى الله عليه وسلم حيث كنت في أعلى درجة فسمعت الملائكة في السماء يسبحون ويهللون ويقدسون للرب تعالى فقرع جبريل الباب فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة قالوا وقد بعث اليه وفي رواية وقد أرسل اليه قال نعم قالوا مرحبا بكم ثم فتحوا فصعدت الى سماء الدنيا وهي من موج مكفوف حبسه الله في الهواء فلم يبق فيها ملك الا استقبلني ورحب بي *(الرابع)* انما صادف أبواب السماء مغلقة تنويها بقدره وتحققا أن السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو وجدها مفتوحة لم يتم انها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل وقولهم وقد أرسل اليه الاظهر انه استفهام عن الارسال اليه للعروج الى السماء لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لقالوا ومن محمد مثلا ولذا أجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء فكلامهم هذا يحقق معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته وهذا أجل ما يكون من حسن الخطاب والتعريف على المعروف من عادة العرب وقولهم من معك لما رأوا حين اقبل عليهم من زيادة الانوار وغيرها من المنابر الحسان زيادة على ما يعهدونه منهم كأنهم قالوا من الشخص الذي من أجله هذه الزيادة التي معك يعينه لهم وقد قال بعض العلماء في قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى انه رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة اهـ (الخامس) في بعض روايات الحديث المتقدم فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن يساره بكى فقال مرحبا بالنبي

اللباس وايراده بين بابى اللباس والخف غير مناسب والظاهر انه من صنيع ناسخ الكتاب وقد أعاد المصنف هذه الترجمة فى آخر الكتاب بعد باب أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فى احد البابين مالم يطول فى الآخر ووقع فى بعض النسخ الطويل بعد القصير وعليه شرح الشراح وفى بعضها على العكس وهو الذى رأيناه فى النسخ التى وقفنا عليها بخط شيوخنا المغاربة وعليه نشرح نحن ان شاء الله وسيترجم المصنف بباب صفة خبزه وادامه وفاكهته صلى الله عليه وسلم لبيان أنواع الاطعمة التى كان يتقوت بها صلى الله عليه وسلم كما ترجم بباب اللباس لبيان أنواع الثياب التى كان يلبسها صلى الله عليه وسلم والمقصود من باب عيشه صلى الله عليه وسلم بيان خلقه صلى الله عليه وسلم فى عيشه أى غذائه وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان يقتصر من ذلك على ماتدعو اليه ضرورة الحياة ويتخلى عن وصول الترفهات فى مأكله كلباسه زهدا فى الدنيا ونعيمها وجريا على ماتقتضيه حالة العبودية التى هى أشرف أحوال الانسان لكن لو جمع المصنف أحاديث البابين فى باب واحد لحصل المقصود وكأنه لم يجمعهما فى باب واحد للاهتمام بشان هذا الباب فان غالب الناس انما يعبدون بطونهم فكان فى تكرار أحاديث عيشه صلى الله عليه وسلم وقرع أسماعهم بذلك المرة بعد المرة تشنيع على من ضيع عمره فيما يلائم بطنه كفانا الله تعالى شرها بمنه وقد قالوا من كانت همته فى بطنه كانت قيمته مايخرج منها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا أبو الاحوص عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم) الخطاب للتابعين أو للصحابة بعده صلى الله عليه وسلم (فى طعام وشراب) متعلق بمحذوف بقرينة السياق أى متوسعين فى طعام وشراب وقوله (ماشئتم) ما موصولة وهى بدل من الجار والمجرور قبله ورابط الصلة محذوف أى فيما شئتم منهما ويحتمل غير هذا من الاعراب وفى هذا الكلام تعيير وتوبيخ ولذلك اتبعه بقوله (لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم) أضافه فقال نبيكم ولم يقل النبى صلى الله عليه وسلم للتشريف وأضافه اليهم ولم يقل نبينا الالزام كأنه يقول نبيكم الذى أمرتم باتباعه اختار لنفسه خلاف ما أنتم عليه فكان يقتصر من الدنيا على مالابد منه ولايتوسع فى مآكله ومشاربه فهذا ترغيب لهم فى القناعة وترهيب من المخالفة والتوسعة فان الزهد فى الدنيا هو رأس العبادة وقد قال المفسرون فى قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا هو الزهد فى الدنيا وقد قال عليه السلام ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس وقد قال العلماء ان هذا

الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التى عن شماله أهل النار قال عياض جاء ان ارواح الكفار فى سجين وأرواح المؤمنين منعمة فى الجنة فكيف تجتمع فى سماء الدنيا والجواب أنها تعرض على آدم أوقات خروجها من الاجساد فوافق عرضها مرور النبى صلى الله عليه وسلم واستشكل بأن أرواح الكفار لاتفتح لهم أبواب السماء كما هو نص القرآن وأجيب بانه يحتمل ان الجنة كانت فى جهة يمين آدم والنار فى جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولايلزم من رؤية آدم لها وهو فى السماء ان تفتح لها أبواب السماء ولاتلجها *(تنبيه)* قيل انما اقتصر الانبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لان الصلاح صفة تشتمل على خصال الخير كلها لان الصالح هو الذى يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعانى الخير وفى قول آدم والابن الصالح اشارة الى افتخاره بابوة النبى صلى الله عليه وسلم قال واذا ليس فى السماء موضع الا وفيه جبهة ملك يسبح الله قال ورأيت فى السماء الدنيا ديكا له زغب أخضر وريش أبيض وبياض ريشه كاشد بياض رأيته قط وزغبه تحت ريشه كاشد خضرة رأيتها قط واذا رجلاه فى تخوم الارض السابعة السفلى واذا رأسه عند عرش الرحمن ثان عنقه تحت العرش له جناحان فى منكبيه اذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب فاذا كان فى بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الملك القدوس سبحان الكريم أو قال الكبير المتعال لا اله الا الله الحى القيوم فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها وأخذت فى الصراخ فاذا

الحديث

الحديث هو أحد الاحاديث الاربعة التى عليها مدار الدين (ومايجد من الدقل) أى رديء التمر فضلا عن غيره (مايملأ بطنه) وروى مسلم يظل اليوم يلتوى ومايجد من الدقل مايملأ بطنه وهذا كما يأتى انه صلى الله عليه وسلم شد على بطنه الحجر من الجوع قال الشيخ زروق نفعنا الله تعالى به فى شرح الحكم العارف تارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية وتارة يظهر عليه الفقر الى الله فيلزم الرعاية فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم ألفا من صاع وحين غلب عليه الفقر الى الله شد الحجر على بطنه من الجوع فافهم اه وقد اختلف الصوفية ما الافضل هل اظهار الافتقار الى الله أو اظهار الاستغناء بالله تعالى * قال الشيخ زروق رضى الله عنه والصواب ان الافضل اظهار هذا تارة والاخر أخرى لانه حاله صلى الله عليه وسلم وقد خيره الله بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وقال أجوع يوما فأسأل وأتضرع وأشبع يوما فأحمد وأشكر أو كما قال صلى الله عليه وسلم اه وسيأتى لهذا تتمة فى شرح الحديث الثالث * قال المصنف رضى الله عنه (حدثنا هرون بن اسحق نا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كنا) وفى نسخة ان كنا بزيادة ان المخففة من الثقيلة (آل محمد) أى أعنى آل محمد وفى نسخة برفع آل على انه بدل من اسم كان وآل محمد شامل له عليه السلام لعدم وجود المأكول مع نفى ايقاد النار ولانهم اذا صبروا شهورا فهو أحق وأولى لتعذر شبعه دونهم للقطع بأنه عند الضيق يؤثرهم على نفسه فالحديث مناسب (نمكث) وفى نسخة لنمكث باللام الفارقة والظاهر ان هذه النسخة مبنية على نسخة ان كنا بان المخففة لانه يجب اقتران خبر الفعل الواقع بعدها باللام والعكس بالعكس وحينئذ فلا يشكل تجرد الخبر من اللام مع وجود ان المخففة المهملة (شهرا ما نستوقد بنار) أى لا للخبز ولا للطبخ والجملة صفة لشهرا بحذف الرابط (ان هو) أى ما هو أى المطعوم الصادق بالمأكول والمشروب لقوله (الا التمر والماء) وفى نسخة الا الماء والتمر وفى الاخرى الا الاسودان بتغليب التمر والا فالماء لا لون له وأطلق على التمر أسود لانه غالب تمر المدينة والجملة استئنافية كأنه قيل ما الغذاء وفى رواية للبخارى كان يأتى علينا الشهر وفى أخرى ليمر بنا الشهر ونصف الشهر وما توقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لمصباح ولا لغيره وفى أخرى انها قالت لعروة يا ابن أختى ان كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقدت فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ولهذه الرواية شاهد عند ابن سعد وزاد قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت

سكن ذلك الديك فى السماء سكنت الديكة فى الارض ثم اذا كان فى بعض الليل نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما ثم صرخ بالتسبيح لله يقول سبحان الله العلى العظيم سبحان الله العزيز القهار سبحان الله رب العرش الرفيع فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض بمثل قوله وخفقت باجنحتها وأخذت فى الصراخ فاذا سكن سكنت ثم اذا هاج هاجت قال ثم مررت بخلق آخر أعجب العجب فاذا ملك من الملائكة نصف جسده مما يلى رأسه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو قائم بصوت له حسن يقول سبحان ربى الذى كف هذا الثلج عن هذه النار فلا يطفئ النار وكف هذه النار عن هذا الثلج فلا تذيبه اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت يا جبريل من هذا قال ملك من الملائكة يقال له حبيب وكله الله باكناف السموات وأطراف الارضين وهو من أنصح الملائكة لاهل الارضين من المؤمنين وهذا قوله يدعو لهم بما تسمع منذ خلق قال ثم سرنا حتى انتهيت الى السماء الثانية وهى من حديد فقرع جبريل الباب فاقبل ملك فى ألف موكب من الملائكة وسمعت ضجة أعظم من ضجة سماء الدنيا فقيل يا جبريل من هذا معك فقال محمد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ففتح بابا من أبوابها فاذا ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتهليل فرحبوا بى وقالوا انعم المجىء جاء واذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح ثم سرنا فى الهواء مسيرة خمسمائة عام حتى دنونا من السماء الثالثة فسمعت أصواتا أشد من الصواعق بالتسبيح والتهليل حتى وقفنا بها وهى من نحاس فقرع جبريل بابها فرأيت ملكا حوله سبعون

ألف ملك قد خرقت أقدامهم الارض السابعة قالوا يا جبريل من هذا قال محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم فرحبوا بي وفتحوا
واذا بيوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم سرنا في الهواء مسيرة
خمسمائة عام حتى انتهينا الى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد أرسل اليه قيل نعم
قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح
فسمعت ضجة الملائكة بالتسبيح
والتقديس واذا هي من فضة
فرأيت ملكا البحار العذبة
في نقرة ابهامه الايمن والبحار
المالحة في نقرة ابهامه الايسر
وانه ليصير من عظمة الله
كالعصفور الصغير فرقا من الله
تعالى ورأيت رجلا قاعدا
والدنيا كلها بين ركبتيه وهو
دائما ينظر لا يلتفت وبيده لوح
مكتوب قد شخص ببصره ينظر
اليه فوقف جبريل عليه وقال
يا ملك الموت الا تسلم على محمد
نبي الرحمة حبيب الله فقال ملك
الموت يا محمد سلام عليك أبشر
فما رأيت الخير كله الا فيك
وفي أمتك فقر عينا وطب نفسا
ورأيت البيت المعمور يطوف
به كل يوم سبعون ألفا من
الملائكة لا تدور عليهم النوبة
الى يوم القيامة واذا بادريس
قال جبريل هذا ادريس فسلم
عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء
الخامسة فاستفتح قيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح
فلما خلصنا فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى
أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم

الاسودان التمر والماء الا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت لهم منائح يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها اه وجيرانه سعد ابن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو أيوب خالد بن زيد وأسعد بن زرارة قال العسقلاني ويجمع بين هذه الروايات بأن الامر وقع مكررا في عهده صلى الله عليه وسلم ونقلت عائشة كل ذلك لعروة في مجالس متعددة والله أعلم اه قال المناوي وقد انقسم الناس بعده صلى الله عليه وسلم أربعة أقسام قسم لم يريدوا الدنيا ولم تردهم كالصديق وقسم ارادتهم ولم يريدوها كالفاروق وقسم أرادوها وارادتهم كخلفاء بني امية والعباس خلا عمر بن عبد العزيز وقسم أرادوها ولم تردهم كمن أفقره الله وامتحنه بها * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن أبي زياد نا سيار نا سهل بن أسلم عن يزيد ابن أبي منصور عن أنس عن أبي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا) أي كشفنا ثيابنا (عن بطوننا عن حجر حجر) الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي كشفنا عن بطوننا كشفا ناشئا عن حجر حجر يعني لكل واحد منا حجر واحد رفع عنه فالتكرير باعتبار تعدد المخبر عنهم بذلك ويحتمل ان الجار والمجرور بدل اشتمال باعادة الجار كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق والرابط محذوف أي مشدود عليها (فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين) تسلية لهم وتأنيسا وكان عادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد الحجر على بطنه ليتقوم به صلبه فتسهل عليه الحركة ومن كان جوعه أشد ربط حجرين فكان صلى الله عليه وسلم أكثرهم جوعا فربط حجرين وقيل حكمة ربط الحجر انه يسكن بعض ألم الجوع لان المعدة ان كان فيها طعام كانت مشغولة به فاذا خلت منه اشتغلت حرارتها برطوبات الجسم وجواهره فيحصل الالم حينئذ فاذا ربط عليها الحجر الذي هو أبرد المعادن خفف عليها من حرارتها فيخف الالم وهذا يفيد ان شد الحجر على قدر ألم الجوع فكلما ازداد زيد والله أعلم ومما ينبغي ان يتنبه له هنا ان بين جوعه صلى الله عليه وسلم وجوع غيره من الناس فرقا ومما يقال في الفرق ان جوعه صلى الله عليه وسلم في بعض الاحيان كان اختيارا منه وطلبا للاجر وموافقة لاصحابه في حالهم تسلية لهم ولغير ذلك من الفوائد * وقد قال التاج السبكي رضي الله عنه الذي اعتقده ان جوعه صلى الله عليه وسلم كان جوعا اختياريا لا اضطراريا وانه صلى الله عليه وسلم كان يقدر على طرده عن نفسه اما بأن تنصرف عنه شهوة الطعام والشراب مع بقاء القوة باذن الله واما بتغذية الله المغنية له عن الطعام

والشراب

المجى مجاء فلما خلصنا فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح فلما جاوزنا بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لان غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى قال العارف ابن أبى جمرة قد جعل الله تعالى فى قلوب أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لاممهم وركب ذلك فيهم وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه السلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته اذ ذاك وقت افضال وكرم وجود فرجا أن يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله أمته ببركة هذه الساعة فان قيل أمته لاتخلو من قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذى هو على الايمان لابد له من دخول الجنة والذى مات على الكفر لايدخلها أبدا قلنا رجا للعصاة من القسم الاول التعطف والاحسان فى ذلك الوقت لانه وقت أسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل العظيم فطمع الكليم ان يلحق أمته نصيب من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا النفحات الله قال ثم صعد بى الى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل من معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجى مجاء فلما خلصت فاذا بابراهيم قال هذا ابراهيم أبوك فسلم عليه فسلمت فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح * (السادس) * قال فى الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل

والشراب واما بتناول الغذاء فقد كان صلى الله عليه وسلم قادرا على ذلك وسمعت مرات كثيرة من الشيخ الامام الوالد رحمه الله وهو معتقدى انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه فى نفسه وعياله ومعاشه وأحفظ ان الشيخ الامام رحمه الله أقام من مجلسه من قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا قياما صعبا وكاد يسطو به وكان رحمه الله يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا المراد به استكانة القلب لا المسكنة التى هى أن لايجد ما يقع موقعا من كفايته والحق معه فى هذا فان من جاءت اليه مفاتح خزائن الارض وكان قادرا على تناول مافيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم انتهى وقال الحليمى فى شعب الايمان من تعظيمه صلى الله عليه وسلم ان لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيرا قال فى جمع الوسائل ومما أكرم الله سبحانه به نبيه عليه السلام انه مع تألمه بالجوع حفظ كمال قوته وصان نضارة جسمه فكان أشد رونقا وبهاء من أجساد المترفين ولا يظن به الجوع أحد ممن يراه اهـ بالمعنى وقد أشار البوصيرى رحمه الله الى هذا المعنى بقوله

وشد من سغب احشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

فقف على قوله مترف الادم وانما آثر صلى الله عليه وسلم هذه الحالة مع انه يستوى فى حقه الغنى والفقر ان استغنى شكر بل كان أشكر الشاكرين وان افتقر صبر بل كان أفضل الصابرين واذا كان من أمته من لايبالى باقبال الدنيا ولا بادبارها فكيف به صلى الله عليه وسلم تواضعا وميلا الى ما يناسب حالة العبودية وامتثالا لقول الله تعالى ولا تمدن عينيك الآية ومخالفة لكسرى وقيصر اشارة الى أنهم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا واظهارا لحقارة الدنيا عند الله تعالى حيث أعرض عنها بالكلية وفى الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء وأنشدوا

فلو كانت الدنيا ثوابا لمحسن * اذن لم يكن فيها معاش لظالم

لقد جاع فيها الانبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وليتأسى به الضعفاء لانه فى مقام التشريع والاقتداء فيزهدون فى الدنيا لانها عدوة الدين لما علم من أن أكثر الناس يفتنون بشهواتها ولذاتها فيشتغلون بها عن ربهم ويفوتهم بذلك ما فاز به غيرهم من أهل المعرفة بالله تعالى روى الدمياطى عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم خطب فقال والله ما أمسى فى بيت آل محمد صاع من طعام وانها

قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات (١) وفي رواية مسلم أربعة أنهار من الجنة فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والأنهار تخرج من أصلها وفي رواية

عند البخاري أنه رأى النيل والفرات في سماء الدنيا أي فأصلهما في سدرة المنتهى وعنصر انتشارهما في سماء الدنيا وفي رواية مسلم فلما غشيها من أمر الله ما غشيها فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وفي حديث أنس المرفوع أنها في السماء السابعة وفي حديث ابن مسعود الموقوف أنها في السادسة وحديث أنس موافق لقول الأكثر وهو الذي يقتضيه وصفها بكونها التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل وملك مقرب وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله أو من أعلمه ويجمع بينهما بأن أصلها في السادسة وفروعها وأغصانها في السابعة وليس في السادسة منها إلا أصل ساقها قال مقاتل وهي عن يمين العرش قيل قد أظلت السموات والجنة قيل وهي طوبى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ويستظل في الغصن منها ألف راكب ولو وضعت ورقة منها في الأرض لأظلت أهل الأرض وأخرج عبد بن حميد عن سلمة بن وهران في قوله تعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى قال استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظر والى

التسعة أبيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله ولكن ليتأسى به أمته انتهى وإشارة إلى أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس وهو الذي يحصل معه اطمئنان النفس وسكونها وراحة البدن بالقناعة ورفع الهمة عن الخلق وتعلقها بالملك الحق والرضا بالقسمة وليس الغنى الحقيقي غنى اليد

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي صنع الفقر

وإشارة إلى أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وهي مسئلة ذات نزاع كثير ولجمع بين ثواب الشكر وثواب الصبر فيكون له حظ من كل منهما وفي البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء وقال أبو سليمان تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينار ينفقها في سبيل الله وسيأتي في آخر الباب وجوه أخرى (قال أبو عيسى) أي المصنف (هذا) أي الحديث السابق (حديث غريب من حديث أبي طلحة) أي غرابته ناشئة من طريق أبي طلحة لا من سائر الطرق (لا نعرفه إلا من هذا الوجه) هذا لا ينافي الحسن والصحة فإن الغريب ما انفرد بروايته عدل ضابط فإن كان التفرد برواية متنه فهو غريب المتن وإن كان بروايته عن غير المعروف عنه كأن يعرف عن صحابي فيرويه عدل عن صحابي آخر فهو غريب الإسناد وهو الذي يقول فيه الترمذي غريب من هذا الوجه وقد أكثر الناس الرد على أبي حاتم بن حبان حيث أنكر حديث وضع الحجر قائلا إن الرواية إنما هي الحجز بالزاي وهو طرف الإزار فتصحف وتمسك فيما سلكه من الإنكار بحديث الوصال الذي في الصحيحين وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تواصلوا فقالوا إنك تواصل فقال إني لست كأحدكم إني أطعم وأسقى وفي رواية يطعمني ويسقيني وفي رواية إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني وقد أجيب بأن عدم الجوع خاص بالوصال فإذا واصل أعطي قوة الطاعم والشارب أو يطعم ويسقى على خلاف في ذلك والأول أظهر وأما في غير حال الوصال فلم يرد فيه ذلك فإن تحقق الجوع وربط الحجر ثابت في الأحاديث فوجب الجمع بحمل أحاديث جوعه على غير حالة الوصال ومن تلك الأحاديث ما في الصحيح عن جابر أن الناس يوم الخندق عرضت لهم كدية وهي قطعة صلبة فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ صلى الله

عليه

(١) فيه أن الباطن أحسن من الظاهر لأنه جعل في الجنة ولذا قال إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم اهـ من خط المؤلف بواسطة

عليه وسلم المعول فضرب به فعاد كثيبا أهيل أو أهيم وهما بمعنى واحد زاد احمد والنسائى باسناد حسن ان تلك الصخرة لا تعمل فيها المعاول وانه صلى الله عليه وسلم قال بسم الله وضرب بها ضربة فنثر ثلثها فقال الله أكبر اعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر اعطيت مفاتيح فارس وانى والله لابصر قصر المدائن الابيض الآن ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة ومنها الحديث الآتى وانظر بقية الاحاديث فى جمع الوسائل * قال المصنف (ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر كان أحدهم يشد فى بطنه الحجر من الجهد) بضم الجيم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وهو المراد هنا ومن للتعليل أى من أجل الجهد (والضعف) بفتح أوله ويجوز ضمه وهو كالتفسير لما قال ولذا قال (الذى به من الجوع) بافراد الموصول أى الناشئ من الجوع الشديد فمن ابتدائية وقد تقدم بعض ماقيل فى حكمة ذلك وفيما ذكره المصنف رد لقول من قال ليس هنا للربط حقيقى وانما هو من باب قولك لمن تأمره بالصبر اربط على قلبك حجرا وأما قول بعضهم انه كان بالمدينة أحجار تسمى المشبعة خلق الله تعالى فيها برودة تسكن الجوع وحرارته فكان الجائع يربطها على بطنه لذلك فقال فى جمع الوسائل لا يعرف حجر بالمدينة بهذه المثابة * قال المصنف (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى صاحب الصحيح (نا آدم بن أبى اياس نا شيبان أبو معاوية نا عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ساعة لا يخرج فيها) أى لم يكن من عادته الخروج فيها فالجملة صفة ساعة (ولا يلقاه فيها أحد) أى بالدخول عليه فى حجرته وهو عطف على الصفة (فأتاه أبو بكر فقال) النبى صلى الله عليه وسلم (ماجاء بك) الباء للتعدية أى أى شئ أحضرك فى هذا الوقت (يا أبا بكر) وفيه ايماء الى أن الصديق خرج فى غير وقت خروجه المعتاد له أيضا (فقال خرجت ألقى) أى لعلى ألقى (رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر فى وجهه والتسليم عليه) بالنصب والجر عطفا على المعنى أى راجيا القاءه والنظر فى وجهه والتسليم عليه أو طالبا للقائه الخ وفيه فعل واحد بنيات متعددة يتعدد الثواب بقدرها وذلك من نتائج التبحر فى علم النيات الذى لا يظفر به الا العارفون (فلم يلبث أن جاء عمر) أى لم يتأخر مجيء عمر فالفاعل المصدر المنسبك من أن المصدرية مع مادخلت عليه (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ماجاء بك ياعمر فقال الجوع يارسول الله) هذا لاينافى ما أراده الصديق

النبى صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فغشيت الملائكة السدرة لينظروا اليه أى لانه عروس المملكة والمجلى الاعظم والمرآة الكبرى التى تجلت فيها صفات الحق تعالى بحسب الدلالة والتعريف لا بحسب الحلول والتكييف اذ هو أكبر المتخلقين باخلاق الربوبية ولذا سمى بكثير من أسماء الله تعالى كالرؤف والرحيم وبه فسر قوله من رآنى فقد رأى الحق قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول اه وقوله فاذا نبقها أى طعمها وما ثمره وقلال على وزن جبال جمع قلة آنية معروفة وهجر بهاء وجيم مفتوحتين وراء قال فى القاموس هى بلدة كانت قرب المدينة اليها تنسب القلال أو تنسب الى هجر اليمن اه وقال ابن حجر وهجر قال ابن اسحق هى محلة بالمدينة يعمل فيها القلال وقال غيره هى التى بالبحرين وبه جزم الازهرى وهو الحق وانما وقع التشبيه بها لكثرة استعمال العرب لها فى أشعارهم فهى مشهورة عندهم قيل وكل قلة منها تحمل قربتين ونصفا بقرب الحجاز انتهى والآذان جمع أذن وهى حاسة السمع والفيلة بكسر الفاء بعدها ياء مثناة ولام مفتوحتان جمع فيل معروف جماعا وروية لبعض عظامه الدالة على عظم جثته والتشبيه فى الموضعين بأعظم مايعرف مناسبا للمشبه تقريبا للافهام وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى هذا وفى همزية ابن زكرى

سدرة المنتهى انتهى عندها العلم * وعلمه ليس فيه انتهاء

قال فى الشرح وانما قيل لها سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهى عندها لا يجاوزها ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقيل لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله وقيل لانه ينتهى اليها من مات على سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهم المؤمنون حقا والمنتهى اسم مكان أو مصدر ميمى بمعنى الانتهاء وعلى الاول جرى فى النظم فأل فى العلم خلف عن المضاف اليه اى انتهى عندها علم الخلائق وعلمه اى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه انتهاء اى ليس فى متعلقه الذى هو المعلوم أو العلم بمعنى المعلوم وهذا على ماذكره السيوطى فى الخصائص الكبرى من انه صلى الله عليه وسلم أوتى علم كل شئ حتى الخمس التى هى علم الساعة وما معها وكذا علم الروح ولكنه أمر بكتم ذلك وما ظنك بعلم منه علم اللوح والقلم كما فى البردة وأما نفس العلم الحادث فهو مخلوق متناه اه *(السابع)* فى رواية البخارى ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الاقلام المستوى المصعد وهو محل عال يعلم الله حقيقته وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى وظاهر الأخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه من قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة فى صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكر فى الاثر قال ابن سبع فى شفاء الصدور وفى حديث ابن عباس قال مولانا على كرم الله وجهه سلونى قبل أن تفقدونى عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل فقام المستطاب اليه رجل وقال ماهو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر الى أبى بكر وعمر وعثمان والى فيما يخبره ربه فيه من العلوم فاعلمنى قال كنت نورا فى وجه ابراهيم ودرة فى ظهره فلما عارضه جبريل وهو فى كفة المنجنيق قال هل لك من حاجة قال أما اليك

من اللقاء والنظر والتسليم وكأنه اقتصر عليه لانه الباعث الاصلى لانه خرج فى غير وقت خروجه أيضا ليتسلى عن الجوع بلقائه صلى الله عليه وسلم والنظر الى وجهه فان رؤية الاحبة تغيب عن الاحساس بالآلام أو تخفف لما فيها من القوت للارواح على ان فى مسلم عن أبى هريرة أيضا فاذا هو بابى بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله الحديث فصرح أبو بكر بالجوع كما صرح به عمر فاما ان القضية تعددت أو لما جاء عمر وذكر الجوع ذكره أبو بكر أيضا قاله فى جمع الوسائل (فقال النبى صلى الله عليه وسلم) تسليا لهم وايناسا (وأنا قد وجدت بعض ذلك) فيه دلالة على ان الاخبار بالجوع وقلة المأكول اذا لم يكن على سبيل الشكوى والجزع لا ينافى الصبر والتوكل ولا يبعد ان يكون هذا بعد الفتوح لانهم كانوا يبذلون ما يسئلون فربما يحتاجون بل يؤيده ان الراوى أبو هريرة وهو انما أسلم بعد فتح خيبر وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وتوفى ودرعه مرهونة فى شعير استدانه لاهله كما يأتى عند المصنف فكان اذا أيسر أخرج ما عنده فى وجوه البر وكذا كان خلق صاحبيه بل أكثر أصحابه رضى الله عنهم وقد أوتى صلى الله عليه وسلم خزائن الارض وفتح عليه فى حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب اليه من أخماسها وجزياتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فصرف جميع ذلك مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين ولم يستأثر بشئ من ذلك ولا أمسك منه درهما (فانطلقوا) أى ذهبوا وتوجهوا (الى منزل أبى الهيثم) اسمه مالك (ابن التيهان) لقب واسمه عمرو بن الحرث وقيل عتيك ابن عمرو (الانصارى) قيل هو قضاعى وانما هو حليف الانصار فنسب اليهم وفى رواية عند الطبرانى وابن حبان فى صحيحه أبى أيوب الانصارى فالقضية متعددة وفى رواية مسلم رجل من الانصار وهى محتملة لهما وعلى كل ففيه منقبة عظيمة لكل منهما اذ كانت فيه أهلية لمجئ النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه اليه وجعله ممن قال الله تعالى أو صديقكم (وكان) أى أبو الهيثم (رجلا كثير النخل والشاء) جمع شاة وفى نسخة والشجر فيكون من عطف العام (ولم يكن له خدم) جمع خادم وهو توطئة لقوله (فلم يجدوه) فى مكانه لخروجه فى خدمة عياله (فقالوا لامرأته اين صاحبك) أى زوجك (فقالت انطلق يستعذب لنا الماء) أى يأتى لنا بالماء العذب وفيه جواز الميل الى

المستطاب طعام من ماء وغيره وان ذلك لا ينافى الزهد وقد قال الشافعى ان شرب الماء البارد الحلو يخلص الحمد لله وسيأتى لهذا تتمة فى باب صفة شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم و زاد مسلم فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا (فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم) أى الى أن جاء وحذف الجار مع أن مطرد أى انما وقع لهم مكث يسير لقرب مجيئه من مجيئهم الى منزله (بقربة يزعبها) بفتح العين وفى نسخة بضم الياء وكسر العين أى يتدافعها لثقلها أو يحملها ممتلئة الصحاح الزعب الدفع و زعبته عنى دفعته وأزعبت الشئ اذا حملته وجاء ناسيل يزعب زعبا اى يتدافع فى الوادى (فوضعها ثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم) أى يعتنقه وفيه شاهد لسفيان بن عيينة القائل بجواز المعانقة وكرهها مالك ابن رشد روى ان ابن عيينة دخل على مالك فصافحه مالك وقال يا أبا محمد لولا أنها بدعة لعانقتك فقال ابن عيينة عانق من هو خير منك ومنى النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك جعفر قال نعم قال ذلك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال ابن عيينة ما يخص جعفرا يخصنا وما يعمه يعمنا اذا كنا صالحين ابن رشد رأى مالك خصوصه وكراهته لسائر الناس اذ لم يصحبه عمل انتهى وقال عياض سكوت مالك دليل على انه ظهر له ما قاله سفيان وهو الحق حتى يدل دليل على التخصيص اهـ وهذا كله فى معانقة الكبار وأما معانقة الصغار فقال القرطبى لا خلاف فى جوازها فيما أحسب كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بالحسن بن على مداعبة ورحمة وملاطفة (ويفديه بأبيه وأمه) بتشديد الدال أى يقول له فداك أبى وامى وفى نسخة يفديه كيرميه قال ابن حجر وهى تصحيف كنسخة يفديه بضم الياء وتخفيف الدال لان معنى فداه أعطى شيأ فانقذه كفادى له ومنه وان يأتوكم اسرى تفدوهم وتفادوهم فى القراءتين و يقال أفدى الاسير اذا قبل منه فديته وكلا المعنيين لا يصح هنا اهـ بالمعنى وفى صحيح مسلم ان أبا الهيثم حين جاء قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم ضيفا منى (ثم انطلق بهم) الباء للتعدية أو المصاحبة (الى حديقته) هى الروضة ذات الشجر و يقال هى كل بستان له حائط (فبسط لهم بساطا) أى فرش لهم فراشا (ثم انطلق الى نخلة) أى من نخيله (فجاء بقنو) فى مسلم بعذق والقنو من التمر بمنزلة العنقود من العنب وكان فيه بسر و رطب (فوضعه فقال صلى الله عليه وسلم أفلا تنقيت لنا من رطبه) عطف على مقدر أى أسرعت أفلا تنقيت لنا من رطبه والا للتحضيض وقدم الهمزة على العاطف لصدارتها أى اخترت جيد رطبه من رديئه وتركت ما فيه من البسر حتى يرطب فينتفع به (فقال يا رسول الله انى أردت أن تختاروا

فلا فعاد اليه ثانية ومعه ميكائيل فقال لا حاجة لى اليكم فعاد اليه الثالثة فقال هل لك من حاجة الى ربك فقال له من شأن الخليل أن لا يعارض خليله قال النبى صلى الله عليه وسلم فأنطقنى الله أن قلت لئن بعثنى الله نبيا واصطفانى بالرسالة لأجازين جبريل على فعله بأبى ابراهيم فلما كانت ليلة الاسراء كان جبريل السفير بى الى ربى الى أن انتهى الى مقام فقام عنده فقلت يا جبريل فى مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة الى ربك فقال يا محمد سل الله أن أبسط جناحى على الصراط لامتك حتى يجوزوا على قال النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان اللقاء ذهلت عن حاجة جبريل فقال الله تعالى أين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك (١) انتهى ولابن رشيد

بأقدامه فى حضرة القدس قد سعى
رسول له فوق المناصب منصب
بأعلى السما أمسى يكلم ربه
وجبريل ناء والحبيب مقرب

(الثامن) قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم ثم زج بى فى النور زجا نخرق لى سبعون الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عنى حس كل ملك وانسى فاذا النداء من العلى الاعلى ادن يا أحمد ادن يا محمد ليدن الحبيب فادنانى ربى حتى كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى وأورثنى علم الاولين والآخرين وعلى علوما

(١) مقتضى كلام سيدى محمد الزرقانى فى شرح المواهب انه بسكون الحاء اسم جمع صاحب معطوف على ضمير الخطاب اهـ من خط المؤلف بواسطة

أى أنتم بانفسكم (أو يخبروا) على حذف احدى التاءين وأو شك من الراوى (من رطبه وبسره) للتبعيض أى أردت أن تختار وا أحسن رطبه وبسره ومن اشتهى أحدهما تناول منه ما أراد فان الاغراض تختلف فلذلك أتيت بالنوعين وفيه ندب المبادرة باحضار ما حضر للضيف ومنه قوله تعالى فما لبث أن جاء بعجل حنيذ واستحباب تقديم الفاكهة لانها أسرع هضما من غيرها وقد يؤخذ ذلك من قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون (فأكلوا) من ذلك القنو (وشربوا من ذلك الماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا) اى المقدم لنا (والذى نفسى بيده) اى بقدرته وهو قسم جىء به للتأكيد (من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة) فى رواية مسلم فلما شبعوا ورووا قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وهو اشارة الى قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم والمقصود منه تنبيههم على الشكر على النعم ومعرفة قدر النعمة فان النعم اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت والسؤال عن النعيم اما عن القيام بحق شكره كما قال عياض او السؤال هنا سؤال تعداد النعم والامتنان بها واظهار الكرامة باسباغها كما قال النووى لا سؤال توبيخ ومحاسبة أو المراد كما قال ابن القيم ان كل واحد يسئل عن نعيمه الذى كان فيه هل ناله من حله ووجهه أولا فاذا خلص من هذا يسئل هل قام بواجب الشكر فاستعان به على الطاعة أم لا فيكون ممن استعان بنعمة الله على معصية الله فالاول سؤال عن سبب استخراجه والثانى عن محل صرفه (ظل بارد) خبر لمبتدا مقدر والجملة قامت مقام التعليل للجملة السابقة (ورطب طيب) عطف على الخبر واكتفى به عن البسر تغليبا أو لقلة استعمال البسر (وماء بارد) أى وحلو وقال ابن حجر ظل بارد الخ بدل من هذا لئلا يتوهم أن المشار اليه واحد قال فى جمع الوسائل وفيه بعد اه وفى قوله ظل الخ اشارة الى أن المطلوب من المؤمن أن يتنبه لجميع ما عليه من النعم وأن يعدها على نفسه واحدة واحدة وأن يستعظم ما جل منها وما قل فان من جهل كثير من الناس أنهم لا يعدون النعم العامة للخلق نعما فلا يشكرون على روح الهواء والتمكن من اخراج النفس وادخاله والقدرة على طرح الاذى والتمكن مما يقضى به مجرد الضروريات من غير توسع وهى فى الحقيقة نعم عظيمة يعرف قدرها من فقدها (فانطلق أبو الهيثم) اى أراد الانطلاق (ليصنع لهم طعاما) اى مطبوخا (فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تذبحن)

شئ فعلم أخذه على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله أحد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل يذكرنى به وعلم أمرنى بتبليغه الى العام والخاص من أمتى وفى رواية ثم دلى لى رفرف أخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احملنى حتى وصلت الى العرش فرأيت أمرا عظيما لا تناله الالسن ثم دلى لى قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون شيأ قط أحلى منها فانبأنى الله بها نبأ الاولين والآخرين ونور قلبى وغشى نور عرشه بصرى فلم أر شيأ فجعلت أرى بقلبى ولا أرى بعينى ورأيت من خلفى ومن بين كتفى كما رأيت من امامى الحديث وهذه الحجب انما هى بالنسبة الى المخلوق والحق سبحانه ليس بمحجوب اذ المحجوب مقهور وهو القاهر فوق عباده والقرب والبعد بالنسبة الى المسافة مستحيلان عليه تعالى لاستحالة الجهة والمكان فى حقه تعالى وانما القرب منه والبعد معنويان لا غير فالقرب منه تعالى عبارة عن دوام حضوره بالقلب بأن يكون مشاهدا اقربه تعالى منه بالعلم والارادة والقدرة المشار اليه بقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ونحن أقرب اليه منكم ويرحم الله ابن رشيد البغدادى اذ يقول فى وترياته

تدانى فأدناه الى العرش ربه * ونادى تقدم يا وحيد محبتى

تلذذ بنا واسمع لذيذ خطابنا * وعينيك نزه فى عجائب قدرتى

ترى العرش والكرسى والحجب قد بدت * لديك وأنوارى عليك تجلت

تأنس بنا هذا الوصال وذا اللقا * محب ومحبوب وساعة خلوة

لنا

تقرب ولا تجزع وأقبل ولا تخف * وسل تعط عبدى أنت سيد صفوتى
تعاليت قدرا عندنا ومكانة * وذكرك مرفوع فلا تنس نعمتى

انا (ذات در) اى لبن فى رواية مسلم فأخذ المدية فقال عليه السلام لا تذبحن لنا الخ فهم صلى الله عليه وسلم من قرائن الاحوال انه يريد أن يذبح لهم فقال له ذلك رفقا بأهله لاتنفاعهم باللبن مع حصول المقصود بغيرها وفى رواية مسلم اياك والحلوب وكأنه رضى الله عنه لما علم ان هؤلاء الاضياف ليس لهم نظير فى العالم مع ندور حصول هذا المغتنم لم يقنعه شئ يقدمه اليهم لان كل كثير فى حقهم قليل سيما والمطلوب المبالغة فى اكرام الضيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه والتكلف المنهى عنه هو تكلف السلف أو اذا كان فيه مشقة على المضيف وثقل (فذبح لهم عناقا) بفتح العين الانثى من ولد المعز مالم تبلغ سنة (أو جديا) شك من الراوى وهو بفتح فسكون الذكر من ولد المعز مالم يبلغ سنة (فأتاهم بها فأكلوا) أى منها (فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل لك خادم) أى غائب لان الحامل على سؤاله رؤيته له وهو يتعاطى خدمة بيته بنفسه والخادم يطلق على الذكر والانثى (قال لا قال فاذا أتانا سبى) أى سبى من الاسارى عبد أو جارية (فأتنا) فيه احسان الضيف للمضيف بالفعل ان وجد والا فبالوعد وفى الحديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ففى قوله هذا من النعيم الخ تنبيه على شكر المنعم الحقيقى وهو الله تعالى وان المعطى للنعم انما هو الله وان وصلت على يد مخلوق فالله سبحانه هو الذى دفعه الى ذلك واستعمله فيه وقاده اليه بسلسلة فى عنقه لا يستطيع لها نزعا ومن ثم قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه نحن لا نرى محسنا الا الله فلا نحب سواه فالمؤمن الكامل انما يشهد النعم من الله وان وصلت على يد مخلوق لان الخلق انما هم مظاهر تصرفاته تعالى وفى قوله فاذا أتانا سبى فأتنا اشارة الى القيام بحق الوسايط الذين أظهر الله نعمه على أيديهم فان شكرهم ومكافأتهم على ذلك شكر لله وتعظيم لنعمته وفى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله وهذا هو الكمال فلا يقصر النظر على من وصلت النعمة على يده و يغفل عن المنعم بها حقيقة ولا يهمل حق الوسايط قياما بالشريعة (فأتى النبى صلى الله عليه وسلم برأسين) أى بأسيرين اثنين (ليس معهما ثالث) تأكيد لما قبله (فأتاه أبو الهيثم) أى اتفاقا أو بالقصد بمقتضى الوعد (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اختر منهما) أى واحدا (فقال يا نبى الله اختر لى) هذا من كمال عقله رضى الله عنه وحسن أدبه وفضله لما علم من أن اختيار النبى له خير من اختياره لنفسه وقد قال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين

(التاسع) قال ابن حجر اختلف العلماء قديما وحديثا فى أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه أو بعين قلبه فقط والذى صح عن ابن عباس فى رواية انه رآه بعين بصره وفى أخرى انه رآه بقلبه ولا تخالف لانه صح عنه كما رواه الطبرانى انه رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه خلق فيه ادراكا كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له ولغيره وجاء عن أنس باسناد قوى رأى محمد ربه واطلاق الرؤية انما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصرى رحمه الله يحلف انه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهرى ومعمر وآخرون وهو قول الاشعرى وغالب اتباعه وسئل أحمد عن قول عائشة من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها قال بقول النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ربى قول النبى صلى الله عليه وسلم أكبر وأما قوله تعالى لا تدركه الابصار فالمراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلية *(العاشر)* اختلف فى معنى قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال الجمهور الضمير لجبريل أى دنا جبريل من النبى صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى فتدلى على النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى من عظمة جبريل ما رأى وهاله ذلك رده الله الى الصورة التى كان يعتاد النزول عليه اوقرب من النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم جبريل هو الموصوف بما

من أنفسهم (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المستشار مؤتمن) هذا حديث صحيح كاد أن يكون متواترا في الجامع الصغير المستشار مؤتمن رواه الاربعة عن أبي هريرة والترمذي عن أم سلمة وابن ماجه عن ابن مسعود والطبراني في الكبير عن سمرة وزاد ان شاء أشار وان شاء لم يشر وفي الاوسط عن علي كرم الله وجهه وزاد فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه والاستشارة استخراج الرأي من قولهم شرت العسل اذا أخرجتها من خباياها والاسم المشورة والمشورة والمعنى ان المستشار أمين فيما يسئل عنه من الامور فعليه أن يشير بما يراه خيرا له ولا يخونه بكتمان مصلحته وامتناع نصيحته (خذ هذا) اشارة الى أحد الراسين (فاني رأيته يصلي) أي والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وهو تعليل لامره ودليل على وجه اختياره ويؤخذ منه أن من نصح أحدا ينبغي أن يبين له وجه النصيحة ليكون أعون للمستشير على الامتثال وفيه انه يستدل على خيرية الانسان وأمانته بصلاته للآية المتقدمة فالصلاة من أعظم امارات الخير وعلاماته وفي الحديث اذا رأيتم الرجل في طريق الجامع فاشهدوا له بالايمان (واستوص به معروفا) أي افعل به معروفا وصية للتفعل ومعروفا مفعول باستوص لانه بمعنى افعل وليس صفة لمصدر محذوف أي استيصاء معروفا كما قيل وقيل معناه صل معروفك به بحيث لا ينقطع تقول وصيت الشئ بكذا اذا وصلته به قاله في الصحاح وفي نسخة واستوصى بصيغة الماضي أي النبي صلى الله عليه وسلم بالعبد معروفا (فانطلق أبو الهيثم الى امرأته فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت امرأته ما أنت ببالغ) اى لو صنعت ما صنعت من المعروف به ما أنت بواصل (حق ما قال فيه) اى في حقه (النبي صلى الله عليه وسلم) اى من المعروف (الا ان تعتقه قال) ابو الهيثم (فهو) اذن (عتيق فقال النبي صلى الله عليه وسلم) لما بلغه الخبر (غفر الله لهم) يحتمل أن يكون دعاء أو خبرا (ان الله لم يبعث نبيا ولا خليفة) من الامراء أو العلماء أي فضلا عن غيرهما (الا وله بطانتان) بطانة الرجل صاحب سره الذي يستشيره ثقة به لخلوص محبته شبه ببطانة الثوب وهي خلاف الظهارة كما شبه بالشعار في قوله صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار وفي الصحاح يقال بطنت الرجل اذا جعلته من خواصك (بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر وبطانة لا تألوه) من الالو بمعنى التقصير استعمله متعديا الى مفعولين لتضمنه معنى المنع أي لا تمنعه (خبالا) أي فسادا أي من فساد بفعله (ومن يوق) أي يحفظ (بطانة السوء) بفتح السين وضمها لغتان كما في الكره

والضعف

ذكر من أول السورة الى قوله ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لعائشة وقال آخرون الضمير لله تعالى أي دنا الرب سبحانه وتعالى من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى والدنو والتدلي على هذا مجاز كما تقدم لان قرب الله تعالى من العبد ليس بالمسافة والانتقال والقرب المستفاد من التدلي أخص من القرب المستفاد من الدنو وبهذا يحسن عطفه عليه وتقديم الدنو تقديم للاعم على الاخص والقاب مقدار المسافة اى كان جبريل من محمد عليهما السلام بالقرب بمقدار قوسين عربيتين ومعناه من طرف العود الى طرفه الآخر وقيل من الوتر الى العود وقيل ليس القوس التي يرمى بها وانما هو ذراع تقاس به المقادير ذكره الثعلبي وقال انه من لغة أهل الحجاز وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة قرب جبريل من محمد عليهما السلام مثل قاب قوسين قاله ابن جزى وتفسير القاب بالقدر قال السيوطي في الديباج هو المراد في الآية عند جميع المفسرين اه ومنه حديث لقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال ابن القيم وأو ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد على ذلك البتة كما قال تعالى الى مائة ألف أو يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن مائة ألف رجلا واحدا وقوله تعالى كالحجارة أو أشد قسوة والله تعالى عالم بالاشياء على ما هي عليه لا تردد عنده ولكنه خاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة وهذا أحسن وألطف من جعل أو بمعنى بل أو للشك بالنسبة الى الرائي أو بمعنى الواو وقوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى قال مولانا جعفر الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق تعالى غاية الملاطفة

وذلك قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى أى كان ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب
ولاطفه ملاطفة الحبيب للحبيب بخفى السر ولم يطلع عليه أحد ولم يعلم أحد ما أوحى الا الذى أوحى فقيل من جملة ما أوحى اليه
ألم نشرح لك صدرك ومن جملته ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك الى غير ذلك مما
لا يدخل تحت الحصر وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال أبو محمد

عبد الجليل القصرى أثنى الله
عليه بحقيقة الاستقامة أى
ما مال الى النظر الى سواه وما طغى
أى ما جاوز حد الادب فى نظره
اه فلم يزل صلى الله عليه وسلم فى
كمال أدبه مع الله تعالى وتكميل
مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب
السموات والسبع الطباق وجاوز
سدرة المنتهى ووصل الى محل
من القرب سبق به الاولين
والآخرين فانتصبت له هنالك
أقسام القرب انتصابا وانقشعت
عنه سحائب الحجب ظاهرا
وباطنا حجابا حجابا وأقيم مقاما
غبطه به الانبياء والمرسلون فاذا
كان فى المعاد أقيم مقاما من
القرب يغبطه به الاولون
والآخرون واستقام هنالك على
صراط مستقيم من كمال أدبه مع
الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
فأقامه فى هذا العالم على أقوم
صراط الحق والهدى وأقسم
بكلامه القديم على ذلك فى الذكر
الحكيم فقال يس والقرآن
الحكيم انك لمن المرسلين على
صراط مستقيم فاذا كان يوم
المعاد أقامه على الصراط فسأل

السلامة لاتباعه وأهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن هنا أخذ الصوفية رضى الله عنهم فى الوصول اشتراط الزهد
فى المقامات حتى يكون الله فى القلب أعظم وأحب من كل شئ قال فى الحكم ما أرادت همة سالك ان تقف عند ما كشف
لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة

والضعف رقرى بالوجهين عليهم دائرة السوء (فقدوقى) أى حفظ الفساد وجميع
الاسواء والمكاره وجاء فى رواية والمعصوم من عصمه الله ثم ان كان المراد البطانة من
الآدميين كانت القسمة ثلاثية فان الانبياء ومن التحق بهم لا يستنبطون الا أهل
الخير والفجار لا يستنبطون الا أهل الشر ومن الناس من يستنبطهما معا فلعل المراد
الملك والشيطان والله أعلم بمراد نبيه فيكون نظير قوله صلى الله عليه وسلم ما منكم من
أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياى الا ان الله أعاننى عليه فاسلم فلا يأمرنى الا بخير روى فاسلم بصيغة الماضى
والمضارع أى أنا منه وروى فاستسلم واسلام القرين هو ظاهر الحديث لقوله فلا
يأمرنى الا بخير وللخاصة رضى الله عنهم حظ من هذا كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره فى السفر أى لانهم يذيبونه بذكر الله
وهو انما يطوف بقلوبهم فى أوقات الغفلات على سبيل الاختلاس قال تعالى فى شأنهم ان
الذين اتقوا اذا مسهم طيف الآية لذلك قال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لى شيطانى دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور
قلت ولم ذلك قال لانك تذيبنى بكتاب الله عز وجل * قال المصنف (حدثنا عمر بن اسمعيل
ابن مجالد بن سعيد نبى أبى عن بيان) أى ابن بشر كما فى نسخة (نبى قيس بن حازم)
وفى نسخة عن قيس بن أبى حازم (قال سمعت سعد بن أبى وقاص) اسمه مالك بن أهيب بضم
الهمزة وقيل وهيب أحد العشرة رضى الله عنهم أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة وقال
كنت ثالث الاسلام (يقول انى لاول رجل اهراق) أى أراق بفتح الهاء وسكونها
وفى نسخة هراق (دما فى سبيل الله) أى من شجة شجها المشرك روى ابن اسحق ان الصحابة
كانوا اذا صلوا فى أول الاسلام ذهبوا فى الشعاب وأخفوا صلاتهم فبينما سعد فى نفر
منهم فى شعب اذ طلع نفر من المشركين وهم يصلون فعابوا عليهم واشتد الشقاق بينهم حتى
تقاتلوا فضرب سعد رجلا منهم بلحى بعير فشجه فكان أول دم أريق فى الاسلام قال
المناوى ولم ينقل ان سعدا أول من قتل نفسا فى سبيل الله ولو وقع لنقل لانه مما تتوفر
الدواعى على نقله (وانى أول رجل رمى بسهم فى سبيل الله) روى ابن عائذ فى مغازيه من
حديث ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغ الابواء وهى أول غزوة غزاها

فلا تكفر وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن الششترى رحمه الله فى هذا المعنى

فلا تلتفت فى السير غيرا وكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا

وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب
فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

(الحادى عشر) قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المذكور وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربى فقلت اى ربى خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت الى موسى قال ما فعلت فقلت قد حط عنى خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف لامتك قال فلم أزل أرجع بين ربى و بين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال يا محمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة الخ واختلف العلماء فى توجيه فعل سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على أقوال قال بعض أهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه السلام أضاءت له أنوار نور الطور ومن فاسرع اليها ليقتبس فاقتبس فلما نودى فى النادى اشتاق الى المنادى فكان يطوف فى بنى اسرائيل من يحملنى رسالة لربى ومراده ان تطول مناجاته مع الحبيب فلما مر عليه النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده فى أمر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب وقال آخر انما أن موسى عليه السلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقى الشوق بقلقه والامل بدلاله فلما تحقق

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبيدة بن الحرث وعقد له النبى صلى الله عليه وسلم لواء وهو أول لواء عقده فى ستين رجلا من المهاجرين فلقوا جمعا كثيرا من قريش قيل أميرهم أبو سفيان فتراموا بالنبل فرمى سعد بن أبى وقاص بسهم فكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله وهذا لا ينافى قول ابن حجر لم يقع بينهم قتال لان المراد نفى القتال المعروف من الجانبين والابواء جبل بين مكة والمدينة كذا فى النهاية وقيل قرية (لقد رأيتنى) أى أبصرت نفسى (أغزو فى العصابة) جماعة من العشرة الى الاربعين وكذا العصبة ولا واحد له من لفظه (من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نأكل) أى شيأ (الا ورق الشجر والحبلة) فى رواية البخارى رأيتنى سابع سبعة مع النبى صلى الله عليه وسلم ما نأكل الا ورق الحبلة الحديث وقد ورد فى رواية أنهم أبو بكر وعثمان والزبير وعلى وزيد بن حارثة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وكان اسلام من عدا عليا وزيدا على يد أبى بكر وأما على وزيد فاسلما قبل ذلك لانهما كانا فى عيال النبى صلى الله عليه وسلم فاسلما فى جماعة عياله والحبلة بضم المهملة وسكون الموحدة وبضمتين أيضا وهو بالنصب عطف على ورق ثمر السمرة يشبه اللوبيا وقيل ثمر العضاه والعضاه كل شجر يعظم وله شوك والسمر نوع منه وهو الطلح وهى شجر أم غيلان التى منها الصمغ العربى وفى نسخة بجر الحبلة وهو يقتضى ان الحبلة هى الشجرة نفسها وهو أيضا مقتضى رواية البخارى المتقدمة (حتى ان أحدنا ليضع كما تضع الشاة أو البعير) ليبس فضلاتهم لعدم الغذاء المعروف والطعام المألوف وفيه ما كانوا عليه من الصبر فى ذات الله والقناعة بالقليل من الدنيا والشدة مع ذلك على أعداء الله كما قال الله أشداء على الكفار وكان هذا فى غزوة الخبط وأميرهم أبو عبيدة وكانوا ثلثمائة وزودهم النبى صلى الله عليه وسلم جراب تمر فكان أبو عبيدة يعطيهم حفنة حفنة ثم قلل ذلك الى أن صار يعطيهم تمرة تمرة ثم أكلوا الخبط حتى صارت أشداقهم كاشداق الابل ثم ألقى اليهم البحر سمكة عظيمة فأكلوا منها شهرا أو نصفه وادهنوا بودكها حتى صلحت أجسامهم واسمها العنبر وأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه فمر الراكب تحته وقيل كان ما أشار اليه سعد فى غزاة فيها النبى صلى الله عليه وسلم وعليه فالمناسبة للترجمة ظاهرة وعلى الاول فالمناسبة ان ضيق عيش صحبه يدل على ضيق عيشه لانه عليه السلام لا يستأثر عنهم بشئ

ومن ثم اكتفى بجراب تمر فى زاد جمع كثير منهم (وأصبحت) أى صارت (بنو أسد) وهم قبيلة معروفة (يعزرونى فى الدين) أى يوبخونى بأنى لا أحسن الصلاة مع سبقيتى فى الاسلام عن دوام ملازمتى له عليه السلام وصبرى على تحمل المشاق العظيمة فى نصرة خير الانام ممن جانت عليه روحه فى مرضاة الله واعلاء كلمة الله واتى فى محبة الله وطاعته ما لا تقوم له الجبال الراسيات كيف يساوم بتضييع الصلوات التى هى أمهات العبادات وأفضل الطاعات ومحل المناجاة ومعدن المصافاة فقوله يعزرونى من التعزير بمعنى التأديب وفى نسخة بحذف نون الرفع وفى أخرى تعزرنى وفى أخرى على الدين وفى رواية البخارى تعزرنى على الاسلام قال الطيبى عبر عن الصلاة بالاسلام يذانا بانها عماد الدين ورأس الاسلام وكانوا وشوا به حين كان أميرا بالبصرة الى عمر فقالوا لا يحسن يصلى حسدا أو جهلا بمقادير الصحابة وعظيم ايمانهم (لقد خبت) أى حرمت من الخير وخسرت (اذن) أى ان كنت محتاجا لتأديبهم وتعليمهم (وضل) أى ضاع وبطل (عملى) وفى رواية البخارى سعيى كما فى قوله تعالى الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وانظر تمام قصته ودعائه على من شهد فيه بزور واستجابة دعائه فى صحيح البخارى وفى الحديث انه يجوز للانسان ذكر مآثره فى الاسلام اذا احتاج الى ذلك اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا صفوان بن عيسى نا عمرو بن عيسى أبو نعامة) بفتح النون (العدوى) بفتحتين (قال سمعت خالد بن عمير وشويسا) كلاهما مصغر (أبا الرقاد قالا بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان) صحابى جليل مهاجرى بدرى أول من نزل البصرة واختطها (وقال) أى عمر (انطلق أنت ومن معك) أى من العسكر (حتى اذا كنتم باقصى أرض العرب) أى أبعدها (وأدنى) أى أقرب (أرض العجم) أى فانزلوا فان ذلك غاية سيركم (فأقبلوا) أى توجهوا (حتى اذا كانوا بالمربد) موضع بالبصرة وهو فى الاصل موضع يحبس فيه الابل والغنم أو يجمع فيه الرطب حتى يجف (وجدوا هذا الكذان) بالذال المعجمة كحسان حجارة رخوة بيض كأنها مدر والبصرة أيضا حجارة رخوة مائلة الى البياض (فقالوا) أى قال بعضهم لبعض (ما هذه) أى ما اسم هذه (هذه البصرة) ان كان على حذف اداة الاستفهام فلا يحتاج الى تقدير والا كان من باب حذف القول أى قالوا هذه البصرة كما فى نسخة وكان بناء

ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال لبعده عن قدر أى كما قيل

وأستنشق الارواح من نحو أرضكم * لعلى اراكم أو أرى من يراكم

وأنشد من لاقيت عنكم عساكم * يجودون لى باللطف منكم عساكم

فانتم حياتى ان حييت وان أمت * فيا حبذا ان مت عبد هواكم

وقال آخر لما جلس الحبيب فى مقام القرب ودارت عليه كؤس الحب ثم عادوه لال ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه وسر فاوحى الى عبده ما أوحى ملأ قلبه وأذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله

يا واردا من أهيل الحى يخبرنى * عن جيرتى شنف الاسماع بالخبر

ناشدتك الله يا راوى حديثهم * حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سر أرق من النسيم اذا سرى

وأباح طرفى نظرة أملتها * ورجعت من فيض الجمال كما ترى

ثم ان هذه المراجعة من النبى صلى الله عليه وسلم لربه فى شأن التخفيف هى من جملة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاهتمام بامته والاعتناء بشأنهم والحرص على الخير لهم ما أمكنه صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن مرزوق فى شرح البردة انه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما أنت فاعل بامتى قال أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتى فقال الله تعالى أنا لهم ما عاشوا وأنا

ابن غزوان للبصرة فى آخر خلافة عمر سنة سبع عشرة سنة وسكنها الناس سنة ثمان عشرة قيل ولم يتعبد بارضها صنم ويقال لها قبة الاسلام وخزانة العرب والبصرتان الكوفة والبصرة (فساروا) أى فتعدوا عنها وساروا (حتى اذا بلغوا حيال) أى قبالة (الجسر) هو ما يبنى على الماء كالقنطرة (الصغير فقالوا) أى قال بعضهم لبعض (ههنا أمرتم) أى بالنزول والاقامة حفظا لارض فارس عن خروج الهند من الجزائر الى قتال العرب عليها قاله المناوى (فنزلوا فذكروا) عبر بضمير الجمع عن المثنى وفى نسخة فذكر أى خالد وشويس وفى نسخة فذكر أى كل من الراويين أو محمد بن بشار أو صفوان أو أبو نعامة (الحديث بطوله) لم يستكمله لانه أراد سرعة الوصول الى مقصوده من كلام عتبة مما يدل على ضيق عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانظره فى كتاب الزهد والرقائق من صحيح مسلم وانظر الاكتفاء للكلاعى (قال) أى كل من الراويين وفى نسخة نقالا (فقال عتبة بن غزوان لقد رأيتنى) أى أبصرت نفسى (وانى لسابع سبعة) أى فى الاسلام (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه أسلم بعد ستة نفر فهو واحد من سبعة (مالنا طعام الا ورق الشجر) بالرفع على البداية (حتى تقرحت) أى تجرحت (أشداقنا) جوانب الفم أى صار فيها اجراح من خشونة الورق الذى نأكله وحرارته (قال فالتقطت بردة) أى عثرت عليها من غير قصد وهى شملة مخططة وقيل كساء أسود مربع فيه خطوط صفر يلبسه الاعراب (فقسمتها) بتخفيف السين ويجوز تشديدها (بينى وبين سعد) بن أبى وقاص فى مسلم فقسمتها بينى وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بنصفها وفى نسخة وبين سبعة وهى تصحيف وتقتضى أنه كان ثامنا وهو خلاف ما تقدم من انه كان سابعا وان أمكن ان يكون المراد وبين بقية السبعة (فما منا من أولئك السبعة أحد الا وهو أمير مصر من الامصار) جزاء لهم فى هذه الدار وأعظم بجزائهم فى دار القرار وفيه اشارة الى أنهم لصبرهم فى طاعة الله وصدقهم فى نصرة دينه نصرهم الله تعالى على أعدائهم ومكنهم من رقابهم وأموالهم وبلادهم وصاروا أئمة أمراء بعد ان كانوا ضعفاء فقراء وفيه تحريض لمن كان يحدثهم بذلك على الجهاد وان به ارتفعت مراتب الصحابة وعلت مقاديرهم واستخلفهم الله فى الارض وعزوا وعز بهم الدين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (وستجربون الامراء بعدنا) أى فانهم لعدم

رياضتهم

أنهم اذا ماتوا وأنا لهم فى القبور وأنا لهم فى النشور قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة أكثر النبى صلى الله عليه وسلم من الدعاء لامته فى هذا الموضع لما جبله الله عليه من الشفقة والرحمة وقد ذكر بعض العلماء ان الله تعالى نادى قبل ان يخلق الخلق بالفى عام فقال يا أمة محمد أرحمكم قبل ان تسترحمونى واغفر لكم قبل ان تستغفرونى وأعطيكم قبل ان تسألونى اهـ ولاجل هذه المراجعة قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة وقال أرحنا بها يا بلال كان يتذكرها تلك المراجعات الجليلة وسر كون الاسقاط بخمس خمس لتكون المراجعات مع الاصل عشر مراتب اشارة الى ان الله تعالى كان يكرم حبيبه فى كل مرة بكرامة ويهدى له فى كل مجئ هدية فهى عشر هدايا فلذا قال فى المرة الاخيرة لكل صلاة عشر فكانت الحسنة بعشر أمثالها من بركته وعزته عند ربه تعالى ولم يعطه ذلك فى أول مرة لمحبوبيته عنده أظهر ذلك فى احواجه الى المراجعات والاهداء فى كل واحدة منها وفيه اشارة الى ان مراد الله تعالى من عباده المخصوصين ان لا يزول اليه اضطرارهم ولا يكون مع غيره قرارهم فلا يقضى لهم جميع ما ربهم دفعة لمحبته وقوفهم ببابه ودوام التجائهم لجنابه وتذكر قوله تعالى يا جبريل أخر حاجة عبدى فانى أحب أن أسمع صوته ولذا لم يجعل لهم نعيمهم فى الدنيا وأخر ذلك الى ملاقاته ليدوم سؤالهم ويتقرر عندهم ان النعيم انما يكمل برؤيته وفيه الاشارة الى أن الله يحب من عبده الالحاح وانه تعالى لا يتبرم بالحاح الملحين وههنا سر آخر بديع وهو أنه تعالى فى كل رجوع كان يكثر العطاء ويعظم الهدية ويضاعف الفضل لحبيبه صلى الله عليه وسلم ولم يجعل العطاء على حد سواء فى مراتب الرجوع بل فى المرة الثانية أكثر من المرة الاولى وفى الثالثة أكثر من الثانية وهكذا زيادة فى اظهار شرفه صلى الله عليه وسلم والاعلام بمحبوبيته وبيانه أنه أسقط فى المرة الاولى خمسا وأثبت ثوابها فقسم على خمسة وأربعين

رياضتهم وقلة مجاهداتهم باقون على أصل طباعهم المجبولة على الاخلاق القبيحة فلا تحصل لهم الاستقامة مع الحق ولا مع الخلق بخلاف الصحابة رضى الله تعالى عنهم فلعظيم ايمانهم ومعرفتهم الكاملة التى حصلت لهم من النور المحمدى وما سبق لهم من الرياضات وأنواع المجاهدات لا يقاس بهم أحد فى العدالة والديانة والاعراض عن الدنيا الدنية والاغراض النفسانية نفعنا الله تعالى بجميعهم وأماتنا على محبتهم آمين وربما أشعر قوله وستجربون الخ بأن المخاطبين لم يقدروا قدره ولم يعرفوا شدة وقوفه مع الحق حتى اضطروه الى ذكر بعض مآثره فى الاسلام كما وقع للسيد سعد بن أبى وقاص والله تعالى أعلم بما كان منهم وما قالوه فيه ويحتمل انهم لم يصدر منهم شئ فى جانبه وانما أراد ان ينبههم على انهم معه فى نعمة عظيمة لا يجدونها مع غيره من الولاة بعده * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا روح بن أسلم أبو حاتم البصرى نا حماد بن سلمة نا ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت فى الله) ماض مجهول من أخاف بمعنى خوف (وما يخاف) أى والحالة انه لا يخاف (أحد) أى غيرى لوحدته صلى الله عليه وسلم فى ابتداء اظهار الدين (ولقد أوذيت فى الله) أى فى دينه (وما يؤذى أحد) اذ لم يكن معه حينئذ احد يؤذى فى الله وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله تعالى والارض مملوءة بطواغيت الكفار وصناديد الطغاة والعتاة قام يدعو الناس الى الله ويخرجهم عن أديانهم وحده ولا وزير له ولا اتباع الا انه كان يدعوهم أولا أفرادا وآحادا ولا يجهر بذلك فى محافلهم وجماعاتهم فاسلم أبو بكر وخديجة وعلى وزيد بن حارثة ثم عثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة ابن عبيد الله بدعاء أبى بكر الصديق ثم أبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وجماعة من الرجال والنساء حتى نزل قوله تعالى فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من النبوة يجهر بالحق بين أظهرهم وكان يطوف على الناس فى منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ويعيب أديانهم ويذم آلهتهم ويسفه أحلامهم ويشتت نظامهم فاجمعوا على خلافه وعداوته وكان أشدهم اذاية للنبى صلى الله عليه وسلم المستهزؤن السبعة الى أن كفاه الله شرهم بمقتضى وعده الصادق انا كفيناك المستهزئين فماتوا كفارا وكان صلى الله عليه وسلم مع ما كانوا عليه من الفساد

يخرج تسع لكل واحد فالحسنة بمثلها وتسع الحسنة وفى الثانية أسقط خمسة أخرى وأثبت ثوابها فيقسم ثواب العشرة على الاربعين فالحسنة بمثلها وربع وفى الثالثة أسقط خمسة أخرى وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمس عشرة على خمسة وثلاثين يتوافقان بالخمس فخمس الخمسة عشر ثلاثة وخمس الخمسة والثلاثين سبعة فيقسم الوفق على الوفق يخرج ثلاثة أسباع أو نصف الا نصف سبع فالحسنة حينئذ بمثلها ونصف الا نصف السبع وفى الرابعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم عشرون على ثلاثين يخرج ثلثان فالحسنة بمثلها وثلثى المثل وفى الخامسة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وعشرين على خمسة وعشرين فالحسنة بمثليها وفى السادسة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب ثلاثين على عشرين فالحسنة بمثليها ونصف المثل وفى السابعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وثلاثين على خمسة عشر فالحسنة بثلاثة أمثالها وثلث المثل وفى الثامنة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب أربعين على عشرة فالحسنة بخمسة أمثالها وفى التاسعة أسقط خمسة وأثبت ثوابها فيقسم ثواب خمسة وأربعين على خمسة فالحسنة بعشرة أمثالها فانظر واعتبر هذه المنزلة العظيمة لسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعطى هذا الفضل العظيم لكل مصل من أمته التى لا يعلم عددها الا الله تعالى ثم انه زاده وأفاض عليه العطاء فطرد هذا التضعيف فى جميع الحسنات ولم يخصه بالصلوات ورتب كتابة الحسنة على مجرد الاهتمام قبل العمل ولم يقابل بين الحسنات والسيآت فى التضعيف بعد العمل ولا فى الاهتمام قبل العمل بكرامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى ومكانته عنده والحمد لله الذى جعلنا من أمته عم الله اناذلك بالعفو والعافية بمنه آمين وذكرنا قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة الحديث واسألك بمسألة

تضعيف بيوت الشطرنج المذكور عند أهل الحساب تطلع على أعجب العجائب ولذا قيل

والمرء في ميزانه اتباعه * فاقدر بذا قدر النبي محمد

والنظر قوله تعالى يا محمد لبيك وسعديك هي خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرة فتلك خمسون صلاة وفي هذا من
اللطف والرفق منه تعالى بعباده

المؤمن من ما لا يخفى قال في الحكم علم وجود الضعف منك

والطغيان والعناد وشدة السلاطة وقوة الشوكة ثابت القلب قوي العزم غير متخاذل ولا متزلزل ولا يخاف في الله لومة لائم وقد بسط أهل السير الكلام في أنواع اذايتهم فانظر ذلك هنالك والسبعة الاسود بن أسد بن عبد العزى والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس السهمي وعقبة بن أبي معيط ومن اذايته لعنه الله أنه وطئ على رقبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت أن ترض فدفعه عنه أبو بكر وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وأبو لهب ومن أعظم المؤذين أبو جهل وهو الذي وضع سلى جزور بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد خلف الكعبة فثبت المصطفى ساجدا حتى ألقته عنه فاطمة وهي جويرية وكان ذلك بحضر جمع من قريش فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض فلما قضى صلاته قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد فقتلوا كلهم يوم بدر الا عمارة فانه مات بأرض الحبشة شر موتة متوحشا مجنونا ولما حاولت قريش قتله صلى الله عليه وسلم وتعاطوا كل سبب يوصلهم الى ذلك وطلبوا من أبي طالب المرة بعد المرة ان يخلي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم الى ذلك وخذلهم الله تعالى جعلوا يعذبون من آمن به كبلال وخباب بن الارت وعامر بن فهيرة وياسر وزوجته سمية وولدهما عمار وغيرهم من المستضعفين فصبروا وقد أخرج الشيخان عن خباب قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برده في ظل الكعبة ولقد لقيت من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله الا تدعو الله لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال ان كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب وما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله (ولقد أتت) أي مضت (على ثلاثون من بين ليلة ويوم) قال الطيبي تأكيد للشمول أي ثلاثون يوما وليلة متواترات لا ينقص منها شئ قال في جمع الوسائل والظاهر من تمييز الثلاثين بقوله من بين ليلة ويوم ان العدد نصف شهر لا شهر كامل (مالى) في نسخة ومالى بالواو أي والحال انه ليس لي (ولبلال طعام يأكله) أي على وجه الشبع (ذو كبد) أي

فقلل أعدادها وعلم احتياجك الى فضله فكثر أمدادها وفي ضمن ضعف العبد ثبوت تقصيره وقصوره عن التوفية بحق الربوبية وعدم اتيانه بمقتضى العبودية وعامله تعالى على مقتضى ضعفه فقلل الاعداد وذلك بعد التكثير ادخالا للفرح والسرور على النبي صلى الله عليه وسلم وقبول شفاعته وخصوصية أمته لاجله واظهارا للفضل والكرم والرحمة واللطف وفي ضمن احتياج العبد الى الفضل وتكثيرا لامداد التنبيه على ان اعطاءه ليس على قدر أعماله ولا بحسبها فليكن اعتماده اذن على فضل مولاه لا عليها وليرفع نظره عن طلب العوض عنها وليشكر مولاه على هدايته لها واستعماله فيها اعملوا فكل ميسر لما خلق له كفى العاملين جزاء على طاعته ان رضيهم لها أهلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا واعلم ان هذه العشر هي الاصول التي يدور عليها التضعيف في مقاماته لا على الاصل الاول الذي هو الحسنة الواحدة فنقول اذا كانت صلاة الشخص في جماعة بخمس وعشرين درجة ضربت في عشر فتكون الصلاة في جماعة بمائتين وخمسين كما صرح به الائمة واذا كانت الصلاة في بيت المقدس فذا بخمسمائة صلاة ضربت في عشر فهي بخمسة آلاف صلاة ثم تضعف في الجماعة واذا كانت الصلاة في مسجد المدينة بألف صلاة كانت بحضر وبه في عشرة بعشرة آلاف ثم تضعف في الجماعة واذا قلنا بقول الشافعي ان الصلاة

حيوان

حيوان رفيه اشارة الى قلته (الاشئ) أى قليل جدا (يواريه) أى يستره (ابط بلال) كنى بالمواراة تحت الابط عن يسارته وعن عدم ما يجعل فيه ذلك اليسير من منديل ونحوه كذا فى جمع الوسائل وعدم ما يجعل فيه ذلك اليسير محتمل فقط لا متعين والله أعلم وهذا الحديث أخرجه المصنف فى جامعه ايضا وقال معنى هذا الحديث حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم هاربا من مكة للطائف ومعه بلال انما كان مع بلال من الطعام ما يحمله تحت ابطه اه ويحتمل ان هذا كان وقت الحصار فى الشعب مع بنى هاشم بل هذا هو الظاهر فان الذى كان مع النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج الى الطائف على ما ذكره اهل السير هو زيد بن حارثة فقط لا بلال فالله أعلم والابط قال الجوهرى بكسر الهمزة وسكون الموحدة وكسرها ما تحت الجناح يذكر ويؤنث والجمع آباط * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن انا عفان بن مسلم نا ابان بن يزيد العطار نا قتادة عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجتمع عنده غداء) بفتح معجمة فمهملة وهو الذى يؤكل أول النهار (ولا عشاء) بفتح أوله ما يؤكل آخر النهار وسمى عشاء لان العادة أكله فى أول الليل عند صلاة العشاء أو عند صلاة المغرب فانها تسمى عشاء أيضا مجازا وحديث اذا حضر العشاء والعشاء فابدؤا بالعشاء بفتح العين يشمل الصلاتين لان المراد تفريغ القلب من الشغل بغير الصلاة ولذا يقال طعام مخلوط بالصلاة خير من صلاة مخلوطة بالطعام (من خبز ولحم) اى لا يجتمع فى كل منهما خبز ولحم فى حال من الاحوال (الا على ضفف) هذا ان كانت لا زائدة للتأكيد أى لم يجتمع عنده الغداء والعشاء معا من خبز ولحم الا على ضفف ويحتمل ان لا تكون زائدة والمعنى لم يجتمع عنده غداء من خبز ولحم الا على ضفف ولا عشاء من خبز ولحم الا على ضفف والله أعلم (قال عبد الله) اى ابن عبد الرحمن شيخ المصنف (قال بعضهم) اى من المحدثين أو اللغويين (هو) اى الضفف (كثرة الايدى) هذا أحد معانيه فى القاموس الضفف محركا كثرة العيال أو التناول مع الناس أو كثرة الايدى على الطعام أو الضيق والشدة أو يكون الاكلة أكثر من الطعام انتهى فالمعنى الا على حال نادر وهو تناوله مع جميع عياله وأهل بيته أو مع الناس كالاضياف أو مع كثرة الايدى لا وحده أو على حال الضيق والشدة لا على حال التنعم والرفاهية او اذا لم يكن الطعام على قدر الآكلين والله أعلم ويروى شظف

فى مسجد مكة بمائة ألف صلاة كانت مضر وبة فى عشرة ثم تضعف فى الجماعة اه ملخصا من شرح شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله الهمزية * (الثانى عشر) * قال النووى الجمهور على تفضيل السماء على الارض أى ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة اه وهذا وان قاله الجمهور غير منصور وقد ذكر بعض أهل العلم ان الارض والسماء تقاولتا وتجاوبتا وافتخرت كل منهما على الاخرى فافتخرت السماء بأنها محل الطاعات والعبادات وهى المصونة من المعاصى والمخالفات ومسكن الملائكة الذين هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وفيها الجنة وسدرة المنتهى والبيت المعمور وغير ذلك مما ليس فى الارض فاجابتها الارض بجواب مسكت مفحم وهو ان فيها مقام النبى صلى الله عليه وسلم وقراره حيا وميتا ولم تفز السماء بوطء أقدامه لها الا ليلة المعراج فاسكتتها بذلك وغلبتها وقول السماء انها مصونة من المعاصى لا تسلمه الارض لان ابليس قد عصى فى السماء على ان المزية لا تقتضى التفضيل وكفى الارض فضلا ان النبى صلى الله عليه وسلم خلق جسده الشريف منها لعموم قوله تعالى منها خلقناكم وان كان نوره خلق قبلها وانه دفن فيها وهو أول من تنشق عنه الارض وقد قال الفاكهانى فى الفجر المنير فى اثناء كلام قالوا ولا خلاف ان البقعة التى ضمت أعضاء النبى صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض على الاطلاق حتى موضع الكعبة المعظمة قال غيره وكذا ما بين بيته ومنبره لثبوت انه من الجنة ثم قال الفاكهانى وأقول انا وأفضل بقاع السموات أيضا ولم أر من تعرض لذلك والذى اعتقده ان ذلك لو عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكون النبى صلى الله عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندى الظاهر المعتبر اه وما أحسن قول شيخ شيوخنا العلامة الشهير سيدى عبد السلام جسوس رحمه الله مشيرا الى هذا المعنى وزيادة

أيا سماء تعالت * والبدر فيها منير وبالنجوم تحلت * والشمس فيها تدور
مالى أرى كل حين * منك الدموع تفور أبعد رفع وحسن * هذا البكاء الكثير
أراك فارقت نورا * ما مثله فيك نور ولا له فى سماء * ولا بعرش نظير
هلا مسكت بغرز * لما أتاك يزور وهو وجبريل راق * وجبرئيل السفير

طابت به الارض نفسا
كادت سرورا تطير
قرت به العين منها
ودام فيها السرور
بشرى لنا قد حللنا
حيث البشير النذير
من شاء منا اتصالا
يغدو اليه يزور
ماقبره مثل شمس
أبداه رب غفور
من لم يزر قبرطه
فذاك منه قصور
عليه أزكى صلاة
مادام فى الخلد حور
مختومة بسلام
حياه رب شكور
يا أرض تيهى دلالا
فالكون منك غيور
ويا سما زيد دمعا
لا يعتريك فتور

(ثم وافى يحدث الناس شكرا
اذ أتته من ربه النعماء)

أى ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسراء والمعراج وافى مكة قبل الصبح فاصبح يحدث الناس بما رأى من تلك العجائب والكرامات امتثالا لقوله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) وقوله شكرا اما تمييز او مفعول لاجله أو حال اى شاكرا لله واذ تعليلية أو ظرفية والنعما بفتح النون جمع نعمة بفتحها أيضا قالت عائشة رضى الله عنها لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا وسعى رجال من المؤمنين الى أبى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا

ويروى خنف قال ابن الاعرابى الثلاثة فى معنى ضيق المعيشة وقلتها وغلائها * قال المصنف (حدثنا عبد بن حميد نا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك) بالتصغير (نا ابن أبى ذئب عن مسلم بن جندب عن نوفل بن اياس الهذلى قال كان عبد الرحمن بن عوف) هو أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم (لنا جليسا وكان نعم الجليس) اى المجالس هو (وانه) بكسر الهمز (انقلب بنا) أى رجع معنا من السوق أوغيره فالباء بمعنى مع ويحتمل أن تكون للتعدية اى ردنا من الطريق (ذات يوم) اى يوما من الايام (حتى اذا دخلنا بيته ودخل) اى مغتسله (فاغتسل ثم خرج وأتينا) بصيغة المجهول من الاتيان (بصحفة فيها خبز ولحم) وهى اناء كالقصعة (فلما وضعت) تلك الصحفة (بكى عبد الرحمن فقلت له يا أبا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى مات نظير قوله تعالى فى حق يوسف حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا قال المناوى وفى استعمال هذا اللفظ فى موت الانبياء قزازة (ولم يشبع هو وأهل بيته) اى نساؤه وأولاده وأقاربه (من خبز الشعير) وكأنه كان فى الصحفة ما يشبعهم فلما رأى ذلك تذكر فبكى وقد تقدم فى أول حديث أبى الهيثم ما فى الصحيحين انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير أى فضلا عما هو أفضل من خبز الشعير قال فى جمع الوسائل اى دائما أو فى بيته أو يومين متواليين كما جاء عن عائشة فلا يشكل بما مر فى قصة أبى الهيثم وفى ذلك دليل على أن ضيق عيشه كان مستمرا فى حال حياته الى حين وفاته اه وقد تقدم أن من أسباب ذلك ايثار ذوى الحاجات وفى ذلك أيضا تربية أهله على الزهد فى الدنيا فكانت يقتصر بهم على حد الضرورة لان دوام الشبع مما يطغى النفس ويوقع فى نسيان الله تعالى وأيضا فان الاكمل أن يأخذ الانسان حظه من الشكر وحظه من الصبر فينال أجر الامرين ولهذا لما عرض عليه صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بطحاء مكة ذهبا قال لا يارب أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك رواه المصنف (ولا أرانا أخرنا) بصيغة المجهول (لما هو خير لنا) لان أكمل الاحوال وأسلمها عاقبة هو ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من ضيق العيش الى أن توفاه الله سبحانه وأما سعة العيش فما تخشى عاقبته ومن ثم كان عمر رضى الله عنه وغيره يخافون على من كان كذلك أن يكون

ممن

تصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء فى غدوة وروحه فلذلك سمى الصديق قال ابن اسحق ثم أقبل حتى انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله حدث هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يانبى الله صفه لى فانى قد جئته أى ليقع الرد على من شك فى ذلك قال فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر فيقول أبو بكر صدقت

أشهد أنك رسول الله وفى رواية البخارى فجلا الله لى بيت المقدس أى كشف الحجاب بينى وبينه حتى رأيته وعنده مسلم فسألونى عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فرفعه الله لى أنظر اليه ماسألونى عن شئ الا أنبأتهم به فيحتمل انه حمل الى أن وضع بين يديه بحيث يراه ثم أعيد ففى حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعتته وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ فى المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس فى طرفة عين وأما ماوقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد فخيل لى بيت المقدس وطفقت أخبرهم فان ثبت ذلك احتمل أن يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله جئ بالمسجد جئ بمثاله وفى حديث أم هانئ المذكور انهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها فجعلت أنظر اليه وأعدها بابا بابا وعند أبى يعلى ان الذى سأله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدى والد جبير بن مطعم وأشار ابن أبى جمرة الى أن الحكمة فى الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق للمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا انه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق انه أسرى به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقى فكان

ومن عجلت طيباته فى الحياة الدنيا ولكثرة الخطر آثر الفقر على الغنى من غلب عليه حب السلامة كما قال القائل

وقائلة مالى أراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن أناس بالسلامة نفرح

وأيضا فالخوف من التقصير فى الحقوق بالنسبة الى الغنى أكثر ولهذا قالوا ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر * ويروى ان عمر بن الخطاب أرسل الى سعد بن عامر بألف دينار فبكى فقالت امرأته مايبكيك هل بلغك شئ عن ثغور الاسلام قال لا قالت هل بلغك عن أمير المؤمنين انه توفى قال لا قالت فما يبكيك فبكى وقال أراد عمر أن يمحو اسمى من ديوان الفقراء بألف دينار فقالت ماعليك تصدق بها فقال لها هاتى درعك الخلق فأخذه وشقه وجعله صررا ثم قام يصلى ويبكى فلما أصبح خرج فوقف على الطريق وجعل كلما مر رجل أعطاه صرة حتى لم يبق منها شئ وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه من أغنياء الصحابة كعثمان بن عفان وطلحة الفياض والزبير بن العوام وسعد بن الربيع وأنس بن مالك وغيرهم رضى الله عنهم ومن المعلوم ان الدنيا ليست مذمومة لذاتها بل لما يخشى من فتنتها والفتنة لايؤمن معها من الهلاك فمن كملت أنواره وتطهرت أسراره وكان من أهل التمكين والرسوخ فى مقام اليقين لم تأخذ الدنيا من قلبه ولم تخدش فى وجه معرفته وقربه ولا يكون تعاطيها والدخول فى أسبابها شاغلا له عن ربه وليس من لازم الزهد فقد ذات اليد وضيق المعيشة لان الزهد ليس هو عدم المال بل عدم احتفال القلب بالدنيا والاموال وان كانت فى ملكه فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لانه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لشدة رغبته فى الدنيا وتعلق قلبه بها وامارة الزهد فى الدنيا لمن كان غنيا عدم الاكثار والادخار والاحسان منها والايثار وعلامة زهد الفقير وجدان الراحة منها عند فقدها كما قال الصديق رضى الله عنه فى المنام لابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه والمعلوم من اخبار هؤلاء السادات رضى الله عنهم ومن سيرهم وأحوالهم ان دنياهم انما كانت زادا لآخرتهم فلم تشغلهم عن الموافقة ولم توقعهم فى المخالفة فكانوا يأخذونها بالله ويصرفونها

ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين وزيادة في شقاق من عاند وجحد من الكافرين وروى أصحاب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان من آية ما أقول لكم انى مررت بابل في مكان كذا قد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت مافيها وأخبرهم بعدتها وعدة مافيها من الرعاة وانها تجئ يوم الاربعاء فلما كان ذلك أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس كذا ذكره أبو بكر الشيبانى عن ابن اسحق ومقتضى حديث أم هانئ انها قدمت صباحا وهو الذى فى اكتفاء الكلاعى وعليه اقتصر المفسرون وقد يجمع بينهما بتعدد الابل فمنها ما قدم أول النهار ومنها ما تأخر

(وتحدى فارتاب كل مريب
أو يبقى مع السيول الغثاء)

التحدى ادعاء الرسالة والاستناد فى ذلك الى القاطع الخارق فانه صلى الله عليه وسلم أتى أعلم الناس بفنون البلاغة وأشدهم تمكنا منها هى سليقتهم لا يحتاجون فيها الى تكلف بكلام واضح الدلالة بين المعنى على طريقة كلامهم ونهج خطابهم وطلب منهم أن يعارضوا شيأ منه فلم يستطيعوا قالوا ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أوضح فى الآية وأقطع فى الدلالة من احياء الموتى الخ لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون فى ذلك وأما قريش فكان أعلى أربهم ومنتهى طلبهم التفنن فى فنون الفصاحة والتنزه فى رياض البلاغة فدل عجزهم عنه على انه من أعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ولكن وحجة ساطعة قال الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله وقد قطع القول بأن ما أتى به من عند ربه وانهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل ينادى عليهم بالعجز عن معارضته والتقصير عن بلوغ الغرض فى مناقضته فلم يستطع أحد منهم شيأ من ذلك وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف فى فلاة

بالله وكانت يدهم فيها كيد غيرهم قد استوى عندهم التراب والتبر لا يبالون باقبالها ولا بادبارها ولا لها فى قلوبهم مزية كما قال تعالى وهو العالم بسرائرهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد تصدق سيدنا عبد الرحمن بن عوف يوما بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها وروى انه أعتق ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار وبالف فرس فى سبيل الله ولامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة ألف ولمن بقى من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وعثمان فيمن أخذ وكثر ماله رضى الله عنه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له بالبركة وكان يقول لو رفعت الحجر لرجوت أن أصيب تحته ذهبا ولما مات حفر الذهب من تركته بالفؤس وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثمانين ألفا ثم من كان من أهل البداية فيخاف عليه أن تأخذ من قلبه وتقطعه عن الوصول الى ربه فكان التقلل منها أليق به وأنفع لقلبه لان عند الفقير من فراغ القلب وقلة اشتغاله بالدنيا ماليس عند الغنى وبقدر ذلك يتضاعف ثواب عباداته فان حركات الجوارح ليست مقصودة لاعيانها بل لتأكد الانس بالمعبود فى قلب صاحبها ولاشك ان اثارتها الانس فى القلب الفارغ أشد بكثير من اثارتها له فى قلب مشغول ولهذا قال بعض السلف مثل من يتعبد وهو فى طلب الدنيا كمثل من يطفئ النار بالحلفاء وانظر قول صاحب الحكم ورود الفاقات اعياد المريدين ولم يقل اعياد العارفين لان أوقات العارفين كلها أعياد لا فرق عندهم بين فاقة وغنى وشدة ورخاء بخلاف أهل البداية ولذلك ابتلى الحق الصحابة بالفاقة فى أول أمرهم حتى اذا تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم واقتعدوا صهوة التمكين والرسوخ فى مقام اليقين بذلها لهم وأفاضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا الله عليها بالانفاق فى وجوه الخير حين وجدت وانما آثر النبى صلى الله عليه وسلم التقلل منها والاقتصار على القدر الضرورى من متاعها نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يقدر الرجل القوى بين يدى أولاده من الحية لاضعفه عن أخذها

اشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق خلق الله اه ومعنى كلام الناظم طلب صلى الله عليه وسلم من كفار مكة أن يعارضوه بالاتيان بمثل ما أتى به من الآيات الدالة على صدق نبوّته مما وقع له فى ليلة الاسراء وغيره فشك وخرس وانقطع كل مريب عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم ثم منهم من سلم وأسلم ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح أمره وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من بقى عنده فى ذلك شك أيتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح وما بقى معه شك وكيف يبقى مع السيول الغثاء بضم الغين المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من النبات ونحوه فكما ان الغثاء لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه فى أسرع وقت فكذلك ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان شك ولا ريب فاستعار السيول لما أتى به صلى الله عليه وسلم لان بها الحياة الحسية وجعلنا من الماء كل شئ حى كما ان بما جاء به الحياة المعنوية واستعار الغثاء لما يتخيلونه لانه أمر حقير لا بقاء له كما ان الغثاء كذلك وبين ارتاب ومريب جناس الاشتقاق وفى الختم التذييل وللنحاة فى نظير قوله أويبقى الخ كلام انظره فى المغنى وغيره

(وهو يدعو الى الاله وان شقّ عليه كفر به وازدراء)

جملة قوله وهو يدعو حال من فاعل تحدى أى تحدى الناس والحال انه مع انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما أمر به من التبليغ والدعاء الى العلم بوجوده عز وجل واتصافه بصفات الكمال وضمير به للاله أو للنبى والازدراء الاحتقار والانتقاص بمعنى انه صلى الله عليه وسلم مديم دعاءه لهم الى الله متحمل لمشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاء به وذلك انه صلى الله عليه وسلم بقى بعد النبوة ثلاث سنين مختفيا حتى نزل فاصدع بما تؤمر أى اجهر بالحجة وفرق بين الحق والباطل فذكر آلهتهم وعابها

ولكن لعلمه بانه لو أخذها لأخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا او السير بسير الضعفاء سيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذهم فى مقام الاقتداء والتشريع للكافة وعلى ذلك أيضا يحمل هروب من هرب منها من المشايخ الكاملين والائمة الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى وبهذا تعلم ان اغنياء الصحابة ليسوا ابعد الفين لسيرته صلى الله عليه وسلم ولا خارجين عن سنته وطريقته لان المقصود اصلاح القلوب لتتجرد لذكر علام الغيوب والمحذور ما يشغل عن الله تعالى والدنيا لذاتها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها قال فى الاحياء ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى أن فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عز وجل وعمدة الاشتغال بالله القلب اه والحاصل ان كمال الاستقامة الذى هو التزام العبودية لا ينحصر فى عمل مخصوص وحالة معينة فقد يكون بالعزلة وقد يكون بالاجتماع وقد يوجد بالتجريد وقد يوجد بالاسباب ويوضح لك هذا كل الوضوح كون عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضى الله عنهما معدودين من العشرة الذين هم أفضل الصحابة على الاطلاق وكون كثير من فقراء الصحابة كأهل الصفة رضى الله عن جميعهم ليسوا من العشرة والله أعلم وبه التوفيق

(باب ما جاء فى خف رسول الله صلى الله عليه وسلم)

هذا رجوع للكلام على بقية أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم أى باب بيان ما جاء فى صفته ولونه ومسحه عليه وهو ما صنع على هيئة القدم ساتر المحل الفرض من جلد * قال المصنف (حدثنا هناد بن السرى نا وكيع عن دلهم) بفتح الدال المهملة وسكون اللام وفتح الهاء (ابن صالح) أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه والبخارى فى جزء القراءة (عن حجير) بضم المهملة مصغرا أخرج حديثه أبو داود والترمذى وابن ماجه (ابن عبد الله عن ابن بريدة) هذا هو الصواب خلاف ما يوجد فى بعض النسخ عن أبى بريدة (عن أبيه ان النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف الجيم وكسر الشين المعجمة وتخفيف الياء وتشدد واما تشديد الجيم فخطأ كذا حققه العسقلانى فقول ابن حجر كسر النون

سنة أربع فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصمه الله بالاسلام فروى أهل السير أنه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس فى منازلهم يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر وغيره بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من حثا التراب على رأسه وجعل الدم على بابه و وطئ عقبة بن أبي معيط لعنه الله على رقبته الشريفة وهو ساجد

عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان فجاء أبو بكر ودفعه عنه وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط شعره فقام أبو بكر دونه قائلا أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله (و روى) الامام أحمد فى مسنده أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فاما النبى صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من القتل بعمه أبى طالب وأما أبو بكر فمنعه الله تعالى بقومه وأما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وربطوهم فى الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه فى الله تعالى وهان على قومه فاخذوه وأعطوه للولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد ليمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان ومر اللعين أبو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهى تعذب فطعنها بحربة فى فرجها فقتلها وأخرج البيهقى عن عروة ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم زنيرة فعميت فقالوا ما أعماها الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها اه

(ويدل الورى على الله بالتو * حيد وهو المحجة البيضاء)

الورى الخلق انسهم وملائكتهم و جنهم بل والجمادات أى يدل الخلق على العلم بالله بطلب التوحيد منهم بان يقروا بانه تعالى

أفصح غير صحيح وهو لقب ملوك الحبشة كتبع لليمن وكسرى للفرس وقيصر للروم والشام وهرقل للشام فحسب وفرعون للقبط والعزيز لمصر وخاقان للترك وهذه القاب جاهلية واسم النجاشى أصحمة بالصاد والسين تصحيف أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى وكتب اليه يدعوه الى الاسلام فاسلم سنة ست وقال فيه رجل صالح ومات سنة تسع من الهجرة عند الاكثر على ما صرح به العسقلانى وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بموته فى يوم موته وصلوا معه عليه وكبر أربعا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا ثانيا ليزوجه أم حبيبة وسيأتى جوابه له وروى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبر النجاشى لما مات نور وأما النجاشى الذى بعده فقد كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فلم يعرف له اسم ولا اسلام (اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة الى النبى يقال أهديت له واليه بمعنى (خفين أسودين ساذجين) بفتح الذال المعجمة أى غير منقوشين أو لا شية فيهما تخالف لونهما أو لا شعر فيهما كما فى قوله نعلين جرداوين (فلبسهما) أى على الطهارة ثم يحتمل أن تكون الفاء لمجرد التفريع ويحتمل أن تكون للتعقيب أى لبسهما عقب وصولهما اليه فيكون ذلك اظهارا لكون الهدية فى حيز القبول وانها وقعت الموقع و وصلت وقت الحاجة اليها واشارة الى تواصل المحبة بينه وبين المهدى لكن قال ابن العربى ونقله عنه الزين العراقى وأقره المناوى ان هذه الهدية كانت قبل اسلامه وعليه فيكون ذلك تأليفا له ودعاء للاسلام من وجه لطيف (ثم توضأ) أى بعد ما أحدث (ومسح عليهما) أى بعد كمال وضوئه كما دلت عليه الروايات الصحيحة قال ابن حجر وفيه ان الاصل فى الاشياء المجهولة الطهارة وجواز مسح الخفين وهو اجماع من يعتد به وما ورد عن بعض الائمة مما يخالف ذلك مؤول وقد روى المسح عليهما نحو ثمانين صحابيا ومن ثم قال بعض الائمة ان أحاديثه متواترة وأخشى أن يكون انكاره كفرا انتهى وقال الشيخ زروق فى شرح الرسالة قال ابن القصار انكار المسح على الخفين فسق وقال ابن حبيب لا ينكره الا مخذول ونقل ابن دقيق العيد عن بعض الصحابة انه قال قد علمنا انه عليه السلام مسح عليهما غير انا لا ندرى قبل نزول المائدة أو بعدها اه وقد أخرج ابن حبان من طريق الهيثم بن عدى عن داهم بهذا الاسناد ان النجاشى

كتب

واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله والعلم بالتوحيد هو الحجة اى الطريقة البيضاء الواضحة النيرة التى لايضل سالكها ولايخاف فيها آفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها الاهالك

(فبما رحمة من الله لانت * صخرة من ابائهم صماء)

اى فتسبب عن صبره على اذايتهم فى دعائهم أن وفقهم الله برحمته للاسلام فازائدة والرحمة التفضل والانعام وهذا مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية لان صبر النبى صلى الله عليه وسلم ولينه لهم هو السبب فى نجاتهم والصخرة هى الحجر العظيم ومن بيانية والاباء الامتناع والصماء الصلبة التى لاتؤثر فيها المعاول وهو كناية عن شدة جفائهم وقسوة قلوبهم اى زال امتناعهم عن طاعته فيما يأمرهم به فاطاعوه واتبعوه قال ابن حجر فعلم انه استعار الصخرة التى فى غاية الصلابة لابائهم منه أولا اذ كانوا فى غاية النفرة منه والبغض والايذاء له وليونتها و زوال صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه آخرا وبين أن ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته لهم لابحوله صلى الله عليه وسلم ولابقوته انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء اه والحاصل انه صلى الله عليه وسلم مازال يدعوهم ويتلطف بهم ويتحمل جفاءهم ويصبر على أذاهم حتى انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم وسئل مولانا على كرم الله وجهه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة رضى الله عنه من الحرم ليقتلوه وكان قد أسر فى سرية الرجيع قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب ان محمدا عندنا الآن مكانك تضرب عنقه

كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انى قد زوجتك امرأة من قومك وهى على دينك أم حبيبة بنت أبى سفيان وأهديتك هدية جامعة قميص وسراويل وعطاف وخفين ساذجين فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ومسح عليهما قال سليمان بن داود درواية عن الهيثم قلت للهيثم ما العطاف قال الطيلسان * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن الحسن بن عياش) أخرج حديثه مسلم والترمذى والنسائى (عن أبى اسحق عن الشعبى قال) أى الشعبى (قال المغيرة بن شعبة أهدى دحية) بفتح الدال وكسرها ابن خليفة الكلبى صحابى جليل ذو جمال بارع حتى كان جبريل ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى صورته كثيرا وتقدمت ترجمته أواخر الباب الاول (للنبى صلى الله عليه وسلم خفين فلبسهما) * قال المصنف (وقال اسرائيل) ان كان من قبل نفسه وهو الظاهر فهو معلق لانه لم يدركه وان كان من قبل شيخه قتيبة فلا يكون معلقا قاله ابن حجر ويحتمل أن يكون مقولا ليحيى فيكون عطفا بحسب المعنى على قوله عن الحسن بن عياش (عن جابر) أى الجعفى (عن عامر) هو الشعبى المذكور قبل (وجبة) بالنصب عطفا على خفين وفى رواية جبة من الشام والحاصل ان يحيى روى قصة اهداء الخفين فقط عن الحسن عن أبى اسحق عن الشعبى عن المغيرة وروى قصة اهداء الخفين مع الجبة عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى عن المغيرة وأما على احتمال أن يكون تعليقا من الترمذى فيحتمل أن يكون قوله عن المغيرة مرادا ولم يذكره لظهوره ويؤيده قوله وجبة بطريق العطف تأمل ويحتمل التعليق والارسال قاله فى جمع الوسائل (فلبسهما) أى الخفين والجبة (حتى تخرقا) أى تقطعا ولعل هذه الجبة نوع نفيس من البرد يستعمله بعض العجم ويحتمل ان ضمير لبسهما للخفين فقط ويقويه قوله (لايدرى النبى صلى الله عليه وسلم أذكى) أى تذكية شرعية (هما) فاعل ذكى سد مسد الخبر مثل أقائم الزيدان ولايحتمل أن يكون مبتدأ وذكى خبره لانه وان كان على وزن فعيل لكنه بمعنى مفعول فلا يصح أن يكون خبرا عن المثنى بخلاف نحو والملائكة بعد ذلك ظهير (أم لا) وفى رواية أبى الشيخ أم ميتة أى لايدرى هل كان الخفان من جلد المذكاة أم من جلد الميتة المدبوغ أو غير المدبوغ وفيه دليل على ان الاصل فى الاشياء المجهولة الطهارة ثم نفى الصحابة درايته صلى الله عليه وسلم اما التصريحه

وأنت في أهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في أهلي فقال
أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وسمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أباه أبا قحافة
قبل اسلامه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فعلت يا أبا بكر
قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا مني لقتلته وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم
أحد وقتل مصعب بن عمير أخاه
عبيدا يوم أحد وقتل عمر بن
الخطاب خاله العاصي بن هشام
يوم بدر الى غير ذلك وقد قال صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب اليه من
نفسه وماله وولده والناس
أجمعين وقال ويتفاوت الناس
في الايمان على قدر تفاوتهم في
محبتي ألا لا ايمان لمن لا محبة له
فبمحبة النبي صلى الله عليه وسلم
نال من نال ما نال وسعد من
سعد حتى وصل درجة الكمال
ومن لازم المحبة الطاعة والخدمة
ان المحب لمن يحب مطيع
وراجع ما تقدم وبالله التوفيق

(واستجابت له بنصر وفتح
بعد ذاك الخضراء والغبراء)

أي وبعد أن لا نوا بركة ايه
لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى
استجابت له أي أجابت دعوته
وامتثلت اشارته مع النصر
والفتح أو بسببهما بكثرة الاتباع
والقاء الرعب في القلوب والفتح
لبلادهم بعد ذلك الضعف الذي
كان والخضراء فاعل استجابت
وهي السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك لانها موج مكفوف اخضرت من صخرة خضراء تحت أو
الارض كما ورد انظر المخ والغبراء الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها من طين والمراد أهلهما ويحتمل ان يكون استعار
السماء للرفيع من الناس والارض للوضيع منهم ولم يبق الا مسلم أو مسلم وتقييد اجابة أهل السما بقوله بعد ذاك الظاهر لان
الملائكة لم تنزل لنصرته الا ببدر وما بعدها وقد حصلت القوة والرعب في القلوب بالاذن في الجهاد

له بذلك أولانه أخذ ذلك من قرينة عدم سؤاله ونصفه (قال أبو عيسى) أي المصنف
(وأبو اسحق هذا) أي الذي سبق ذكره (هو أبو اسحق الشيباني) أي دون السبيعي كما
يوهمه كون اسرائيل الراوي من ولده (واسمه سليمان) وروى الطبراني في الاوسط
والكبير والبيهقي في الدعوات باسناد صحيح عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوما فقعد تحت شجرة فنزع خفيه قال ولبس
أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف فحلق به في السماء فانسلت منه أسود سالخ فقال النبي
صلى الله عليه وسلم هذه كرامة أكرمني الله بها ثم قال اللهم اني أعوذ بك من شر من يمشي
على بطنه ومن شر من يمشي على رجلين ومن شر من يمشي على أربع وفي رواية فجاء غراب
فاحتمل الآخر فرمى به فخرجت منه حية فقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يلبس خفيه حتى ينفضهما

(باب ما جاء في نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أي في بيان صفتها وكيفية لبسها ونزعها والنعل قد يجي مصدرا وقد يجي اسما
وهي هنا تحتمل المعنيين والثاني هو الاظهر وتطلق على كل ما تقي القدم وهي مؤنثة
كما في المحكم قال ابن العربي والنعل لباس الانبياء وانما اتخذ الناس غيره لما في أرضهم
من الطين اه ولعله أخذه من قوله تعالى اخلع نعليك مع ما ثبت من أن النبي صلى
الله عليه وسلم لبس النعال بل كان ذلك هو الغالب من حاله صلى الله عليه وسلم
وربما مشى حافيا بلا نعل تواضعا لله عز وجل وطلبا للثواب لاسيما في عيادة المرضى
قال العراقي

يمشي بلا نعل ولا خف الى * عيادة المريض حوله الملا

وفي حديث جابر عند مسلم رفعه استكثروا من النعال فان الرجل لا يزال راكبا ما انتعل
وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب النعلين والوسادة والسواك والطهور
وكان يلبسه نعليه اذا قام واذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم (حدثنا محمد بن بشار
نا أبو داود) اي الطيالسي كما في نسخة (نا همام عن قتادة قال قلت لانس بن مالك
كيف كان نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي ألها قبالان أم لا وكان القياس كانت
لانها كما تقدم مؤنثة قال ابن حجر الا أنه لما كان تأنيثها غير حقيقي ساغ تذكيرها

(وأطاعت لامره العرب العر * باء والجاهلية الجهلاء)

أى ومن جملة استجابة أهل الارض له بعد ذلك انه أطاعت لامره وهو القول الدال على الطلب أى ونهيه والعرب بفتحتين
و يقال بضم فسكون وهم أولاد اسمعيل والعرباء يقال العاربة وهم الخلص وغيرهم مستعربة ومتعربة أى دخلاء وفى
قوله الجاهلية الجهلاء شبه التأكيد اللفظى وفيه مع ماقبله شبه تجنيس الاشتقاق وعطف الجاهلية
على ماقبله من عطف العام على الخاص وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من الشدة والقوة مالم يبلغه تصميم غيرهما

(وتوالت للمصطفى الآية الكبـ * ـرى عليهم والغارة الشعواء
واذا ماتلا كتابا من الله * تلته كتيبة خضراء)

أى وتتابعت للمصطفى صلى الله عليه وسلم الآيات الكبرى أى العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لماتقولوه وافتروه عليه كالقرآن وانشقاق القمر فللمصطفى متعلق بالآية الذى هو مفرد محلى بأل فهو فى معنى الجمع ويدل عليه لفظ توالت لان التوالى يستدعى متعددا ويستفاد منه أن الآيات هى خاصة بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو أولى معنى من تعلقه بتوالت وان كان أظهر صناعة لصدقه بآية من تقدمه وتوالت له عليهم أيضا الغارة اسم مصدر لاغار على بلادهم وأموالهم ونفوسهم وذراريهم والشعواء
الفاشية المتفرقة المحيطة بهم بسائر الجوانب التى لم تظفر لهم بنفس ولا مال الا أهلكته ثم بعد أن استجابت له أهل السماء
وأهل الارض ودخل الناس فى دين الله أفواجا وكثرت اتباعه جدا صار اذا تلا أى قرأ كتابا أى أنزل عليه من الله وهو القرآن
تبعته لاجل القراءة معه أو استماع قراءته كتيبة أى جماعة كالجيش خضراء أى يعلوها سواد السلاح فترى من بعد خضراء
أو من شان ذلك وهى بصدده وان لم تتلبس به وكثيرا ماتوصف الجماعة الكثيرة بكونها خضراء ومنه قول القاضى عياض

أو باعتبار أولها بالملبوس (قال) اى أنس (لهما) اى لكل واحدة منهما (قبالان)
وفى رواية للبخارى كان لها قبالان بالافراد وقد اختلفوا فى القبال فقيل هو الشسع
وهو الزمام الذى يخرج من بين الاصابع ويربط فى الشراك الذى يكون على ظهر القدم
فكان صلى الله عليه وسلم يضع أحدهما بين ابهام رجله والتى تليها ويضع الآخر بين الوسطى
والتى تليها وقيل القبال هو الزمام الذى يعقد فيه الشسع الذى يكون بين اصبعى الرجل
انتهى فيكون على هذا القبال هو الشراك وظاهر الحديث الثانى تغايرهما * قال المصنف
(حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا وكيع عن سفيان) اى الثورى لا ابن عيينة لانه
لم يرو عن خالد الحذاء خلافا لمن وهم من الشراح قاله فى جمع الوسائل (عن خالد الحذاء)
بفتح المهملة وتشديد المعجمة وهو الذى يقدر النعل ويقطعها قيل وانما قيل له الحذاء
لجلوسه فى سوق الحذائين لانه كان حذاء أخرج حديثه الستة وقد عيب بدخوله
فى عمل السلطان (عن عبد الله بن الحرث) اى ابن نوفل الهاشمى التابعى الجليل له رواية
ولابيه وجده صحبة أجمعوا على توثيقه وأخرج حديثه الستة (عن ابن عباس قال كان
لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان مثنى) بضم ميم ففتح مثلثة فنون مشددة اسم
مفعول من التثنية وهى جعل الشئ اثنين وفى نسخة صحيحة بفتح ميم فسكون فكسر
وتحتية مشددة كرمى اسم مفعول من الثنى فى القاموس يقال ثنى الشئ كسعى رد
بعضه على بعض اى بأن جعل فلق على فلق قال فى جمع الوسائل والاظهر ان الشيئين
فى التثنية لابد من انفصالهما بخلافهما فى الثنى فانه يلاحظ اتصالهما كما يفهم من
عبارة القاموس المتقدمة فيحصل التباين بينهما فلا يصح اطلاقهما معا على محل
واحد (شراكهما) بالرفع نائب الفاعل وهو بكسر الشين المعجمة أحد سيور النعل
التى تكون على وجهها على مافى النهاية * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع) أخرج
حديثه الستة (نا أبو أحمد الزبيرى) أخرج حديثه الستة (نا عيسى بن طهمان)
بفتح فسكون أخرج حديثه البخارى والنسائى (قال أخرج الينا أنس بن مالك نعلين
جرداوين) أى لاشعر عليهما استعير من أرض جرداء لانبات فيها أو خلقين وفى التاج
للبيهقى الاجرد الصغير الشعر (لهما قبالان قال) أى ابن طهمان (فحدثنى ثابت) أى
البنانى كما صرح به فى الجامع (بعد) أى بعد هذا المجلس أو بعد اخراج أنس النعلين

رحمه الله

أنظر الى الزرع وخامته * تحكى وقد مالت امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

(وكفاه المستهزئين وكم سا * ءنبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء الـ * ـبيت فيها للظالمين فناء)

يقال كفيت فلانا المؤنة اذا توليتها له ولم تحوجه اليها والمستهزؤن هم جماعة كانوا يسخرون منه ويبالغون فى الاذاية فتولى الله اهلاكهم وفى قوله وكم ساء نبيا الخ تلميح أى اشارة الى قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية ولذا قال له فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وأشار بصدر البيت الى قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين ففيها التصريح بان الله جل وعلا هو الذى كفاه ذلك بنفسه وهو كذلك فى الحقيقة وان كان جبريل مباشر الذلك صورة وكسبا لاخلقا واحداثا اذ الله تعالى هو الفاعل حقيقة فان قيل هذا عام فى كل فعل فأين الخصوصية التى خص الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم أجيب بانها هى نسبة ذلك اليه تعالى مرتين وعدم التعرض لذكر السبب الصورى الظاهر وفى كثير من قضايا الامم مع أنبيائهم تعرض لذكر الاسباب كذكر صنع السفينة وفوران التنور فى قضية قوم نوح وذكر تقدم جبريل بفرسه فى قضية اغراق قوم فرعون وذكر بعث رسل الملائكة فى قضية قوم لوط الى غير ذلك وأشار الى أن علة اهلاكهم استهزاؤهم به صلى الله عليه وسلم اذ تعليق الحكم على الوصف المناسب يشعر بالعلية وانما يقل المستهزئين بك بل حذف المعمول لترفيع قدر حبيبه صلى الله عليه وسلم بترك التصريح بالاستهزاء به وان كان المعنى عليه ولم يقل شرا واذاية أو استهزاء المستهزئين تنبيها على انه كفاه مع ذلك أنفسهم

الينا (عن أنس انهما) أى النعلين المذكورتين (كانتا نعلى النبى صلى الله عليه وسلم) وكان ابن طهمان رأى النعلين عند أنس ولم يسمع منه نسبتهما الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بذلك ثابت عن أنس وفى الحديث المذكور ندب حفظ آثار الصالحين والتبرك بها من ثيابهم ومتاعهم والتبرك بالآثار أمر مستفيض وقد ثبت عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وأنس بن مالك وغير واحد من الصحابة التبرك بآثار النبى صلى الله عليه وسلم وتوخى مواضع صلاته ومواطئ أقدامه والشرب من قدحه وفى البخارى ان امرأة جاءت ببردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت انى نسجتها بيدى اكسوكها فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فخرج الينا وانها ازاره فقال رجل من القوم اكسنيها قال نعم فجلس ماشاء الله فى المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها اليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها اياه وقد عرفت انه لا يرد سائلا فقال الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفنى يوم أموت قال سهل فكانت كفنه اه وهذا الرجل يقال هو عبد الرحمن بن عوف وقد كان عند أنس قدح النبى صلى الله عليه وسلم ويأتى عند المصنف وكان عند عائشة بعض ملابسه صلى الله عليه وسلم كما يأتى عند المصنف وعند معاوية وغيره شعر النبى صلى الله عليه وسلم وقد أمر أن يدفن معه تبركا به وتشفعا وتوسلا بصاحبه صلى الله عليه وسلم وتقدم فى باب الخضاب انه كان عند أم سلمة شعر النبى صلى الله عليه وسلم فى جلجل من فضة وكان الناس يستشفون ببركته وكان صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ الا ابتدروا وضوأه وكادوا يقتتلون عليه ويأخذ بعضهم من يد بعض ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا التقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ومنهم من شرب بوله ومنهم من شرب دمه صلى الله عليه وسلم كل ذلك لقصد التبرك به صلى الله عليه وسلم وسيأتى فى باب صفة الشرب ان أم سليم قطعت فم قربة شرب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جدة عبد الرحمن بن أبى عمرة لتتخذ ذلك المحل الذى أصابه فمه الشريف متبركا وسيلة الى الاستشفاء به وغير ذلك وقد سأل أبو هريرة الحسن رضى الله عنه ان يكشف له المكان الذى قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرته فقبلها تبركا بآثاره وذريته وقد كان ثابت البنانى لا يدع يد أنس رضى الله عنه حتى يقبلها ويقول يد مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان الامام أحمد غسل قميص الشافعى وشرب الماء

الذى

وذواتهم واستأصلهم من الوجود لشدة بغضه صلى الله عليه وسلم لهم لعلمه انهم لايهتدون ولما كان صلى الله عليه وسلم في غاية الحاجة الى تدمير أولئك الكفرة لشدة جرأتهم ومضادتهم لظهور دين الله أكد له الحكم بهلاكهم بان وتكرير الاسناد وعبر بالماضي تنبيها على قرب الوقوع وتحققه فكان هلاكهم قد وقع وصار من حيز ما يخبر بوقوعه ثم أخبر الناظم ان النبي صلى الله عليه وسلم رماهم أي أصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم

فهلكتهم كما يصل السهم القاتل الى من رمى به فيهلكه وتلك الدعوة كائنة من فناء البيت أي من حوالى الكعبة ومن صفتها انها فيها افناء أي استئصال للظالمين والاظهار للتسجيل عليهم بالظلم الذي هو سبب هلاكهم والظلم وضع الشئ في غير محله وبين فناء وفناء تجنيس محرف يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم وشكاهم الى جبريل فقال له أمرت أن أكفيكهم وأشار الى كل بما أصابه فكان دعاؤه سببا لاشارة جبريل اليهم بالهلاك *(تنبيه)* ينبغي ان تتنبه الى أنه لامنافاة بين الوقوف مع مراد الله والتسليم له في حكمه واستحضار حكمته في أفعاله وبين ضيق الصدر من أقوال الكفرة وأفعال الظلمة ومحبة هلاكهم والفرح بتدميرهم وذلك ان العبد العالم بقدرة سيده وكمال حكمته وتدبيره وهو مع ذلك معمور القلب بمحبته لايخلو حاله من أحد أمرين مقتضى علمه بما ذكر ومقتضى محبته للسيد فمن حيث علمه بما ذكر يسلم ويذعن ولا ينازع ويعلم انه لاغلبة لحق السيد ولا قهر يناله اذ هو المدبر لذلك لحكم علمها وستنجلي وتتضح ويظهر انه هو الغالب والقاهر ومن حيث المحبة يضيق صدره بالامور الصورية التي يسمعها في جانب حبيبه ويراها وان كانت صورية فقط ويفرح بظهور أمر سيده وقيام حرمته وعموم العلم بصولته وسطوته وانجلاء عزته للضعفاء والشاكين والمنكرين فلا سبيل لخلو المؤمن عن أحد الامرين فلا يعزب عنك

الذي غسل به ولما تولى تقي الدين السبكي تدريس دار الحديث الاشرفية بالشام بعد وفاة الامام الصالح أحد من تفتخر به هذه الامة الشيخ محيي الدين النووي أنشد فيه لنفسه

وفي دار الحديث لطيف معنى * أصلي في جوانبها وآوي
لعلي ان أمس بحر وجهي * مكانا مسه قدم النواوي

واذا كان هذا تعظيما لاهل العلم فكيف بمقادير الصحابة فكيف باثار سيد الكل وسند الجميع صلى الله عليه وسلم ولقد أحسن مجنون ليلى حيث يقول

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

ومن هذا القبيل التبرك بمثال نعله صلى الله عليه وسلم المحاكي لها وتقبيله وتصور ما مثله عند مشاهدته لتصور المقصود بالذات صلى الله عليه وسلم فمن أعوزه التبرك بنعله صلى الله عليه وسلم يعوزه التبرك بمثالها ونظير ذلك التبرك بمثال ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كل سنة التي قيل فيها انها أفضل من ليلة القدر وهذا صريح ما ورد في اشعار لائمة كبار وقد ذكر منها الامام المقري في فتح المتعال ما فيه كفاية قال قالت الشيخة العالمة الاديبة الشاعرة أم السعد بنت عصام بن أحمد بن محمد القرطبي وتعرف بسعدونة وقد بلغها قول بعض الادباء الغرناطيين في صفة نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيات آخرها

سألثم التمثال اذ لم أجد * للثم نعل المصطفى من سبيل

(فزادت عليه قولها)

لعلني أحظى بتقبيله * في جنة الفردوس اسنى مقيل
في ظل طوبى ساكنا آمنا * أسقى باكوس من السلسبيل
وأمسح القلب به علّه * يسكن ما جاش به من غليل
فطالما استشفى باطلال من * يهواه أهل الحب من كل جيل

وقال الشيخ الامام محمد بن ابراهيم بن بزيزة

عن العالم الحبر الامام أبي الفضل * روينا نعال المصطفى سيد الرسل
فبادر لك البشرى بلثم مثالها * عسى ان تنال الفوز في موقف الهول

ولايشتبه عليك الحال فى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون الآية فانه غير مناف لكمال المعرفة بل هو مقتضاها فافهم ولهذه الحكمة والله أعلم عبر بالمضارع فى جانب الضيق والقول مع ان كلا منهما قد وقع تنبيها على ان الضيق من لازم المؤمن وانه لايذهب عنه وان مضى سببه وانه يتجدد بتجدد أسبابه فالمعنى انك يضيق صدرك عند استحضار أقوالهم وان مضت فيكون استحضارها كاصل حصولها لفظاعتها او كذا يضيق عند وقوع ماهو من جنسها من أشباههم أى ان ذلك حالك ومقتضى محبتك فهو من شواهدها وأدلتها واغا عبر بالمضارع فى جانب العلم تنبيها على حضوره وان كان العلم بحضوره وعدم انقطاعه حاصلا لكن استحضار ذلك الحضور مسل ومعين ومهون لفهم المحب انه على بال من حبيبه فالمعنى ولقد نعلم الآن وان كان العلم قديما دائما وهذه وان كانت هى حالة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم التنزهه عن الغفلة لكن فى ذلك اعلام بالاعتناء به وتنبيه لغيره على الاتساء به فى استحضار حضور العلم ولما ذكر من التصريح بالاعتناء به وتنبيه الغير على الاتساء به أقسم على هذا الاجر وأتى بقد التى للتحقق واتحقق مقتضى المحبة وشاهدها أتى بأن المفتوحة ولكمال التسلية أتى بقوله الذين يجعلون مع الله الها آخر أى انهم تجرؤا على حضرة الوحدانية وادعوا الاشراك فليسهل عليك ماتلق منهم وأحسن من هذا انه تمهيد لقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك أى ان سبب ضيقه وقوعهم فى جنابنا الاعلى لامحبة نفسك والشفقة عليها وقولهم له ساحر ومجنون وغيرهما من هذا القبيل لانهم يقدحون فى رسول الله ثم ذكر نعمته باستحضار الفرق بينه وبينهم بالمعرفة التى سلبوها والقرب الذى حصل لهم ضده كأنه يقول افرح بذلك واشكر الله عليه واعمل بمقتضاه اه

فكم لاثم ترب الحبيب لانه * موطئ اخفاف الركائب والنعل

وقال الشيخ الامام العلامة سراج الدين البلقينى رحمه الله ورضى عنه

قبل مثال النعل متضعا له * واذكر به نعلا سما بعليه

كم ذا علته وجاوزت قدم النبى * حب الاله رسوله وصفيه

ومذهب كثير من العلماء وخصوصا المالكية الكراهة فى غير ماورد به الشرع كتقبيل الحجر الاسود قال الامام المقرى واعلم من فعل تقبيل المثال الشريف ممن يقتدى به من المالكية مع ان مذهبهم الكراهة قلد من يرى جواز ذلك من علماء الامة والله أعلم بالصواب ولولا أمرهم باللثم والتقبيل لامكن ان يقال غلبهم الشوق ففعلوا من غير اختيار وقال سيدنا الشيخ زروق رضى الله عنه بعد ان ذكر مايشهد لجواز التبرك بالآثار وقد قطع عمر رضى الله عنه شجرة الرضوان خوفا من أن تعبد أو تجعل مثل ذات أنواط شجرة كانوا فى الجاهلية يربطون فيها الخيوط وغيرها للاستشفاء بذلك فقال الصحابة يارسول الله لو اتخذت ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهى الا كما قال بنواسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة الحديث وقد يستدل بهذين الخبرين على المنع وليس كذلك بل هما دليل فى كل مايستدام أو يكون له أصل فى عبادة الجاهلية من خشب أو حديد أو حجر أو بناء أو نحوه لامايمتهن أو يكون مستهلكا فاعرف ذلك واعلم ان الناس لايزالون يتبركون بآثار أهل الخير كابرا عن كابر من العلماء والصلحاء وغيرهم من قديم الزمان الى هلم جرا من غير نكير ولاداعية للسكوت وهو مما تتوفر الدواعى على العمل به طبعا فلو كان حراما لنص عليه الشارع وحذرنا الائمة منه قديما وان كان التنزه أولى لمحل الاشتباه وبالله التوفيق اه قلت وأما السجود على الارض بين يدى قبور الصالحين عند التبرك بزيارتهم فما لايقول بجوازه مسلم فان السجود انما يكون لله رب العالمين فليحذر المؤمن كل الحذر من فعل الجاهلين ولما استأذن معاذ بن جبل النبى صلى الله عليه وسلم فى السجود له على قصد التعظيم والتكريم امتنع ونهاه وقال ابن حجر فى باب التواضع لما قيل له عليه السلام ألا نسجد لك قال لو كنت آمرا أحدا ان يسجد لبشر لامرت المرأة أن تسجد لزوجها اه ثم قال فى التوشيح فائدة استنبط بعضهم من تقبيل الحجر تقبيل المصحف والمنبر النبوى والقبر الشريف وقبور

الصالحين

(خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء)

يصح في قوله خمسة أوجه الاعراب الثلاثة فالنصب بدلا من المستهزئين والجر بدلا من الظالمين والرفع بتقدير المبتدا والردى أي الهلاك مبتدأ أول والادواء جمع داء مبتدأ ثان ومن جنوده خبر عن الثاني والجملة خبر عن الاول أي والهلاك من جملة جنوده وأسبابه المعينة عليه الاعراض وهذا ساقه مساق التعليل لما قبله أي انما أصيبوا بذلك الداء لانهم سعوا في تحصيل أسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه ولم يجدوا منه مخلصا ثم عينهم وما أصابهم فقال

(فدهى الاسود بن مطلب أي عمى ميت به الاحياء)

دهى من الداهية وهي الامر العظيم المهلك والاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى القرشي الاسدي كنيته أبو زمعة بابنه زمعة ماتا معا كافرين وكان هو وأصحابه يتغامزون بالمصطفى صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ويقولون قد جاءكم ملك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر وأي عمى فاعل دهى أي عمى عظيم للبصر والبصيرة وعمى البصيرة به يصير الحي في حكم الميت ولذا عقبه بقوله ميت به الاحياء وميت مبتدأ والاحياء فاعل أغنى عن الخبر وجرى فيه الناظم على مذهب الاخفش والكوفيين فانهم لا يشترطون تقدم نفي ولا استفهام قال في التسهيل ولا يجري ذلك المجرى باستحسان الا بعد نفي أو استفهام خلافا للاخفش والكوفيين اه قال الدماميني أي في تجويزهم ذلك من غير تقدم نفي ولا استفهام وأشار المصنف بقوله باستحسان الى أن الوصف قد يجري ذلك المجرى وان لم يعتمد لكن لا باستحسان ثم قال وتلخص من هذا ان سيبويه والاخفش متفقان على جواز قائم الزيدان والخلاف بينهما انما هو في الاستحسان فسيبويه يقول ليس بحسن والاخفش يقول حسن وكذا الكوفيون اه والمذهب مذهب سيبويه أشار في الالفية بقوله وقد يجوز

الصالحين وأجزاء الحديث ومن قال بذلك ابن أبي الصيف اليمني من الشافعية اه * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصاري قال أخبرنا معن قال نا مالك عن سعيد ابن أبي سعيد المقبري) اسمه كيسان نسب الى المقبرة لزهده وكثرة زيارته المقابر روى عنه الستة وهو تابعي لانه يروي عن أبي هريرة (عن عبيد بن جريج) كلاهما مصغر أخرج حديثه الشيخان وغيرهما وهو مدني تابعي (انه قال لابن عمر رأيتك تلبس النعال السبتية) بكسر السين منسوبة الى السبت وهي التي سبت شعرها أي أزيل بالدبغ أو بغيره الحديث أخرجه البخاري وفيه انه قال لابن عمر رأيتك تصنع أربعا لم أر أحدا من أصحابك يصنعها فذكر منها لبسه النعال السبتية فيحتمل انه انما أشكل عليه لبسها لانها كانت لباس أهل السعة والنعمة ويحتمل ان مراده ان يعرف ما الحكمة في اختياره اياها ومواظبته عليها مع ان الصحابة ما كانوا يتقيدون بنوع من اللبس والاكل الا ما فيه المتابعة والاقتداء (قال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس النعال التي ليس فيها شعر ويتوضأ فيها) أي فوقها أو وهو لابسها والاظهر ان المراد انه كان يستعدها حالة الوضوء يلبسها بعده وفيه اشارة الى انه حال بال الرجل لم يكن يحترز عنها اعتمادا على أصل طهارتها أو حصول الطهارة بدباغتها (فانا أحب ان ألبسها) أي محبة شرعية للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم لا طبيعية للهوى على عادته رضي الله عنه في الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل شيء حتى في العاديات كمواضع الصلوات وقضاء الحاجات وغير ذلك نظير ما يأتي في باب صفة الادام من قول أنس رضي الله عنه فلم أزل أحب الدباء من يومئذ قال ابن عبد البر من صريح الايمان محبة ما كان المصطفى يحبه واتباع ما كان يفعله حتى المأكول والمشروب والملبوس قال في جمع الوسائل وقد استدل بهذا الحديث على جواز لبس النعال في كل حال حتى في المقابر وقد ثبت في حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه فاذا جاز دخول المسجد بالنعل فالمقبرة أولى وكره الامام أحمد لبسها في المقابر لحديث بشير بن الخصاصية قال بينا أنا أمشي في المقابر اذا برجل ينادي من خلفي يا صاحب السبتيتين اذا كنت في هذا الموضع فاخلع نعليك أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم وتعقبه الطحاوي بانه يجوز ان يكون الامر بخلعهما لاذى فيهما وحديث ان الميت ليسمع قرع نعالهم يدل على الجواز قال

يجوز فائز أولو الرشد ولم يشر به الى مذهب الاخفش والكوفيين خلافا لحل الشراح لما علمت مما تقدم وبه تعلم رد ما في ابن حجر هنا ثم ان من جوز الابتداء بالوصف من غير تقدم نفي ولا استفهام لا يشكل عليه كونه نكرة بلا مسوغ وقول المغني المسوغ العمل في المرفوع نظر فيه الدماميني بأن اشتراط المسوغ انما هو في أحد قسمي المبتدا وهو المحكوم عليه لان هذا القسم هو الذي تعريفه مناسب

وأما القسم الآخر من قسمي المبتدا وهو المحكوم به كالوصف المذكور فيشترط ان يكون نكرة ولا يجوز تعريفه كما نصوا عليه فلا حاجة في وقوعه مبتدأ مع تنكيره الى أن يقال تخصص بالعمل وقد أقر الشمني ما للدماميني وهو حقيق بذلك وكلام المغني والازهري في التصريح ما تقدم في رده صريح واللبيب يستغني بالتلويح عن التصريح ثم ان ما أشار اليه الناظم هو ان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا على الاسود لعنه الله ان يعمي الله بصره ويثكله ولده خرج يستقبل ولده زمعة وقد قدم من الشأم فقعد بظل شجرة فجعل جبريل يضرب عينيه بورقة من ورقها خضراء أو بشوكة منها فاستغاث بغلامه فقال لا أحد يصنع بك شيأ غير نفسك وأما ابنه زمعة فقتل يوم بدر

العسقلاني ويحتمل ان النهي اكرام للميت كما ورد النهي عن الجلوس على القبر اه وهذا عند مالك رضي الله عنه محمول على الجلوس لقضاء الحاجة * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب) اسمه محمد واسم أبيه عبد الرحمن وكان كبير الشان ولما حج الرشيد ودخل المسجد النبوي قاموا اليه الا ابن أبي ذئب فقيل له قم أمير المؤمنين فقال انما يقوم الناس لرب العالمين فقال الرشيد دعوه فقد قامت مني كل شعرة (عن صالح مولى التوأمة) امرأة لها صحبة سميت توأمة لانها كانت مع أخت في بطن وهي أخت ربيعة بن أمية بن خلف الجمحي (عن أبي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان) * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا أبو أحمد نا سفيان) أي الثوري لانه الراوي عن السدي لا ابن عيينة كما قيل (عن السدي) هو أبو محمد اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفي صدوق سمي بالسدي لانه كان يبيع المقانع والخمر في سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدود أخرج حديثه مسلم والاربعة وهو السدي الكبير المفسر المشهور وأما حفيده محمد بن مروان فمتفق على ضعفه وهو ابن ابنة السدي الكبير أو ابن أخته رمي بالرفض (قال حدثني من سمع عمرو بن حريث) صحابي صغير قرشي مخزومي أخرج حديثه الستة توفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرة ولم أر في شئ من الروايات التصريح باسم من حدث السدي وأظنه العطاء بن السائب فانه اختلط في آخر عمره والسدي ممن سمع عنه بعد الاختلاط فلذا لم يصرح به لئلا يفطن له لكن للحديث شاهد وهو ما أخرجه ابن حبان من حديث أبي ذر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين من جلود البقر قاله في جمع الوسائل (يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين مخصوفتين) صلاة جنازة أو غيرها الخصف الخرز ونعل مخصوفة أي مخروزة فيحتمل ان المراد بمخصوفتين انهما مرقعتان أو وضع فيهما طاق على طاق وهي ذات الطراق وكل طراق منها خصفة بسكون الصاد والطرق بالتحريك تثني القربة والجمع أطراق وفي حديث عروة عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه أخرجه ابن حبان والحاكم وقد استفيد من الاحاديث المتقدمة بعض صفات نعاله صلى الله عليه وسلم وروى أبو الشيخ باسناده الى أبي يزيد بن أبي زياد قال رأيت نعل

(وهي الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كأس الردى استسقاء)

الاسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول له اما كلمت اليوم من السماء يا محمد وشبه الردى بالمشروب وأثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية وبين سقى واستسقى جناس الاشتقاق وأشار الى ما روي ان جبريل أومأ الى بطنه فاصابه الاستسقاء الزقي وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد فمات منه وقيل انه خرج من عند أهله فأصابته السموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا فاتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب ورجع فساح

المصطفى

حتى مات عطشا وهو يقول قتلنى رب محمد وروى الطبرانى والبيهقى ان جبريل أومأ الى رأسه فأصابته الآكلة فتمخط رأسه قيحا فمات ويقال عطش فشرب الماء فلم يرو حتى انشق بطنه ويحتمل ان الكل حصل له

(وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء)

هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم هو عم أبى جهل لعنهما الله ووالد سيدنا خالد رضى الله عنه أصابته خدشة سهم أى أثر جرحه قصر عن تلك الخدشة الحية الرقطاء أى التى يخالط سوادها نقط بيض ووجه القصور ان لسعة الحية قد تبرأ يروى انه مر برجل يريش أسهما فوطئ على سهم منها فخدشه خدشا يسيرا فأومأ اليه جبريل فأصابته منه الآكلة فمات وقيل أصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر أن ينحنى لاجلها فضرب بها الأرض فأصابت رجله فتآكلت ومات بها قبل وقعة بدر

(وقضت شوكة على مهجة العا * صى فلله النقعة الشوكاء)

وقضت أى أهلكت شوكة دخلت فى أخمص رجله فاستولت على مهجة العاصى اسما وفعلا ابن وائل بن هشام بن سعد بن سهم وهو والد سيدنا عمرو وفيه نزل قوله تعالى وضرب لنا مثلا الآية فقتلته تلك الشوكة قتلا عجيبا فلذا عقبه بما يفيد التعجب وهو قوله فلله هذه النقعة أى الموت من قولهم الناس نقائع الموت أى يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة والشوكاء من قولهم بردة شوكاء أى خشنة الملمس أى ما أعجب هذه القتلة الشديدة التى حصلت له من تلك الشوكة القليلة التأثير عادة فقد درها من شوكة نخرته فى اسرع وقت يروى انه خرج فى يوم مطير على راحلته يسير وهو يوم مجىء سيدنا جبريل بكفاياتهم فنزل شعبا يتنزه ويتغدى فلما وضع قدمه على الارض قال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت كعنق البعير فمات مكانه

المصطفى صلى الله عليه وسلم ملسنة مخصرة والملسن من النعال كما فى الصحاح وغيره الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والمخصرة التى لها خصر رقيق أو التى قطع خصراها حتى صارا مستدقين كما فى النهاية وقال العراقى رحمه الله

ونعله الكريمة المصونه * طوبى لمن مس بها جبينه
لها قبالان بسير وهما * سبتيتان سبتوا شعرهما
وطولها شبر وأصبعان * وعرضها مما يلى الكعبان
سبع أصابع وبطن القدم * خمس وفوق ذا فست فاعلم
ورأسها محدد وعرض ما * بين القبالين أصبعان اضبطهما

* قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى الانصارى نا معن نا مالك عن أبى الزناد عن الاعرج) اسمه عبد الرحمن أبو داود المزنى اشتهر بهذا اللقب أخرج حديثه الستة (عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمشين أحدكم) وفى نسخة لا يمشى وهو نفى صورة ونهى معنى وهو أبلغ من النهى الصريح وفى نسخة لا يمش بالنهى وهو للكراهة ثم محل النهى ان يكون من غير ضرورة والا فلا كراهة كما هو ظاهر قال ابن حجر وعليه يحمل ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ربما فعله اه ويحتمل ان ذلك قبل النهى او لبيان الجواز وقد روى فعله عن على وعمر فيحتمل انه لعذر أو لكون النهى ما بلغهم ان ثبت تأخر فعلهم عن قوله صلى الله عليه وسلم انظر جمع الوسائل (فى نعل واحدة) وروى واحد والتذكير بتأويل النعل بالملبوس وانما نهى عن ذلك لما فيه من الآفات الدينية والدنيوية من التشويه والمثلة وعدم الوقار وعدم أمن العثار وتميز احدى جارحتيه واختلال المشى أو ضعفه وايقاع غيره فى الاثم لاستهزائه به وقد أرشد المصطفى صلى الله عليه وسلم الى التحرز عنه بامره من أحدث فى صلاته بقبض أنفه لايهام انه رعف لئلا يخوضوا فيه فيأثموا وقد ورد لا تكن للشيطان عونا على أخيك قال ابن العربى ولانه مشية الشيطان قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة ولانه يؤدى الى الضرر بالرجل الاخرى بالحفاء كما جرب فصح واتفقوا على ان من انقطع شسع نعله لا يجوز له اصلاح الواحدة وهو يمشى فى الاخرى وأجاز ابن القاسم قيامه فى واحدة لاصلاح الاخرى وقال غيره لا بد من نزع الاخرى حتى يصلح اه وهو مقتضى التعليل

(وعلى الحرث القيوح وقدسا * لبها رأسه وساء الوعاء)

أى وقضت على الحرث بن قيس السهمى كان يأخذ حجرا يعبده فاذا رأى أحسن منه طرحه وأخذ الاحسن وفيه نزل أفرأيت من اتخذ الهه هواه أى مهويه وكان يقول قد غر محمد نفسه وصحبه اذ وعد أصحابه ان يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والحوادث والقيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التى لا يخالطها دم والخال انه سال بها رأسه وساء أى قبح ذلك الرأس الذى هو الوعاء لتلك القيوح وبين سال وساء الجناس الناقص وفى الختم التذييل يروى أنه أصابته جائحة فابتلى بخيط القيح من أنفه حتى مات وقيل أكل حوتا مملوحا فلم يزل يشرب عليه حتى انقد بطنه رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة وقيل أصابته الذبحة وجع فى الحلق

(خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء)

كف الاذى أى الذى كان يصل للناس لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم أى بسبب فقدهم أو مع فقدهم شلاء أى فاقدة الحركة فشبه الاذى بالانسان من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو تجسم لكان انسانا يقدر على ايصال ما يريده بأى وجه كان ثم أثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف التى يتناول بها سائر المضار التى يريدها ووصفها بالشلل لبيان ان الاذى افقدهم صار معطلا لا حركة له ولا تأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح * (تكميل) * اقتصر الناظم رحمه الله على الخمسة المذكورين لشهرتهم بالاذاية وشدتهم فيها وقد ذكروا منهم عقبة بن أبى معيط وأبا لهب ومالك بن الطلاطلة بطاءين مهملتين الاولى منهما مضمومة والحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس فاما عقبة بن أبى معيط لعنه الله فقد تقدمت اذايته وكان فى مبدأ أمره يجلس مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يؤذيه

فا

بالعدل بين الجوارح والقعود كالقيام وعلى هذا فلا مفهوم لقوله لا يمش أحدكم نعم قال ابن يونس لا بأس بالمشى فى النعل الواحدة لمقطوع الرجل الاخرى ونحوه فى العتبية قال الشيخ زروق وهو ظاهر الوجه من ضرورة المشى به والله أعلم قال فى جمع الوسائل والحق بعضهم بالمشى فى نعل واحدة اخراج احدى اليدين من الكم والقاء الرداء على احدى المنكبين ولبس نعل فى رجل وخف فى اخرى ذكره فى شرح السنة وتعقبه ابن حجر بما لا يجدى اهـ (لينعلهما جميعا) قال العسقلانى ان جعل الضمير للقدمين جاز أن يكون مجردا أو مزيدا وان كان للنعلين فهو مجرد فى القاموس نعل كفرح وتنعل وانتعل لبسها ونعلهم كمنع وهب لهم النعال والدابة ألبسها النعل كانعلها ونعلها اهـ وبه يندفع قول من قال ان جعل الضمير للقدمين لا يحتمل المجرد لانه لا معنى للبس القدمين اهـ ثم قوله (أو ليحفهما جميعا) يؤيد أن الضمير للقدمين وفى بعض النسخ ليخلعهما وهى رواية لمسلم عن الموطا وهى تؤيد أن الضمير للنعلين وكلتا الروايتين صحيحة وعلى كل حال فالضمير عائد على ما يفهم من السياق اذ لم يجر لهما ذكر وهو كثير ومنه قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله سبحانه وتعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة وهو بضم الياء وكسر الفاء من الاحفاء وهو الاعراء من النعل والخف ويقال حفى يحفى من باب علم ولكنه ليس بمتعد فلا يناسب هنا وأو للتخيير وجميعا بمعنى معا مؤكد لضمير التثنية فى الموضعين * قال المصنف (حدثنا قتيبة عن مالك عن أبى الزناد نحوه) أى مثله فى المعنى دون اللفظ المتعلق بالمتن قال فى جمع الوسائل والاظهر انه يريد بنحوه نحو الاسناد المتقدم فكأنه قال الى آخر الاسناد فلا يرد ما قاله العصام من أن حديث قتيبة منقطع ومرسل لاسقاط الاعرج من الاسناد واسقاط أبى هريرة نعم كان يكفى ان يقول عن مالك ويزيد بهذا الاسناد * قال المصنف (حدثنا اسحق بن موسى نا معن نا مالك عن أبى الزبير عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان يأكل) قال جابر أو الراوى عنه (يعنى) أى يريد النبى صلى الله عليه وسلم بضمير يأكل (الرجل) والمرأة تابعة له فى الاحكام وانما فسره دفعا لتوهم رجوع الضمير الى جابر (بشماله) متعلق بيأكل والنهى للكراهة عند المالكية والشافعية وللتحريم عند الحنابلة وفى مسلم ان المصطفى رأى رجلا يأكل بشماله فقال له كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له لا استطعت

فارفعها الى فيه بعد ذلك وهذا لا يدل على التحريم ومثل الاكل الشرب وانما نهى عن ذلك بالشمال تكريما لنعمة الله ان تتناول باليسرى المعدة لملاقاة النجاسات والله أعلم وقد سبق عند ذلك فى النظائر التى هى من باب التكريم فتكون باليمين وهذا من العدل بين الجوارح أيضا حيث أعطيت كل جارحة ما تستحقه (أو يمشى فى نعل واحدة) لما فى ذلك من الآفات الدينية والدنيوية كما تقدم واو للتنويع فكل مما قبلها وما بعدها منهى عنه وليست للشك ولا بمعنى الواو كما قيل لانه يوهم ان المنهى عنه اجتماع الامرين وليس كذلك فهو نظير قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا قال المناوى ووجه ايراده هذا الحديث فى الباب الاشارة الى أن المصطفى لم يمش هذه المشية المنهى عنها أصلا اه وقد تقدم الجواب عما روى انه ربما فعله وما روى عن عمر وعلى رضى الله عنهما * قال المصنف (حدثنا قتيبة عن مالك ح) تقدم ما فيه (وحدثنا اسحق ابن موسى نا معن نا مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انتعل أحدكم) أى اذا أراد ان يلبس أحدكم نعليه (فليبدأ باليمين) أى بالجانب اليمين من الرجلين أو النعلين وفى الصحيحين فليبدأ باليمنى (واذا نزع) أى أراد خلعهما وفى رواية البخارى انتزع (فليبدأ بالشمال) أى من الرجلين أو النعلين والامر للاستحباب قال عياض اجماعا اه وفائدته اكرام اليمنى نعلا وخلعا وهذا مطلوب حتى عند الدخول للمسجد فيخرج رجله اليسرى من النعل ثم يضعها على ظهره ثم يخرج رجله اليمنى من النعل ويدخلها المسجد فيجمع لليمنى بين الفضيلتين وعند الخروج من المسجد يخرج رجله اليسرى أولا من المسجد ويضعها على ظهر النعل ثم يخرج رجله اليمنى ويلبسها نعلها ثم يلبس اليسرى نعلها فيجمع لليمنى أيضا بين الفضيلتين (فلتكن اليمنى) وفى نسخة فلتكن اليمين وهى أنسب بقوله فليبدأ باليمين وبقوله (أولهما تنعل وآخرهما تنزع) وكأنه ذكرها تأويل اليمنى بالعضو وأول بالنصب ظرف لغو متعلق بالخبر وهو تنعل قال العسقلانى أو حال ويحتمل الرفع على انه مبتدأ والجملة الفعلية خبره وكذا يقال فى قوله وآخرهما تنزع واذا كان فائدة الابتداء باليمين عند اللبس وبالشمال عند النزع ما تقدم فقوله فلتكن تكرير للتأكيد فكأنه يقول فلتكن هذه الخصلة ملكة راسخة ثابتة دائمة فان النفوس تأخذ هذا

وكان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جيرته فقدم وصنعه ودعا المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بالذى آكل من طعامك حتى تتشهد فتشهد وكان له خليل غائب بالشام فقدم ليلا فقال لامرأته ما فعل محمد فقالت أشد ما كان قال ما فعل خليلى قالت صبأ فلما أصبح أتاه ابن أبى معيط فحياه فلم يرد عليه قال مالك قال صبوت قال أو قد فعلتها قريش لا والله لكن رجل دخل على آخر أبى أن يأكل من طعامه الا أن يتشهد له فاستحيا فتشهد قال ما أنا بالذى أرضى عنك حتى تأتيه فتبزق فى وجهه وتشتمه ففعل فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم ان وجدتك بين جبال مكة ضربت عنقك صبرا فلما كان يوم بدر أبى ان يخرج فقال أصحابه اخرج معنا فقال قد وعدنى هذا الرجل ان وجدنى خارجا من جبال مكة أن يضرب عنقى صبرا فقالوا لك جمل أحمر لا يدرك فان كانت الهزيمة سرت عليه فلما هزم الله المشركين دخل به جمله فى خدة من الارض فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى سبعين منهم فقال لم يزق فى وجهى فأنزل الله عز وجل ويوم يعض الظالم على يديه الآية فضربت عنقه لعنه الله آمين وأما أبو لهب فرماه الله بعد وقعة بدر بسبع ليال بالعدسة وهى بثرة تصيب الجسد فتقتل وكانت العرب يرون أنها تعدى ففر القوم منه فتركه اهله حتى مات وترك ثلاثة أيام لم يدفن حتى نتن فخافوا العار فحفروا حفرة فقذفوه فيها بالحجارة وأما الحكم فعده منهم العراقى فى الالفية فانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشتمه ويسمعه ما يكره قال المناوى لكنه أسلم أى أظهر الاسلام وكان بعد ما أظهر الاسلام مغموصا أى مطعونا فى دينه وكان يمشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكيه فى مشيته فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرآه يفعل ذلك فقال كذلك فلتكن فكان الحكم يرتعش من يومئذ ونفاه النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة فنزل الطائف وأخرج الطبرانى وأبو نعيم فيما حدث به الحكم قال رأيت

يعنى هاتين حين تواعدنا يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم لنأخذه فجئنا اليه فسمعت صوتا ماظننا انه بقى جبل بتهامة الا انفتت فغشى علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فجاءت الصفا والمروة حتى التقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه فوالله مانفعنا ذلك حتى رزق الله الاسلام وأذن لنا فيه اه وفى الالفية

(١٤٤) ثالثهم أسلم وهو الحكم * فقد كفاه شره اذ يسلم

(تنبيه) ذكر الجلال السيوطى فى تفسيره من جملة المستهزئين عدى بن قيس ولم نر من ذكره من أهل السير ولعله الحرث بن قيس كما تقدم والله تعالى أعلم

(فديت خمسة الصحيفة بالخمسة اذ كان للكرام فداء)

فديت بالبناء للمفعول دعاء أى اللهم اجعلهم فداء الخمسة الصحيفة يلقون الاذى دونهم بأن يجعل كل من الخمسة فداء لكل واحد من الخمسة أهل الصحيفة ولكن لافداء للكرام وأولئك الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد لانهم بذلوا أنفسهم فى أمر عظيم كما يعلم من ذكر القصة وذلك ان قريشا لما رأت عزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث أمر فى سنة خمس من النبوة بضعة عشر من أصحابه منهم عثمان وزوجه السيدة رقية بالهجرة الى الحبشة وأسلم حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وفشا الاسلام فى القبائل أجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك أبا طالب فاتوا اليه بعمارة بن الوليد وقالوا هذا أعز فتى فى قريش فخذه بدل ابن أخيك وادفعه الينا فقال لهم حتى اذا راحت الابل بالعشى فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وجمع بنى هاشم ماعدا أبا لهب وبنى المطلب وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب

الامر هينا وليس بذلك قاله العصام بالمعنى قال فى جمع الوسائل وأقول بل فيه زيادة افادة وهى ان المقصود من الفعلين السابقين على النهى بين المذكور وبين انما هو رعاية اكرام اليمنى فقط نعلا وخلعا حتى لا يتوهم انه ساوى بين اليمنى واليسرى بأن أعطى كلا منهما ابتداء فى أحد الفعلين ونظيره تقديم اليمنى فى دخول المسجد وتقديم اليسرى فى خروجه وعكسه فى دخول الخلاء وخروجه وزعم بعض النقاد ان قوله فلتكن الخ مدرج من كلام بعض الرواة شرحا وتأكيدا لما سبق وان المرفوع هو ماسبق فقط *قال المصنف (حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن أشعث وهو ابن أبى الشعثاء) زاد هذا ليظهر قوله (عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيمن) أى تقديم جانب اليمين فيما هو من قبيل التكريم لشرف اليمين وقد تقدم وجه ذلك فى باب الترجل (ما استطاع) أى مدة دوام قدرته على ما ذكر وجوز بعضهم أن تكون ما موصولة بدلا من التيمن أى المستطاع منه بحذف الرابط وهذا تأكيد لاختيار التيمن ومبالغة فى عدم تركه كما هو العرف فى نظائره كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم قال العصام ولم يرد أنه ربما يتركه للضرورة وعدم القدرة اه قال فى جمع الوسائل وهو ظاهر لانه لم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم خلاف التيمن والذى يظهر ان المراد انه صلى الله عليه وسلم كان يكتفى باليمين فيما يتعسر احترازا من نحو غسل الوجه خلافا للشيعة أو يتعذر بأن كان يريد مثلا ان يأخذ العصا والكتاب فيتعين ان يأخذ أحدهما باليمين والآخر باليسار وكما وقع له الجمع بين أكل القثاء والرطب باليدين وكما فى لبس النعلين اذا كان محتاجا الى استعمال اليدين اه وقال ابن حجر هو احتراز عما اذا احتيج لليسار لعارض باليمين فانه لا كراهة فى تقديمها حينئذ (فى ترجله وتنعله وطهوره) تقدم فى باب الترجل انه ليس المراد الحصر فى الثلاثة بل المراد مراعاة التيمن فى أعلى البدن وأسفله وفى جملته ومما ورد فى باب التنعل وكثير من الناس اذا اهل فيه ماروى عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتعل الرجل قائما لكن ذكر فى شرح السنة ان الكراهة لمشقة تلحق فى لبس نعال فيها سيور ولانه لا يمكن اللبس بدون اعانة اليد فلا نهى فيما ليس فيه تلك المشقة وفى الرسالة ولا بأس بالانتعال قائما قال الشيخ زروق قد ورد النهى فيه وكأن مالكا رآه معللا بكشف العورة

لعورة فلا يكون مكروها لذاته وحيث يؤدي الى الكشف فممنوع اه والتعليل بما ذكره من كشف العورة أظهر مما علل به في شرح السنة قال في جمع الوسائل وفي معنى التنعل المنهي عنه لبس الخفين والسراويل قائما فان الكراهة متحققة فيهما لوجود المشقة اللاحقة بلبسهما من قيام انتهى وانظر تعليله ذلك بالمشقة فقد لا يتم * قال المصنف (حدثنا محمد بن مرزوق أبو عبد الله نا عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية) اى الضبي الزعفراني أخرج حديثه الستة كذا في جمع الوسائل وهو خطأ فان عبد الرحمن بن قيس لم يخرج حديثه أحد من الستة انظر المناوي (نا هشام) قال العصام المسمى بهشام في أحاديث الشمائل خمسة اه بنقل جمع الوسائل ولم يبينهم (عن محمد) اى ابن سيرين (عن أبي هريرة قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى لكل فرد منهما (قبالان وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما) فصل باسم كان وهو قبالان بين المتعاطفات التي هي معمولة لخبرها وهو لنعل اذ العامل في المضاف اليه وما عطف عليه المضاف اشارة الى الاهتمام به وانه المقصود بالاخبار والاصل كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر قبالان (وأول من عقد عقدا واحدا) أي اتخذ قبالا واحدا (عثمان رضي الله عنه) اشارة الى بيان الجواز وان لبسه صلى الله عليه وسلم للنعل بقبالين لكون ذلك كان هو المعتاد لا على قصد العبادة للعباد لما تقرر في الاصول أن أفعاله صلى الله عليه وسلم دائرة بين أربعة مباح ومستحب وسنة وفرض وان كان المباح في حقه قربة لانه انما يفعله بنية تصيره قربة فلو لم يبين ذلك عثمان رضي الله عنه لتوهم كراهة الاقتصار على قبال واحد أو انه خلاف الاولى لانه خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه وبهذا تعلم ان ترك لبس النعلين ولبس غيرهما ليس بمكروه أيضا قاله في جمع الوسائل

(باب ما جاء في ذكر خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم)

كذا في الاصول المصححة بزيادة بين في ومجرورها وكأن الحكمة في تمييز هذا الباب بها على بقية أبواب الكتاب تكرار باب الخاتم وان كان قد ميز احداهما بالاضافة الى النبوة والاخرى بالاضافة الى النبي صلى الله عليه وسلم لان تكرار ما به التمييز يفيد التأكيد قاله في جمع الوسائل وخاتم بفتح التاء وكسرها قال ابن حجر ويقال فيه خيتام

أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة تأكيدا في حفظها وذلك في هلال المحرم سنة سبع من النبوة وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وقطعوا عنهم الاسواق فلا يتركون طعاما يقدم مكة الا بادروهم اليه حتى ان أبا جهل لعنه الله لقي حكيم بن حزام معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بني هاشم وأراد ان يفضحه فانتصر له أبو البختري بن هشام وقال طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيله فأبى فضربه بلحى جمل فشجه ووطئه وطأ شديدا فلما مضت تلك المدة قام الخمسة الآتي ذكرهم في نقض تلك الصحيفة وكان رأسهم هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب العامري من بني عامر بن لؤي لعزته بعمه لامه وهو نضلة بن هاشم وكان واصلا لهم وذا شرف في قومه فكان يأتي بالبعير ليلا قد أوقره طعاما حتى اذا أقبل على فم الشعب قلع خطامه من رأسه ثم ضربه على جنبه فيدخل الشعب ولعزته بعمه المذكور مشى الى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة ام المؤمنين وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت

وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي واستنجده حتى قال لو وجدت رجلا فأخبره بما تقدم فقال ابغنا رابعا فذهب الى أبي البختري بن هشام واستنجده أيضا فقال وهل من معين فذكرلهم أولئك فقال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فاستنجده فقال وهل من أحد الاعلى هذا الامر فذكر له القوم فاجتمعوا في الحجون وأجمعوا على نقضها فقال زهير وانا اول من يتكلم قال فلما

أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة الضالة القاطعة فقال له أبو جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب مارضينا كتابتها حيث كتبت وقال أبو البخترى صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولا نقربه وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحوا من ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضى بليل وتشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم وهذا لا ينافى ما سيأتى من أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عمه بأكل الارضة لما عدا اسم الجلالة لاحتمال ان أبا طالب لما أخبرهم بذلك وازدادوا كفرا انتصر أولئك الخمسة فى قطعها

(فتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح أمره والمساء)

أى هم فتية جمع فتى ويطلق على السخى الكريم بيتوا أى دبروا واشتوروا بالحجون ليلا وفعل الخير هو نقضها والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش فى ابقائها مع كثرتهم وعتوهم واسنادا الحمد الى الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة فى وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لانه اذا حمد الزمان على ذلك فالعقلاء أولى وأحق ولا يخفى ما فى كلامه من الطباق

(يا لامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء)

يا لامر هو بفتح اللام والامر هو نقضها ونداؤه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة فى تعظيمه ولذا يفيد التعجب من وقوعه وهشام هو أول من سعى فى ذلك كما مر والهمزة من انه مكسورة للاستئناف والاتاء صيغة مبالغة من أتى أى

وخاتام وخيتوم والمراد بها هنا الحلقة من الفضة التى كان يلبسها صلى الله عليه وسلم أى باب بيان ما ورد فى صفتها وسبب اتخاذها ونقشها وما ل أمرها (حدثنا قتيبة بن سعيد وغير واحد) أى وكثير من مشايخ المصنف (عن عبد الله بن وهب) أخرج حديثه أيضا النسائى وابن ماجه (عن يونس) أى الايلى (عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من ورق) بكسر الراء وسكونها أى فضة (وكان فصه) مثلث الفاء كما فى القاموس وهو ما ينقش فيه اسم صاحبه أو غيره (حبشيا) وسيأتى وكان فصه منه وجمع بينهما بانه صلى الله عليه وسلم كان له خاتمان أحدهما فصه منه والآخر فصه حبشى وقال ابن العربى ما روى ان فصه كان حبشيا وان فصه منه ليس بتناقض لانه لبس الصفتين واستقر الامر على خاتم فصه منه اه لكن قال بعضهم ادعاء التعدد يحتاج الى دليل ولم يثبت فلعل معنى كونه كان حبشيا انه على صنعة الحبشة أو ان صانعه حبشى فلا ينافى ان فصه منه وانه نقش عليه محمد رسول الله فان الحجر لا يمكن النقش عليه غالبا قال المناوى والذى اعتمده الامام السيوطى ولا محيد عنه ان الحبشى نوع من الزبرجد يكون ببلاد الحبش لونه الى الخضرة من خواصه انه ينفى العين ويجلو ظلمة البصر اه واما قول البيهقى فى الشعب الاشبه باسائر الروايات ان الذى كان فصه حبشيا هو الخاتم الذى اتخذه من ذهب ثم طرحه والذى فصه منه هو الفضة اه فخالف لصريح قول أنس كان من ورق وكان فصه حبشيا قال فى جمع الوسائل وما روى فى التختم بالعقيق من أنه ينفى الفقر وانه مبارك وان المتختم به لا يزال فى خير فكل ذلك غير ثابت على ما ذكره الحفاظ وفى خبر ضعيف ان التختم بالياقوت الاصفر يمنع الطاعون اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة) أى ابن سعيد (نا أبو عوانة) هو الوضاح روى عنه الستة (عن أبى بشر عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة) أى أمر بصياغته أو وجده مصوغا فاتخذه وكان ذلك فى السابعة على ما فى سيرة ابن سيد الناس أو السادسة على ما جزم به غيره (فكان يختم به) أى الكتب التى يرسلها للملوك وفى نسخة يتختم به أى يلبسه ولكنه ينافى قوله (ولا يلبسه) سيأتى فى الاحاديث انه كان يلبسه فى يمينه أو يساره على اختلاف فى الاحاديث وانه كان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه وذلك مناف لقوله هنا ولا يلبسه ووجه الجمع أن

كثير الاتيان لمن استنجده واستنصر به وتقدم ان زمعة هو أوّل من كذب أباجهل ورد عن زهير وأيده

(و زهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا)

أى أتى هؤلاء الخمسة نقض الصحيفة اتيانا كائنا بمواطأة واتفاق من حيث شاؤا أى من المكان الذى أرادوه وقصدوه لتدبير أمرهم وتشاورهم فيه فلذلك وقع فعلهم الموقع الذى قصدوه وأنتج الانتاج الذى دبروه

(نقضوا مبرم الصحيفة اذ شد دت عليه من العدا الانداء)

نقضوا بدل من فعل خبر يقال نقض العهد أى أبطله ومبرم بفتح الراء أى محكم واذ بمعنى وقت وشدت أى صممت على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقضها الا أن يسلم اليهم والانداء فاعل شدت جمع ناد وهو العشيرة والاصحاب ومنه فليدع ناديه وأصله المكان الذى يجلس فيه للتحدث سمى من فيه باسمه ومن العدا بيان للانداء أى نقضوا هذا الامر المبرم الذى قواه عشائرهم وصمموا عليه *(تنبيه)* هؤلاء الخمسة كلهم كانوا كفارا حين تصدوا لنقض الصحيفة قال ابن اسحق ولم يسلم منهم غير زهير وهشام أما هشام فاسلم عام الفتح وشهد حنينا وأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم من غنائمها خمسين بعيرا وأما زهير فيذكر فى المؤلفة قلوبهم وهذا من كمال عناية الله تعالى بحبيبه صلى الله عليه وسلم فسخر عدوه فى نصرته واستعمل مبغضه فى خدمته قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى كنت فى بعض سياحتى وقد أويت الى مغارة بالقرب من مدينة المسلمين فكنت ثلاثة أيام لم أذق طعاما ثم دخل على ثلاثة من الروم كانت قد أرست سفينتهم هنالك فلما رأونى قالوا قسيس من المسلمين ووضعوا عندى طعاما وادما كثيرا فعجبت كيف رزقت على أيدى الكافرين ومنعت ذلك من المسلمين فاذا النداء على يقال لى ليس الرجل من ينصر بأحبائه انما الرجل من ينصر باعدائه انتهى

جملة ولا يلبسه حال فيفيد انه كان يختم به فى حال عدم اللبس وهو لا يدل على انه لا يلبسه مطلقا او المراد انه لا يلبسه على سبيل الاستمرار والدوام او المراد من هذه العبارة انه اتخذه للختم به لا للبس والتزين لان لبس الخاتم ليس من عادة العرب وكونه متخذا لهذا الغرض لا ينافى لبسه ويحتمل انه اتخذ خاتما للباس وخاتما للختم وقد تقدم عند أرباب هذا الفن ان التوفيق مقدم على الترجيح انظر جمع الوسائل ثم اعلم ان اتخاذ خاتم الفضة مستحب ولو لمن لم يحتج اليه للختم وقيل يكره الا لذى سلطان لحديث فى ذلك كالقاضى لانه يحتاج اليه للختم به والاول هو المشهور لكن قال ابن عرفة هذا اذا اتخذ للسنة وأما اليوم فلا يفعله غالبا الا من لا خلاق له أو يقصد به غرض سوء فأرى أن لا يباح لمثل هؤلاء اه وعلى هذا فاذا صار شعار السفلة ومن لا خلاق له من أهل المجون والفسقة لم يجز لان صيانة العرض بترك سنة واجب وفى نوازل المعيار من كتاب الجامع سئل عز الدين هل يجوز ترك السنة لمشاركة مبتدع فيها فأجاب لا يجوز ترك السنة لذلك ومازال العالمون والصالحون يقيمون السنن مع العلم بمشاركة المبتدعين ولو ساغ ذلك لترك الاذان والاقامة والسنن الراتبة اه وهذا عند التأمل غير ما منعه ابن عرفة لانه لا يلزم من منع ما صار من شعار من لا خلاق له منع ما فيه مطلق المشاركة فقط والله أعلم وقد تقدم قول الابى لو اختص أهل الفسق والظلم بشئ مما أصله السنة كالخاتم والخضاب فينبغى لأهل الفضل أن لا يتشبهوا بهم وأيضا فقد يظن من لا يعرفهم انهم منهم فيكون قد أعان على اساءة الظن به اه وسيأتى فى الباب بعد حكم خاتم الذهب وغيره وفى بعض النسخ (قال أبو عيسى) أى المصنف (أبو بشر) أى المذكور فى السند (اسمه جعفر بن أبى وحشى) وفى نسخة وحشية بغير انصراف وقد اختلف فيه ثقة وضعفا * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا حفص بن عمر بن عبيد) بالتصغير (هو الطنافسى) بفتح الطاء وكسر الفاء منسوب الى طنافس جمع طنفسة البساط الذى له خمل صغير والنسبة للعمل أو البيع اشعارا بأنه علم بالغلبة واشتهر به وهو ثقة (نا زهير أبو خيثمة) احترز به عن زهير أبو المنذر لانه غير ثقة (عن حميد) أى الطويل (عن أنس رضى الله عنه قال كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة فصه منه) الضمير للخاتم ومن لتبعيض أى فصه بعض الخاتم او الضمير للفضة والتذكير بتأويل الورق

وهل كان مثلثا أو مدورا أو مربعا والتربيع أقرب الى النقش فيه والختم به قاله المناوى وفى رواية أبى داود من طريق زهير أيضا بهذا الاسناد من فضة كله وأخرج أبو داود والنسائى من حديث اياس بن الحرث بن معيقيب عن أبيه عن جده انه قال كان خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من حديد ملوى عليه فضة وله شواهد منها ماهو مسند ومنها ماهو مرسل انظرها فى جمع الوسائل وقد ذكر انها هى التى سقطت فى بئر أريس وعليه فقد تعدد خاتمه صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى حين رجع من الحديبية (أن يكتب) أى الكتب (الى العجم) أى عظمائهم وملوكهم يدعوهم الى الله تعالى (قيل له ان العجم) قائل ذلك من العجم أو من قريش ولا مانع من الجمع (لا يقبلون) أى لا يعتمدون (الا كتابا عليه خاتم) أى وضع عليه نقش خاتم لان الختم يؤمن معه من الزيادة والنقص فلا يتطرق فى المكتوب شك ومن ثم يختم على صحيفة الانسان عند موته ولانه يدل على الاعتناء بالمكتوب وبالمكتوب اليه وان ذلك سر بين الكاتب وبينه لم يطلع عليه أحد وهذا ربما يدل على ان الختم كان على ظهر الكتاب بعد طيه (فاصطنع خاتما) اى أمر أن يصنع له أخرج الدارقطنى فى الافراد من حديث سلمة عن عكرمة عن يعلى بن أمية قال أنا صغت للنبى صلى الله عليه وسلم خاتما لم يشركنى فيه أحد نقشه محمد رسول الله (كأنى أنظر الى بياضه) اى الخاتم لانه كان من فضة (فى كفه) فى القاموس الكف اليد أو الى الكوع وفى الحديث ندب معاشرة الناس بما يحبون وترك ما يكرهون واستئلاف العدو بما لا يضر ولا محذور فيه شرعا * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن عبد الله الانصارى) أخرج حديثه الستة والمسمى بهذا الاسم ثلاثة أكبرهم هذا وثانيهم اسم جده حفص وثالثهم اسم جده زياد (حدثنى أبى) يعنى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الانصارى أخرج حديثه البخارى والترمذى وابن ماجه (عن ثمامة) بن عبد الله بن انس بن مالك اخرج حديثه الستة (عن أنس بن مالك قال كان نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم) خبر كان محذوف ففى رواية البخارى كان نقش الخاتم ثلاثة أسطر (محمد سطر) مبتدأ وخبر (ورسول) بالرفع بلا تنوين على

(أذ كرتنا بأ كلها أ كل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء)

هذه جملة استئنافية لبيان ان أ كل الارضة للصحيفة له نظير وضمير أ كلها يعود على الارضة وهى فاعل اذ كرتنا فرتبتها التقديم وا كل مفعول ثانى أذ كرتنا والمنساة العصا لانه ينسأ بها أى يطرد و يؤخر والارضة بفتح الراء وسكونها ضرر ورة وهى دويبة تأ كل حتى الخشب أ كلا سريعا والخرساء صفتها أى التى لا تنطق وفيه تمام التعجب من شأنها اذ ليس من شأن الاخرس التذكير ووصفها بالخرساء مجاز اذ هو نفى النطق عما من شأنه ذلك يروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقى من عمله سنة وقضى الله بموته سأل الله أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب كما أخبر بذلك مولانا جل وعلا فى كتابه العزيز فمكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته وعلم كونه حولا بحساب ما أ كلته الارضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا قاله السيوطى

(وبها أخبر النبى وكم أخـ
ـرج خبأ له الغيوب خباء)

أى وبأ كل الارضة للصحيفة أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب وهو أخبر قريشا وكم مرات كثيرة أخرج صلى الله عليه وسلم وأظهر خبأ أى شيأ مخبأ مستورا من نعته وصفته الغيوب له خباء أى ساترة فكان سبحانه وتعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على المغيبات وكفى بالقرآن شاهدا على ذلك وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد رفع لى الدنيا فانا انظر اليها والى ماهو كائن الى يوم القيامة كما انظر الى كفى هذه وروى أبو داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ الى قيام الساعة الا حدثنا به وهذا الباب واسع جدا وقد ألم القاضى عياض فى الشفاء

الحكاية

بعضه فانظرها والمواهب وأشار الناظم الى ماذكره ابن سيد الناس فى خبر الصحيفة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمه ابى طالب ان ربى قد سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما لله الا أثبتته فيها ونفت القطيعة والظلم والبهتان قال أربك اخبرك بهذا قال نعم فانطلق أبو طالب فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد فظنت قريش انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل فقال أبو طالب يامعشر قريش قد جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بالصحيفة التى فيها مواثيقكم فلعل أن يكون بيننا وبينكم صلح فاتوا بها معجبين لا يشكون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا لابى طالب قد آن لكم ان ترجعوا فقال انما أتيتكم فى أمر فهو نصف بيننا وبينكم أخبرنى ابن أخى ان هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها الا ذكر الله فان كان كما قال فلا والله لانسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أخبر بخبرها قبل فتحها فقالوا هذا سحر ابن أخيك فقال ان الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أقرب الى الحنث والسحر من أمرنا ولولا انكم اجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى بايديكم فنحن أحق أم أنتم اه وهذا لا يعارض ماتقدم من أن الحشرة سعوا فى نقضها لاحتمال ان يكون اتفق اتفاقهم على نقضها مع اخبار النبى صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واتيانه لاخبارهم بذلك ولما عاين الخمسة الخبر موافقا للخبر جدوا فى النقض والابطال * (تنبيه) * كاتب الصحيفة هو هشام بن عمرو ويقال منصور بن عكرمة ويلقب بالبغيض قال فى الخصائص الكبرى أخرج أبو نعيم عن عثمان بن سليمان قال كان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة العبدرى فشلت يده حتى يبست فما كان ينتفع بها فكانت قريش تقول بينها ان الذى صنعنا ببنى هاشم

الحكاية (سطر) ويجوز التنوين على الاعراب (والله) بالرفع والجر بناء على ما سبق (سطر) ظاهره انه لم يكن فيه زيادة على ذلك ورواية ان الذى كان مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله شاذة وكذا رواية بسم الله محمد رسول الله وظاهره انه كان على هذا الترتيب خلافا لمن قال ان كتابته كانت من أسفل الى فوق يعنى ان الجلالة فى أعلى الاسطر الثلاثة ومحمد فى أسفلها فان ذلك ليس صريحا فى شئ من الاحاديث بل رواية الاسماعيلى تخالف ذلك فانه قال محمد سطر والسطر الثانى رسول والسطر الثالث الله وظاهره ان كتابته لم تكن على السياق العادى فان ضرورة الختم بها تقتضى ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة ليخرج الختم مستويا وفى تاريخ ابن كثير عن بعضهم ان كتابته كانت مستقيمة وكانت تطبع كتابة مستقيمة * قال المصنف (حدثنا نصر بن على الجهضمى) نسبة الى جهضمة محلة بالبصرة (أبو عمرو) بالواو أخرج حديثه الستة (نا نوح بن قيس) أى الحرانى نسبة الى حران بضم المهملة وتشديد الراء وهى قبيلة من الازد وهو بصرى صدوق أخرج حديثه مسلم والاربعة لكن رمى بالتشيع (عن خالد بن قيس) اى ابن رباح البصرى اخرج حديثه مسلم والاربعة (عن قتادة عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب) أى أراد أن يكتب بقرينة الحديث السابق (الى كسرى) بفتح الكاف وكسرها تقدم فى أول باب الخف انه لقب ملك الفرس واسمه ابرويز بن هرمز ولما بلغه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم مزقه فدعا عليه صلى الله عليه وسلم بتمزيق ملكه فمزق كل ممزق (وقيصر) تقدم انه لقب ملك الروم واسمه هرقل ولما وصل كتابه صلى الله عليه وسلم حفظه فحفظ ملكه (والنجاشى) تقدم انه ملك الحبشة وأن اسمه اصحمة وانه لما بلغه كتابه صلى الله عليه وسلم اسلم وانه لما مات صلى عليه هو وأصحابه صلاة الجنازة راجع أول باب الخف (فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم فصاغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما) أى أمر بصوغه وتقدم ان الذى صاغه يعلى ابن أمية (حلقته) بفتح اللام ويسكن (فضة) فيه اشعار بانه لم يكن فصه من فضة (ونقش) مبنى للفاعل أو للمفعول (فيه) أى فى الخاتم يعنى فى فصه (محمد رسول الله) بالرفع على الحكاية * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور أنا سعيد بن عامر والحجاج بن منهال) أخرج حديثهما الستة (عن همام عن ابن جريج عن الزهرى عن

اظلم انظر واما أصاب منصور بن عكرمة اه

(لاتخل جانب النبي مضاما * حين مسته منهم الاسواء
كل أمر ناب النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء
(١٥٠) لو يمس النضار هون من النا * ر لما اختير للنضار الصلاء)

لاتخل بفتح التاء الفوقية والمعجمة فعل مضارع من خال أى ظن والجانب فى الاصل شق الانسان وأريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل واضافته الى النبى بيانية والمضام المضيع والاسواء الاذايات الكثيرة ومنهم فى موضع نصب على الحال وأشار به الى ماوقع منهم له صلى الله عليه وسلم من ضربه وخنقه واغراء سفهائهم به وشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يحمله بل جانبه لم يزل يرتقى مع ذلك فى مراتب النصرة والفتح الى أن بلغ غاية العزة والجلالة وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل والهوان على أن ما أصابه صلى الله عليه وسلم من اذايتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله وكل أمر من الامور العظيمة أصاب النبيين فالشدة فيه التى تحصل لهم منه محمودة لانها ترفع درجاتهم العلية والرخاء أى السعة فيه محمودة أيضا لانه يكثر اتباعهم ويفنى اعداءهم ومما يوضح ذلك أن من المقرر فى العقول انه لو يمس هوان النضار أى الذهب من ادخاله النار لاختباره من الغش لما اختير للنضار الصلاء أى العرض على النار لعزته على النفوس وشحها به من أدنى نقص يصيبه فالانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التى تنوبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لاتزيد الذهب الا حسنا فكذلك الشدائد لاتزيد الانبياء الا رفعة ولايخفى ما اشتمل عليه كلام الناظم من الكلام الجامع البليغ والحكم وهو مأخوذ من خبر ورد ان الله تعالى

أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء) أى أراد دخوله (نزع خاتمه) وفى رواية وضع خاتمه وانما كان ينزعه لاشتماله على اسم الجلالة واسم نبى من أنبياء الله ووصف من أوصاف جميع رسله أو صورة جملة من جمل القرآن وانما لم نقل ان هذه الجملة من القرآن لانها الا تكون من القرآن الا ان قصد بها التلاوة قال الحطاب ماحاصله ينبغى أن يتفق على استحباب ترك الذكر فى الكنيف وادخال مافيه ذكر كورقة أودرهم أوخاتم الكنيف ومراد من عبر بالجواز عدم المنع لا الجواز المستوى الطرفين ثم اعلم انه اختلف فى الذكر اذا لم يكن قرآنا ومافيه ذكر سواء كان قرآنا أوغيره على قولين فقيل بجواز ذلك فى الكنيف والمراد بالجواز ماتقدم أى نفى الكراهة الشديدة وقيل بالمنع وهل المراد به التحريم وهو ظاهر كلام بعضهم أو الكراهة المؤكدة وهو ظاهر كلام جماعة وهو الظاهر وأما قراءة القرآن فى الكنيف فتمنع وهل المراد بالمنع الكراهة أو التحريم وهو الظاهر وهذا كله مع الاختيار وأما ان اضطر للذكر لخوف أولادخال مافيه ذكر أوقرآن لان نزعه يضر به اولعدم من يحفظه له فالجواز انتهى وحصل فى الاستنجاء بالخاتم الجواز وهو الذى يفهم من كلام ابن القاسم ونقله اقوله انى لافعله والكراهة وهى التى تفهم من كلام مالك فى مواضع ثلاثة من العتبية ومن اللخمى والتحريم وهو المفهوم من التوضيح وابن عبد السلام وابن العربى فى العارضة حيث قال فلا يحل لمسلم ان يستنجى بخاتم فيه اسم الله وماروى عن مالك من جواز ذلك رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم باطلة اه ثم اعلم ان هذا الحديث أخرجه أبو داود فى سننه وقال فى آخره حديث منكر وانما يعرف عن ابن جريج عن زياد بن سعد عن الزهرى عن انس أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه قال والوهم فيه من همام ولم يروه الا همام وكذا ضعفه أيضا النسائى والبيهقى وأما المؤلف فاخرجه ايضا فى الجامع وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان أيضا والحاكم فى المستدرك وقال على شرط الشيخين قال فى جمع الوسائل الحكم على حديث همام هذا بالشذوذ أولى من الحكم عليه بالنكارة لانه ثقة باتفاق الائمة والشاذ هو ما رواه الثقة مخالفا لما رواه من هو أرجح منه لمزيد ضبطه أو لكثرة عدده ولهذا صححه الترمذى لكنه حكم عليه بالغرابة لانه لم يروه غيره ثم قال على ان أئمة

الحديث

الحديث أطبقوا على ان الزهرى وهم فى الحديث الذى أشار اليه أبو داود وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم ألقاه قال عياض المعروف عند غيره من أهل الحديث ان الخاتم الذى طرحه انما هو خاتم الذهب لا خاتم الورق اه ومنهم من استعظم نسبة الزهرى الى الوهم مع انه كان الغاية فى الحفظ والضبط فأجاب عن هذا الوهم باجوبة قال فى جمع الوسائل والاظهر فى الجواب انه صلى الله عليه وسلم بعد تحريم خاتم الذهب لبس خاتم الفضة على قصد الزينة فتبعه الناس محافظة على متابعة السنة فرأى ان فى لبسه ما يترتب عليه من العجب والكبر والخيلاء فرماه فرماه الناس فلما احتاج الى لبس الخاتم لاجل الختم به لبسه وقال للناس انا اتخذنا خاتما ونقشنا فيه نقشا للمصلحة فلا ينقش عليه أحد أى اسمنا بل ينقش اسمه اذا احتاج الى الختم اه وحاصله ان طرحه كان قبل أن ينهاهم عن نقشها على نقش خاتمه فلما نهاهم عن ذلك ابسها ثم لبسوا خواتيمهم * قال المصنف (حدثنا اسحق بن منصور نا عبد الله بن نمير) أخرج حديثه الستة (نا عبيد الله بن عمر) مر ذكره (عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ورق فكان فى يده) أى حقيقة بأن كان لابسه فى اصبعه فالمراد باليد جزؤها (ثم كان) بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (فى يد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ثم كان فى يد عثمان رضى الله عنه) أى للتختم به وللختم أيضا وفى الحديث التبرك بآثار الصالحين وجواز لبس ملابسهم ولبس الخاتم وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يورث اذ لو ورث لدفع الخاتم الى ورثته بل كان الخاتم والقدح والسلاح ونحوها من الاثاث صدقة للمسلمين يصرفها من ولى الامر فى المصالح فجعل القدح عند أنس اكراما لخدمته ومن أراد التبرك به لم يمنعه وجعل باقى الاثاث عند ناس معروفين وأبقى الخاتم عنده للحاجة التى اتخذه لاجلها صلى الله عليه وسلم قاله النووى واعترضه العسقلانى بأنه يجوز أن يكون الخاتم اتخذ من مال المصالح فانتقل للامام ينتفع به فيما صنع له قال فى جمع الوسائل قلت هذا محتمل والاصل هو الاول فيكون عليه المعول اه وقد فهم من كلامهم ما ذكرنا من انهم اتخذوه للختم به والاظهر انهم لبسوه احيانا لاجل التبرك به وكان فى أكثر الاوقات عندهم بجمعا بين الروايات ويبعد أن يكون المراد انه كان فى حوزهم فقط كما يقال الشئ الفلانى فى يد فلان ولم يكن فى يده.

يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك *(تنبيهان)* الاول كل ما أصاب النبى صلى الله عليه وسلم مما تقدم ذكر بعضه لم يصده عن الدعاء الى الله تعالى ولم يرده عن التعريف به والدلالة عليه فان الصادق فى المحبة لا يرده عنها ما يصيبه من الابتلاء فى جانب المحبوب بل اذا استحضر رضا محبوبه عنه اضمحل ذلك كله فى نظره ولم يؤثر فيه شيأ بل قد يستحليه ويتلذذ به من حيث انه تصرف المحبوب وفعله به ولا غرض للمحب الا فى الوصلة من المحبوب وعند هذا تحصل الغيبة عن مقتضى الطبع لتوجه وجهته الكلية لمطلوبه واستغراقها فى محبة محبوبه ولذا قال الجنيد سألت سريا السقطى هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ويحكى انه لما قدم الحلاج لتقطع يده قطعت اليد اليمنى أولا فضحك ثم قطعت الاخرى فضحك ضحكا بليغا فخاف أن يصفر وجهه من خروج الدم فكب بوجهه على الدم السائل ولطخ وجهه بدمه وأنشأ يقول

الله يعلم ان الروح قد تلفت
شوقا اليك ولكنى أمنيها
ونظرة منك يا سؤلى ويا أملى
أشهى الى من الدنيا وما فيها
يا قوم انى غريب فى دياركم
سلمت روحى اليكم فاحكموا فيها
لم أسلم النفس للاسقام تتلفها
الا لعلمى بأن الوصل يحييها
نفس المحب على الآلام صابرة
لعل مسقمها يوما يداويها

ثم رفع رأسه الى السماء وقال يا مولاى انى غريب فى عبادك وذكرك اغرب منى والغريب يألف الغريب ودخل جماعة من الناس على الشبلى فى مارستان وقد حبس فيه وجمع بين يديه حجارة فقال من أنتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال ما بالكم ادعيتم محبتى ان صدقتم فيها فاصبروا على بلائى الى غير ذلك من الحكايات المذكورة عند القوم وقد جلب من ذلك الامام سيدى أبو عبد الله بن عباد فى شرح الحكم جملة وافرة فانظره ويروى ان أهل مصر مكثوا أربعة أشهر

لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل فى القرآن الكريم قطع النسوة أيديهن بالاحظة جماله حتى ما احسسن بذلك ويرحم الله القائل (١) سقمى فى الحب عافيتى * ووجودى فى الهوى عدمى وعذاب ترتضون به * فى فى أحلى من النعم ما اضر فى محبتكم * عندنا والله من ألم (١٥٢) *(الثانى)* هذه الامتحانات التى تقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام اشتملت على حكم وفوائد منها علم كثير من الاحكام الشرعية كصلاة الخوف واتخاذ الحراس عند الخوف من العدو فقد كان له صلى الله عليه وسلم حراس يحرسونه حتى نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله عز وجل وكالتداوى عند المرض وان ذلك لا ينافى التوكل فقد كان صلى الله عليه وسلم يحتجم ويشرب الدواء وكاستعمال الصبر والرضا والاستسلام والتفويض عند نزول المكاره والدعاء على المتمردين كما تقدم فى دعائه صلى الله عليه وسلم على أبى جهل وأصحابه لانه لحق الله لا لحق نفسه ومنها تكثير الاجر واعظام الثواب ومضاعفة العطاء قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال قال الله سبحانه اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وسأل صلى الله عليه وسلم طائفة من الصحابة فقال ما أنتم قالوا مؤمنون قال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وظهور أثر الرضا فيما يخالف هوى النفس أزيد ففيه

حقيقة بدليل قوله (حتى سقط فى بئر أريس) وكان عثمان جالسا على شفتها يأمر بحفرها لاهل المدينة وأريس بفتح الهمز وكسر الراء وهو بستان معروف ويجوز فيه الصرف وعدمه قاله العسقلانى وهو قريب من مسجد قباء وظاهر السياق انه وقع من يد عثمان وفى رواية للبخارى حتى وقع من عثمان فى بئر أريس وفى النسائى ان عثمان طلب الخاتم من معيقيب ليختم به شيأ فكان فى يده يعبث به أى يكثر ادخال خاتمه واخراجه وهو متفكر فى شئ فسقط وصريح ما يأتى فى الباب بعد انه وقع من يد معيقيب مولى سعيد بن العاصى وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وستأتى ترجمته ولا منافاة فيحتمل ان عثمان لما أراد رده الى معيقيب سقط من بينهما فلم يدر الراوى من يد أيهما سقط فنسب ذلك تارة الى عثمان وتارة الى معيقيب والله أعلم زاد فى البخارى عن أنس فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ننزح البئر فلم نجده ونقل جلال الدين السيوطى فى التوشيح عن بعض العلماء قال كان فى خاتمه صلى الله عليه وسلم شئ من الاسرار كما كان فى خاتم سليمان عليه السلام لان سليمان لما فقد خاتمه ذهب ملكه وعثمان لما فقد خاتم النبى صلى الله عليه وسلم انتقض عليه الامر وخرج عليه الخارجون وكان ذلك مبدأ الفتنة الدنيوية والاخروية التى أفضت الى قتله واتصلت الى آخر الزمان قلت ونظير ذلك ان المنبر النبوى لما احترق كان ذلك علامة زوال المملكة من يد بنى العباس فلم تعد الى الآن اليهم انتهى ولهذا والله أعلم بالغ عثمان فى التفتيش عليه ولكونه أثر النبى صلى الله عليه وسلم قد لبسه واستعمله وختم به ومثل ذلك يساوى فى العادة قدرا عظيما من المال ولو كان غير خاتم النبى صلى الله عليه وسلم لاكتفى فى طلبه بدون ذلك ولان الخاتم المختص المحتاج الى الختم به لا يقاس عليه غيره لانه يترتب على ضياعه مفاسد كثيرة وعلى هذا فقول ابن بطال يؤخذ من الحديث أن يسير المال يجب البحث فى طلبه والاجتهاد فى تفتيشه يعنى دفعا لاضاعة المال وقد فعل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لما ضاع عقد عائشة وحبس الجيش حتى وجده اه فيه نظر فان العقد لم يكن يسيرا من المال وكان أمانة عند عائشة ولا يلزم من بحث عثمان عن هذا الخاتم ان يقاس به غيره من الاموال اليسيرة للخصوصيات والمزايا التى اختص بها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم وأما قول العسقلانى ان عقد عائشة نشأت عنه فائدة عظيمة وهى الرخصة فى التيمم فكيف يقاس عليه غيره

---

(١) هو الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه ونسبه اله تلميذه أبو بكر بن العربى كما فى الطبقات لابن السبكى اه من خط المؤلف

واكثر ومن هنا تظهر لك حكمة كون الانبياء عليهم الصلاة والسلام أشد الناس بلاء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ومنها الاقتداء بهم عليهم الصلاة والسلام أى التخلق باخلاقهم عند نزول البلايا وهذا غير علم الاحكام اذ لا يلزم من العلم العمل ومن أخلاقهم عند تكذيب الخلق لهم وتسلطهم عليهم الصبر الجميل والرحمة لهم والعفو عنهم ورؤية الفعل من الله دونهم والاعراض عنهم والتعلق بالله والاكتفاء به وسلط الله عليهم اذاية

الخلق أولا ليعلم بعد نصرهم انهم رسل الله وان نصرهم ليس الا من الله وبالله لان الخلق كانوا لهم أولا اعداء ثم ظفرهم الله بهم ونصرهم عليهم ولذلك لم يكونوا من أبناء الملوك والرؤساء وانظر قول هرقل هل كان من آبائه من ملك ثم قال فذكرتم ان لا فلو كان فى آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه اه

(كم يد عن نبيه كفها الله * وفى الخلق كثرة واجتراء
اذ دعا وحده العباد وأمست * منه فى كل مقلة اقذاء)

الكف المنع والخلق أى المخلوقون الذين هم أعداؤه والاجتراء الجرأة والشجاعة والاقدام على فعل ما خطر فى النفس من غير نظر فى عاقبته واذ ظرف لكف أى وقت دعا أى طلب حال كونه وحده أى منفردا والعباد جمع عبد أى دعاهم الى توحيد الله تعالى وعبادته وأمست أى حصلت فى المساء والمراد مجرد الحصول فى كل الازمنة منه صلى الله عليه وسلم فى كل مقلة منهم وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض اقذاء جمع قذى وهو ما يسقط فى العين مما يؤلمها او يكدرها حتى يصير صاحبها غير قادر على ان يرفع رأسه فاستعير لما أصابهم من الذل والهوان بسبب الكفر والطغيان يشير الى أنه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء أمره مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادى عليهم فى أنديتهم بتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم ورميها بكل عيب وسوء وتسفيه الغوى حتى أقرب أقاربه كعمه

ففيه ان الاستدلال صحيح حيث وقع البحث وأما ظهور الاثر فأمر مترتب عليه فلا دخل له فى القياس انظر جمع الوسائل (نقشه محمد رسول الله) أى هذه الجملة فلا يحتاج لرابط وفيه جواز استعمال خاتم منقوش باسم آخر بعد موته لانه لا التباس بعد الموت فيصح ان يجعل علامة التوثيق قاله العصام قال فى جمع الوسائل وفيه ان الالتباس متحقق عند عدم وجود التاريخ اه قلت ويحتمل ان أبا بكر ومن بعده كانوا يختمون به للتبرك مع الختم بخواتيمهم فلا يبقى لبس ولو لم يكن تاريخ ويفهم من هذا الحديث أيضا جواز نقش اسم الشخص على خاتمه وقد فعله ابن عمر وابنه سالم والقاسم بن محمد وكان مالك يقول من شأن الخلفاء والقضاة نقش أسمائهم فى خواتيمهم اه وكذا نقش اسم من أسماء الله تعالى وقد روى ان نقش خاتم على الملك لله ومحمد الباقر العزة لله والنخعى الثقة بالله ومسروق بسم الله وهذا قول الجمهور ونقل عن ابن سيرين وبعض أهل العلم كراهة نقش اسم من أسماء الله تعالى وروى ان عمر نقش على خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر وانه كان فى خاتم موسى عليه السلام لكل أجل كتاب وفى خاتم سليمان لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى وفى خاتم آدم لا اله الا الله محمد رسول الله

(باب ما جاء فى تختم رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى فى كيفية لبسه الخاتم فالغرض من هذا الباب غير ما سبق فى الباب قبله وفى بعض النسخ باب فى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه قال ابن حجر لا ينافى ذكره تختمه فى يساره لما سيأتى اه وفيه اشعار بأن روايات التختم فى اليمين أرجح عند المصنف من روايات التختم فى اليسار ولذا لم يخرج حديثا فيه التصريح بأن النبى صلى الله عليه وسلم تختم فى اليسار بل قال فى آخر الباب على ما فى بعض النسخ وفى جامعه روى بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم تختم فى يساره وهو حديث لا يصح ولذا رجح كثير من أهل العلم الاحاديث المذكورة فى هذا الباب وأكثرها صحاح لكن استدل الجمهور برواية مسلم عن أنس رضى الله عنه كان خاتمه صلى الله عليه وسلم فى هذه واشار لخنصر يسراه وبرواية أبى داود عن ابن عمر رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يتختم فى يسراه وبقول بعض الحفاظ التختم فيها مروى عن عامة الصحابة والتابعين وبقول الحافظ ابن رجب ورد حديث ان تختمه فى يساره

أبي لهب في اذايته والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه ورعايته مقيما على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابر عليه الصبر الجميل وأمره لا يزداد الا ظهورا وعلوا وأصحابه وأعوانه يكثرون ويتقوون على أعدائهم شيأ فشيأ الى أن مكنه الله من نواصي أعدائه فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان واحل من خضع منهم لعزته مأمن البقاء والامان وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء كثيرة من أراد اذاية النبي صلى الله عليه وسلم فعصمه الله تعالى منهم فانظره ومن جملة ذلك ما أشار اليه الناظم رحمه الله بقوله

(هم قوم بقتله فأبى السيـ ـف وفاء وفاءت الصفواء
وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـ ـل اليه كأنه العنقاء)

أبى السيف أي امتنع من الوصول اليه لاجل الوفاء بما أخذ عليه كبقية الخلق من الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير ما مرة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة تظله فبينما هو تحتها اذ جاء اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني قال الله عز وجل فارتعدت يده وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه وصح عن آخر انه اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده في يده مصلتا فقال من يمنعك مني قال الله فسقط من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروى ان قريشا ضربوه في يوم أحد بنحو سبعين ضربة بالسيف ولم تعمل فيه شيأ وقوله وفاءت الصفواء أي رجعت الحجارة على من أراد الرمي بها وهو أبو جهل وقت ان رأى عنق الفحل وقد برز اليه كأنه العنقاء أي الداهية العظيمة او الطائر العظيم وكان أبو جهل من أشد الأعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو وقريش يوما فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم

هو آخر الامرين من فعله صلى الله عليه وسلم وبأن وكما قال التختم في اليمين ليس بسنة اولاجل اختلاف أحاديث التختم أجمع الفقهاء كما قال النووي على جواز التختم في اليمين واليسار واختلفوا أيهما أفضل فتختم كثير من السلف في اليمين وتختم كثيرون في اليسار واستحب مالك اليسار اه أي لما ورد من انه آخر الامرين من فعله صلى الله عليه وسلم وبذلك وفق الذهبي بين أحاديث التختم المختلفة ولانه أبعد من الخيلاء والكبر لقلة حركات اليسرى ولانه يكون كالمودع فيها او يحصل تناوله منها باليمين وكذا وضعه فيها ولذا قال في الرسالة والاختيار مما روى في التختم التختم في اليسار لان تناول الشيء باليمين فهو يأخذه بيمينه ويجعله في يساره اه وكأنه أشار بقوله لان تناول الخ الى جواب ما يقال التختم من باب التكريم فينبغي ان يكون باليمين فاجاب بأن معنى التختم باليمين ان يأخذ الخاتم بيمينه فيجعله في يساره وقال الشيخ زروق وجه الدلالة انه الامر الايسر وقد جاء في الحديث التختم في اليمين وفي اليسار والخلاف في الاولوية وقد ألف في الخاتم ونقشه وغير ذلك من أحكامه اه وأما قول ابن حجر جوابا عما تقدم من أدلة التختم في اليسار ان حديث التختم في اليمين رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والمصنف وقال قال محمد يعني البخاري هذا أصح شيء روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب اه فقال في جمع الوسائل لا يخفى على أولى الالباب انه لا يصلح للجواب اه وجنحت طائفة الى استواء الامرين وجمعوا بين الاحاديث المختلفة بذلك وأشار اليه أبو داود حيث ترجم باب التختم في اليمين واليسار ثم أورد الاحاديث مع اختلافها في ذلك بغير ترجيح وهذا هو المفهوم من قول العراقي رحمه الله مع الاشارة الى جمع آخر

يلبسه كما روى البخاري * في خنصر يمين أو يسار
كلاهما في مسلم ويجمع * بأن ذا في حالتين يقع
أو خاتمين كل واحد بيد * كما بفص حبشي قد ورد

(حدثنا محمد بن سهل بن عسكر البغدادي) تقدم في داليه أربعة أوجه (وعبد الله بن عبد الرحمن قالا) أي ابن سهل وعبد الله (أنا يحيى بن حسان) تقدم انه يجوز فيه الصرف وعدمه (نا سليمان بن بلال) أخرج حديثه الستة (عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر) ذكر جده تمييزا له عن شريك بن عبد الله القاضي (عن ابراهيم بن عبد الله

ابن

وتسفيه أحلامهم وسب الهتهم فاظهر والهشدة الامتناع والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم أبو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ماترون وانى أعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بى بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشئ أبدا فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش ينظرون احتمل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه

ابن حنين) مصغرا (عن أبيه) أخرج حديثه الستة (عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه فى يمينه) وجهه من اختاره بأن التختم فيه نوع تشريف وزينة واليمين بهما أولى قلت ينافى كون ذلك للزينة جعل فصه مما يلى كفه فانه تحرز عن الزينة بقدر الامكان ولذلك طرح خاتم الذهب كما يأتى والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا أحمد بن صالح) روى عنه البخارى وأبو داود (نا عبد الله بن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن عبد الله بن ابى نمر نحوه) أورده المصنف من وجهين وقد صححه ابن حبان وأخرجه أبو داود والنسائى * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة قال رأيت ابن أبى رافع) اسمه عبد الله شيخ لحماد بن سلمة روى عنه الاربعة (يتختم فى يمينه فسألته عن ذلك) أى سببه (فقال رأيت عبد الله بن جعفر) أى ابن أبى طالب الهاشمى أحد الاجواد ولد بأرض الحبشة وله صحبة مات سنة ثمانين وهو ابن ثمانين أخرج حديثه الستة (يتختم فى يمينه وقال عبد الله بن جعفر كان النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه) * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا عبد الله بن نمير) مصغرا (نا ابراهيم بن الفضل) قال فى جمع الوسائل لم أطلع على ترجمته قلت تبع فى هذا العصام قال المناوى وهو قصور وهو ابراهيم بن الفضل بن سليمان المخزومى قال الذهبى شيخ مدنى روى عنه المصنف وابن ماجه وقال ابن معين ضعيف لا يثبت حديثه ليس بشئ وقال جمع متروك وقال أحمد ليس بقوى (عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه) أورده المصنف من وجهين أيضا * قال المصنف (حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى) أخرج حديثه الستة (نا عبد الله بن ميمون) ضعيف بالاتفاق كما سيأتى (عن جعفر بن محمد) أى الصادق لقب به لكمال صدقه أخرج حديثه البخارى فى التاريخ ومسلم والاربعة أمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر رضى الله عنهم قال له يوما سفيان الثورى لا أقوم حتى تحدثنى فقال جعفر اما انى أحدثك وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان اذا أنعم الله عليك بنعمة فاحببت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر عليها فان الله عز وجل قال فى كتابه لئن شكرتم لأزيدنكم واذا استبطأت الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله تعالى قال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا

مرعوبا قد يبست يده على حجره حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وأنيابه لفحل قط فهم بى ان يأكلنى ويذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل لو دنا منه لاخذه اهـ

(واقتضاه النبى دين الارا
شى وقد ساء بيعه والشراء
ورأى المصطفى أتاه بما لم
ينج منه دون الوفا النجاء
هو ما قد رآه من قبل لكن
ما على مثله يعد الخطاء)

أشار بهذه الابيات الى ما وقع لكهلة بن عصام بن اراش وذلك انه لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه أبو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشى على نادٍ من قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية المسجد فقال يا معشر قريش من رجل يخلصنى من أبى الحكم بن هشام فانى غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حقى فقالوا الا يخلصك الا ذلك الرجل يهزؤن به لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة اذهب اليه فهو يخلصك منه فاقبل الاراشى حتى وقف على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله ان أبا الحكم قد غلبنى على حقى وقد سألت أولئك القوم فاشاروا اليك فخلصنى منه يرحمك الله قال انطلق اليه وقام معه فلما رأوه قام معه قالوا لرجل اتبعه فانظر ماذا يصنع فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه فضرب به عليه فقال من هذا فقال محمد فاخرج الى فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال أعط هذا

حقه قال ثم لا يبرح حتى يأخذه فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه فأقبل الاراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله
تعالى خيرا فقد والله أخذ لى حقى وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال رأيت عجبا من العجب والله ماهو
الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال أعط هذا الرجل حقه قال نعم لا يبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل
فخرج اليه بحقه فأعطاه اياه ثم لم يلبث أبو جهل ان جاء فقالوا له ويلك مالك والله مارأينا مثل ماصنعت قط قال (١٥٦)
ويحكم والله ماهو الا أن ضرب
على بابى وسمعت صوته فلئت
رعبا ثم خرجت اليه وان فوق
رأسه لفحلا من الابل مارأيت
مثل هامته ولا صورته ولا أنيابه
لفحل قط والله لو أبيت لاكلنى اه
قوله وقد ساء بيعه والشراء أى
بئس وقبح أى ما أسوأ بيعه وشراءه
مع هذا الرجل وغيره قوله ورأى
المصطفى أى ومن ثم رأى أبو جهل
اللعين المصطفى محمدا صلى الله عليه
وسلم وقد أتاه بما أى بفحل من
الابل أى بملك فى تلك الصورة
وينج بفتح ثم ضم أو بضم ثم كسر
من نجا ينجو وأنجى ينجى فعلى
الاول يكون النجاء على وزن
ضراب مبالغة فى الناجى أى
راى المصطفى أتاه بما لم ينج منه
دون الاداء للاراشى الناجى
وعلى الثانى يكون النجاء بفتح
النون وتخفيف الجيم أى النجاة
أى لا تنجيه نجاة من هروب ونحوه
دون وفاء الدين الذى عليه ثم
أخبر الناظم ان هذا الفحل الذى
رآه فى هذه الواقعة هو الفحل الذى
رآه فى الواقعة قبلها لكن
لا استغراب فى ذلك لان هذا اللعين ماعلى مثله فى العتو والتهور السالبين لادراكه والموجبين لهلاكه وهو
وهو أبلغ من عليه على حد مثلك لا يبخل والخطاء بالمد لغة فى المقصور أى لا يستغرب فى حقه تكرار الافعال المنكرة والامور
المستقبحة لعتوه وسفاهته ووقاحته فخطؤه لا ينحصر ومعايبه لا تعد لما طبع الله على قلبه من الكفر وسبق له فى سابق الازل
من سوء الخاتمة والعياذ بالله ولذا تصدى لاذاية النبى صلى الله عليه وسلم وتمكن منها ظاهرا فى بعض الاحيان كغيره ممن سبقت له

ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا يعنى الدنيا والآخرة
ياسفيان اذا كربك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة فعقد سفيان بيده وقال ثلاثا وأى ثلاث قال
جعفر عقلها والله أبو عبد الله ولينفعنه الله بها وقال استنزلوا الرزق بالصدقة وحصنوا
أموالكم بالزكاة ومن أحزن والديه فقد عقهما ومن ضرب بيده على فخذه عند مصيبة
فقد حبط أجره ومن احتفر لاخيه بئرا سقط فيها ومن داخل السفهاء حقر ومن خالط
العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ودخل على المنصور وقد أضجره ذباب فقال له
المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب قال ليذل به الجبابرة وقال لا يتم المعروف الا
بثلاثة بتعجيله وتصغيره وستره وابنه موسى الكاظم كان أعبد أهل زمانه وأعلمهم
وأسخاهم وفيه قال الشافعى رضى الله عنه قبر موسى الكاظم الترياق المجرب وحفيده
على الرضا بن موسى الكاظم كان أوحد أهل زمانه أسلم على يده معروف الكرخى
استاذ السرى السقطى وكان معروف يقول للسرى اذا كانت لك الى الله حاجة فأقسم
عليه بى وعلى هذا هو الذى دخل نيسابور فتعرض له أبو زرعة الرازى ومحمد بن أسلم
الطوسى فى خلائق لا يحصون وطلبوا منه ان يحدثهم بحديث عن آبائه فقال حدثنى أبى
موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه على زين العابدين
عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال حدثنى
حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنى جبريل قال سمعت رب العزة
سبحانه يقول لا اله الا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من
عذابى فعد أهل المحابر الذين كانوا يكتبون فنافوا على عشرين ألفا قال الامام أحمد
لو قرأت هذا السند على مجنون لبرئ من جنته وولده محمد بن على الرضا كان العجب
فى العلم والحلم قال له رجل أوصنى بوصية مختصرة جامعة فقال له صن نفسك عن عار
العاجلة ونار الآجلة ومن كلامه كيف يضيع من الله كافله وكيف ينجو من الله
طالبه ومن انقطع الى غير الله وكله الله اليه ومن عمل على غير علم أفسد أكثر مما يصلح
(عن أبيه) أى محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بالباقر لانه بقر العلم أى
شقه وعلم أصله وفرعه وجليه وخفيه أمه أم عبد الله بنت الحسن بن على بن أبى طالب

الشقاوة فيكون ذلك سببا لاهلاكهم وظهور عزة النبى صلى الله عليه وسلم ونصرته انظر ابن حجر

(وأعدت حمالة الحطب الفهـ * ـر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ * ـلى من أحمد يقال الهجاء
وتولت ومارأته ومن أيـ * ـن ترى الشمس مقلة عمياء)

أى هيأت حمالة الحطب وهى أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية أخت (١٥٧) أبى سفيان زوجة أبى لهب لقبت بذلك لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم والفهر الحجر الذى يملأ الكف والحال انها جاءت كأنها الورقاء أى الحمامة فى شدة الاسراع وأعدت ذلك يوم جاءت فى حال كونها غضبى من شدة ما سمعت قائلة أفى مثلى وأنا بنت سيد مخزوم يقال الهجاء أى السب والذم حال كونه صادرا من أحمد وتولت أى رجعت والحال أنها مارأت النبى صلى الله عليه وسلم وكيف تراه وهو فى ظهوره للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس بل أظهر وهى أى تلك المرأة اللعينة فى غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن أين ترى الشمس عين عمياء وذلك أنه لما نزل فيها وفى زوجها سورة تبت يدا أبى لهب الخ وسمعت ما اشتملت عليه السورة من ذمها وذم زوجها اشتد غضبها فحملت حجرا فى يدها وقصدت به النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد مع أبى بكر فلما رآها أبو بكر قال يارسول الله انها امرأة بذية اللسان فلو قمت فقال انها لن ترانى فجاءت فلم تره فقالت يا أبا بكر أين صاحبك كيف يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله انى لشاعرة وأنشدت مذمما عصينا * وأمره أبينا وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان عليه الصلاة والسلام يقول الا تعجبون لما صرف الله تعالى عنى من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد فقال لها أبو بكر لا والله هو لا يقول الشعر فقالت أنت عندى مصدق فانصرفت فقلت يارسول الله

وهو تابعى جليل سمع جابرا وأنسا وروى له البخارى ومسلم كان رضى الله عنه يقول فى جوف الليل أمرتنى فلم أأتمر وزجرتنى فلم أزدجر هذا عبدك بين يديك ولا أعتذر وقال يا جابر أنزل الدنيا كمنزل نزلت به فارتحلت عنه أو كمال أصبته فى منامك فاستيقظت وليس معك منه شئ انما هى مع أهل الله والعاملين لله تعالى كفئ الظلال فاحفظ ما استرعاك الله تعالى من دينه وحكمته وقال كان أخ لى فى عينى عظيم وكان الذى عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه وقال انا لندعو الله بما نحب فاذا وقع مانكره لم نخالف الله عز وجل فيما أحب ووالده زين العابدين على بن الحسين وهو الذى مدحه الفرزدق بقصيدته المعروفة التى منها قوله

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فمايكلم الا حين يتبسم
ماقال لاقط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم

دخل على محمد بن اسامة بن زيد فى مرضه فجعل يبكى فقال ماشأنك فقال على دين فقال كم هو قال خمسة عشر ألف دينار قال فهو على وكان يقول ان صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل وكان يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة ولما مات وجدوه يقوت مائة أهل بيت بالمدينة وسبه رجل فتغافل عنه فقال له الرجل اياك أعنى فقال وعنك أعرض اشارة لقوله تعالى خذ العفو الآية (عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يمينه) قال العسقلانى فى اسناد هذا الحديث لين أى لان عبد الله بن ميمون تكلم فيه قال البخارى ذاهب الحديث وقال أبو زرعة واهى الحديث وقال المصنف منكر الحديث وقال أبو حاتم متروك وقال ابن حبان لايجوز الاحتجاج بما انفرد به قال فى جمع الوسائل أقول للحديث شواهد كما ترى فقوى بذلك روايته وخرجت عن حد نكارته * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى نا جرير عن محمد بن اسحق عن الصلت بن عبد الله) أى ابن نوفل بن حرث بن عبد المطلب أخرج حديثه أبو داود والترمذى (قال كان ابن عباس يتختم فى يمينه ولا اخاله) بكسر الهمزة قال فى القاموس والفتح لغية وهو متكلم أى لا أظنه وظاهر السياق ان قائل ذلك هو الصلت ويحتمل ان يكون لواحد ممن قبله (الا قال) أى ابن عباس (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتختم فى يمينه) * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر) هو محمد بن يحيى بن عمر

كيف لم ترك قال لم يزل ملك يسترنى منها بجناحيه وفى رواية قد أخذ الله تعالى ببصرها عنى وفى تفسير النسفى وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل

(ثم سمت له اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الاشقياء

فأذاع الذراع مافيه من سم بنطق اخفاؤه ابداء

وبخلق من النبى كريم * لم تعاقب بجرمها العجماء)

(١٥٨)

أى ثم بعدما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقعت له كرامة أخرى فى غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهى انه صلى الله عليه وسلم سمت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية الشاة أى جعلت له سما قاتلا لوقته بعد ان شوتها وأكثرت منه فى الذراع والكتف لانها أخبرت انه يحبه وكم مرات كثيرة سام من السوم الذى هو مقدم الشراء وبين سام وسمت تجنيس شبه الاشتقاق الشقوة أى ثابر عليها وتحلى بها الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم أضل سبيلا ومنهم تلك المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق فاذاع أى أظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع مافيه من سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم واخفاؤه عن الحاضرين ابداء له صلى الله عليه وسلم وبخلق من النبى كريم بل لا اكرم منه لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم أى بسبب ماتحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرمها وفى نسخة بجرحها لان السم يجرح البواطن كما يجرح الحديد الظاهر العجماء البهيمة شبهها بها فى قلة العقل المؤدى لهلاكها بتعرضها لاكبر الايذاء لسيد الوجود ولفظ البخارى فى القضية التى   عن
أشار اليها الناظم فى كتاب الجزية والطب من طريق الليث عن سعيد عن أبى هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقونى عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا أبونا

ينسب الى جده (نا سفيان) هو ابن عيينة (عن أيوب بن موسى) أى ابن عمرو بن سعيد بن العاصى الاموى أخرج حديثه الستة (عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة وجعل فصه مما يلى كفه) أى مما يلى بطن كفه كما فى الصحيحين قال العلماء لم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك بشئ فيجوز جعل فصه فى باطن الكف وظاهرها وقد عمل السلف بالوجهين وممن اتخذها فى ظاهرها ابن عباس قالوا ولكن الافضل فى باطنها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ولانه أصون لنقش فصه وأسلم وأبعد من الزهو والاعجاب كذا ذكره النووى فى شرح مسلم وللاعلام بأنه لم يكن يقصد الزينة وانما اتخذه للختم به (ونقش فيه محمد رسول الله) أى هذه الالفاظ (ونهى) أى النبى صلى الله عليه وسلم (ان ينقش) بضم القاف (أحد عليه) أى مثل نقشه لئلا يلتبس أمر الختم ويقع التخليط وقد جاء فى بعض الطرق ان معاذا رضى الله عنه اتخذ خاتما نقش فيه محمد رسول الله فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم به قال آمن كل شئ من معاذ حتى خاتمه ثم أخذ ذلك الخاتم من معاذ فكان فى يده رواه الدميرى فى شرح المنهاج للنووى فاما ان يقال كان هذا قبل النهى أو لم يبلغه النهى أو حمل النهى على التنزيه وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم له يدل على ان ذلك لم يكن خصوصية لمعاذ خلافا لمن زعمه انظر جمع الوسائل (وهو الذى سقط من معيقيب) بضم الميم وفتح المهملة وسكون التحتيتين وقاف مكسورة بينهما وموحدة فى آخرها وهو ابن أبى فاطمة الدوسى بدرى ابتلى بالجذام فعولج منه بأمر عمر بن الخطاب بالحنظل فتوقف أمره وهو مولى سعيد بن العاصى خلافا لقول ابن حجر انه غلام عثمان وكان أسلم قديما وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وأقام بها حتى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان على خاتم النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان على بيت المال (فى بئر أريس) تقدم * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حاتم بن اسمعيل عن جعفر بن محمد) هو الصادق بن الباقر (عن أبيه قال كان الحسن والحسين رضى الله عنهما يتختمان فى يسارهما) أى اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فانه فعله فى آخر أمره ولو لم يريا النبى صلى الله عليه وسلم يتختم فى يساره لما فعلاه وبهذا يظهر وجه مناسبة الحديث لعنوان الباب وقد أخرج أبو الشيخ بن حبان فى كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم من طريق سليمان بن بلال

فلان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان فقالوا صدقت وبررت فقال هل أنتم صادقوني عن شيء ان سألتكم عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل النار فقالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها (١) والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن شيء ان سألتكم عنه فقالوا نعم (١٥٩) فقال هل جعلتم (٢) في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك فقالوا أردنا ان كنت كذابا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفي حديث جابر عند أبي داود ان يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها (٣) وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهودية فقال سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي للذراع فقالت نعم قالت ان كان نبيا لم يضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة وفي رواية غيره جعلت زينب بنت الحرث امرأة ابن مشكم تسأل أي الشاة أحب الى محمد فيقولون الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وأصلتها ثم عمدت الى سم لا يطني يعني لا يلبث ان يقتل من ساعته وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت

عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر ان النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان وعليا والحسن والحسين رضي الله عنهم كانوا يتختمون في اليسار وأخرج البيهقي في الادب من طريق جعفر نحوه ولم يذكر عثمان والله أعلم ولا يخفى ان هذا الحديث منقطع لان محمدا لم يدرك الحسنين وكان ينبغي تأخيره عن أحاديث الباب أو تقديمه اذ لا يحسن الفصل بينها به * قال المصنف (حدثنا محمد بن عبيد المحاربي) نسبة لبني محارب قبيلة من العرب أخرج حديثه أبو داود والترمذي والنسائي (نا عبد العزيز بن أبي حازم) أخرج حديثه الستة (عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب فكان يلبسه في يمينه) أي قبل تحريم الذهب على الرجال في رواية للبخاري عن ابن عمر وجعل فصه مما يلي كفه ونقش فيه محمد رسول الله (فاتخذ الناس خواتيم من ذهب فطرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية للبخاري من طريق جويرية فرقي المنبر وأثنى عليه فقال اني كنت اصطنعته وقال اني لا ألبسه فنبذه فنبذ الناس قال في جمع الوسائل والظاهر ان الفاء في قوله فطرحه تعقيبية لا تفريعية خلافا للعصام في قوله ان المنهي عنه الاتخاذ من غير اعتبار اللبس اذ ليس في الحديث ما يدل على ان الطرح قبل لبسهم بل قوله (وقال لا ألبسه أبدا) يدل على ان المكروه لبسه لا مجرد اتخاذه وكذا قوله (فطرح الناس خواتيمهم) يدل على ان المقصود كراهة اللبس وانهم لبسوه قال ابن حجر وهذا هو الناسخ له مع قوله صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة وقد أخذ ذهبا في يد وحريرا في يد هذان حرام على ذكور أمتي حل لاناثهم اهـ والنهي عن خاتم الذهب يحتمل ان يكون من أجل المشاركة أو من زهوهم بلبسه ويحتمل ان يكون لكونه من ذهب وصادف وقت تحريم لبس الذهب على الرجال واعلم ان الجمهور على ان النهي للتحريم وذهب بعض العلماء الى أنه للتنزيه فقول عياض الناس مجمعون على تحريمه اما أن يكون أراد بالناس الجمهور أو يقال انقرض قول من قال بكراهة التنزيه واستقر الاجماع بعد على التحريم والا فقد روى ابن أبي شيبة في مصنفه أن جماعة من الصحابة كسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وصهيب وجابر بن سمرة وعبد الله بن يزيد الخطمي وحذيفة وأبي أسيد كانوا يجعلون خواتم من ذهب وأغرب من هذا ان البراء روى عنه حديث النهي المتفق على صحته وهو حديث

---

(١) قوله اخسؤا أي اسكتوا فيها سكوت ذلة وهوان وانزجروا انزجار الكلاب عن هذا القول اهـ مؤلف (٢) قوله هل جعلتم أسنده اليهم باعتبار المشاورة والموافقة اهـ من خط المؤلف (٣) قوله فأكل منها أي مضغ مضغة ثم رماها أو ازدردها قولان ويجمع بينهما بأنه ابتلع ما انفصل منها بريقه دون اللحم اهـ من خط المؤلف

الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه وفيهم بشر بن البراء (١) فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر عظما آخر فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمته ازدرد بشر بن البراء ما فى فيه وأكل القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى انها مسمومة وفيه ان بشر بن البراء مات (٢) وفيه انه دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء (١٦٠) بشر بن البراء فقتلوها (٣) رواه الدمياطى وفى مغازى سليمان التيمى انها قالت ان كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لى الآن انك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أنى على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله قال الزهرى فانصرف عنها حين أسلمت وفيه موافقة الزهرى على اسلامها والحاصل ان الذى فى حديث جابر وأبى هريرة انه لم يأمر بعقابها والذى رواه ابن سعد والدمياطى انه دفعها الى اولياء بشر فيحتمل ان يكون لاجل اسلامها لم يعاقبها وعليه الزهرى والتيمى ومن ثم جزم فى الاصابة بأنها صحابية ويحتمل ان يكون تركها أولا لانه لا ينتقم لنفسه ولما مات بشر قتلت قصاصا وهذا هو الذى يستفاد من كلام الناظم ويحتمل ان يكون تركها أولا لكونها اسلمت وانما أخر قتلها حتى مات بشر لان بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه قاله الحافظ ابن حجر العسقلانى قيل وفيه نظر لان قصتها ان صحت على هذا الوجه كان فعلها قبل الاسلام وبعد الاسلام لا تؤاخذ بما صدر منها اه ويجاب بأنه صلى الله عليه وسلم اعتبر فى وجوب القصاص الموت لا سببه لان موت ابن البراء كان بعد اسلامها

بعض

أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع وذكر الحديث وفيه نهانا عن خاتم الذهب وقد ورد ان البراء كان يلبسه روى أحمد عن البراء قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فالبسنيه وقال البس ما كساك الله ورسوله قال العسقلانى ثبت عن البراء انه لبسه بعد النبى صلى الله عليه وسلم فالجمع بين روايته وفعله اما بان يكون حمل النهى على التنزيه أو فهم الخصوصية من قوله البس ما كساك الله ورسوله ثم ذكر ما يؤيد هذا الاحتمال الثانى فانظره * (تنبيهان) * الاول فهم مما تقدم حكم التختم بالفضة وبالذهب وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى بيد رجل خاتما من ذهب فقال انزع عنك حلية أهل النار ثم جاء وفى يده خاتم من صفر فقال مالى أجد منك ريح الاصنام فطرحه ثم جاء وعليه خاتم من حديد فقال مالى أرى عليك حلية أهل النار قال يارسول الله مم أتخذه قال اتخذه من فضة ولا تتمه مثقالا كذا ذكره عز الدين بن جماعة فى سيرته وحديث الشيخين اطلب ولو خاتما من حديد يدل على ان النهى ليس للتحريم بل للكراهة وهو الذى نقله البرزلى عن ابن رشد وظاهر الرسالة المنع وعليه فقوله فى الحديث ولو خاتما من حديد المراد منه المبالغة فلا يدل على الجواز وروى أبو داود بسند جيد انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم حديد ملوى عليه فضة قال بعضهم ولعل هذا الخاتم خاتم الفضة التى قال الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم طرحها بعد ان لبسها وتقدم فى الباب قبل هذا ما قيل فى رواية الزهرى هذه أو يحمل حديث النهى عن الحديد على ما كان صرفا * (الثانى) * فى خبر ضعيف كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد حاجة أوثق فى خاتمه خيطا وروى أبو يعلى كان صلى الله عليه وسلم اذا أشفق من الحاجة ان ينساها ربط فى اصبعه خيطا ليذكرها لكن قيل انه موضوع ذكره ابن حجر والله أعلم * قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن أنا محمد بن عيسى وهو ابن الطباع) أخرج حديثه البخارى فى التعليق والاربعة (حدثنا عباد بن العوام) أخرج حديثه الستة (عن سعيد بن ابى عروبة) أخرج حديثه الستة (عن قتادة عن أنس بن مالك ان النبى صلى الله عليه وسلم تختم فى يمينه) * قال المصنف فى جامعه هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو هذا الا من هذا الوجه وروى

(١) بشر بن البراء بن معرور الانصارى الخزرجى الصحابى ابن الصحابى البدرى وشهد ما بعدها حتى مات رضى الله عنه اه مؤلف

(٢) جزم السهيلى بأنه مات بعد حول وقيل من ساعته اه من خط المؤلف

(٣) ونحوه عند ابن سعد عن شيخه الواقدى باسانيد متعددة قال وهو الثابت فيقدم على حديث جابر المتقدم اه مؤلف

فوجب القصاص ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء هل المعتبر فى وجوب القصاص الموت أو سببه

(من فضلا على هوازن اذ كا * نت له قبل ذاك فيهم ربا)

من هو معطوف بحذف حرف العطف على لم تعاقب خلافا لما يوهمه كلام الشارح انه استئناف أى أنعم نعمة عظيمة فضلا مفعول مطلق كفرحت جذلا أو مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما ذكر الله تعالى فاما منا بعد واما فداء فمن بتخلية سبيلهم بعد أن ملكهم المسلمون اى رفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والتى تليها المستفادة من اذ أن منه معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح أن تكون الثانية علة للاولى وايهامه قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم وأعلق على هوازن بمن أو بفضلا اكتفاء بقرينة السياق وهوازن قبيلة حليمة السعدية رضى الله عنها وهم أهل حنين المذكور فى القرآن وهو واد قريب من ذى المجاز السوق المشهور من أسواق الجاهلية بناحية عرفة بين ذلك الوادى وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت أشراف هوازن وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان فى اثنى عشر ألفا عشرة جاء بهم من المدينة وألفان من طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وأمر أن يجعل سبى هوازن وغنائمهم بالجعرانة حتى يأتى اليهم وكان السبى وهو النساء والذرارى ستة آلاف رأس والابل أربعة وعشرون ألفا والغنم فوق أربعين ألفا وأربعة آلاف أوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم فجاؤا مسلمين فقالوا

بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تختم فى يساره وهو حديث لا يصح أيضا اه قال فى جمع الوسائل وأغرب ابن حجر فجعل هذا الذى فى جامعه من متن الشمائل أيضا اه وقوله لا يصح أيضا أى من هذا الوجه والا فقد صح من طريق أخرى وقد تقدمت رواية مسلم عن أنس وأبى داود عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى يساره وتقدم ان النووى قال كلتا الروايتين صحيحة

(باب ما جاء فى صفة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ذكر تراجم آلات الحرب بعد ترجمة الخاتم التى اتخذها لختم رسائل الملوك اشارة الى أن القتال انما يكون بعد الدعاء الى الاسلام وبدأ من آلات الحروب بالسيف لانه أنفعها وأيسرها وأغلبها استعمالا وأيضا فان تحلية السيف رخصة للذكور كاتخاذ خاتم الفضة * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا وهب بن جرير نا أبى عن قتادة عن أنس قال كان قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة) أخرجه المصنف فى جامعه أيضا وأبو داود والنسائى والدارمى والقبيعة بفتح القاف وكسر الموحدة ما على رأس مقبض السيف من فضة أو حديد أو غيرهما على ما قاله الجوهرى ونحوه فى النهاية وقيل هى ما تحت شاربى السيف مما يكون فوق الغمد فيجىء مع قائم السيف وقائم السيف مقبضه قاله الزبيدى ولا خصوصية للقبيعة فقد جزم ابن القيم بأن قائمته وحلقته وذؤابته وبكارته ونعله من فضة ويدل له ما رواه ابن سعد عن عامر قال أخرج الينا على ابن الحسين سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبيعته من فضة وحلقته التى يكون فيها الحمائل من فضة وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال كانت نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلقته وقبيعته من فضة وعن أنس قال كانت نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فضة وقبيعته فضة وما بين ذلك حلق فضة انظر المناوى وكانت له عليه السلام تسعة أسياف لكل واحد اسم خاص وكأنه لم يثبت عند المصنف عددها ولا أسماؤها فلذلك لم يذكرها وقال العراقى رحمه الله

أسيافه الحتف وذو الفقار * مأثور والعضب مع البتار
كذاك مخذم كذا رسوب * والقلعى لم يسم والقضيب

وكانت القبيعة لسيفه ذى الفقار بكسر الفاء وفتحها وكان لا يكاد يفارقه ودخل به

يارسول الله انا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك فامنن علينا منّ الله عليك وقام رجل من بنى سعد حليمة فقال يارسول الله انما فى الحظائر عماتك وخالاتك لانهن قرابات حليمة وحاضناتك اللاتى كن يكفلنك ولو انا أرضعنا الحرث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل الذى نزلت فيه رجونا عطفه وأنت خير المكفولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه (١٦٢) أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فقالوا أبناؤنا ونساؤنا فقال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر بالمسلمين فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم فضل المسلمين ففعلوا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس من بنى سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من أول سبى من نصيبه بما طابت به نفوسهم فردوا من بقى عندهم

(وأتى السبى فيه أخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا
س به أنما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء
اى فضل حواه ذاك الرداء

يوم الفتح مكة وهو الذى رأى فيه الرؤيا اى وقعة أحد وسمى ذا الفقار لان فى ظهره فقرات كفقرات الظهر غنمه عليه السلام من بدر وقيل صنع من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن أبى الحسن) أخى الحسن البصرى أخرج حديثه الستة وهذا الحديث مرسل لانه من أوساط التابعين لكن يشهد له الحديث المتقدم (قال كانت قبيعة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة) * قال المصنف (حدثنا أبو جعفر محمد بن صدران) بضم مهملة وسكون أخرى (البصرى نا طالب بن حجير) أخرج أيضا حديثه البخارى فى الادب المفرد له (عن هود) بالتنوين (وهو ابن عبد الله ابن سعيد) اى العبدى قال فى جمع الوسائل كذا وقع فى بعض نسخ الشمائل المقروءة وصوابه سعد بغير ياء أخرج ايضا حديثه البخارى فى الادب (عن جده) اى لامه كما فى نسخة وهو مزيدة بفتح الميم واسكان الزاى وفتح الياء كذا ضبطه الاكثر قال العسقلانى ككبيرة ابن مالك العصرى بفتح مهملتين العبدى ابن عبد القيس صحابى قال ابن منده وكان من الوفد الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنزلت فقبلت يده (قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح) كان ذلك فى اليوم العاشر من شهر رمضان المعظم سنة ثمان من الهجرة وكان فى عشرة آلاف وكان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود كان بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى حنين فاستعمل على مكة عتاب بن أسيد يصلى بهم ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفرائض وفى ذلك دليل على ان الصلاة والعلم أهم أمور الدين وآكد ذلك العلم فانه ملاك الامر (وعلى سيفه ذهب وفضة قال طالب فسألته عن الفضة) اى محلها من السيف (فقال كانت قبيعة السيف فضة) فهم من هذا الحديث جواز تحلية السيف بالذهب كما يفهم منه ومن الاحاديث قبله جوازها بالفضة وعلى الجواز فيهما اقتصر الشيخ خليل وقيل لا تجوز تحلية السيف بالذهب وأما قوله وعلى سيفه ذهب وفضة فيحتمل أن المراد أن فضته كانت مموهة بالذهب وليس المراد انه كان فيه ذهب خاص ويرشد الى هذا قوله فسألته عن الفضة حيث لم يسأل عن الذهب على ان هذا الحديث ضعيف وقد ذكره صاحب

فقدت فيه وهى سيدة النسوة والسيدات فيه اماء)

السبى فى الاصل الاسر والمراد به هنا المسبى اى أتى المأسورون الى الجعرانة للقسم فيها على المسلمين وكان ذلك السبى فيه أخت النبى صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها الشيماء ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله انى أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك فى ظهرى فعرفها رسول الله صلى

الاستيعاب

الله عليه وسلم لكن وضع اى خفض الكفر القائم بها قدرها وكذلك وضع قدرها السباء اى الاسر القائم بها فاضمحل فى جنب هذين ما فيهما من اخوته صلى الله عليه وسلم ثم من الله عليها بالاسلام فحباها أى أعطاها ما لم يكن فى حسابها وجاد على قومها لاجلها برا أى لاجل برهبها اذ رحم الرضاع كرحم النسب ويجوز أن يكون برا هو المفعول الثانى بدليل ابدال قوله بسط منه توهمت الناس الذين رأوا ذلك البر اى وقع فى وهمهم اى ذهنهم به أى بسبب ذلك البر الذى وصل اليها منه أنما بفتح الهمزة أداة حصر السباء اى المسبيات اللواتى معها فى السبى هداء بالكسر مصدر هديت المرأة الى زوجها اى مهديات كرجل عدل والجملة فى محل مفعول توهمت الناس اى توهموا ان النسوة اللواتى معها فى السبى لم يسبين لعظم ما قابلهن به من الاكرام وانما جئن لاهداء عروس وجلائها عليه صلى الله عليه وسلم ثم أبدل من حباها أو من برا قوله بسط الخ والظاهر ان من زائدة على مذهب الاخفش ومن تبعه من عدم اشتراط النفى وشبهه اى نشر صلى الله عليه وسلم لها رداء كان عليه وجعله لها فراشا تجلس عليه ويصح أن تكون تبعيضية وعلى كل حال تهنيئا لها بذلك الاكرام اى فضل اى شرف عظيم لا غاية له حواه اى جمعه ذلك الرداء بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وحينئذ خيرها فقال ان أحببت بقيت عندى مكرمة محببة وان أحببت متعتك ورجعت الى أهلك فاختارت قومها فأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم تزل فيهم بقية من نسلهما فغدت اى صارت مندرجة فيه اى فى ذلك الفضل والحال انها هى سيدة وأولئك النسوة اللواتى معها من سبى هوازن لما حصل لها من التمييز الباهر عليهن وان أولئك النسوة اللواتى هن السيدات قبل أسرهن فيه اى فى ذلك الفضل اماء اى صارت كأنها سيدتهن وكأنهن مع كونهن سيدات اماء لها وبين السيدات والاماء طباق وجملة الاخيرة مؤكدة للاولى

الاستيعاب فى ترجمة مزيدة العبدى وقال ليس اسناده بالقوى وقال ابن القطان هو عندى ضعيف لا حسن وقال أبو حاتم الرازى منكر ولا يصح الجواب بأن هذا قبل ورود النهى عن تحريم الذهب لان تحريمه كان قبل الفتح على ما نقل الشيخ زروق والمشهور فى تحلية سائر آلات الحرب المنع وثالثها الجواز فيما يطاعن به ويضارب دون ما يتقى به ويتحرز اه فعلى المشهور لا تجعل الحلية فى لجام ولا سرج ولا سكين ولا فى غير ذلك من آلات الحرب اقتصارا على ما ورد فى الشرع وهو السيف وقال الحطاب على قول الشيخ خليل وحرم استعمال ذكر محلى ولو منطقة وآلة حرب الا المصحف والسيف أشار بلو الى الاقوال الثلاثة المقابلة للقول المشهور وهى الجواز مطلقا والجواز الا فى السرج واللجام والسكاكين والمهاميز والجواز الا فى هذه وفيما يتقى به اه * قال المصنف (حدثنا محمد بن شجاع) بضم الشين وقيل انه مثلث (البغدادى) أخرج حديثه النسائى ايضا (نا أبو عبيدة الحداد) أخرج حديثه ايضا البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى (عن عثمان بن سعد) ضعيف أخرج حديثه ايضا أبو داود (عن ابن سيرين) لقب لمحمد بن سيرين من بين اخوته (قال صنعت) وفى نسخة صغت والمراد انه أمر بذلك (سيفى على سيف سمرة) اى ابن جندب اى على شكله وصفته (وزعم سمرة) اى قال أو ظن (انه صنع) بصيغة المعلوم أو المجهول من الصنع (سيفه) وفى نسخة صيغ بصيغة المجهول من الصوغ وسيفه نائب الفاعل (على سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان) اى السيف (حنفيا) اى على هيئة سيوف بنى حنيفة قبيلة مسيلمة بمعنى انه كان من عملهم وهم معروفون بحسن صنعة السيوف ويحتمل انه أتى به من بنى حنيفة وان لم يكونوا صنعوه ثم يحتمل أن يكون هذا من كلام ابن سيرين اى قال ابن سيرين وكان سيف سمرة حنفيا أو من كلام سمرة اى قال سمرة وكان سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم حنفيا ويمكن أن يكون على هذا التقدير ايضا من كلام ابن سيرين على سبيل الارسال انظر جمع الوسائل قال المصنف فى جامعه هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وقد تكلم يحيى بن سعيد القطان فى عثمان بن سعد الكاتب وضعفه من قبل حفظه * قال المصنف (حدثنا عقبة) بضم فسكون (ابن مكرم) بصيغة المجهول من الاكرام (البصرى) اخرج حديثه مسلم وغيره

(حدثنا محمد بن بكر) أخرج حديثه الستة (عن عثمان بن سعد بهذا الاسناد) اى المذكور قبل (نحوه) كأنه يريد الى آخر الاسناد والحديث المتقدم والله أعلم

* (باب ما جاء فى صفة درع رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

الدرع بكسر الدال المهملة يذكر ويؤنث وهو هنا جبة من حديد ويسمى الزرديه سنع حلقا حلقا وهو من ملابس الحرب فلذلك ذكره المصنف عقب باب السيف وفى هذا الكلام مضاف مقدر اى صفة لبس درعه ليوافق حديثى الباب كذا ذكره بعضهم قال فى جمع الوسائل وهو حسن وقول ابن حجر هو غفلة عما يأتى فيهما على انه ليس فى أولهما صفة اللبس اه خطأ الا فى قوله كان عليه درعان صفة لبسه وهو لبس الاثنين فيه اه وكان له صلى الله عليه وسلم سبعة أدرع قال العراقى نفعنا الله به

ادراعه سبعة السغدية * ذات الفضول وكذا الفضة

ذات الحواشى ما لها كناه * ذات الوشاح الخرنق البتراء

وقال بعضهم

سبع من الادراع كانت للرسول * ذات الوشاح والحواشى والفضول

سغدية بتراء ثم خرنق * وفضة فعدها محقق

ويقال السعدية كانت درع داود التى لبسها لقتال جالوت وهى وفضة أصابهما من بنى قينقاع وذات الفضول سميت بهذا الاسم لطولها أرسلها اليه سعد بن عبادة حين سار الى بدر قال بعضهم وهى التى رهنها صلى الله عليه وسلم (١) وأخرج ابن سعد من طريق حاتم بن اسمعيل وسليمان بن بلال كلاهما عن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان درع النبى صلى الله عليه وسلم لها حلقتان من فضة عند موضع الثدى أو قال عند موضع الصدر وحلقتان خلف ظهره قال فلبستها فخطت الارض (حدثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد الاشج) أخرج حديثه الستة (نا يونس بن بكير) أخرج حديثه الجماعة الا النسائى (عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير) أخرج حديثه الاربعة (عن أبيه) اى عباد أخرج حديثه الاربعة (عن جده عبد الله بن الزبير) أحد العبادلة الاربعة وهو من كبار متأخرى الصحابة عام زاهد استخلف بعد معاوية وملك بلاد الاسلام سوى الشام صلبه الحجاج (عن الزبير بن العوام) كذا فى بعض النسخ وهكذا

التى هى حال من فاعل غدت

(فتنزه فى ذاته ومعانيه * استماعا ان عز منها اجتلاء)

(واملأ السمع من محاسن يمليها * عليك الانشاد والانشاء)

(كل وصف له ابتدأت به استو * عب أخبار الفضل منه ابتداء)

التنزه حقيقة التباعد عن الادناس ويستعمل فى النزهة فى الرياض ونحوه لان فيه تباعدا عن الاكدار والاغيار فشبه جماله صلى الله عليه وسلم بالمتنزه الرفيع البديع الجامع لاشتات المحاسن على سبيل الكناية ودل على ذلك بالامر بالتنزه وهذا أولى مما فى ابن حجر وغيره اى استعمل جوارحك وقالبك وقلبك فى النزهة فى أوصاف ذاته وأوصاف معانيه الخارجة عن أوصاف ذاته من جهة اصغائك الى استماع أوصاف ذاته وجميل صفاته ان فقد اجتلاء منها أى ابصار ورؤية من جلوت العروس جلاء وجلوة واجتلوتها اذا نظرت اليها مجلوة اى مكشوفة مزينة اى ان فاتتك رؤية ذاته الكريمة ومشاهدة صفاته العظيمة فلا يفتك تفريغ سمعك لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته وعلى صفاته ولا تقتصر على سماعك لقليل من ذلك بل املأ السمع بأن تكثر من سماع ذلك حتى لو فرض ان ما تسمعه شئ محسوس وان سمعك اناء واسع لملأه ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه وسلم لا يلحق أحد آثارها ولا يشق كامل غبارها والمحاسن جمع حسن على غير قياس ويمليها من أمليته الكتاب ويجوز أملته اى يلقيها عليك الانشاد من غير الناظم والانشاء منه وانشاد الشعر قراءته وسماعه وانشاؤه وضعه واختراعه ومما يحملك على استفراغ وسعك فى ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك أن تعتقد أن محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك أن تحيط بها او كيف وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدأت أنت أو أنابه فى الذكر أو ابتدأت بذكره لتحيط بغايته استوعب أخبار الفضل مفعول مقدم اى جميع أخبار الفضائل والكمال منه

أخرجه

(١) بياض بالنسخ بايدينا ولعل الشارح أراد أن يكتب عند أبى الشحم اليهودى اه مصحح

متعلق بقوله ابتداء الذى هو فاعل استوعب اى كلما ابتدأت بوصف له صلى الله عليه وسلم وتأملت ما اشتمل عليه صريحا وايماء جمع ذلك الوصف المبتدأ به جميع أنواع الفضائل وغاية الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه صلى الله عليه وسلم آخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق كمال وصف من أوصاف الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل فى بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ (١٦٥) فكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه منها ايماء واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتأمله وههنا شرع الناظم رحمه الله فى ذكر شئ من خلقه صلى الله عليه وسلم وصفاته الظاهرة الزكية الطاهرة المنيعة الباهرة ليعرفها الجاهل ويستحضرها الغافل ويتوصل الخلى الى تحلية باطنه بتشخصه فانه من أشرف العبادات والى جلب رؤيته من جارى العادات لان من أكثر من ذكر محبوبه واستعمل فكره فى أوصاف مرغوبه كان سببا فى نظر طلعته ومشاهدة بهجته والى التمييز بين الرؤية الصحيحة والسقيمة من الادلة المستقيمة وليتبرك المؤمن بذلك ويعمر به وقته ويحرك ما فيه من الحب الساكن والشوق الكامن ويحصل من انشراح الصدر وتفريح القلب ما يناسب اجتلاء تلك المحاسن وبتذكرها أيضا يزيد وينمو ويتضاعف ويتجدد الاقبال على الخير والتحلى بانواع البر ولذا قال فتنزه أى يا كل من يتأتى له ذلك فهو ايقاظ لاعمال الفكر وقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا فانها تحدث للسامع سكرا وطربا وذلك يحدث عنها بسببين أحدهما انها فى نفسها توجب لذة قوية ينغمر بها العقل الثانى انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره فى الذهن وقرب صورته من القلب

أخرجه المؤلف فى جامعه وبذكره يكون الحديث مسندا متصلا وبحذف الزبير كما فى بعض النسخ يحتمل أن يكون الحديث من مراسيل الصحابة بأن يكون سمعه من أبيه الزبير وحذفه فى الاصل وعليه يكون قوله بعد فسمعت النبى يقول أوجب طلحة غير كذب والا فان عبد الله بن الزبير لم يحضر وقعة أحد فان مولده فى السنة الاولى من الهجرة ويقال فى السنة الثانية وهو الارجح ووقعة أحد كانت فى السنة الثالثة من الهجرة ويؤيد كونه مرسلا الحديث بعد ومعلوم ان مرسل الصحابة حجة عند الكل (قال) أى الزبير أو ابنه نقلا عنه (كان على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان) هما ذات الفضول وفضة كما رواه بعض أهل السير (فنهض الى الصخرة) أى أراد أن يستعلى عليها (فلم يستطع) لثقل درعيه ولان النبى صلى الله عليه وسلم جرح جراحات وسال الدم من رأسه وجبهته لما أصابه من حجر رمى به روى انه صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته اليمنى وجرحت شفته السفلى وشج وجهه ودخلت حلقة المغفر فى وجنته ووقع فى حفرة من الحفر التى عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فسقط بين القتلى حتى قال ابن قمئة اقمأه الله قتلنا محمدا فأراد صلى الله عليه وسلم أن يستعلى على الصخرة ليراه الناس ويعلم حياته فلم يستطع (فاقعد طلحة تحته) هو طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى أحد المبشرين بالجنة والثمانية الذين سبقوا بالاسلام والستة أصحاب الشورى شهد المشاهد الا بدرا فكان فيها غائبا بالشام فى مصلحة للمسلمين فضرب له النبى صلى الله عليه وسلم بسهمه وسماه طلحة الخير وطلحة الجود وطلحة الفياض باع أرضا بسبعمائة ألف ففرقها على فقراء المدينة فى ليلة فأصبح وعنده منها درهم (فصعد النبى صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة) حجر عظيم يكون غالبا فى سفح الجبل (قال) أى الزبير (فسمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أوجب طلحة) أى فعل فعلا يوجب له الجنة وهو قعوده للنبى صلى الله عليه وسلم حتى استعلى على الصخرة أو حيث جعل نفسه فداء ووقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جرح بضعا وثمانين جرحا وشلت يده فى دفع الاعداء عنه صلى الله عليه وسلم وكان راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينظر الى القوم فيقول طلحة يا نبى الله بابى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وقال له النبى

واستيلاؤها على الفكر وفى هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ماهو أعجب من سكر الشراب وأقوى فى اللذة من عناق الشواب وقد ذكر الامام أحمد رضى الله عنه وغيره ان الله تعالى يقول لداود فى الجنة مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا فيقول كيف وقد أذهبته فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم لاسيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك تغنى عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة قاله ابن حجر واعلم انه لما حاز باطن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الكمال كله فقد حاز ظاهره الجمال كله فكمل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرن له بين جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقا فن جماله ظهر كل جمال فهو اذن أجمل من كل أجمل ولذا يخضع له كل جميل فى الوجود ومن كماله تكون كل كمال فهو اذا أكمل من كل أكمل ولذا عرف بالتلذذ بالخضوع له كل أكمل وما أبدع قول مولاتنا عائشة رضى الله عنها

وأجمل منك لم ترقط عينى
وأكمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وكذا قول ابن الفارض على لسان الحضرة النبوية

وروحى للارواح روح وكل ما * ترى حسنا فى لكون من فيض طينتى

وهذا وعلى الجملة فقد أعطى سيدنا يوسف عليه السلام شطر الحسن والحسن كله لنبينا صلى الله عليه وسلم الا أنه صلى الله عليه وسلم كان ماسكا للارواح فلم يقع به افتتان ولذا قال الناظم

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وقد ذكر العلماء ان من تمام الايمان به الايمان بأن الله عز وجل خلق بدنه الشريف صلى الله عليه وسلم على وجه لم يظهر قبله

صلى الله عليه وسلم أنت ممن قضى نحبه أى نذره كأنه ألزم نفسه أن يموت على وصف فوفى به وقال صلى الله عليه وسلم فيه خير شهيد يمشى على وجه الارض وكان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة قال أبو بكر كنت أول من فاء فرأيت رجلا يقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دونه فقلت كن طلحة حيث فاتنى ثم نظرت الى رجل خلفى كأنه طائر فلم أنشب أن أدركنى فاذا أبو عبيدة بن الجراح فدفعنا الى النبى صلى الله عليه وسلم واذا طلحة بين يديه صريع فقال النبى صلى الله عليه وسلم دونكم اخاكم فقد أوجب قال وقد رمى صلى الله عليه وسلم فى جبهته ووجنته فأهويت الى السهم فى جبهته لانزعه فقال لى أبو عبيدة نشدتك الله يا أبا بكر الا تركتنى قال فتركته فاخذ أبو عبيدة السهم بفيه فجعل ينضنضه أى يحركه ويكره أن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استله بفيه ثم أهويت الى السهم الذى فى وجنته لانزعه قال أبو عبيدة نشدتك الله يا أبا بكر لا تركتنى فأخذ السهم بفيه فجعل ينضنضه ويكره أن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استله قتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن أربع وستين وقبره بالبصرة مشهور وقضيته هذه من أمثلة الغيبة فى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلولا ما كان فى قلبه من عظمة محبوبه وعزته وحلاوة وصله والقرب منه ولذة رضاه ومشاهدته وخدمته لما أطاق ذلك فان الطاقة البشرية لا تقوى على ذلك والشجاعة وان كانت غريزة لكن بلوغ هذا المبلغ العظيم من بذل الروح والفداء بالمهجة لا يكون لمجردها * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن يزيد بن خصيفة) بضم معجمة وفتح مهملة أخرج حديثه الستة (عن السائب بن يزيد) حضر حجة الوداع مع أبيه وهو ابن سبع سنين (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه يوم أحد) أى فى السنة الثالثة من الهجرة (درعان قد ظاهر بينهما) أى لبس احداهما فوق الاخرى حتى صارت كالظهارة لها والظهارة خلاف البطانة وقيل معناه أوقع الظهارة بينهما بأن لبس درعا ولبس فوقها ظهارة ثم لبس الدرع الاخرى فوق ذلك لان لبس درع فوق أخرى بدون حائل بينهما كالمتعذر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان السائب هذا لم يشهد وقعة أحد لما تقدم وعند أبى داود عن السائب عن رجل قد سماه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر يوم أحد بين درعين

ولابد منه بدن آدمى حسنا وكمالا وبهاء واعتدالا ولذا قال الناظم
فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم
وقد أفرد الناس التآليف فى أوصافه صلى الله عليه وسلم وشمائله كالترمذى وغيره والناظم رحمه الله ذكر بعضها فمن ذلك قوله

(سيد ضحكه التبسم والمشـ * ـى الهوينى ونومه الاغفاء)

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ما رأيته مستجمعا قط ضاحكا اى مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخارى أيضا فضحك حتى بدت نواجذه اى بالذال المعجمة وهى الاضراس وهى لا تكاد تظهر الا عند المبالغة فى الضحك لان عائشة انما نفت رؤيتها وذلك لا ينافى وقوع غير التبسم منه نعم الذى دل عليه مجموع الاحاديث ان الغالب من حاله هو التبسم وربما ضحك والمنهى عنه هو كثرته لانه يميت القلب والتبسم مبادى الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من السرور مع صوت خفى فان كان فيه صوت يسمع من بعيد فهو القهقهة قالت من تتبع الاحاديث التى ورد فيها ان النبى صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وجدها كلها فى الاخبار عن أمور الآخرة وعن سعة رحمة الله سبحانه فيها فكان يبالغ فى ذلك لاجل كثرة الفرح بما هنالك لشدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر أمته

وأما مشيه صلى الله عليه وسلم فكان الهوينى تصغير الهون وهو السكينة والوقار فالتصغير للتعظيم كقوله
وكل أناس سوف تحدث بينهم * دويهية تصفر منها الانامل
وقد مدح الله تعالى من يمشون كذلك فقال عز من قائل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافى ذلك رواية الترمذى عن أبى هريرة ما رأيت أسرع من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث اى لانه كان يبارك له فى مشيه فلذلك كانوا

وهذا الرجل المبهم يحتمل أن يكون الزبير فانه روى معنى هذا الحديث كما تقدم وقد ذكره صاحب الاستيعاب فى ترجمة معاذ التيمى فنقل عن السائب عن رجل من بنى تيم يقال له معاذ ان رسول الله الخ ويحتمل أن يكون طلحة ويؤيده ما وقع فى البخارى عن السائب قال صحبت ابن عوف وطلحة بن عبيد الله والمقداد وسعدا فما سمعت أحدا منهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انى سمعت طلحة يحدث عن يوم أحد وقد أخرج أبو يعلى من طريق يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن طلحة أنه صلى الله عليه وسلم ظاهر بين درعين يوم أحد انظر العسقلانى وانما ظاهر صلى الله عليه وسلم بين درعين مع انه سيد المتوكلين والعارفين برب العالمين اهتماما بشأن الحرب وتعليما للامة الاخذ بالحذر من العدو واشارة الى أن الحزم والتوقى من الاعداء لا ينافى التوكل والتسليم والرضا اذ ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل بل ينبغى أن يكون مقرونا بالسبب ولهذا لم يبرز للقتال منكشفا وقد قال صلى الله عليه وسلم للاعرابى الذى أهمل الناقة وقال توكلت على الله اعقلها وتوكل وقال تعالى خذوا حذركم وقال فى كيفية صلاة الخوف وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وقال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال لموسى عليه الصلاة والسلام فأسر بعبادى ليلا وقد اختفى صلى الله عليه وسلم فى الغار واستأجر الخبير واتخذ خندقا حول المدينة يحترس به من العدو وأقام الرماة نحو أحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها تعمية واخفاء وقال الحرب خدعة وقال التدبير نصف العيش مدحا لهذا التدبير بقرينة قوله بعده والتودد نصف العقل قال العلماء أى النظر فى أدبار الامور وعواقب الانفاق الذى يحترز به عن الاسراف والتقتير فان كمال العيش شيئان مدة الاجل وحسن العيش فيه قال شيخنا المحقق فى شرحه على الحكم وأما حمله على الذم أى نصف عيش لا عيش كامل فبعيد من السياق اه ثم ان كانت غزوة أحد قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس فالامر ظاهر وان كانت بعد نزولها فيكون تحصنه صلى الله عليه وسلم مما عدا القتل كالجرح والكسر وقد كان يحرس حتى نزلت الآية فقال انصرفوا فقد عصمنى الله ربى والله اعلم

(باب فى صفة مغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم)

لايلحقونه وعن علي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب وفي رواية له كان اذا مشى
تقلع يعني انه كان يستعمل التثبت في مشيه مع رفق وسكينة ووقار *(تنبيه)* روى ابن سبع انه صلى الله عليه وسلم
ألطف خلق الله ولذا لم يؤثر مشيه في الرمل ولا ينافيه تاثيره في الحجارة فانه لبقاء أثره وتبكيت حاسديه وأيضا الان الصخر
ودخلته الرطوبة وثبت الرمل ولم ينزل لئلا يصيبه تعب واعياء فذلك استحياء والى هذا يشير شيخ شيوخنا ابن
زكري بقوله

لين القدمين لان له الصخـ
ـر ورمل تحابس استحياء

ولله در القائل

هو الذي اختاره الباري وأرسله
برا رؤفا رحيما بالمساكين
ان سار في الرمل لم تنظر له أثرا
وان علا الصخر عاد الصخر كالطين

وكان صلى الله عليه وسلم اذا مشى معه أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهري للملائكة اى وليشاهد أحوالهم أيضا وكان اذا مشى في شمس أو قمر لم يرله ظل فيهما كما يأتي *وأما نومه صلى الله عليه وسلم فهو الاغفاء أي أخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء كان تنام عينه ولا ينام قلبه ومن ثم لم ينتقض وضوءه بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لايدري ماهو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم في الوادي عن صلاة الصبح حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة قصاما
العين لا القلب فهي نائمة والقلب يقظان مستغرق في شهود ربه وما يفيضه عليه من معارفه فلذلك لم يدرك مرور الوقت
الطويل وفي الواقعة من تشريع الاحكام الكثيرة مالايخفى ثم شرع الناظم في ذكر بعض محاسن أخلاقه صلى الله عليه
وسلم فقال

(ما سوى خلقه النسيم ولا غيـ ـر محياه الروضة الغناء)

في نسخة ابن حجر ماجاء في مغفر الخ باسقاط لفظ صفة ولعله هو الصواب لانه ليس في حديث من أحاديث الباب تعرض لصفته والمغفر بكسر الميم وفتح الفاء ما يلبس تحت البيضة ويطلق على البيضة أيضا وأصل الغفر الستر كذا في القرب وقيل هو ما يكون منسوجا من حلق الدرع خارجا من الدرع على الرأس كهيئة قب البرنوس (حدثنا قتيبة بن سعيد نا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه مغفر) وفي رواية من حديد ولا يعارض هذا الحديث ما في مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحدكم أن يحمل بمكة السلاح لان مكة أبيحت له صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ولم تحل لاحد بعده كما صح عنه صلى الله عليه وسلم فلذا دخلها متهيأ للقتال أو لان النهي اذا لم تدع ضرورة لحمله ولذا دخل عام عمرة القضاء والسلاح في القراب أو لان المراد النهي عن حمل السلاح للمحاربة مع المسلمين أو لان النهي انما كان بعد هذا على أنه يجوز له صلى الله عليه وسلم ما لا يجوز لغيره قاله في جمع الوسائل (فقيل له) أي بعد أن نزع المغفر كما يأتي في الحديث بعد (هذا ابن خطل) بمعجمة ومهملة مفتوحتين اسمه عبد العزى فلما أسلم سمي عبد الله (متعلق باستار الكعبة) خبر بعد خبر أي خوفا من أن يقتل لانه كان ارتد عن الاسلام بعد أن كتب الوحي وقتل مسلما كان يخدمه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة نزل منزلا وأمره أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ثم نام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله واتخذ قينتين تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين احداهما فرتنى أسلمت والاخرى قريبة قتلت كافرة (فقال اقتلوه) الخطاب بهذا على سبيل فرض الكفاية فسقط بقتل واحد واختلف في قاتله فقيل سعيد بن زيد رواه الحاكم وقيل سعد بن أبي وقاص رواه البزار وقيل الزبير بن العوام رواه الدارقطني والحاكم والبزار والبيهقي في الدلائل وقيل عمار بن ياسر رواه الحاكم وقيل سعيد بن حريث ذكره أهل السير وقيل أبو برزة الاسلمي قال القسطلاني في المواهب وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله وتحمل بقية الروايات على انهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم أبو برزة ضرب عنقه بين الركن والمقام ثم لا دليل في هذا لمن قال بحتم قتل الساب وهو مذهب مالك رحمه الله وجماعة لان هذا كان كافرا وعلى تقدير انه أسلم فيحتمل انه قتل

أى ليس غير خلقه النسيم أى الريح التى فى غاية اللطافة واللين والطيب يعنى لا يشبهها اخلاق أحد الاخلاقه الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة والخلق قال الراغب هو بالضم والفتح فى الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة والحق أنه غريزى وتمامه مكتسب لخبر البخارى ان الله قسم بينكم أخلاقكم (١٦٩) كما قسم أرزاقكم وفى الصحيح أيضا اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وصح أيضا أنه كان يقول فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق ولا يهدى لاحسنها الا أنت فهو جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه فمن عدم حسنه أو كماله أمر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بأنه ملكة تسهل على صاحبها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال مالا يحصره حد ولا يحيط به عد أثنى الله عليه فى كتابه الكريم فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظيم وزاد فى المدحة باتيانه بعلى المشعرة بأنه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصفه بالعظم دون الكرم الغالب وصفه به لان كرمه يراد به السماحة وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور

على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة للمؤمنين كان عنده غاية الشدة والغلظة على الكافرين فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم تكن له همة فى سوى الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الاعمال وفى الموطا بلاغا بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه ومن ثم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن قال السهروردى

قصاصا بالمسلم الذى قتله ولا حجة فيه أيضا على اقامة الحد والقصاص فى المسجد لانه لم يكن اذ ذاك مسجدا انما كانت الكعبة فقط ثم بعد ذلك أدار به عمر رضى الله عنه سورا كذا قيل وفيه نظر وقد سماه الله تعالى مسجدا قبل ذلك ولا على ان الحرم لا يمنع من اقامة الحدود كما هو مذهب المالكية لان مكة اذ ذاك كانت دار حرب وابن خطل مرتد التحق بالمشركين فوقعت المصالحة بقتل أربعة منهم ثم على القول بأن مكة لم تفتح عنوة واما على الصحيح ان فتحها كان عنوة فلا اشكال فيه قاله فى جمع الوسائل وفى الاكمال فيه حجة لمن قال باقامة الحدود بها لان الذى أحل له منها قتالها حتى استولى عليها وقتله لابن خطل انما كان بعد استيلائه وغلبته واذعان أهلها اه قال ابن حجر وهو ظاهر ان ثبت تأخر قتل ابن خطل عن الساعة التى أحلت له ثم الحديث لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن لان ابن خطل ممن استثناه النبى صلى الله عليه وسلم روى الدارقطنى والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا آمنهم لا فى حل ولا فى حرم الحويرث بن نقيد وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبى سرح وفى حديث سعد بن أبى وقاص عند البزار والحاكم والبيهقى فى الدلائل نحوه لكن قال أربعة نفر وامرأتان وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة اه وقد أسلم ابن أبى سرح فلم يقتل وقد حكى ابن عطية فى معنى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا ثلاثة أقوال أحدها ان هذا كان فى الجاهلية أما فى الاسلام فمن ارتكب موجب حد أقيم عليه ولا يجيره الحرم الثانى ان هذا فى الجاهلية والاسلام لان الاسلام زاد البيت شرفا وتوقيرا فلا يتعرض لمن جنى والتجأ اليه ولكن لا يكلم ولا يعامل حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج أقيم عليه والثالث كان آمنا من النار وضمير دخله للبيت أو للحرم لانه بسبب البيت وحرمته * قال المصنف (حدثنا عيسى بن أحمد) ثقة أخرج حديثه النسائى أيضا (نا عبد الله بن وهب نى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح) أى سنة ثمان من الهجرة (وعلى رأسه المغفر) جمع القاضى عياض بين هذا الحديث وحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء الآتى فى الباب بعد بأنه صلى الله عليه وسلم نزع المغفر عقب

فى عوارفه فى قولها ذلك رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بالطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها اه وقال بعض العارفين لما كان خلقه أعظم خلق بعثه الله تعالى الى جميع العالمين وعلم من كلام عائشة ان كمالات خلقه لا تتناهى كما ان معانى القرآن لا تتناهى وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق لم يكن باكتساب ولا رياضة وانما كان فى أصل خلقته بالجود الالهى والامداد الرحمانى الذى لم تزل تشرق أنواره فى قلبه الى ان وصل لاعظم غاية وأتم نهاية واعلم ان كمال الخلق انما ينشأ عن كمال العقل لانه هو الذى تقتبس به الفضائل وبه تجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة فهو جوهر الانسان ولكن جوهره الصبر وعقل نبينا صلى الله عليه وسلم وصل فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى أبو نعيم عن وهب انه وجد فى احد وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم ولا كحبة رمل بين رمال جميع الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم مع انه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم استدلاله من العقلاء المحدثين وقوله ولا غير محياه الروضة الغناء المحيا الوجه والغناء الكثيرة النبات والثمار والازهار أى ليست الروضة الغناء الاوجه لانه أحسن الخلق وجها صلى الله عليه وسلم

دخوله ثم لبس العمامة السوداء فخطب بها واختار العراقى هذا الجمع قال فى جمع الوسائل وفيه ان ظاهر الحديث يدل على ان العمامة كانت على رأسه حين دخوله مكة لان زمان الحال يجب ان يكون متحدا مع زمان عامله اللهم الا أن يقصد الاتساع فى زمان دخوله مكة والله أعلم اه قلت لم لا يقال انه صلى الله عليه وسلم جمع بين المغفر والعمامة وأخبر كل من الراويين عن شئ وقد جزم القسطلانى بأن العمامة كانت فوق المغفر فلا يتعارض الحديثان ثم قول ابن حجر من اقتصر على المغفر بين انه دخل متأهبا للقتال ومن اقتصر على العمامة بين أنه دخل غير محرم اه يشعر بهذا الجمع لكن فيه ان لبس المغفر يكفى للدلالتين وأما ما حكاه ابن بطال عن بعضهم من انكار قول مالك وعليه المغفر وانه تفرد به والمحفوظ فى سائر الطرق انه دخل مكة وعليه عمامة سوداء اه فهو متعقب بأن العلماء وجدوا بضعة عشر نفرا غير مالك تابعوه فى ذكر المغفر (قال) أى أنس هذا هو المطابق للسياق خلافا لقول ابن حجر ان فاعل قال هو ابن شهاب وان الحديث معلق فانه على تسليمه مرسل (فلما نزعه جاءه رجل) قيل هو ابو برزة الاسلمى (فقال ابن خطل) مبتدا (متعلق بأستار الكعبة) خبر (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (اقتلوه) الخطاب للرجل ومن كان معه (قال ابن شهاب) هذا موصول بالاسناد المتقدم لما وقع فى الموطا من رواية أبى مصعب وغيره قال مالك قال ابن شهاب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ محرما (وبلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن) حينئذ (محرما) أى على صورة المحرم لانه كان لابسا لباس الحلال والله أعلم بالحال وقد أخرجه البخارى من طريق يحيى بن قزعة عن مالك بهذا الاسناد وقال فى آخره قال مالك ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فيما نرى والله أعلم محرما اه وانما لم يجزم بعدم الاحرام مع انه كان لابسا المغفر والعمامة على ما تقدم لان الاحرام بالنية واللبس جائز للضرورة وعليه يحمل قول جابر فى رواية مسلم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام وأما قول الطحاوى ان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة غير محرم من خصائصه ودليله قوله صلى الله عليه وسلم انها لم تحل لى الا ساعة من نهار وان المراد بذلك جواز دخولها بغير احرام لا تحريم القتال فيها لانهم أجمعوا على ان المشركين لو غلبوا والعياذ بالله على مكة حل للمسلمين القتال معهم فيها فقد عكس

(رحمة كله وحزم وعزم * ووقار وعصمة وحياء)

رحمة وهي عطف وميل نفساني غايته التفضل والانعام أي عينها مبالغة أو أرادتها وهو خبر مقدم وأخبر بهذه ومابعدها بلفظ
المصدر اشارة الى انها قد امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكأنه هي أي ركب منها وطبع عليها وخلق
منها كما قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يجوز نصب رحمة على الحال على انه اسم فاعل ومفعولا من أجله وعلى
حذف مضاف أي الا ذا رحمة والعالمون قيل الجن والانس (١٧١) وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه
غير واحد من المحققين ويدل
عليه أيضا ليكون للعالمين نذيرا
وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين
بالهداية والامان وللكافرين
بتأخير العذاب ولسائر
الحيوانات لان بوجهه صلى الله
عليه وسلم يستسقى الغمام
وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت
النبات ويكون لها سقيا ورعيا
وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر
لان كل نبي اذا كذب أهلك الله
من كذبه ومحمد صلى الله عليه
وسلم أخر من كذبه الى الموت
أو الى القيامة وأما من
صدقه فله الرحمة في الدنيا
والآخرة فعلم ان ذاته رحمة
للمؤمنين والكافرين كما قال
تعالى وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وروى الدارمي
والبيهقي حديث انما أنا رحمة
مهداة وقال بعضهم زينه ربه
بزينة الرحمة فكان وجوده
وجميع شمائله رحمة على الخلق
وقال آخر الانبياء كلهم خلقوا
من الرحمة ونبينا صلى الله عليه
وسلم عين الرحمة لا يقال كيف
هو رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال والانفس لانا نقول انما ذلك لمن أدبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد
ومن أوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم * وفي الشفاء وحكى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه
الرحمة شئ فقال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت ولما شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا لو دعوت
عليهم فقال اني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون أي اغفر لهم هذا الشئ الخاص

استدلاله النووي فقال في الحديث دلالة على ان مكة تبقى دار اسلام الى يوم القيامة
فبطل ماصوره الطحاوي على ان في دعوى الاجماع نظرا فان الخلاف ثابت وقد حكاه
القفال والماوردي وغيرهما قال في جمع الوسائل قلت ماصوره الطحاوي فرض غير
لازم الوقوع ولذا خاف من خالف وأما دعوى الاجماع فصحيحة ولا ينافيها مخالفة القفال
وغيره اه وقد عد المالكية من خصائصه صلى الله عليه وسلم دخوله مكة بلا احرام
وبقتال أي من غير ضرورة والا فيجوز ذلك لغيره أيضا عندهم

(باب ماجاء في عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

وفي نسخة ماجاء في صفة عمامة الخ والعمامة بكسر العين خلافا للعصام في قوله بالفتح
كغمامة والمراد بها هنا كل مايعقد على الرأس تحت المغفر أو فوقه ومايشد على
القلنسوة أو غيرها ومايشد على رأس المريض وفي القاموس العمامة المغفر والبيضة
ومايلف على الرأس فهي أعم من المغفر فترجمة العمامة بعد المغفر من باب ذكر الاعم
بعد الاخص والله أعلم (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة
ح وحدثنا محمود بن غيلان نا وكيع عن حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر قال
دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء) وفي رواية مسلم بغير
احرام وفي رواية ابن أبي شيبة دخل مكة يوم الفتح وعليه شقة سوداء وان عمامته كانت
سوداء وروى ابن سعد ان رايته سوداء تسمى العقاب قال ابن حجر وكأن حكمة
السواد في العمامة واللواء مع ماورد في فضل البياض الاشارة الى السودد الذي أعطيه
صلى الله عليه وسلم وتميزه على سائر الانبياء في ذلك اليوم وهو ان الله تعالى أحل له مكة
ساعة من نهار ولم يحلها لاحد قبله والى سودد مكة على سائر البلاد والى سودد أمته
وعزتهم بذلك الفتح العظيم والى سودد الاسلام وظهوره ظهورا لم يكن قبل الفتح كما
بينته سورة النصر والى ثبوت هذا الدين المحمدي واستمراره وعدم تبدله اذ السواد أبعد
عن ظهور الدنس والتبدل من سائر الالوان وقول من قال ان سوادها لم يكن أصليا
بل لحكايتها ماتحتها من المغفر تكلف لادليل عليه اه وقد جمع السيوطي جزأ في لبس
السواد وذكر فيه أحاديث وآثارا قال في جمع الوسائل وفي بعض شراح هذا الكتاب
زعم بعض الخلفاء العباسيين من أولاد المعتصم بالله ان تلك العمامة وهبها رسول الله

الراجع لذاتى لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا عليهم يوم الخندق بأن الله يملأ بطونهم نارا لانهم شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء لله تعالى لا لحظ نفسه وحزم كله أى جميع أحواله صلى الله عليه وسلم التى تصدر منه انما تصدر على غاية الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لان منشأ ذلك العقل الكامل وقدم أنه لا أكمل من عقله بل لا مساوى له من نبى ولا ملك وعزم كله من عزم على الشئ قطع به أى جميع ما يفعل بوحى أو اجتهاد انما يفعله مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ولا تردد وتحير ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا فعل خيرا لزمه آدامته كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها (١) حينئذ واستمر يصلى ركعتين بعد العصر الى وفاته ووقار كله لان الله تعالى ألقى اليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة ابن زيد كما رواه أبو داود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر الناس فى مجلسه وعن أبى سعيد الخدرى كان اذا جلس فى المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكان كلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير جاء اليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فانى لست بملك ولا جبار انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها الناس انى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة فى المسجد قاعدا القرفصاء فارتعدت من الفرق رواه

صلى الله عليه وسلم لعمه العباس وهى بين الخلفاء يتداولونها بينهم ويجعلونها على رأس من تقرر له الخلافة وهى الآن بمحروسة مصر فى يد أولاد الخلفاء اهـ قال المناوى ولا بأس بلبس القلنسوة اللاطئة بالرأس والمرتفعة تحت العمامة وبلا عمامة لان ذلك كله جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وبذلك أيد بعضهم ما اعتيد فى بعض الاقطار من ترك العمامة من أصلها وتميز علمائهم بطيلسان على قلنسوة بيضاء لكن الافضل العمامة اهـ أى خلافا لمن قال السنة الجمع بين القلنسوة والعمامة أو الاقتصار على العمامة أما الاقتصار على القلنسوة فهو من زى المشركين لحديث أبى داود والمصنف فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس * قال المصنف غريب وليس اسناده بالقائم (حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان) أى ابن عيينة (عن مساور) بضم الميم وكسر الواو (الوراق) بتشديد الراء بائع الورق أو صانعه أو منسوب الى ورق الشجر أخرج حديثه مسلم والاربعة (عن جعفر بن عمرو بن حريث) مصغر حرث روى عنه مسلم والاربعة (عن أبيه قال رأيت على النبى صلى الله عليه وسلم عمامة سوداء) يحتمل عام الفتح أو غيره وحال الخطبة أو غيرها يوم الجمعة أو غيره وسيجىء ما يبينه * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان ويوسف بن عيسى قالا نا وكيع عن مساور الوراق عن جعفر ابن عمرو بن حريث عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس وعليه عمامة سوداء) وفى نسخة عصابة سوداء وهى بمعنى العمامة كما فى القاموس مأخوذة من العصب وهو الشد وحديث عمرو بن حريث فى معنى حديث جابر المتقدم وأورده من طريقين وزاد فى طريق الثانى خطب الناس أى يوم فتح مكة وهذه الخطبة عند باب الكعبة على ما يفهم من كلام العسقلانى ولم تكن على المنبر وأخرج مسلم من طريق أبى اسامة عن مساور قال حدثنى جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال كأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفى بعض نسخ مسلم طرفها بالافراد عياض وهو الصواب المعروف اهـ وفيه دليل على ان لبس السواد لم يكن بمكة فقط لان خطبته بمكة لم تكن على منبر بل على باب الكعبة ولهذا ذكر صاحب المصابيح هذا الحديث فى باب خطبة الجمعة وقد لبس السواد جمع منهم على يوم قتل عثمان وغيره والحسن كان يخطب بثياب سود وعمامة سوداء وابن الزبير

(١) كتب عليه المؤلف كذا فى ابن حجر وتأمله اهـ من خطه اهـ مصحح

أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاصى رضى الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عينى منه قط حياء منه وتعظيما له صلى الله عليه وسلم ولو قيل لى صفه لما قدرت واذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة فما بالك بغيره فعلم انه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر أحد منهم ان يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله عليه من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاشار لجبريل يستشيره فاشار اليه أن تواضع فاختار العبودية وعصمة كاه أى حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها فى سائر حركاته وسكناته فى باطنه وظاهره سره وعلانيته جده وهزله رضاه وغضبه وقد أجمع الصحابة رضى الله عنهم على اتباعه والتأسى به فى كل ما يفعله من قليل أو كثير صغير أو كبير سرى أو علانى علم بهم أو لم يعلم ما لم تظهر الخصوصية ومن عصمته صلى الله عليه وسلم حفظه من أعدائه الحريصين على قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى وتواعد جماعة على قتله فلما هموا سمعوا صوتا هائلا فغشى عليهم ثم تواعدوا مرة أخرى فلما رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم وحياء كاه كما فى البخارى عن أبى سعيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها والحياء باللغة تغير وانكسار يعترى الانسان من خوف ما يعاب به وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق مأخوذ من الحياة أو من الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه بقوة حياة القلب وضعفها وهو أنواع منها حياء الكرام ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا بما يكرهه بل اذا بلغه عن أحد شئ قال ما بال أقوام ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب

الزبير كان يخطب بعمامة سوداء ومعاوية فانه لبس عمامة سوداء وجبة سوداء وأنس وعبد الله بن جزء وعمار كان يخطب كل جمعة بالكوفة وهو أميرها وعليه عمامة سوداء وابن المسيب كان يلبسها فى العيدين وابن عباس كان يعتم بها والخلفاء العباسيون وكثير من الخطباء ومستندهم ما ورد من دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم مكة بعمامة سوداء أرخى طرفها بين كتفيه وخطب بها فتفاءل الناس بذلك لانه نصر وعز قال القرطبى ولم يكن السواد فى كل لباس المصطفى بل فى العمامة خاصة وورد بسند واه هبط على جبريل وعليه قباء أسود وعمامة سوداء فقلت ما هذه الصورة لم أرك هبطت بها على قط قال هذه صورة الملوك من ولد العباس عمك قلت وهم على حق قال جبريل نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للعباس وولده حيث كانوا وأين كانوا قال جبريل ليأتين على أمتك زمان يعز الله فيه الاسلام بهذا السواد قلت رياستهم ممن قال من ولد العباس قلت ومن أتباعهم قال من أهل خراسان قلت أى شئ يملكون قال الاخضر والاصفر والحجر والمدر والسرير والمنبر والدنيا الى المحشر والملك الى المنشر وسأل الرشيد الاوزاعى عنه فاجابه بأنه يكرهه لانه لا يجلى فيه عروس ولا يلبى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت انظر ابن حجر قال النووى وفى الحديث جواز لبس الاسود فى الخطبة وان كان الابيض أفضل منه (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى) بسكون الميم نسبة الى قبيلة باليمن أخرج حديثه الاربعة (نا يحيى بن محمد المدينى) نسبة الى مدينة السلام على الاصح وفى نسخة المدنى أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه (عن عبد العزيز بن محمد) أخرج حديثه الستة (عن عبيد الله بن عمر) نسبة الى الجد اذ هو عبيد الله بن عبد الله بن عمر أخو سالم مات قبل أخيه سالم (عن نافع عن ابن عمر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم) أى لبس عمامته (سدل عمامته) أرخى طرفها وهل المراد سدل الطرف الاسفل حتى يكون عذبة او الاعلى بحيث يغرزها ويرسل منها شيأ خلفه كل محتمل قاله الزين العراقى ولم يكن يسدل دائما بدليل رواية مسلم انه دخل مكة بعمامة سوداء من غير ذكر سدل وصرح ابن القيم بنفيه لانه كان على أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس فى كل موطن ما يناسبه وبه يعرف ما فى القاموس من قوله لم يفارقها قط قال المناوى قال بعض الحفاظ أقل ما ورد فى طولها أربع أصابع وأكثر ما ورد ذراع وبينهما شبر ويحرم

في غيبة محبوبه فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغاية مشهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة ومنها حياء المؤمن من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت بالدون حتى كأن له نفسين فيستحي باحداهما من الاخرى وهذا أكمل ما يكون من الحياء وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتي الا بخير والحياء من الايمان وجعل من الايمان مع انه غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي والغريزي معين على المكتسب حتى يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها

(لا تحل البأساء منه عرى الصبـ ـر ولا تستخفه السراء)

لا تحل البأساء أي الشدة وان أفرطت لاسيما في الحروب وقد اسعرت نيرانها واصطلت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من المضاف أو المضاف اليه أو بتحل وعرا جمع عروة وهي أخت الزر والصبر هو حبس النفس على ما تكره أي لا تحل أسبابه من الحلم والعفو والصفح والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على شيء وأحكمت في عرى فاستمسكت عليه ولم يمكن حلها ولا نقضها وتشبيه الصبر بالثوب السابغ ذي الازرار والعرى المحكمة استعارة بالكناية وذكر لا تحل ترشيح والعرى تخييل وما وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه يوم أحد في أشد ما نالوا به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله عليهم فقال اللهم اغفر لقومي واهد قومي فانهم لا يعلمون أي لا تعاجلهم بالعقوبة من أجل فانهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في ذلك من أنواع العذاب وأصناف العقاب وروي

الفاحش طولها بقصد الخيلاء وفي خبر حسن من لبس ثوبا يباهي به الناس لم ينظر الله اليه حتى يرفعه قال الشافعي ولو خاف من ارسالها نحو خيلاء لم يؤمر بتركها بل يفعلها ويجاهد نفسه اه وفي المدخل والذؤابة لم يكونوا يرسلونها منها الا القليل نحو الذراع أو أقل منه قليلا أو أكثر منه قليلا اه (بين كتفيه) وفي رواية أرسلها بين يديه ومن خلفه ولعل هذا انما هو اذا أرخى طرفيها معا قال المناوي وارسالها بين الكتفين أفضل منه على الايمن لان حديث الاول أقوى وأصح اه وقد تحصل مما تقدم أن للابس العمامة ان لا يتخذ عذبة وله ان يتخذها من خلفه أو من بين يديه أو من بين يديه ومن خلفه وان الافضل اتخاذها وان تكون من بين الكتفين ثم المنكب الايمن وفي المدخل نقل عن مالك رحمه الله انهم كانوا يعتمون حتى تطلع الثريا ومعنى ذلك ان طلوعها انما يكون في زمن الحر فيزيلونها اه بنقل الحطاب في حاشيته على الرسالة (قال نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك) كأن هذا من كلام عبيد الله وقوله (قال عبيد الله) من كلام عبد العزيز ونبه عليه بترك العطف لاختلاف الراوي ولو كان من كلام المصنف لكان بالعطف (ورأيت القاسم بن محمد وسالما يفعلان ذلك) أي ما ذكر من سدل طرف العمامة بين الكتفين وفي هذا دليل على ان السدل سنة معمول بها لكن قال بعضهم صارت العذبة اليوم شعار قوم يسمون الصوفية فلا ينبغي ان يتخذها الا من كان على طريقتهم والا كان كاذبا اه ولم يتعرض المصنف لبيان قدر عمامته صلى الله عليه وسلم قال المناوي قال في تصحيح المصابيح لابن الجوزي تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ لأقف على قدر عمامته صلى الله عليه وسلم فلم أقف على شيء حتى أخبرني من أثق به انه وقف على شيء من كلام النووي ذكر فيه انه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عمامة قصيرة وعمامة طويلة وان القصيرة كانت سبعة أذرع والطويلة اثنا عشر ذراعا اه وذكر في المدخل ان عمامته كانت سبعة أذرع ولم يذكر انه كان له عمامة قصيرة وعمامة طويلة وعلى كل حال فقد كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في ملبسه أتم ونفعه للناس أعم فان كبر العمامة يعرض الرأس للآفات كما هو مشاهد في كثير من الفقهاء والقضاة وصغرها لا يقي من الحر والبرد فكان يجعلها وسطا بين ذلك قاله ابن حجر ونقله في جمع الوسائل قال المناوي ولا يسن تحنيك العمامة عند الشافعية واختار بعض الحفاظ ما عليه كثيرون انه يسن وهو تحديق الرقبة

عن عمر رضى الله عنه انه قال بأبى وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لاتذر الآية ولو دعوت علينا مثلها
اهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم
لايعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املأ قلوبهم نارا لان الحق لله وهو صلى الله
عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله امتثالا
لقول الله سبحانه وتعالى له جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم
فى أماكن متعددة لاسباب
مختلفة لكن مرجعها الى أنه
لم يغضب لنفسه بل لربه عز وجل
ففى المواهب روى الطبرانى
وابن حبان والحاكم والبيهقى عن
زيد بن سعنة بالمهملة وبالنون
المفتوحتين كما قيده به عبد الغنى
وذكره الدارقطنى وبالمثناة
التحتية ثابت فى الشفاء وصحح
عليه مؤلفه بخطه وهو الذى
ذكره ابن اسحق وهو كما قال
النووى أجل أحبار اليهود
الذين أسلموا انه قال لم يبق من
علامات النبوة شئ الا وقد عرفته
فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم
حين نظرت اليه الا اثنتين
لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله
ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما
فكنت اتلطف له لأن أخالطه
فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا
الى أجل فاعطيته الثمن فلما كان
قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة
أتيته فأخذت بمجامع قميصه
وردائه ونظرت اليه بوجه
غليظ ثم قلت ألا تقضينى يا محمد حقى فوالله انكم يابنى عبد المطلب مطل فقال عمر أى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر فى سكون وتؤدة وتبسم
ثم قال أنا وهو كنا احوج الى غير هذا منك ياعمر تأمرنى بحسن الاداء وتأمره بحسن التقاضى اذهب به ياعمر فاقضه حقه وزده
عشرين صاعا مكان مارعته ففعل قال فقلت ياعمر كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت

وماتحت الحنك واللحية بعض العمامة وأطالوا فى الاستدلال له بما ورد عليهم اه وفى
المدخل لابد فى العمامة من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين وقول بسم الله والذكر
الوارد ان كان مالبس جديدا وامتثال السنة فى صفة التعميم من التحنيك والعذبة
وتصغير العمامة اه ومن المدخل أيضا نقلا عن الغزالى عليك ان تعتم قائما وتتسرول
قاعدا اه ومنه أيضا كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول انما المكروه العمامة التى
ليس فيها تحنيك ولا عذبة فان كانا معا فهو الكمال فى امتثال السنة وان كان أحدهما
فقد خرج به عن المكروه اه بنقل الحطاب على الرسالة * قال المصنف (حدثنا يوسف
ابن عيسى نا وكيع نا أبو سليمان وهو عبد الرحمن بن الغسيل) أخرج حديثه
الشيخان وغيرهما والغسيل اسمه حنظلة وهو جد أبيه لانه عبد الرحمن بن سليمان بن
عبد الله بن حنظلة ولقب بالغسيل لانه كان جنبا حين سمع نفير أحد فخرج مسرعا قبل
ان يغتسل فلما استشهد رأى النبى صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله غسل الجنابة (عن
عكرمة) أى مولى ابن عباس (عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس
وعليه عصابة دسماء) فى نسخة عمامة بدل عصابة ولا تنافى لان العصابة تأتى بمعنى
العمامة كما فى القاموس وغيره ومعنى دسماء سوداء أو ملطخة بدسومة شعره صلى الله
عليه وسلم لانه كان يكثر دهنه كما مر والدسمة غبرة الى السواد أو من العرق أو من
الطيب الذى كان يستعمله وقد يكون ذلك لونها فى الاصل وفى حديث أنس عند
البخارى انها حاشية برد والحاشية غالبا تكون من لون غير لون الاصل قال المناوى وهذه
الخطبة وقعت فى مرض النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه وفيها الوصية بشأن
الانصار كما أخرجه البخارى فى صحيحه عن أحمد بن يعقوب عن ابن الغسيل بهذا الاسناد
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ملحفة متعطفا على منكبيه وعليه عصابة
دسماء حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس ان الناس
يكثرون ويقل الانصار حتى يكونوا كالملح فى الطعام فمن ولى منكم أمرا يضر فيه
أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وفى حديث أنس عنده فى هذه
القصة فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم

* (باب ماجاء فى صفة ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

المرادبصفة الازار ما يتناول صفته فى نفسه وصفة لبسه المتضمنة لبعض آداب اللباس والازار بالكسر الملحفة ويؤنث كذا فى القاموس قال فى جمع الوسائل والمراد هنا مايستر أسفل البدن و يقابله الرداء وهو مايستر أعلى البدن ولعل المصنف حذفه من الترجمة اكتفاء كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد وذكر ابن الجوزى فى الوفاء باسناده عن عروة بن الزبير قال كان طول رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع وعرضه ذراعين ونصفا ونقل ابن القيم عن الواقدى أن رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم برد طوله ستة أذرع فى ثلاثة أذرع وشبر وازاره طوله أربعة أذرع وشبر فى ذراعين اه ويحتمل ان يكون المراد بالازار هنا مايجعل على البدن كله وهو الملحفة * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا أيوب) أى السختيانى (عن حميد ابن هلال) روى عنه الستة (عن أبى بردة) قيل اسمه عامر وهو تابعى كوفى كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج وهو جد أبى الحسن الاشعرى الامام فى علم الكلام (عن أبيه) أى أبى موسى الاشعرى الصحابى المشهور كذا فى بعض النسخ وفى أكثرها وهو الذى فى البخارى اسقاط قوله عن أبيه وهو الصحيح وعلى الاسقاط فلا يصير الحديث مرسلا لان أبا بردة كما يروى عن أبيه يروى عن عائشة أيضا قاله العصام قال فى جمع الوسائل مجرد روايته عنها لا يجعل الحديث متصلا الا ان ثبت انه سمعه عن عائشة أيضا (قال) أى أبو بردة (أخرجت الينا عائشة) أى امابنفسها أو بأمرها (كساء) المراد هنا رداء كذا فى جمع الوسائل تبعا لابن حجر ويحتمل ان المراد مايستر البدن كله (ملبدا) النووى فى شرح مسلم الملبد المرقع وقيل الذى ثخن وسطه حتى صار كاللبد (وازارا غليظا) أى خشنا (فقالت) أى دفعا لما يتوهم ان هذا اللباس كان فى أول أمره قبل الفتوحات (قبض روح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذين) فهو اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم بقى على حال الزهد فى الدنيا والاعراض عن لذاتها وشهواتها والاقتصار على أدنى ماتحصل به الكفاية منها حتى لقى الله تواضعا وميلا للعبودية واتباعا لجمهور الانبياء وليتأسى به الضعفاء وغير ذلك مما تقدم فى باب اللباس * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود عن شعبة عن الاشعث بن سليم) بالتصغير (قال سمعت عمتى) اسمها رهم بضم الراء وسكون الهاء بنت الاسود بن خالد وقيل بنت الاسود بن حنظلة (تحدث

عن

اليه الا لثنتين لم أخبرهما بشئ حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما فاشهدك انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وروى أبو داود ان أعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم فجذبه بردائه وكان خشنا حتى أثر فى عنقه الشريف وقال احملنى على بعيرى هذين فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا ثم أمر له يحمل بعير تمرا او بعير شعيرا وروى البخارى ان أعرابيا جذبه حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك فضحك صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بعطاء وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أى لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا وروى البخارى ان رجلا استأذن عليه صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس اليه الان له القول وانبسط اليه فلما مضى سألته عائشة عما قال وعما فعل فقال متى عهدتنى فحاشا والعشيرة القبيلة وقال فيه أولا ما قال لانه اطلع على باطن حاله وعاقبة ما له قيل وهو عيينة بن حصن الفزارى وقد كان منه أمور فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و بعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد فى زمن الصديق وحارب ثم أسلم فى زمن عمر فقد وله فيه من علامات النبوة وانبساطه اليه تألف له لانه رئيس قومه وفيه تعليم الامة وجواز المداراة اتقاء الشر وقد قال العلماء المداراة سنة والمداهنة معصية قال ابن القيم الجوزية والفرق بينهما ان المدارى يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق أو يرده اليه أو عن الباطل والمداهن يتلطف به ليقره على باطله و يتركه على هواه قال فالمداراة لاهل الايمان والمداهنة لاهل النفاق وقد مثل لذلك بمثال مطابق وهو رجل به قرحة عرف حالها الطبيب المداوى الرفيق فليمنهاحتى

نضجت ثم بطها برفق ثم وضع عليها المرهم حتى منع فساد موضعها ونبت فيه اللحم ثم ردّ على ما نابت منه ما نشفت الرطوبة عنه الى أن تم برؤه والمداهن يقول لصاحبه لا بأس عليك هى لا شئ فلم تزل مادتها تقوى وتستحيل حتى عظم فسادها اهـ فان قيل ما مر من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينتقم لنفسه ينافيه ما ثبت من أنه أمر بقتل عقبة بن أبى معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم أجيب بأن ذلك ليس انتصارا لنفسه لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى وحصل الاياس من ايمانهم ومن ثم لما طمع فى ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه بشر قوله ولا تستخفه السراء أى لا تخرجه عن ثباته وتواضعه ووقاره السراء اى الرخاء والسعة فى الجيوش والفتوح التى منحها فى آخر حياته بل هو معها كهو قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها خضع لله تعالى حتى كاد رأسه يصل الى رحل ناقته

(كرمت نفسه فما يخطر السو ء على قلبه ولا الفحشاء)

اى انما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكرامات التى لم توجد فى غيره لانه كرمت نفسه لانه تعالى لما أراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية فى حضرة الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على اقتضاء كمال حكمه وما سبق فى ارادته وعلمه ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته وبأنه نبى الانبياء وواسطة جميع الاصفياء وأبوه آدم بين الروح والجسد بل لا روح ولا جسد ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر بما لها فى علمها المتقدم على علم الاشباح فكان هو الجنس العالى على جميع الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات فهو وان تأخر وجود جسمه فهو أول المخلوقات متميزا عن العوالم كلها برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمدانى ومعدن قوة الامداد الرحمانى

عن عمها) أى عم عمة أشعث بن سليم اسمه عبيد بن خالد المحاربى سكن الكوفة (قال بينما أنا أمشى بالمدينة) وفى نسخة بينا بحذف الميم وهما ظرفا زمان مضافان الى الجملة التى بعدهما وقيل انهما مكفوفتان بما وبالالف عن العمل فى المضاف اليه قال الرضى وبين فى الحقيقة مضاف الى زمان مضاف الى الجملة أى بين أوقات كذا اهـ ويحتاجان الى جواب يتم به المعنى وكان الاصمعى يستفصح فى جوابهما ان لا يكون فيه اذ واذا لكثرة مجىء جوابهما بدونهما قال الرضى والكثرة لا تدل على ان المكثور غير فصيح بل تدل على ان الاكثر أفصح وانما أدخلت اذ واذا فى جوابهما ليدلا على اقتران مضمون الاول بالثانى مفاجأة بلا تراخ والاولى القول بحرفية كلمتى المفاجأة كما هو مذهب ابن برى والعامل فى بينا وبينما حينئذ ما بعد كلمتى المفاجأة اهـ فمعنى بينا زيد قائم اذ رأى هندا رأى زيد هندا بين أوقات قيامه وقال الزمخشرى عاملهما مقدر من معنى المفاجأة وعليه فالتقدير وقت قيام زيد فاجأ رؤية هند فتقدير الحديث وقت مشيى بالمدينة فاجأ كون انسان خلفى قائلا ارفع الخ فقوله (اذا) بالالف للمفاجأة وقوله (انسان خلفى) مبتدأ هو صفته و(يقول) اى ذلك الانسان الذى هو انسان العين خبر المبتدا ويحتمل ان الظرف خبر المبتدا والمسوغ للابتداء بالنكرة اذا الفجائية وجملة يقول حالية (ارفع ازارك) أى عن الارض (فانه) اى الرفع (أتقى) من التقوى أى أقرب اليها وأدل عليها لانه يدل غالبا على انتفاء الكبر والخيلاء وفى نسخة أنقى بالنون من النقاء أى أنظف من الوسخ (وأبقى) بالموحدة أكثر دواما للثوب فعلل صلى الله عليه وسلم أمره بالمصلحة الدينية وهى طهارة القلب أو القالب أولا لانها المقصودة بالذات وثانيا بالمنفعة الدنيوية فانها التابعة للاخرى وفيه ايماء الى أن المصالح الاخروية لا تخلو عن المنافع الدنيوية (فالتفت) أى نظرت الى ورائى (فاذا هو) أى ذلك الانسان (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت) معتذرا عن فعلى (يارسول الله انما هى) أى الازار والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (بردة) يلبسها الاعراب (ملحاء) بفتح الميم تأنيث أملح يقال كبش أملح ونعجة ملحاء أى فيها بياض يخالطه سواد على ما فى الصحاح فالملحاء التى فيها خطوط من سواد وبياض وقيل ما فيه البياض أغلب وأما قول ابن حجر ملحاء بضم أوله فهو سهو قاله فى جمع الوسائل أى لان فعلاء بالضم غير محفوظ فى أوزان المؤنث الممدود وكأن

مراد الصحابى ان هذا الثوب ليس من فاخر الثياب التى يخاف منها الخيلاء والكبر ولم يعتذر عن قوله أبقى لان أمره أخف فاجابه صلى الله عليه وسلم بطلب الاقتداء به لانه صلى الله عليه وسلم لا يرتكب الا الاكمل الذى هو الاحب الى الله تعالى ولذلك (قال أمالك) استفهام انكارى وما نافية (فىّ) بتشديد الياء اى أليس لك فى فعلى (اسوة) بضم الهمزة وكسرها اى قدوة ومتابعة (فنظرت) اى الى لباسه (فاذا ازاره الى نصف ساقيه) اى واذا كان هو صلى الله عليه وسلم مع انه مأمون عليه مما يخاف على غيره من آفات الدين كالخيلاء والكبر لا يرتكب ما هو مظنة ذلك فاولى غيره قال ابن عطية فى تفسير قوله فبغى عليهم فى قصة قارون كان من بغيه انه زاد فى ثيابه شبرا على ثياب الناس وفى قوله أمالك الخ تأكيد للامر برفع الازار فان الفعل أقوى من القول وفيه أيضا اشارة الى أن السنة تعرف من أفعاله كأقواله وان الاليق بالمؤمن حسم مادة ما يتوقع منه الضرر فى دينه وغلق أبواب الشر ما أمكن وان لا يثق بنفسه فى هذا وما كان من قبيله والله أعلم بمراد رسوله * قال المصنف (حدثنا سويد بن نصر نا عبد الله بن المبارك عن موسى بن عبيدة عن اياس بن سلمة بن الاكوع) روى عنه الستة (عن أبيه) أى سلمة بن الاكوع وهو نسبة الى الجد فانه سلمة بن عمرو بن الاكوع غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات (قال كان عثمان بن عفان) بالصرف وعدمه (يأتزر) بهمزة ساكنة ويجوز ابدالها تاء اى يلبس الازار ويرخيه (الى أنصاف ساقيه) المراد بالجمع ما فوق الواحد بقرينة ما أضيف اليه وقيل فى الجمع المذكور اشارة الى التوسعة (وقال) أى عثمان ويحتمل سلمة على بعد ويؤيد الاول تكرار قال واغالم يقل ويقول بلفظ المضارع لانه يدل على التكرار ولم يسمع ذلك منه مكررا (هكذا) اى مثل هذا الائتزار المذكور (كانت ازرة صاحبى) بكسر أوله وسكون الزاى صيغة نوع وهيئة (يعنى) اى يريد عثمان بصاحبه (النبى صلى الله عليه وسلم) وقائل يعنى هو سلمة وفائدة نقل سلمة الازرة عن عثمان مرفوعة ولم يرفعها هو ليفيد انها سنة باقية بين أكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم سيما الخلفاء الراشدون فيتأكد الندب * قال المصنف (حدثنا قتيبة) اى ابن سعيد كما فى نسخة (نا أبو الاحوص عن أبى اسحق) اى السبيعى (عن مسلم بن نذير) مصغرا أخرج حديثه البخارى فى الادب المفرد

وراجع افتتاح المواهب فان فيه من هذا النمط أعجب العجائب ولله در تاج العارفين سيدى على بن وفى اذ يقول

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * هذا النعيم هو المقيم الى الأبد

أصبحت فى كنف الحبيب ومن يكن * جار الحبيب فعيشه العيش الرغد

عش فى أمان الله تحت لوائه * لا خوف فى هذا الجناب ولا نكد

لا تختشى فقرا فعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد

رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو فى المحاسن كلها فرد أحد

قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى على سار أحمد من حمد

روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ما تم الوجود لمن وجد

عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد

لو أبصر الشيطان طلعة نوره * فى وجه آدم كان أول من سجد

أو لو رأى النمرود نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند

لكن جمال الحق جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد(١)

عين الوفا معنى الصفا سر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد

هو للصلاة مع السلام المرتضى * الجامع المخصوص ما دام الأبد

فبسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم وتشريفها وتنزيهها من كل رذيلة ما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء كيف وقلبه قد طهر بشق الملائكة له المرات المتعددة عند تنقله فى الاطوار المختلفة واخراج ما فى قلبه مما جبل عليه النوع الانسانى ثم طهر وغسل وحشى من الحلم والعلوم بما لا يحيط به الا المانّ به عليه وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها بالاولى من انتفاء السوء لانها السوء الذى جاوز حده لان المقام مقام اطناب

(عظمت نعمة الاله عليه * فاستقلت لذكره العظماء)

(١) فابشر بعين سكن الجوانح منك يا * أنا قد ملأت من المنى عينا ويدا هذا البيت موضعه بين الصمد وعين وكأن المصنف لم يطلع عليه اهـ من طرة الاصل بتصرف اهـ مصحح

اى اذا تأملت ما آتاه الله تعالى من تلك الكمالات التى لا تحصى ولا تعد علمت أنه قد عظمت نعمة الله عليه عظمة قطعت سائر الخلق عن أن يصل أحد منهم الى مبادى غاياتها ومقاصد نهاياتها فبسبب هذه العظمة المذكورة استقلت لذكره اى عند اى وقت ذكر ما أنعم الله به عليه العظماء جميع ما أنعم الله به عليهم لانه أوتى غاية الكمالات الباهرة التى لا يدرك شأوها مخلوق ولو عرض معها على ذوى العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التى أوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا بأن ما أوتيه أعظم وأجل وأفخم

المفرد والنسائى وابن ماجه وفى نسخة يزيد بفتح التحتية وكسر الزاى (عن حذيفة بن اليمان) صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنافقين والفتن أسلم هو وأبوه قبل بدر وشهدا أحدا وقتل أبوه فى المعركة قتله المسلمون خطأ فوهب لهم دمه وقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وقال فيه صلى الله عليه وسلم ما حدثكم فصدقوه وكان عمر يقول له نشدتك الله هل تعلم فى نفاقا وكان يسأله عن المنافقين وروى الترمذى والحاكم عن على رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ان كل نبى أعطى سبعة نجباء رفقاء وانى أعطيت منهم أربعة عشر فعد منهم حذيفة (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضلة ساقى) فى النهاية عضلة على وزن طلحة وفى القاموس محركة وهو الموافق للنسخ المعتمدة وعضلة الساق اللحمة المجتمعة أسفل من الركبة بمؤخر الساق (أوساقه) شك من الرواة مسلم أومن دونه وأما من حذيفة فبعيد وفى بعض الطرق بلفظ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم أسفل من عضلة ساقى بغير شك (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (هذا) أى العضلة وذكر المبتدا باعتبار الخبر وهو (موضع الازار فان أبيت) فى الاخذ بالاكمل وأردت التجاوز عن العضلة (فاسفل) بالرفع أى فوضعه أسفل من العضلة قريب من الكعبين (فان أبيت فلا حق للازار فى الكعبين) أى فى وصوله اليهما فوصوله اليهما خلاف السنة وحديث البخارى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أسفل من الكعبين من الازار فى النار يدل على أن الاسبال الى الكعبين جائز وان ما أسفل منه هو الممنوع فيحمل حديث حذيفة على المبالغة والاحتياط سدا للذريعة على وزان كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه فيفهم منه بطريق الاولى ان ما أسفل من الكعبين أشد كراهة والحاصل ان المستحب نصف الساق والجائز بلا كراهة أسفل من ذلك والى الكعبين من المتشابه الذى تركه أولى وما أسفل من الكعبين محرم ان كان خيلاء لان العبد لا يليق به الا التواضع لحديث ابن عمر فى البخارى مرفوعا لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء ولحديث أبى هريرة عنده أيضا بلفظ لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا والبطر بفتحتين التكبر والطغيان ولحديث ابن عمر مرفوعا بينا رجل يجر ازاره خسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة ومكروه ان كان عادة فقط وأما حديث ما أسفل من الكعبين

(جهات قومه عليه فاغضى
وأخو الحلم دأبه الاغضاء)

أى آذوه أذى لا يطاق فضربوه وخنقوه وأغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه ورجموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه فسال منهما الدم على نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بنى هاشم وبنى المطلب فى شعبهم سنتين وفى البخارى ومسلم من حديث عائشة انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة فاغضى عنهم حلما وتكرما لا سيما وقد جاءه لما ان اشتد أذاهم له ملك الجبال وقال له يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بأمرك ان شئت أطبقت عليهم الاخشبين فقال صلى الله عليه وسلم أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيأ فكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم قوله وأخو الحلم هو التأنى فى الامور وعدم الانتقام ممن أتى بمكروه وان عظم أى الذى تطبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه دأبه أى شأنه وعادته المستمر عليها الاغضاء وهو فى الاصل اطباق العين عن رؤية المكروه واستعير هنا للتغافل عن ان يلتفت الى انه أذى فضلا عن أن ينتقم ممن آذاه والجامع بينهما الاعراض عن المكروه وفيه تذييل وختم بالمثل السائر ومن ثم لما آذوه يوم أحد بشج وجهه وكسر

وباعيته قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون أى علما ينتفعون به اما لجهلهم اى اعتقادهم الشئ على خلاف ماهو عليه واما لعنادهم كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فنزل عليهم منزلة الجهل واذا كان أخو الحلم دأبه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذى وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذى تولى تأديبه بنفسه وأفاض عليه من حقائق حلمه وقدسه حيث قال له خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفسرها جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم حين سأله فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك

(وسع العالمين علما وحلما
فهو بحر لم تعيه الاعباء)

العالمين جمع عالم من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم به ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى فصار اسما لكل ماسواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد الذى هو العالم أدل على الشمول والاستغراق لان الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والافلاك والدواب والجماد واستغراق جميعها بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض أفراد تلك الاجناس فقط وغلب فى جمعه العقلاء لشرفهم وعدل عن جمع الكثرة مع تبادره تنبيها على ان العوالم وان كثرت قليلة فى جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم اسم وضع لذوى العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل العالم خاص بالانسان فان كل واحد من افراده عالم من حيث انه مشتمل على مافى العالم الكبير من الجواهر والاعراض التى يعلم بها الصانع انظر ابن حجر وقوله علما تمييز أى وسع علمه علوم العالمين الانس والملائكة والجن لان الله

من الازار فى النار فمحمول على حديث التقييد بالخيلاء ويؤيده ماوقع فى بعض طرق حديث ابن عمر المذكور عند البخارى أيضا ان أبا بكر لما سمع ذلك قال يارسول الله ان أحد شقى ازارى يسترخى الا أن أتعاهد ذلك منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء وجائز ان كان لضرورة كمن يكون باسفل كعبه جرح يؤذيه الذباب ان لم يستره بازاره وقد حكى عياض الاجماع على ان المنع من الاسبال فى حق الرجال دون النساء لما ثبت فى سنن النسائى وجامع الترمذى وصححه ان أم سلمة أم المؤمنين لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعيد فى حق مسبل الازار قالت كيف تصنع النساء بذيولهن فقال يرخين شبرا فقالت اذن ينكشف أقدامهن قال فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه *(تنبيهات)* الاول فى معنى الازار القميص والسراويل وسائر الملبوسات وخص الازار بالذكر لانه غالب ملابسهم ويدخل فى النهى عن جر الثوب تطويل أكمام القميص والعذبة ونحوهما قال العراقى حدث للناس اصطلاح وصار لكل صنف من الخلائق شعار يعرفون به فمهما كان ذلك بطريق الخيلاء فلا شك فى تحريمه وما كان على سبيل العادة فلا يجرى النهى فيه مالم يصل الى حد الاسراف المذموم *(الثانى)* لما كان صلى الله عليه وسلم لا يدومنه الاطيب كان علامة ذلك أن لا يتسخ له ثوب ومن خواصه أن ثوبه لم يقمل ونقل الفخر الرازى ان الذباب لم يقع على ثوبه قط وان البعوض لم يمتص دمه وقال الامام قاضى القضاة سيدى محمد بن ابراهيم التتائى المالكى المصرى رحمه الله تعالى من معجزاته صلى الله عليه وسلم أن من كتب هذه الامور العشرة ووضعها فى بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت الاولى ماوقع ظله صلى الله عليه وسلم على الارض قط الثانية ما ظهر بوله على الارض قط الثالثة لم يقع عليه الذباب قط الرابعة لم يحتلم قط الخامسة لم يتثاءب قط السادسة لم تهرب دابة ركبها قط السابعة ولد مختونا الثامنة تنام عيناه ولا ينام قلبه التاسعة ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه العاشرة كان اذا جلس بين قوم كانت كتفاه أعلى منهم والله أعلم انتهى وقد نظم بعضهم هذه العشرة فى قوله

خص نبينا بعشرة خصال * لم يحتلم قط ولا له ظلال
والارض مايخرج منه تبتلع * كذلك الذباب عنه ممتنع

تعالى أطلعه على العالم فعلم علم الاوّلين والآخرين ما كان منه وما يكون وحسبك فى ذلك القرآن الذى أوتيه وقد قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ فالعلوم كلها منه درجة منغمرة فى علومه صلى الله عليه وسلم وقوله وحلما تمييز أيضا أى وسع حلمه حلم العالمين بأسرهم كما سبق وما من حليم الا وقد عرفت له زلة أو هفوة تخدش فى كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة الاذى له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا فهو بسبب جمعه لتلك المعالى التى لم تجتمع لغيره بحر أى واسع العلم والحلم وغيرهما من أخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ أى كالبحر لم تعيه من أعيا فلان فى مشيه أى تعب ووقف والأعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر أوله بعدها موحدة ثم همزة الحمل والثقل من أى شئ كان أى لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة وبحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعياء للاكدار والأعباء للشبه والجهالات

(مستقل دنياك أن ينسب الامساك منها اليه والاعطاء)

أى اذا تأملت ما تقدم من أوصاف كمالاته الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذى اندرجت البحار كلها فى عمه والحليم الكريم الذى دخل كل كريم وحليم تحت حياطة كرمه وحلمه علمت أنه صلى الله عليه وسلم لعصمته عن الالتفات لما سوى الله تعالى مستقل أى محتقر دنياك أى الاموال التى هى من جملتها اذ هى فى الاصل اسم لما بين السماء والارض وعدل عن التعبير بالزهد لانه انما يزهد فيما له بال والدنيا لا قدر لها ولا بال عنده صلى الله عليه وسلم ثم أبدل من قوله دنياك بدل اشتمال أن ينسب الامساك منها اليه والاعطاء منها الانها لفنائها او كثرة شغلها عن المعالى حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها ولو لم يحقها احتقارا لشأنها وتعليما للامة عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها أشد الاعراض خبر الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال عرض على

تنام عيناه وقلب لا ينام * من خلفه يرى كما يرى أمام

لم يتثاءب قط وهى السابعه * ولد مختونا اليها تابعه

تعرفه الدواب حين يركب * تأتى اليه سرعة لا تهرب

يعلو جلوسه جلوس الجلسا * صلى عليه الله صبحا ومسا

وما ذكره من أنه ولد مختونا هو أحد ثلاثة أقوال ذكرها المناوى الثانى ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة حكاه ابن عبد البر وغيره عن ابن عباس الثالث ختنه جبريل عند حليمة لما شق صدره رواه الطبرانى فى الاوسط قال الذهبى وهو منكر *(التنبيه الثالث)* اختلفوا هل لبس النبى صلى الله عليه وسلم السراويل فجزم بعضهم بعدمه واستأنس له بأن عثمان لم يلبسه الا يوم قتل لكن صح انه صلى الله عليه وسلم اشتراه قال ابن القيم والظاهر انه اشتراه ليلبسه اه ونقل السيوطى فى فتاويه عن أبى هريرة قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم زن وأرجح وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لأحمله عنه فقال صاحب الشئ أحق بحمله الا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه عليه أخوه المسلم انتهى قال ابن القيم وروى انه لبسه وكانوا يلبسونه فى زمانه وباذنه اه قال بعضهم ومما يرجح أنه صلى الله عليه وسلم لبسه أمره به فقد أخرج العقيلى وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الادب عن على مرفوعا انه عليه السلام قال اتخذوا السراويلات فانها من أستر ثيابكم وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن نقله فى الجامع *(فائدة)* من ابن حجر ملابس الاوبار والاصواف تدفئ وتسخن وملابس الكتان والحرير والقطن تدفئ ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير ألين من القطن وأقل حرارة منه وأسخن من الكتان وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة وليس فى ثياب الحرير شئ من اليبس والخشونة فهى نافعة للحكة وقد رخص صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكة كانت بهما وفى رواية أرخص لهما فيه لما شكيا اليه القمل ويحتمل أن الحكة نشأت عن القمل والله أعلم

ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب لكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك وفيه الاستلذاذ بخطابه تعالى فى الحالين وروى الطبرانى باسناد حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل والذى بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من أن سمع هدة من السماء أفزعته فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل أمر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن أمر اسرافيل ينزل اليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أردت أن تسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ اليه جبريل أن تواضع فقال بل نبيا عبدا قالها ثلاثا ثم اعلم ان الناس فى طلب الدنيا على قسمين عبد طالب الدنيا للدنيا وعبد طالب الدنيا للآخرة وهذا فى الحقيقة لا دنيا له لان دنياه لآخرته قال ابن عطاء الله سمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول العارف لا دنيا له دنياه لآخرته وآخرته لربه والاشياء انما تذم وتمدح بما تؤدى اليه فالدنيا ليست تذم بلسان الاطلاق ولا تمدح كذلك بل المذموم منها ما شغلك عن مولاك ومنعك من الاستعداد لاخراك والممدوح منها ما أعانك على طاعته وأنهضك الى القيام بخدمته ولكونها ذات وجهين وردت أحاديث بذمها والتنفير منها وأخرى بمدحها واستفراغ والثناء عليها فمن الاولى حديث الدنيا جيفة قذرة وحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما وحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة وصح انه صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ومن الثانية

(باب ما جاء فى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى هيئة مشيه المعتادة له (حدثنا قتيبة بن سعيد نا ابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء ابن عقبة الحضرمى صدوق وجزم النووى بضعفه فى التهذيب وفى التقريب خلط بعد احتراق كتبه (عن أبى يونس عن أبى هريرة قال ما رأيت) أى أبصرت وعلمت وهو أبلغ (شيأ أحسن) صفة على الاول أو مفعول ثان على الوجه الثانى (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) سبق ان معنى هذه العبارة عرفا أنه أحسن من كل شئ وانه واحد فى حسنه صلى الله عليه وسلم (كأن الشمس تجرى فى وجهه) استئناف بيانى شبه الشمس بالانوار التى تلوح على وجهه وعكس التشبيه مبالغة والاصل كأن الانوار التى تلوح على وجه الشمس فقوله تجرى صفة لمحذوف وقد أخرج الطبرانى والدارمى من حديث الربيع بنت معود بن عفراء لو رأيته لرأيت الشمس طالعة والقصد من هذا اقامة البرهان على أحسنيته وانما خص الوجه بذلك لانه الذى تظهر به المحاسن لان حسن البدن تابع لحسنه غالبا (وما رأيت أحدا أسرع فى مشيته) بكسر الميم للهيئة وفى بعض النسخ مشيه بفتح الميم بلا تاء (من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى) أى تجمع وتجعل مطوية له (تحت قدميه (انا) استئناف للبيان (لنجهد) قال الجزرى بضم النون وكسر الهاء ويجوز فتحهما (أنفسنا) اى نحملها فوق طاقتها فى حال سيره صلى الله عليه وسلم طمعا فى مماشاته فلا نقدر على ذلك يقال أجهد دابته وجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها (وانه لغير مكترث) الجملة حال من فاعل نجهد اى غير متكلف سرعة مشيه لان سرعته كانت من كمال القوة لا من تكلف المشقة والجهد والعجلة المذهبة بالبهاء والوقار وقد تقدم يخطو تكفؤا ويمشى هونا وقد تقدم الكلام على صفة مشيته صلى الله عليه وسلم فى آخر الحديث الثانى من الباب الاول فانظره هنالك وما هنا لا يستلزم تقدمه صلى الله عليه وسلم على أصحابه فى المشى حتى يعارض ما تقدم فى حديث ابن أبى هالة من أنه كان يسوق أصحابه بل يدرك هذا المعنى وهو قوة مشيته صلى الله عليه وسلم مع السوق كما يظهر مع السبق وبيانه أن السوق مستلزم لتقدم المسوق على سائقه فاذا كان المسوق لا يقاوم سائقه فى مشيته أدركه من التعب بحسب ضعفه وقوته لانه لا يجد له حينئذ عن جهد نفسه فى المشى

حديث لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر لكن لما كان حال أكثر الناس طلبها لحظوظ أنفسهم العاجلة واشتغالهم بها عن الله وعن الآجلة كانت أحاديث ذمها والتحذير منها أكثر وأشهر وتعاطى أسبابها على الوجه الشرعى والمنهج المرعى لا يشغل عن الله ولذا قال فى التنوير لا بد من الاسباب وجودا ومن الغيبة عنها شهودا نأثبتها من حيث أثبتها الحق بحكمته ولا تستند اليها العالم بأحديته وهذا لا ينافى الزهد لان الزهد عبارة عن طرح الدنيا من القلب وعدم تعلقه بها والحب لها وان كانت فى يده وعدم الزهد هو تعلق القلب بها والالتفات اليها وان لم تكن فى اليد قال القرافى فى الفرق الخامس والخمسين والمائتين بين قاعدة الزهد وعدم ذات اليد اعلم أن الزهد ليس عدم المال بل عدم احتفال القلب بالدنيا والاموال وان كانت فى ملكه فقد يكون الزاهد من أغنى الناس وهو زاهد لانه غير محتفل بما فى يده وبذله فى طاعة الله تعالى أيسر عليه من بذل الفلس على غيره وقد يكون الشديد الفقر غير زاهد بل فى غاية الحرص لاجل ما اشتمل عليه قلبه من الرغبة فى الدنيا اه وفى لطائف المنن لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد قال أما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك وأن يكون ثواب المصيبة أرجح عندك من بقائها وقال فى التنوير للزهد فى الدنيا علامتان علامة فى وجدها وعلامة فى فقدها فالعلامة التى فى وجدها الايثار منها والعلامة التى فى فقدها وجود الراحة منها فالايثار شكر لنعمة الوجدان ووجود الراحة شكر لنعمة الفقدان وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان وذلك لان الحق سبحانه كما ينعم بوجودها ينعم بصرفها بل نعمته فى صرفها أتم وقال الشيخ أبو يزيد البسطامى مر علينا شاب حاجا فقال لى ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا فقلت له

واستفراغ جهده فيه والا كان مسبوقا لا سوقا فيتحقق بسبب عند السابق قوة السائق وهذا مما يجده المرء من نفسه ويعتقد فى ادراكه على حسبه قاله بعض شيوخنا رحمه الله قال فى جمع الوسائل ولعل المناسبة بين الجملتين ان حسن وجهه كان مستمرا لم يتغير فى حال دون حال بخلاف غيره اه * قال المصنف (حدثنا على بن حجر وغير واحد قالوا نا عيسى بن يونس عن عمر بن عبد الله مولى غفرة) بضم معجمة فسكون فاء (نى ابراهيم بن محمد من ولد على بن أبى طالب قال كان على اذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان) أى الرسول (اذا مشى تقلع) من قلع الشجرة اذا نزعها من أصلها أى مشى بقوة أى رفع رجله عن الارض بهمة وقوة لا مع اختيال وتقارب خطا لان تلك مشية النساء ومن تشبه بهن (كأنما ينحط فى صبب) أى ينزل فيما انحدر من الارض كناية عن سرعة مشيه فان الماء أسرع ما يكون جاريا اذا كان منحدرا وفى نسخة من صبب فهى بمعنى فى أو تعليلية أى من اجله والحديث سبق فى صدر الكتاب وهذا مختصر منه أو حديث برأسه وكذا الحديث الذى بعده وهو قوله (حدثنا سفيان بن وكيع نا أبى عن المسعودى عن عثمان بن مسلم بن هرمز) بضم الهاء والميم غير منصرف (عن نافع بن جبير) بالتصغير (ابن مطعم عن على رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا) أى مال الى سنن المشى (كأنما ينحط من صبب) تقدم معناه

* (باب ما جاء فى تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم) *

التقنع قال فى القاموس تقنعت المرأة لبست القناع وفلان تغشى بثوب انتهى فهو تغطية الرأس بطرف العمامة أو الرداء فوق العمامة أو تحتها وفى البخارى انه صلى الله عليه وسلم أتى بيت أبى بكر فى القائلة متقنعا بثوبه والظاهر انه كان متغشيا به فوق العمامة لا تحتها لانه كان مستخفيا من أهل مكة يريد الهجرة الى المدينة والمراد بالقناع هنا ثوب يلقيه الشخص على رأسه بعد ادهانه لئلا يصل أثر الدهن الى القلنسوة والعمامة وأعالى الثوب بدليل الحديث الذى ذكره فقول ابن حجر بين التقنع والمشى مناسبة تامة لاحتياج الماشى اليه كثيرا للتوقى من الحر أو البرد اه يوهم أن المراد به هنا ما يستعمل للتوقى من الحر والبرد وقد علمت ان المراد به هنا خلاف ذلك وأيضا فانه لو قدم التقنع على

فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا وفى شرح الوغليسية للشيخ سيدى أحمد زروق سئل الشيخ سيدى عبد القادر الجيلانى عن الدنيا فقال أخرجها من قلبك واجعلها فى يدك فانها لا تضرك وقال شيخنا أبو العباس بن عقبة الحضرمى ليس الرجل الذى يعرف وجوه تفريق الدنيا فيفرقها انما الرجل الذى يعرف كيفية امساكها فيمسكها قلت وذلك لانها كالحية وليس الشأن فى قتل الحية وانما الشأن فى امساكها حية وقال الشيخ أبو العباس المرسى فى اشارة قوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى الآية يقال للولى وما تلك بيمينك أيها الولى فيقول هى دنياى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى وغنمه اعضاؤه ولى فيها مآرب أخرى فيقال له ألقها فناء عنها فالقاها فيكشف له عن حقيقتها فاذا هى حية تسعى فيقال له خذها ولا تخف فيأخذها باذن كما تركها باذن فاطاع الله فى أخذها كما أطاعه فى تركها وقال الشيخ أبو مدين الدنيا جرادة اذا قطع رأسها حلت ورأسها حبها اهـ وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة رضوان الله عليهم وكذا من بعدهم من صلحاء الامة الذين بسط لهم فى الدنيا فكثرت أموالهم واتسعت فيها أحوالهم وبذلك وصفهم الله سبحانه وهو المطلع على اسرارهم العالم بهم فى سائر أطوارهم فقال عز من قائل فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة الآية فاخبر عنهم بانهم لا يلهيهم ما ذكر عن طاعته فأثبته لهم ونفى عنهم الشغل به عنه اشارة الى أنه قد طهر اسرارهم وكمل أنوارهم فلم تأخذ الدنيا من قلوبهم ولم تخدش فى وجه معرفتهم وزهدهم ولذا قال تعالى فى حقهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكذا حال العارفين والاولياء الكاملين وانظر قول بعضهم أن قال له الى متى الجلوس فى الحانوت وتعاطى الكسب الجسد فى الحانوت والقلب فى الملكوت وانما يخشى من

الباب قبله لكانت المناسبة حاصلة أيضا مع مناسبات أخر باعتبار ما قبله وما بعده قاله فى جمع الوسائل بمعناه والحاصل كما قال العصام ان الفصل بين هذا الباب وبين باب اللباس غير ظاهر وقد ذكره البخارى فى تراجم اللباس وكذا الفصل به بين المشية والجلسة الا أن ينظر الى أن التقنع قد يستعمل عند ارادة المشى فى الجملة كما فى حديث الهجرة فناسب أن يذكر بعد باب المشى (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا الربيع بن صبيح) بالتكبير فيهما (عن يزيد بن أبان) بالصرف وبدونه (عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القناع) بكسر القاف أى لبسه واستعماله (كأن ثوبه) الذى هو ذلك القناع أو أعالى ثوبه لانه وان ألقى على رأسه القناع لابد أن يصل منه شئ الى أعلى ثوبه (ثوب زيات) بائع الزيت أو صانعه فان الغالب أن يكون ثوبه متلطخا بالدهن وقد تقدم فى باب الترجل الكلام على هذا الحديث

(باب ما جاء فى جلسة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

الجلسة بكسر الجيم هيئة الجلوس قال فى جمع الوسائل والظاهر ان المراد بالجلسة هنا مقابل القيام ليشمل الباب حديث الاستلقاء أيضا انتهى ويأتى ما لابن حجر فى وجه المناسبة (حدثنا عبد بن حميد نا عفان بن مسلم نا عبد الله بن حسان عن جدتيه) وفى نسخة بالافراد (عن قيلة بنت مخرمة انها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصاء) بضم القاف والفاء يمد ويقصر مفعول مطلق وهو جلسة المحتبى يقال قرفص الرجل اذا شد يديه تحت رجليه والمراد هنا أن يقعد على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه على ساقيه كما يحتبى بالثوب وقيل هى ان يجلس على ركبتيه متكئا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه أى يجعل كلا تحت ابط وهى جلسة الاعراب قلت وهذا التفسير الثانى أنسب هنا لما فى هذه الهيئة من تنكيس الرأس والخضوع ومن ثم قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع وفى القاموس القرفصاء مثلث القاف والفاء مقصورة وبالضم ممدودة وبضم الفاء والراء على الاتباع اهـ لكن الرواية هنا ما تقدم (قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخشع) أى المتواضع صفة رسول أو مفعول ثان لرأيت اذا كان بمعنى علمت واستظهر المناوى انه حال فتكون الالف واللام زائدة والتفعل هنا لزيادة المبالغة لا للتكلف فهو

اتساع الدنيا وبسطها على أهل البداية لعدم تمكنهم ورسوخهم فيخشى عليه ان تأخذ من قلوبهم وتقطعهم عن الوصول الى مطلوبهم ولذا ابتلى الحق سبحانه الصحابة بالفاقة فى أول أمرهم حتى اذا تكملت أنوارهم وتطهرت أسرارهم بذلها لهم وأفاضها عليهم فتصرفوا فيها تصرف الخازن الامين فيما يليه وامتثلوا قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وأخرج ابن عساكر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس على ان من الناس من لا تتم وجهته الى ربه ولا يجمع قلبه على حبه الا بسعة الحال وكثرة المال والفقر يشوش باله ويوجب اختلاله ففى بعض الاحاديث القدسية ان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر وان بسطت له أفسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادى المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لافسده ذلك انى أدبر أمور عبادى لعلمى بقلوبهم انى عليم خبير ذكره ابن الجوزى فى صفوة الصفوة وقد كان سعد بن عبادة سيد الخزرج رضى الله عنه يدعو اللهم هب لى حمدا وهب لى مجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال اللهم انى لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه ذكره فى الصفوة أيضا وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة والافضال وسمت همته لدرك المعال ابتغاء بذلك مرضاة الكبير المتعال كما عبر عنه من قال

أردت بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلى

كما ان ايثار الفقر مذهب من غلب عليه حب السلامة وآثرها لكثرة الخطر على تلك الكرامة كما قال القائل

كوصفه تعالى بالمتكبر (فى الجلسة) أى فى هيئة جلسته المتضمنة اظهار عبوديته كما أشار اليه بقوله أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد لا على هيئة جلوس الجبارين المتكبرين من التربع والاتكاء وشموخ الانف وعدم الالتفات الى المساكين والاحتجاب عن المحتاجين (أرعدت) بالبناء للمجهول أى حصلت لى رعدة (من الفرق) بفتح الفاء والراء أى الخوف الالهى المستفاد من تواضعه فى جلوسه أو لما كان يغشاه من هيبة الله وجلاله وفى الحديث من خاف الله خوف منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ وقد تقدم وجه ذلك فى الباب الاول فى قول على رضى الله عنه من رآه بديهة هابه فكان مع تخشعه وتواضعه عظيما مهابا ووقع فى هذه القصة بعد قولها أرعدت من الفرق فقال له جليسه يا رسول الله أرعدت المسكينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر الى وأنا عند ظهره يا مسكينة عليك السكينة قالت فأذهب الله ما كان دخل فى قلبى من الرعب ولعل هذه أول ملاقاة حصلت لها وقد تقدم قوله للرجل الذى أرعد بين يديه هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد * قال المصنف (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وغير واحد قالوا نا سفيان عن الزهرى عن عباد بن تميم) أى الانصارى المزنى ثقة وقيل ان له رؤية (عن عمه) أى عبد الله بن زيد بن عاصم بن محمد صحابى شهير روى صفة الوضوء وغير ذلك ويقال هو الذى قتل مسيلمة الكذاب روى عنه الستة (انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم مستلقيا) أى مضطجعا على قفاه (فى المسجد) ولا يلزم منه النوم (واضعا احدى رجليه على الاخرى) أى مع نصب الاخرى أو مدها وهذا الحديث فى الصحيحين وهو بظاهره ينافى ما رواه مسلم عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستلقين احدكم ثم يضع احدى رجليه على الاخرى فاما ان يحمل حديث الباب على وضع احدى الرجلين على الاخرى مع مدهما وحديث النهى على وضع احدى الرجلين على ركبة الاخرى بعد نصبها واما أن يحمل حديث الباب على حالة الامن من انكشاف العورة كالمتسرول وحديث النهى على حالة عدم الامن من ذلك كالمؤتزر قال العسقلانى والتأويل أولى من ادعاء النسخ لانه لا يصار اليه بالاحتمال وكذا القول بأن الجواز من خصائصه بعيد لانه لا يثبت بالاحتمال أيضا ولان من الصحابة من كان يفعل ذلك بعده صلى الله عليه وسلم

وقائلة مالى أراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح   فقلت لها مالى بربحك حاجة * ونحن أناس بالسلامة نفرح

والحاصل كما قال فى الاحياء ان المقصود اصلاح القلوب لتجرد لذكر علام الغيوب فرب شخص يشغله وجود المال ورب شخص يشغله عدمه والمحذور مايشغل عن الله تعالى والا فالدنيا فى عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تعالى وأرشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله عز وجل وعمدة الاشتغال بالله القلب اه وقد ذكر فى الاحياء ان زهد النبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا واعراضه عما عرض عليه من خزائنها وايثاره للتقلل منها والاقتصار على القدر الضرورى من متاعها انما كان نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به فى الترك اذ لو اقتدوا به فى الاخذ لهلكوا كما يفر الرجل القوى بين يدى أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه انه لو أخذها لاخذها أولاده اذا رأوها فهلكوا والسير بسيرة الضعفاء سيرة الانبياء عليهم السلام اذ هم فى مقام الاقتداء والتشريع للكافة وعلى ذلك يحمل أيضا هروب من هرب منها من المشايخ الكاملين والائمة الراسخين ولكل وجهة هو موليها وكلا وعد الله الحسنى * وفى طبقات ابن السبكى فى ترجمة ابن حبان بعد كلام تنبغى مراجعته وسماعى مرات كثيرة من الشيخ الوالد رحمه الله وهو معتقدى انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا قط ولا كانت حالته حالة الفقراء بل كان أغنى الناس بالله وكان الله تعالى قد كفاه أمر دنياه فى نفسه وعياله ومعاشه واحفظ أن الشيخ الامام رحمه الله أقام من مجالسه من قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا قياما صعبا وكاد يسطو به ومانجاه منه الا انه استتابه واستسلمه

ولم ينكر عليه أحد وفيه جواز الاتكاء والاضطجاع والاستراحة فى المسجد مطلقا ويمكن تقييده بحالة الاعتكاف لما علم ان جلوسه كان على الوقار والتواضع اه المناوى والظاهر من حال المصطفى صلى الله عليه وسلم انه انما فعله بالمسجد عند خلوه ممن يحتشم منه * وقال ابن حجر وجه مناسبة الحديث للباب ان فيه دليلا على حل الجلوس على سائر كيفياته بالاولى لان هذا الاضطجاع اذا جاز فى المسجد فاولى ان يجوز سائر أنواع الجلوس فى المسجد وغيره اه وقد تقدم أول الباب عن جمع الوسائل توجيه آخر * قال المصنف (حدثنا سلمة بن شبيب) بفتح المعجمة وكسر الموحدة الاولى أخرج حديثه مسلم والاربعة (نا عبد الله بن ابراهيم المدنى) وفى نسخة المدينى أخرج حديثه أبو داود أيضا (نا اسحق بن محمد الانصارى) مجهول أخرج حديثه أبو داود أيضا (عن ربيح) مصغر ربح براء فوحدة فمهملة (ابن عبد الرحمن بن أبى سعيد) أخرج حديثه أبو داود وابن ماجه (عن أبيه) أى عبد الرحمن (عن جده أبى سعيد الخدرى) بالدال المهملة (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المسجد) وفى نسخة فى المجلس (احتبى بيديه) زاد البزار ونصب ركبتيه أى جعلهما مكان الاحتباء بالثوب فى الصحاح احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته وقد يحتبى بيديه اه والاحتباء جلسة الاعراب لقيامه مقام الاستناد الى الجدار وجاء النهى عنه فى المسجد والامام يخطب لانه يستجلب النوم فربما يفوت سماع الخطبة أو الصلاة فى الجماعة وجاء عن جابر بن سمرة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر تربع فى مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء أى نقية بيضاء ذكره النووى فى الرياض وقال صحيح رواه أبو داود باسانيد صحيحة قال فى جمع الوسائل فنقول اختلفت أحواله صلى الله عليه وسلم فتارة تربع وتارة احتبى وتارة استلقى وتارة ثنى رجليه توسعة للامة المرحومة وقال ابن حجر احتباؤه انما كان فى غير ما بعد صلاة الصبح اه فجعل هذا الحديث مخصصا لحديث الباب والله أعلم بالصواب

(باب ماجاء فى تكأة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

تكأة كهمزة ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها مما هيئ وأعد لذلك فخرج الانسان اذا اتكئ عليه فلا يسمى تكأة ولهذا ترجم المصنف لهما بابين فاندفع الاعتراض بأن الكل

باب

وكان رحمه الله يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا ان المراد به استكانة القلب لا المسكنة التى هى ان يجد ما لا يقع موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد ذلك والحق معه فان من جاءت اليه مفاتيح خزائن الارض وكان قادرا على تناول ما فيها كل لحظة كيف يوصف بالعدم ونحن لو وجدنا من معه مال جزيل فى صندوق من جوانب بيته لو سميناه بسمة الغنى المفرط مع العلم بانه قد يسرق أو تغتاله غوائل الزمان فيصبح فقيرا فكيف لا يسمى غنيا من خزائن الارض بالنسبة اليه أقرب من الصندوق بالنسبة الى صاحب البيت وهى فى يديه بحيث لا تتغير بل هو آمن عليها بخلاف صاحب الصندوق فما كان النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا مسكينا نعم كان أعظم الناس جؤارا الى ربه وخضوعا له وأشدهم فى اظهار الافتقار اليه والتمسكن بين يديه اه

(شمس فضل تحقق الظن فيه
أنه الشمس رفعة والضياء)

أى هو شمس سماء العلوم والكمالات باسرها بجامع الحسن والاشراق على الوجود والامداد لكل موجود كيف وكل فضل تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق أى ثبت الظن أى انتقل الظن من الرجحان الى الاعتقاد الجازم المطابق للواقع فيه أى فى ذاته وصفاته انه بالنسبة الى بقية الكمل فى اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة على هذا العالم رفعة لا يصل اليها أحد منهم وانه الضياء المفيض عليهم أضواء الكمالات وخوارق الامدادات فالجملة من قوله تحقق الظن الخ حالية مؤكدة لما قبلها وبين الشمس والضياء مراعاة النظير وفيهما التشبيه البليغ وقد تقدم بيان هذا التشبيه وان المشبه أعلى من المشبه به وأرفع ولذا قال

(فاذا ما ضحا محا نوره الظل وقد أثبت الظلال الضحاء)

باب واحد فلا وجه للفصل بينهما وقدم باب الاتكاء على غير الانسان لانه الاصل وأما الاتكاء على الانسان فعارض قليل وعبر هنا بالتكأة وفيما يأتى بالاتكاء لان التكأة مقصودة للاتكاء بطريق الذات وكان النص عليها فى الترجمة أولى والمتكأ عليه هنالك ليس كذلك فكان حذفه لاجل ذلك والنص على الاتكاء أولى فاندفع الاعتراض أيضا بأن القياس استواء البابين فى التعبير بالتكأة هنا وبالمتوكأ عليه هنالك أو فى التعبير بالاتكاء فى البابين قال معناه ابن حجر وسلمه فى جمع الوسائل (حدثنا عباس بن محمد الدورى) بضم المهملة نسبة الى محلة من بغداد أو قرية من قراها (البغدادى) ثقة حافظ أخرج حديثه الاربعة (نا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أبصرته حالة كونه (متكئا على وسادة) أى مخدة ويقال وساد بلا تاء واسادة بالهمز (على يساره) أى كائنة على الجانب الايسر وهذا لبيان الواقع لا للتقييد فيجوز الاتكاء عليها يمينا وشمالا وسيأتى للمصنف ان اسحق انفرد بهذه الزيادة ومن ثم قال فى جامعه حديث حسن غريب لكنه مع ذلك يحتج به ويفهم من قوله على يساره ان المراد بالاتكاء هنا الميل والاعتماد على أحد الشقين لا الاستواء قاعدا كما قيل * قال المصنف (حدثنا حميد بن مسعدة نا بشر ابن المفضل نا الجريرى) هو سعيد بن اياس (عن عبد الرحمن بن أبى بكرة) هو أول تابعى ولد بالبصرة روى عنه الشيخان وغيرهما (عن أبيه) أبى بكرة نفيع بن الحرث صحابى مشهور بكنيته نزل من الطائف من بكرة تعلق بها فكناه النبى صلى الله عليه وسلم بابى بكرة وكان مثل النصل من العبادة قال الحسن البصرى لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن حصين وأبى بكرة وكان يأبى ان ينتسب ويقول أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أولاده اشرافا فى البصرة بالولايات والعلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم) وفى نسخة أخبركم والهمزة للاستفهام ولا للنفى والمعادل محذوف والتقدير أينتفى اخباركم بأكبر الكبائر أم لا ينتفى وانما لم يعلمهم بها من أول وهلة ايذانا بغاية التنفير منها لانها أفحش المعاصى وأشنعها ومرتكبها مشتغل بتخريب ايمانه وافساده (بأكبر الكبائر) أى بكبائر هى أكبر الكبائر أى أعظمها وأشنعها فالموصوف متعدد لان الحديث يدل على ان أكبر الكبائر متعدد فلا يرد ما قال

الفاء للسببية أي فبسبب ان المشبه قد يكون أعلى من المشبه به كان شأنه صلى الله عليه وسلم انه اذا ماشها أي مشى عقب طلوع الشمس والمراد ماهو أعم لكنه في هذا الوقت أظهر لقوة ضياء شمس الضحى محا نوره الظل أي ظل ذاته الكريمة أي لا يكون له ظل كما يكون لغيره من كل قائم لان نوره أصل كل نور والظل ظلمة وهي تضمحل مع وجود النور ويحتمل ان يكون معنى ضحا ظهر ونوره ماجاء به ودعا اليه والظل كل مانهى عنه من الكفر والضلال قوله وقد أثبت اظلال الضحاء الواو للحال والاظلال جمع ظل وهو ماتنسخه الشمس أو ينسخها والضحاء بالضم والقصر الشمس والمد ضرورة ويصح أن يكون بالفتح والمد وهو مابعد الضحى بقرب الزوال وخص الوقت المذكور لشدة ظهور الشمس فيه وأشار الناظم بالبيت الى ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر ووجهه القاضي في الشفاء بقوله لانه كان نورا أي ولانه وان كان بشرا لكن بشريته ليست كبشرية سائر البشر فهو بشر ليس كالبشر كما ان الياقوت حجر ليس كالحجر فهو مع بشريته نور ولذلك سمي نورا وقد قال ابن عباس لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج رواه ابن الجوزي ووجه أيضا بحفظ ظله الذي هو مثال صورته عن الامتداد على الارض اجلالا له ولان الظل المرتسم معرض للارتسام في الاماكن القذرة وأيضا الظل ملزوم لظلمة في الجملة بالنسبة الى النور اعظم اذ هو حجاب له وهو صلى الله عليه وسلم النور المنير فلا تظهر منه ظلمة وأيضا الشمس والقمر منه ظهرا وعنه نشآ فلا يستران به اذ المظهر للشئ يمتنع ان يكون ساترا لما أظهره * (فائدة) * ذكر بعض العلماء أن من معجزاته صلى الله عليه وسلم ان من كتب هذه الاسم والعشرة الآتية ووضعها في بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت وهي ماوقع ظله صلى الله عليه

العصام ان تعدد أكبر الكبائر مشكل لان معناه كبيرة أكبر من جميع ماعداه من الكبائر وحاصل الجواب ان المراد ان هذا العدد من الكبائر كل واحد منه أكبر من جميع ماعداه من الكبائر وادعاء ان الاكبر لا يكون الا واحدا انما هو ان أريد الحقيقي أما ان أريد النسبي فانه يكون متعددا وهو المراد هنا ولا يلزم من هذا ان كل فرد من افراد هذا العدد مساو لغيره لكن يرد أن يقال القتل أكبر من العقوق بل ليس بعد الشرك أكبر منه والزنا أكبر من العقوق فلم ينبه على ذلك وأجيب بأن ذلك علم من أحاديث أخر والنبي صلى الله عليه وسلم كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين ولذلك قال مرة أفضل الاعمال الصلاة لاول وقتها وأخرى أفضل الاعمال الجهاد وأخرى أفضل الاعمال بر الوالدين وقد اختلف العلماء فيما تمتاز به الكبائر عن الصغائر على أقوال منها انها تمتاز بالعد قال القاشاني قال بعضهم أستقريت من جميع الاحاديث انها ثمان عشرة كبيرة أربعة في القلب الشرك بالله والامن من مكر الله والاياس من رحمته والاصرار على الذنب وثلاثة في البطن أكل مال اليتيم وأكل الربا وشرب الخمر وخمس في اللسان الكذب وشهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والغيبة واثنان في اليد البطش والسرقة واثنان في الفرج الزنا واللواط وواحدة في الرجل الفرار من الزحف وواحدة في جميع البدن وهي العقوق وقال ابن عباس هي الى السبعين أقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقيل أحدها مبهم لتترك كل معصية خوف الوقوع في الكبيرة كما أخفيت الوسطى والاسم الاعظم وليلة القدر وساعة الجمعة وانظر بقية الاقوال في جمع الجوامع وغيره وأما حصر الصغائر فمتعذر قال ابن حجر كقبلة أجنبية ولمس ولو لبهيمة وكذب لاحد فيه ولا ضرر وهجر مسلم وهجره فوق ثلاثة أيام واشراف على بيت غيره وجلوس مع فاسق لايناسب ونجش أو احتكار وبيع معيب علم عيبه ولم يذكره انظر بقيتها فيه وتأمل بعض هذه الامثلة فقد لايسلم ان جميعها من الصغائر (قالوا بلى يارسول الله) أي أخبرنا بذلك وفائدة النداء الاشارة الى عظيم الاذعان لرسالته ومانشأ عنها من بيان الشريعة واستجلاب ماعنده من الكمالات والعلوم (قال الاشراك بالله) أي اعتقاد ان له سبحانه شريكا في ألوهيته والاظهر ان المراد هنا مطلق الكفر وخص الاشراك بالذكر لغلبته في الوجود لاسيما في بلاد العرب والا فبعض الكفر

وسلم على الارض قط ما ظهر بوله على الارض قط لم يقع عليه الذباب قط لم يحتلم قط لم يتثاءب قط لم تهرب منه دابة ركبها قط ولد مختونا تنام عينه ولا ينام قلبه ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه كان اذا جلس بين قومه كانت كتفاه أعلى منهم

(فكأن الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الدفقاء)

(١٨٩)

لماذا كان نوره صلى الله عليه وسلم يمحو كل ظل ورد عليه ان الغمامة كانت تظله فلم لم يمح نوره ظلها فاجاب بقوله فبسبب محو نوره الظل الحسى صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوى الاعظم على جميع اتباعه حتى كأن الغمامة لما أظلته قبل النبوة ارهاصا وتأسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته بأنها استودعته الامة باسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم الدفقاء ومن بعدهم بواسطة استمداد الاولين من ظله وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطتهم هم الذين أظلتهم بعض ظله الاعظم الدفقاء جمع دافق كعلماء جمع عالم وهم الجيوش سموا بذلك لانهم يدفقون نحو العدو أى يسيرون اليه لدفعه ولاستئصاله وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذى كان قبل النبوة كان لحكمتين احداهما الارهاص وثانيتهما اعلامه صلى الله عليه وسلم بما سيؤول اليه أمره من أن الله سبحانه سيجعل له أمة أكثر الامم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد من القرن الذى قبله وان الكل مستمدون من ظله فظله المعنوى عم جميع الامة فالمحو المذكور هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل لما ذكر هذا محصل ما فى المنح ولا يخلو عن تكلف الجأه اليه ارادة الارتباط بين هذا البيت والذى قبله باعتبار المعنى الثانى وهو غير لازم والصواب أن يقال انه أشار الى ذكر حكمة تظليل الغمامة له وانه لا ينافى محو الظل لان المراد به ما فى الارض لا ظل السماء فيكون الناظم رحمه الله أشار هنا الى أن الغمامة لما ظللته بظلها الحسى فكأنها استودعت عنده بسبب ذلك أمته

أعظم قبحا من الاشراك وهو التعطيل ويكفى فى قبح الكفر قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكل ذنب ترجى مغفرته الا الكفر وفى الحديث الصحيح يقول الله عز وجل من لقينى بقراب الارض خطيئة لا يشرك بى شيأ لقيته بمثلها مغفرة وقال تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وقال والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وقال تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وقال تعالى ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير الآية فهو كسر لا يجبر فاعرف قدر نعمة الايمان (وعقوق الوالدين) ى كل من الوالدين قال فى جمع الوسائل وهذا أظهر من قول ابن حجر جمعهما لان عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالبا ويجر اليه اه والعقوق ان يفعل مع الوالد ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين فى العرف بهذا ضبطه بعضهم وارتضاه ابن حجر قال فى جمع الوسائل وحاصله ان العقوق مخالفة توجب الغضب واما ما دونه فمن الصغائر ويؤيده ما ورد رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد رواه الترمذى والحاكم عن ابن عمر والبزار عن ابن عمرو ولا شك ان بين الرضا والسخط حالا متوسطا فقوله تعالى ولا تقل لهما أف من باب المبالغة فى الزجر اه قال ابن حجر وهل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى ان ما يتأذى به كثيرا وهو عرفا بخلاف ذلك كبيرة أو بالنسبة الى العرف فما عده أهله مما لا يتأذى به كثير اليس بكبيرة وان تأذى به كثيرا كل محتمل والذى يظهر ان المراد الثانى بدليل انه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم تلزمه طاعته وان تأذى بذلك كثيرا فعلمنا ان ليس المناط وجود التأذى كثيرا بل ان يكون ذلك من شأنه ان يتأذى منه كثيرا اه قلت قد يتأذى الوالد بما لا يتأذى به لسوء طبعه أو لنقصان عقله ومن الناس من لا يرضيه شئ فالظاهر والله أعلم انه اذا فعل معه ما لا يسميه الناس اذاية فان ذلك لا يكون عقوقا وان لم يقنع بذلك منه ثم اعلم ان العقوق من الذنوب التى تعجل عقوبتها فى الدنيا فان العاق قل ما ينجح له عمل دينى أو دنيوى وفى الحديث ملعون من سب والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه قال القرطبى انما استحق ساب أبويه اللعن لمقابلته نعمة الابوين بالكفران

أظلالها بظله المعنوى خدمة منها له صلى الله عليه وسلم لما تعلمه من محبته لامته كأنها تقول بلسان حالها هذا الظل خدمة منى اليك وان كنت لاحاجة لك به لكنى قصدت به ان تكون لى به يد عندك وأنت أكرم من جازى وتلك المجازاة جعلها الامتك ويصير سبك البيت كأن الغمامة استودعت النبى صلى الله عليه وسلم جميع أمته الذين أظلتهم من أجل ظلها له صلى الله عليه وسلم فكان الظل أولا ما كان الالهم اغناه هو عنه وهم الدفناء وذكر الشهاب الخفاجى فى رحلته عن بعض الشيوخ انه غلط الشراح فى هذا البيت رواية ودراية قال وانما هو هكذا

فكأن الغمامة استودعته
مذ أظلته من ظله الدقعاء

فاستودعت وأظلت مبنيان للمفعول ومذ بضم الميم واعجام الذال والدقعاء بدال مهملة مفتوحة وقاف وعين مهملة والمد وهى الارض وترابها والمعنى ان الغمام انما أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وفى قوله مذ أظلت الخ معنيان أحدهما مذ مس ظله التراب والاخر مذ صارت الارض كلها فى حمايته لانه ظل الله اه فليتأمل وقد قالوا من جملة نكت هذا التظليل خدمة الامور العلوية له وأنه صاحب الملك الحقيق الذى لا يحتاج الى تكلف كسائر الملوك ففيه التنبيه على أنه ذو الملك التام والعزة البالغة وان شمسيته أجمل وأحسن وأكمل وأبهى وأعظم من الشمس المحجوب عنها الان المحفوظ من الشئ أعظم من ذلك الشئ فكأن تحجبه عنها حجب حفظ لا حجب منع من اشراق نوره وفيضان فضله وأيضا فان الشمس انما تمنع التمكن من التأمل فيما انتشرت عليه فظلل ليتم التمكن من التأمل فيه فكان التظليل عين الجلاء وأيضا ليتمحض النور له ولا يشاركه فيه شئ وأيضا جماله صلى الله عليه وسلم من جمال الشمس أجمل وجلاله من جلالتها أجل ونوره من نورها أنور وبهاؤه من بهائها أبهى وأبهر فخجلت منه حين

وانتهائه الى غاية العقوق والعصيان كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وان كانا كافرين وبتوحيده وشريعته اه بل قد يؤدى العقوق الى الكفر أخرج الدارقطنى والبيهقى فى شعب الايمان وفى دلائل النبوة عن عبد الله بن أبى أوفى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ههنا غلاما قد احتضر فقيل له قل لا اله الا الله فلا يستطيع ان يقولها قال أليس كان يقولها فى حياته قالوا بلى قال فما منعه منها عند موته فنهض النبى صلى الله عليه وسلم ونهضنا معه حتى أتى الغلام فقال ياغلام قل لا اله الا الله قال لا أستطيع أن أقولها قال ولم قال العقوق والدتى قال أهى حية قال نعم قال ارسلوا اليها فجاءته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنك هو قالت نعم قال أرأيت لو ان نارا أججت فقيل لك ان لم تشفعى فيه قذفناه فى هذه النار فقالت اذن كنت أشفع له قال فأشهدى الله وأشهدينا بانك قد رضيت عنه فقالت قد رضيت عن ابنى فقال ياغلام قل لا اله الا الله فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أنقذه بى من النار ذكره السيوطى فى شرح الصدور وكان هذا والله أعلم وجه ذكر العقوق اثر الاشراك بالله مع ان شهادة الزور أعظم من العقوق (قال) أى أبو بكرة (وجلس وكان متكئا قال وشهادة الزور) أكد صلى الله عليه وسلم التحذير من شهادة الزور بالجلوس بعد الاتكاء مع ان الاشراك أعظم منها التساهل الناس فيها وتسارعهم اليها مع انه يترتب عليها مفاسد كثيرة من زنا وقتل وتحريم حلال وعكسه قال القرطبى وليس بعد الشرك أعظم منها وقال النووى القتل أعظم منها ويكفى فى قبحها انه سبحانه قرنها فى التنزيل بالشرك فقال اجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور فجمع الشرك وقول الزور فى قران واحد لان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن يحق له العبادة فكأنه قال اجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا الزور كله لا تقربوا شيأ منه لتماديه فى القبح والسماجة وما ظنك بشئ من قبيله عبادة الاوثان وجاء من شهد زورا علق من لسانه يوم القيامة قال الابى وهى ان يشهد بما لم يعلم عمدا وان طابقت الواقع كمن شهد ان زيدا قتل عمرا وهو لا يعلم انه قتله وقد كان قتله (أو قول الزور) هو أعم مطلقا من شهادة الزور والشك قال المناوى هو من الراوى لا من الصحابى اذ يبعد نسيانه مع المبالغة وكثرة التكرار اه وقد صرح مسلم بأن

الشك

طلوع طلعته وبروز سنا رفعته فاختفت من موضعه ولم تستطع ان تلقاه وذلك مقتضى استحياء الاصاغر من الاكابر والخدام من السادات الم‍تزان الوزير يكون في تصرفاته الهائلة وأحكامه المتطاولة فاذا أشرف عليه الامير أخفى ذلك وقطعه وأزال ثوب التقدم ونزعه اجلالا ومهابة واستحياء وأدبا وان التلميذ يكون في تقريراته المحققة وتحريراته المرونقة فاذا أشرف عليه المعلم قعد للتعلم بين يديه وفوض أمر التقرير والتحرير اليه ويرحم الله القائل

أفضل الخلق أحسن الناس خلقا
زانه الله ما أشد احتشامه
ان جلا في الدجا هلال جبين
وعن الوجه ان أماط لثامه
أخجل الشمس في الضحى وأعار الـ
ـبدر في الليل نوره وتمامه

ولسيدى عبد الرحيم البرعى رحمه الله

نبي ما رأته الشمس الا
وكانت عن محاسنه حياء

(خفيت عنده الفضائل وانجا
بت به عن قلوبنا الاهواء
أمع الصبح للنجوم تجل
أم مع الشمس للظلام بقاء)

أى اذا تقرر ان كل فضل مستمد من فضله وان نوره يمحو الظل علم أنه قد خفيت عنده أى في جنب ما أوتيه الفضائل التى أوتيها غيره من الانس والملائكة والجن وانه قد انجابت أى انكشفت به أى بسبب ما بينه لنا من علومه وآدابه وأخلاقه عن عقولنا معشر أمة الاجابة الاهواء أى الضلالات والنقائص فلم نقع في ورطة شئ منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء وكشف الاهواء بما أفاده الاستفهام الانكارى فقال على طريق اللف والنشر المرتب أيوجد مع الصبح للنجوم تجل أو يوجد مع الشمس للظلام بقاء أى انما خفيت الفضائل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما ان النجوم لايبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما كشف عن عقولنا الاهواء لانه كالشمس والاهوية والنقائص كالظلام فكما ان الظلام لايبقى مع الشمس فكذلك الاهوية والضلالات لاتبقى مع اشراق الشمس من

الشك من الراوى لانه ذكر الحديث عن أبى بكرة ثم ذكره عن أنس بن مالك بالشك ثم قال وقال شعبة وأكثر ظنى انه شهادة الزور اه قال في جمع الوسائل والاظهر ان أو للتنويع ورواية البخارى لاشك فيها وهى الاوقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ألا سكت وهو من عطف الخاص على العام وقال ابن دقيق العيد يحتمل انه عطف تفسير فانا لو حملنا القول على الاطلاق لزم ان الكذبة الواحدة كبيرة وليس كذلك (قال) أى أبو بكرة (فمازال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولها حتى قلنا ليته سكت) أى تمنوا سكوته لانهم كانوا اذا غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد خوفهم خوف ان يغضب الله لغضب رسوله أو تمنوا سكوته في تلك الحالة اشفاقا عليه وكراهة لما يزعجه ويؤلمه وفى الحديث ما كانوا عليه من كثرة الخوف من الله تعالى والادب مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمحبة له والشفقة عليه وان افادة العلم مع الاتكاء لاتنافى الادب والكمال في بعض الاحيان ومع بعض الاشخاص وان الواعظ ينبغى له ان يبالغ في التحذير مما يقع الاستخفاف به من حقوق الخالق أو المخلوقين حتى يرحمه السامعون وليس في هذا الحديث ولا في الحديث بعده مناسبة للباب وان كان الاتكاء يستلزم التكأة * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا شريك عن على بن الاقمر عن أبى جحيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) لان وقت الاكل وقت تواضع وشكر لله تعالى والاكل متكئا صفة المتكبرين وهذا ظاهر ان فسر الاتكاء بالميل على شق حالة الاكل ومنه الاعتماد على اليد اليسرى عند الاكل فانه نوع من الاتكاء كما قال مالك وكذا ان فسر بالاستناد الى وسادة ونحوها لما في ذلك من التهاون بنعمة الله ومن ذلك الاكل مضطجعا وأما ان فسر بالجلوس على وجه يتهيأ معه الاكثار من الاكل كالتربع وبه فسره القاضى عياض فلان ذلك من فعل المستكثرين من الاطعمة المتنعمين المشغوفين بكثرة الاكل الذين لهم نهمة وشره وعلى كل فهو حرام في حق النبى صلى الله عليه وسلم وكان تارة يجلس على صدور قدميه وتارة ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى وقال ابن القيم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يجلس للاكل متوركا على ركبتيه ويضع ظهر قدمه اليمنى على بطن اليسرى تواضعا لله عز وجل وأدبا بين يديه قال وهذه الهيئة أنفع هيآت الاكل وأفضلها لان الاعضاء كلها تكون على وضعها

غير حائل بينها وبين ما أشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس التقابل وفي البيت الكلام الجامع

(معجز القول والفعال كريم الـ ـخلق والخلق مقسط معطاء)

أي هو صلى الله عليه وسلم معجز القول لان الله تعالى أنعم عليه بجوامع الكلم مع كونه أفصح أهل الفصاحة وهم العرب ومن ثم قيل ان كلامه معجز كالقرآن والا كثر على خلافه وهو معجز الفعال فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي أوجد فيه ذلك الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث حضرة الالهية التي لا يدخل أحد اليها الا باذنه وتقدم بعض كرم خلقه وخلقه وسيأتي بعض آخر منها وبين القول والفعال والخلق والخلق تجنيس التقابل مع تجنيس التحريف في الثاني والمقسط العادل في أحكامه وأقواله وأفعاله فلا يصدر عنه شئ قط الا على غاية العدل باطنا وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم أحواله حتى أعداؤه وبهذا كانوا يسمونه الامين والمأمون وصح أن رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل وكان يقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وكان لا يؤاخذ أحدا بقول أحد ولا يصدق أحدا في أحد وأشار بقوله معطاء وهو مفعال من العطاء لكثرة عطائه صلى الله عليه وسلم وجوده وسخائه وفي الصحيحين من حديث أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس قال في المواهب وأجود أفعل تفضيل من الجود وهو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ومعناه هو أسخى الناس لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة لا بد ان يكون فعله أحسن الافعال وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق فلا شك

الطيبي الذي خلقها الله تعالى عليه اه بنقل ابن حجر ونقله في جمع الوسائل أيضا بعد هذا المحل وأما في حق غيره فالاتكاء مكروه على الاصح وحينئذ فليس النهي مقصورا عليه ووجه تخصيصه نفسه الشريفة بذلك ان المناسب لكماله عدم الاتكاء في الاكل اذ مقامه الشريف يأباه من كل وجه فامتاز عليهم بذلك قاله ابن حجر قال في جمع الوسائل والاظهر ان مراده التعريض بغيره من الجاهلية والعجم الذين يفعلون ذلك اظهار للعظمة والكبرياء والافتخار والخيلاء والمراد أما أنا ومن تبعني فلا أفعل ذلك فاكتفى بذكر المتبوع عن التابع وفيه اشارة الى نهي المؤمنين عن ذلك وتنفيرهم عن فعله بوجه لطيف وهو انه لا يفعل ذلك بوجه لان أما تفيد المبالغة والتأكيد والله أعلم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدي نا سفيان) هو الثوري كما صرح به العسقلاني (عن علي بن الاقمر قال سمعت أبا جحيفة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آكل متكئا) يظهر الفرق بين الحديثين باختلاف رجال السند وتغيير يسير في المتن والغرض تأكيد هذا الامر بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى وان اتكاءه انما كان في غير حالة الاكل وعند ابن ماجه والطبراني باسناد حسن أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له اعرابي ما هذه الجلسة فقال ان الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا عنيدا قال ابن بطال وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا لله ومن ثم قال انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد ثم ذكر من طريق أيوب عن الزهري قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم ملك لم يأته قبلها فقال ان ربك يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا أو ملكا نبيا فنظر الى جبريل كالمستشير له فأومأ اليه ان تواضع قال بل عبدا نبيا قال فما أكل متكئا وهذا مرسل أو معضل وقد وصله النسائي من طريق آخر عن ابن عباس نحوه * قال المصنف (حدثنا يوسف بن عيسى نا وكيع نا اسرائيل عن سماك) بن حرب (عن جابر ابن سمرة) صحابيان (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على وسادة) أي مخدة (قال أبو عيسى) هو المصنف (لم يذكر وكيع فيه) أي في هذا الحديث (على يساره) أي هذا اللفظ (وهكذا روى غير واحد عن اسرائيل نحو رواية وكيع ولا نعلم أحدا ذكر فيه على يساره الا ما روى اسحق بن منصور عن اسرائيل) حاصله ان اسحق تفرد بزيادة على

يساره

أن يكون أجود وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وفى مسلم عن أنس ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاء رجل فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وعنده أيضا عن صفوان بن أمية قال لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطانى وانه لمن أبغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه لاحب الناس الى قال ابن شهاب أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وفى مغازى الواقدى ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى صفوان يومئذ واديا مملوأ ابلا ونعما فقال صفوان أشهد ماطابت بهذا الا نفس نبى وأخرج ابن عدى من حديث أنس مرفوعا أنا أجود بنى آدم فكان جوده صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله فى اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع لهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم وروى البخارى من حديث جابر ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ قط فقال لا أى ماطلب منه شئ من أمر الدنيا فمنعه أى لا ينطق بالرد وانما يعطى أو يسكت وقد يقول لا على جهة الاعتذار وروى الترمذى انه حمل اليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها قال وجاءه رجل فقال ماعندى شئ ولكن ابتع على فاذا جاءنى شئ قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله مالا تقدر فكره النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا أمرت وروى انه فى يوم حنين أعطى عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطى ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف وفى البخارى من حديث أنس انه أتى بمال من البحرين فأمر بصبه فى المسجد وكان أكثر مال أتى به صلى الله عليه وسلم فخرج الى المسجد

يساره من بين سائر الرواة عن اسرائيل وكان الاولى ايراد هذا الطريق عقب طريق اسحق بن منصور أول الباب بل لا وجه لايراده آخر الباب قاله المناوى

(باب ماجاء فى اتكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم)

المقصود من هذه الترجمة كما تقدم بيان اتكائه على أحد من أصحابه حال المشى لعارض مرض ونحوه كما يفهم من الحديثين الموردين هنا فالمراد من البابين مختلف فلذلك لم يجعلهما بابا واحدا كما تقدم (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أنا عمرو بن عاصم أنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شاكيا) أى مريضا والشكوى المرض يقال شكا يشكو واشتكى شكاة وشكاوة وشكوى (فخرج) أى من الحجرة الشريفة (يتوكأ) من التوكئ بمعنى الاتكاء أى يعتمد (على اسامة) أى ابن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعليه) اى النبى صلى الله عليه وسلم (ثوب قطرى) نوع من البرد غليظ وفيه اعلام (قد توشح به) أى أدخله تحت يده اليمنى وألقاه على منكبه الايسر كما يفعله المحرم وقيل التوشح هو ان يخالف بين طرفى الثوب على عاتقه وهو الاشتمال على المنكبين بان يأخذ طرف الثوب الايسر من تحت اليد اليسرى فيلقيه على المنكب الايمن ويأخذ الطرف الايمن من تحت اليد اليمنى فيلقيه على المنكب الايسر قاله فى المشارق (فصلى بهم) أى اماما باصحابه قيل وكان هذا فى مرض موته وتقدم هذا الحديث فى باب اللباس * قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن أنا محمد بن المبارك نا عطاء بن مسلم الخفاف الحلبى نا جعفر ابن برقان) بموحدة مضمومة فراء ساكنة فقاف (عن عطاء بن أبى رباح عن الفضل بن عباس قال) اى الفضل (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه وعلى رأسه عصابة) هى مايشد به الرأس لوجع أو نحوه أو العمامة (صفراء) لعل صفرتها كانت عارضة فى أيام المرض لا أصلية ولا مانع من كون لونها الاصلى أصفر وتقدم فى باب العمامة عصابة دسماء (فسلمت) أى فرد على السلام هو أو غيره (فقال يا فضل قلت لبيك يا رسول الله) فيه الجواب بالتلبية لغير الله تعالى ونقل الشيخ خليل فى توضيحه عن ابن أبى جمرة ان اجابة الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم بالتلبية من خصائصه وان الاجابة بها لغيره مكروهة وقد اعترضه الشيخ مصطفى فى حواشيه على تت

فلم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس فقال اعطنى فانى فاديت نفسى وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا فى ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفع الى قال لا قال فارفعه أنت على قال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فعل ذلك ثلاث مرات ثم احتمله فألقاه على كاهله فانطلق فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفى علينا عجبا من حرصه فما قام عليه الصلاة والسلام وثم درهم منها وفى رواية ابن أبى شيبة كان مائة ألف وكان صلى الله عليه وسلم قد أتاه سبى فشكت اليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير وقال لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفى ابتغاء مرضاته ويؤثر على نفسه وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك ويعيش فى نفسه عيش الفقراء فيأتى عليه الشهر والشهران لا يوقد فى بيته نار على جهة الاختيار

(لا تقس بالنبى فى الفضل خلقا فهو البحر والانام إضاء)

يقال قست الشئ بغيره اذا قدرته على مثاله أى لا تشبه بالنبى فى الفضل الجامع الذى أعطيه خلقا من نبى أو ملك أى لا تعتقد ان مخلوقا يساويه أو يقاربه فى وصف من أوصاف الكمال والانام أى الخلق بالنسبة اليه إضاء بالكسر والمد جمع أضاة كقناة وهو الغدير وشتان ما بين البحر والغدير وفيه مراعاة النظير

(كل فضل فى العالمين فمن فضـ ـل النبى استعاره الفضلاء)

اى وكيف لا يكون كذلك وكل فضل وجد فى العالمين اى الانس والملائكة والجن فهو كائن من فضل ذلك النبى الاكرم على ربه من سائر الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فى حال كون ذلك الفضل استعاره الفضلاء اى اكتسبوه من فضله لانه

بأن الاصل عدم الخصوصية قال وما ذكره من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله مع أصحابه خلاف ما العياض وما ذكره أبو نعيم عن عائشة وترجمة البخارى لذلك تدل على عدم الخصوصية انظر بقية كلامه رحمه الله وما نقله من نصوص الائمة فى ذلك فانه حسن (قال اشدد بهذه العصابة رأسى) فيه التداوى واظهار الافتقار والمسكنة والتبرى من الحول والقوة (قال ففعلت ثم قعد) بعد ما كان مضطجعا (فوضع كفه على منكبى) أى ليستعين بذلك على القيام ويسمى هذا اتكاء اذ قد يراد به مطلق الاعتماد على الشئ (ثم قام ودخل المسجد) وفى نسخة فدخل فى المسجد والشائع تعديه دخل بنفسه (وفى الحديث قصة) أى طويلة كما فى نسخة وهى انه صعد المنبر وأمر بنداء الناس وحمد الله واثنى عليه والتمس من المسلمين أن يطلبوا منه ما فى ذمته من الحقوق ولا يتركوه للآخرة وبالغ فيه فطلب منه رجال حقوقهم وتفصيله فى مطولات كتب الاثر وقال ذلك لينبه على ان لهذا الحديث فى غير هذا الباب تتمة لئلا ينكرها من يراها بعد ما سمع هذا الحديث المختصر قاله المناوى

(باب ما جاء فى صفة أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى فى بيان بعض آداب أكله من أنه كان يأكل باصابعه لا بآلة وانه كان يلعق أصابعه بعد الفراغ من الاكل وانه كان يأكل على هيئة التواضع لله تعالى لا متكئا والاكل قال ابن حجر ادخال غير المائع من الفم الى المعدة والشرب ادخال المائع اليها (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن سعد) بفتح فسكون وفى نسخة سعيد قال المناوى وهو تصحيف (ابن ابراهيم عن ابن لكعب بن مالك) عبد الله بن كعب من كبار التابعين مات سنة سبع أو ثمان وتسعين أو عبد الرحمن وهو أيضا تابعى وقيل انه ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومات فى خلافة سليمان بن عبد الملك (عن أبيه) أى كعب بن مالك الانصارى السلمى بفتح السين المدنى صحابى مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا مات فى خلافة على رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يلعق) بفتح العين أى يلحس (أصابعه) أى بعد الفراغ لا فى الاثناء قال ابن حجر قبل المسح والغسل وبعد الفراغ من الاكل لعقها الرواية مسلم ويلعق يده قبل ان يمسحها تنظيفا ومحافظة على البركة فى الحديث اذا أكل أحدكم طعامه فليلعق

أصابعه

المداهم اذهو المتلق عن الحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لايستمد منها الا بواسطة فلا يصل منها لكامل شئ الا وهو من بعض مدده وعلى يديه فا آيات كل نبي انما هي مقتبسة من نوره لانه كالشمس وهم كالكواكب بنوره صلى الله عليه وسلم نطق كل ناطق وحسن كل حسن وعقل كل عاقل وكرم كل كريم وعلم كل عالم الى غير ذلك من أنواع الفضائل انظر ابن حجر والمواهب فقد أجادوا أفادو ثم ذكر قول الناظم

وكل آى أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

(شق عن قلبه وشق له البد
رومن شرط كل شرط جزاء)

يوجد فى بعض النسخ عن صدره وهى صحيحة أيضا لانه شق عن صدره أولا ثم عن قلبه المرة بعد المرة أربع مرات مبالغة فى التطهير والتخليص من الاغيار عند الانتقال من الاطوار وشق له أى لاجله صلى الله عليه وسلم البدر أى القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين لما كذبه كفار مكة وبالغوا فى عناده وطلبوا منه آية تريهم الهم تدل على صدقه وهى أن ينشق له القمر نصفين فسأل ربه فانشق له كذلك كما نص عليه القرآن وتواترت به الاحاديث ولفظ البخارى عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وهو من أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء لظهوره فى ملكوت السموات خارجا عن جملة الطباع لما فى هذا العالم المركب من الطبائع فلم يطمع أحد فى الوصول اليه بحيلة واختلفوا هل تعدد أم لا ومن قال بعدم التعدد أول رواية انشق مرتين بفلقتين كما فى رواية أخرى وشاهده من كان بمكة وغيرها وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج قلبه ثم شق أى جرح وطهر فجوزى على ذلك اذ من شرط كل شرط ولو فى البدر الغرض مقصود أن يكون له جزاء أى

أصابعه فانه لايدرى فى أيهن البركة أى لايعلم البركة فى أى واحدة منهن فليس فيه حذف مضاف خلافا لمن وهم فيه اه قال فى جمع الوسائل قلت الظاهر ان فيه حذف مضاف والتقدير فى أى طعامهن البركة ويؤيده رواية مسلم لانه لايدرى فى أى طعامه البركة ومن المعلوم أن محل البركة الطعام لامجرد الاصبع فتأمل اه قال النووى معنى قوله فى أى طعامه البركة ان الطعام الذى يحضر الانسان فيه بركة لايدرى ان تلك البركة فيما أكل أو فيما بقى على أصابعه أو فيما بقى أسفل القصعة أو فى اللقمة الساقطة من يده فينبغى أن يحافظ على هذا كله لتحصيل البركة اه قلت فى قوله لايدرى فى ايه البركة توجيه لنفس اللعق وفى قوله لايدرى فى ايهن البركة توجيه لتعميم الاصابع التى تعلق بها الطعام باللعق ومعنى رواية لايدرى فى ايه البركة متضمن لمعنى رواية فى أيهن وزيادة والله أعلم ومعنى ذلك والله أعلم زيادة التغذية وكفاية القليل منه فان أصل البركة الزيادة والاتساع فى الشئ والتقوية على الطاعة وقد أبدى القاضى عياض علة أخرى للعق فقال انما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام وقال ابن دقيق العيد وقد يعلل بان مسحها قبل لعقها فيه زيادة تلويث لما يمسح به مع الاستغناء عنه بالريق قال العسقلانى والعلة المذكورة فى الحديث لاتمنع ماذكره ابن دقيق العيد فقد يكون للحكم علتان فاكثر والتنصيص على واحدة لا ينفى الزيادة (ثلاثا) استظهر ابن حجر تبعا للحنفى ان ثلاثا قيد للعق فيؤخذ من الروايات الآتية ان اللعق فى ثلاث أصابع ومن هذه الرواية ان اللعق ثلاثا لكل من تلك الثلاث والاظهر ماقاله المناوى من أن قوله ثلاثا حال من قوله أصابعه ليوافق الروايات الآتية اذلم يأت التصريح فى رواية بانه كان يلعق أصابعه ثلاث مرات ووقع التصريح بلعق أصابعه الثلاث فى كثير من الطرق فينبغى حمل هذه الرواية عليها من باب حمل المجمل على المبين لاسيما مع اتحاد الراوى وهو كعب بن مالك فسيأتى من حديثه بلفظ كان يأكل باصابعه الثلاث ويلعقهن فتكون رواية الثانية مفسرة لرواية الاولى ويؤيد هذا الحمل قوله (قال أبو عيسى) يعنى المصنف (وروى غير محمد بن بشار هذا الحديث قال كان يلعق أصابعه الثلاث) أى الابهام والمسبحة والوسطى قال يوسف بن عمر وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يلعق أصابعه حتى تحمر اه ونقله الشيخ زروق والحطاب فى حاشيته على الرسالة وقال العراقى هذه الزيادة لاأصل لها قال العسقلانى وقع فى حديث

من علامة كل شرط يقع فى الجسد بجزء من برء ونحوه فانه لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة بعد المرة بما حصل له من الخوف جوزى على ذلك بخير عظيم مشابه له فى الصورة وهو شق القمر الذى هو أظهر معجزاته وأبهر آياته وفى كلامه أولا وثانيا الجناس التام ومنه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة وكذا قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل

والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار وقوله تعالى يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب اى بما كتبت أيديهم لتحسبوه من التوراة والانجيل وما هو من جنس كتاب الله تعالى انظر ابن حجر فله كلام بديع فيما يرجع لفن البديع

(ورمى بالحصى فاقصد جيشا ما العصا عنده وما الالقاء)

اى ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ايضا انه فى غزوة بدر وغزوة حنين رمى الاعداء بالحصى فاقصد اى أصاب فأهلك جيشا عظيما كانوا تألبوا عليه وما استفهام انكارى اى ما العصا التى ألقاها موسى على حبال سحرة فرعون وعصيهم حتى ابتلعت ذلك عنده أى الحصى المرمى اى فى جنبه وما الالقاء على تلك الحبال والعصى الذى فعله سحرة فرعون اى لا نقس. معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم فى القاء ذلك الحصى بمعجزة موسى عليه السلام فى القاء عصاه لان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر وأبهر اذ القاء موسى لعصاه كى به القاء السحرة لحبالهم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لتحالك قط ووصول ولده تلك الحصيات القليلة الى جميع ذلك الجيش الذى هو ألوف مؤلفة حتى هزمهم الله عن آخرهم وشتت شملهم أبهر من قلب العصا ثعبانا وابتلاعها تلك الحبال من حيث انه مع ذلك لم تقهر العدو ولا شتت شملهم بل زادوا بعد ذلك طغيانا وعتوا على موسى وقومه وأشار الناظم بالبيت الى ماوقع له صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر وذلك انه لما التقى الجمعان تناول صلى

كعب بن عجرة عند الطبرانى فى الاوسط صفة لعق الاصابع ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث الابهام والتى تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التى تليها ثم الابهام وكان السر فيه ان الوسطى أكثر تلويثا لانها أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها ولانها لطولها أول ماتقع فى الطعام أو لان الذى يلعق الاصابع يكون بطن كفه الى جهة وجهه فاذا ابتدأ بالوسطى انتقل بالسبابة الى جهة يمينه ثم الى الابهام كذلك اه وقال الشيخ يوسف بن عمر قال التلمسانى يبدأ من الخنصر ثم الابهام ثم الوسطى ثم البنصر ثم السبابة وقد حفظناعنه قبل هذا غير هذا الترتيب اه فالعق على ترتيب خاوبس وقال بعضهم على ترتيب خوابس قال ابن حجر بعد ذكر الترتيب الوارد فى الحديث الثانى واعتراض ذلك بان نسبة الثلاث للفم سواء غفلة عن الخبر والمعنى المذكورين اه قال الشيخ زروق فى شرح الرسالة ظاهر كلام المؤلف ان اللعق أولا ثم المسح ثم الغسل وهو أنظف وأطيب للنفس وذكر لى بعض الاصحاب ان الزناتى ذكر أنه السنة اه وقد فهم من الحديث ان الاكل يكون بالاصابع لابآلة وان السنة الاكل بثلاثة أصابع وقد قال الشافعى الاكل باصبع واحد مقت وباثنين تكبر وبثلاثة سنة ومازاد على ذلك شره اه وقد تورع بعض السلف عن الاكل بالملاعق لكون الوارد انما هو الاكل بالاصابع وقد أحضر الرشيد طعاما ودعا بالملاعق فقال أبو يوسف جاء فى تفسير جدك ابن عباس فى قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل باصابعه وأما ماأخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل أكل بخمس فمحمول على القليل النادر لبيان الجواز أو على المائع فان عادته فى أكثر الاوقات هو الاكل بثلاث أصابع قاله فى جمع الوسائل وفى الاكمال من اضطر الى أكثر من ثلاث أصابع لخفة الطعام وعدم تلفيقه بالثلاث فليدعمه بالرابعة اه قال ابن حجر ويسن لعق الاناء لخبر أحمد والمصنف وابن ماجه وابن شاهين والدارمى وغيرهم من أكل فى قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة قال المصنف وهو حديث غريب وروى أبو الشيخ من أكل مايسقط من الخوان أو القصعة أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق والديلمى من أكل مايسقط من المائدة خرج

الله عليه وسلم كفا من الحصباء فرمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه أى قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك مع كثرتهم
وقلة ذلك الحصى الادخل فى عينيه ومنخريه منها شئ فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر من
أشرافهم وكذلك لما التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن مالم يروا مثله فتفرق المسلمون فأمر صلى الله عليه
وسلم أن ينادى فى الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت (١٩٧) على أولادها يقولون يالبيك
يالبيك واشتد القتال حتى قال
صلى الله عليه وسلم حمى الوطيس
وهو التنور الذى يخبز فيه اى
اشتد حر الحرب حتى أشبهت
التنور وحينئذ تناول صلى الله
عليه وسلم حصيات من الارض
ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها
فى وجوه المشركين فما خلف الله
منهم انسانا الاملأ عينه من
تلك القبضة *(تنبيه)* قال
ابن حجر أكثر معجزات بنى
اسرائيل كانت حسية لبلادتهم
وعمى بصيرتهم وأكثر معجزات
هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم
وكمال أفهامهم ولان هذه
الشريعة لما كانت باقية على
صفحات الدهر الى يوم القيامة
خصت بالمعجزة العقلية الباقية
ليراها ذووا البصائر كما قال صلى
الله عليه وسلم فى حديث البخارى
مامن الانبياء نبى الا أعطى من
الآيات مامثله آمن عليه
البشر وانما كان الذى أوتيته
وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن
أكون أكثرهم تابعا وفى معناه
قولان غير متنافيين اذ يرجع
حاصلهما الى أن المراد ان معجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية تشاهد بالابصار كعصا موسى
وناقة صالح فلم يشاهدها الامن حضرها ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم القيامة لايمر عصر الا ويظهر فيه
شئ أخبر بأنه سيكون فكان من يتبعه لاجلها أكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جاء بعد الاول والى هذا يشير الناظم
فى البردة بقوله
دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم

ولده صباح الوجوه ونفى عنه الفقر أو رده فى الاحياء بلفظ عاش فى سعة وعوفى فى ولده والثلاثة منا كبير اهـ وقد جاء من التقط فتاتا من الارض وأكلها كان كمن اعتق رقبة وجاء فى التقاط مايقع من الطعام انه مهر الحور والعين وجاء ان من داوم على ذلك لم يزل فى سعة قال فى المواهب وهى أحاديث واهية اهـ قال فى جمع الوسائل فى الجامع الصغير من لعق الصحفة ولعق أصابعه أشبعه الله فى الدنيا والآخرة رواه الطبرانى بسند ضعيف عن العرباض والعمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال جائز عند أرباب الكمال اهـ * قال المصنف (حدثنا الحسن بن على الخلال نا عفان نا حماد عن ثابت عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاما لعق) بكسر عينه (أصابعه الثلاث) * قال المصنف (حدثنا الحسين بن على بن يزيد الصدائى) نسبة الى صداء قبيلة (البغدادى حدثنا يعقوب بن اسحق يعنى الحضرمى نا شعبة عن سفيان الثورى عن على بن الاقمر عن أبى جحيفة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا) تقدم فى باب التكأة مافسروا به الاتكاء وتحقيق مافى ذلك وذكر ابن حجر هنا ان الميل على أحد الجانبين عند الاكل يضر بالآكل فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعى على هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ويضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء وأخرج ابن أبى شيبة عن النخعى كانوا يكرهون أن يأكلوا متكئين مخافة أن تعظم بطونهم اهـ * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن على بن الاقمر نحوه) ظاهره انه موقوف عليه ويحتمل رفعه وكان المناسب أن يذكر هذا الحديث باسناديه أول الباب أو آخره لئلا يقع فصل بين أحاديث الاكل بالاصابع الثلاث ولعقهن قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا هرون بن اسحق الهمدانى نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن ابن لكعب بن مالك عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن) بفتح الياء مضارع الثلاثى أو بضمها مضارع الرباعى وقد قال ابن حجر فى الحديث الاول فى رواية يلعق أو يلعق أى يلعقها غيره فينبغى لمن يتبرك به أن يفعل ذلك مع من لايتقذره من نحو ولده وخادم وزوجة يحبونه ويتلذذون بذلك منه فان فى ذلك بركة لحديث اذا أكل أحدكم طعامه فليلعق أصابعه فانه لايدرى فى أيهن البركة اهـ وقد تقدم معنى هذا الحديث * قال

(ودعا للأنام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعى والسقـ * ـى وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذى الأنام غلاء (١٩٨)

فدعا فانجلى الغمام فقل فى
وصف غيث اقلاعه استسقاء)

أى ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انه دعا للأنام أى أهل المدينة ومن ضاهاهم وقت أن دهمتهم بكسر الهاء أى غشيتهم سنة شهباء أى لاخضرة فيها ولا مطر من أجل محولها أى شدة جدبها وقحطها والسنة العام فشهباء تأسيس أو زمن الجدب فشهباء تأكيد وسبب دعائه مافى الصحيحين ان الناس أصابتهم سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اعرابى وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وليس فى السماء قطعة سحاب فاوضعها حتى صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل حتى اصابهم مطر واستمر الى الجمعة الثانية فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا زاد فى رواية اللهم على الاجام والاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر والاجام حاصلة بفتح الهمزة وكسرها الشجر الملتف والاكام كذلك الربوة من الارض والظراب بكسر الظاء الجبال الصغار فأقلعت السحاب وخرجوا يمشون فى الشمس وسال الوادى شهرا ولم يجئ أحد من ناحية الاحدث بالجود أى بفتح الجيم المطر الواسع الغزير فلذا قال الناظم فبسبب دعائه استهلت بالغيث أى صب المطر بشدة سبعة أيام كوامل بالقاء الا كسر عليهم سحابة

المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا الفضل بن دكين) بضم ففتح (نا مصعب) بصيغة المفعول (ابن سليم) مصغر (قال سمعت أنس بن مالك يقول أتى) أى جئ (رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر فرأيته يأكل وهو مقع) اسم فاعل من الاقعاء (من الجوع) أى لاجله والاقعاء يطلق على معنيين أحدهما أن يجلس جلوس البدوى المصطلى وهو جلوسه على اليتيه ناصبا فخذيه واضعا يديه بالارض والثانى أن يفترش رجليه ويضع اليتيه على عقبيه وكل منهما منهى عنه فى الصلاة عند المالكية وأما فى هذا الحديث فقيل المراد به الوجه الاول قال ابن حجر وهو الاصح ثم وجه ذلك بما بحث فيه المناوى فانظره وقيل المراد الوجه الثانى وهو رجوعه على صدور قدميه ويبعده قوله من الجوع فانه يدل على أن جلوسه كان حينئذ على وجه يحصل به استراحة مما كان به من الضعف فالظاهر تفسيره هنا بالوجه الاول وهو الاحتباء مع استناد الى ماوراءه قال فى القاموس أقعى فى جلوسه أى تساند الى ماوراءه فمعنى مقع من الجوع جالس على اليتيه ناصب ساقيه مستند الى ماوراءه من الضعف الحاصل له بسبب الجوع وقد أشار ابن حجر الى هذا الوجه ثم قال وبما تقرر تعلم ان الاستناد ليس من مندوبات الاكل بل من ضروراته لانه صلى الله عليه وسلم لم يفعله الالذلك الضعف الحاصل له

(باب ماجاء فى صفة خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى بيان انه كان من شعير فى غالب الاوقات وأنه لم يأكل خبزا مرققا الى أن فارق الدنيا (حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر نا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد) أبو بكر الكوفى ثقة من كبار الثالثة (يحدث عن الاسود) هو أخو عبد الرحمن الراوى عنه أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن مخضرم ثقة مكثر فقيه من الثانية على مافى التقريب (ابن يزيد) أى ابن قيس النخعى (عن عائشة رضى الله عنها انها قالت ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم) يعنى عياله الذين كانوا فى مؤنته وليس المراد بهم من حرمت عليهم الصدقة قال المناوى ويحتمل أن يكون لفظ آل مقحما ويؤيده ان المصنف أخرج هذا الحديث من طريق شعبة باسناده فى آخر الباب بلفظ ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ ويحصل به المطابقة بين الحديثين وبين الترجمة أيضا قلت خبز رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خبز آله فالمطابقة بين الحديثين والترجمة

وطناه مسترخية الجوانب لكثرة حملها الماء حال كونها تحرى اى تقصد تلك السحابة بمائها والاسناد مجازى أو المراد الملائكة الموكلون بها مواضع الرعى اى الكلا الذى يرعى ومواضع شرب البهائم فقط بقرينة قرنه مع الكلا ثم عمم فقال وتحرى أيضا حيث العطاش اى مواضعهم التى يوهى بالبناء للمفعول السقاء وهو القربة منهم فيها اى ان تلك السحابة عمت بجميع تلك الاماكن بمائها حتى انها تحرى الامكنة المعطشة التى تحترق أسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران للشرب منها والانسب تأخير هذا البيت عن البيتين بعده ولما استمرت عليهم تلك المدة أتى الناس اليه صلى الله عليه وسلم فى الوقت المذكور يشتكون أذى تلك السحابة أى الماء النازل منها لقطعه السبل وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وفى ذكر الناس مجاز فكانه أى الاعرابى متكلم بلسانهم لاشتراكهم فى ذلك ورخاء أى سعة من المطر يؤذى الانام غلاء أى شدة عظيمة فبسبب ان هذا الرخاء الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده وهو اهلاكها دعا صلى الله عليه وسلم ربه أن يكشفه عنهم فانجلى الغمام أى زال السحاب عقب دعائه وخرجوا يمشون فى الشمس واذا تقرر هذا فقل أيها العالم بهذه الواقعة ما شئت من الكلام الدال على التعجب فى وصف غيث اقلاعه أى انكشافه استسقاء أى ذو استسقاء على خلاف المتعارف اذ الاستسقاء غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب رفعه * (تنبيه) * ماتقدم من أن الناظم أشار الى القضية التى وقعت فى المدينة هو الظاهر وقد ذكرها البخارى فى مواضع عديدة من صحيحه ويحتمل أن يكون أشار الى ما فى البخارى أيضا عن ابن مسعود قال ان قريشا أبطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله وفى رواية فدعا رسول الله صلى الله

حاصلة على كل حال (من خبز الشعير يومين) أى فاحرى خبز البر لكن فى رواية البخارى من حديث عائشة أيضا التقييد بثلاث ليال كما يأتى قريبا الا أن يقال لا مفهوم لقوله ثلاث ليال فلا تنافى (متتابعين) مفهومه انه كان يشبع يومين غير متتابعين ومما ينبغى ان يتنبه له ما ذكره الاتيرى من أن الشبع فى حقه انما هو ما يحمل جسمه ويحفظ حياته وصحته لا الامتلاء من الطعام والشبع المتعارف وقال فى جمع الوسائل المذموم من الشبع هو الشبع المثقل الموجب للكسل المانع من تحصيل العلم والعمل اه وقد نص العلماء على أن الشبع الى حد التخمة وافساد المعدة حرام وما دون ذلك مما يؤدى الى الثقل مختلف فيه بالكراهة والاباحة وعليهما اختلاف فى الشاهل يقول عندها الحمد لله أو أستغفر الله وجمع بعضهم بينهما وهو أحسن فيحمد الله اعتبارا بالنعمة ويستغفر الله لسوء أدبه فى أكله وما لا يحصل معه الثقل مما لا يخل بقواه هو المطلوب وعليه نبه سبحانه بقوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فالاكل على هذا الوجه من الدين وهو الذى تظهر أنواره على صاحبه وفى الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المؤمن لقيمات يقمن صلبه فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس أخرجه المصنف وصححه (حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشارة الى استمراره على تلك الحالة الى الوفاة وظاهره نفى الشبع يومين متتابعين قبل الهجرة وبعدها وفى رواية البخارى عنها بلفظ ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض فانظر هل قولها منذ قدم المدينة تقييد وفى هذا الحديث وما فى معناه من أحاديث الباب دليل على اعراضه صلى الله عليه وسلم عن نعيم الدنيا وزهده فيها واقتصاره على ما تدعو اليه ضرورة الحياة كما تقدم غير مرة ثم لا ينافى هذا انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لعياله قوت سنة لقول النووى فى شرح مسلم انه كان يفعل ذلك أواخر حياته لكن تعرض عليه حوائج المحتاجين فيخرجه فيها فصدق انه ادخر قوت سنة وانهم لم يشبعوا لانه لم يبق عندهم ما ادخر لهم قال فى جمع الوسائل وهذا يقتضى أن ضيق حالهم انما كان فى آخر السنة والاحاديث تقتضى عموم الاحوال فالاحسن فى الجواب أن يقال لم يكن يدخر لهم على وجه الشبع الى أن قال مع انه لا تصريح فيه أنهم كانوا لا يشبعون من القلة وانما كان عادتهم عدم الشبع ثم

عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر قال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم اه وفى البخارى أيضا ان عمر بن الخطاب كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون اه

(ثم أثرى الثرى فقرت عيون * بقراها وأحييت أحياء

فترى الارض غبه كسماء
أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نو
ررباها البيضاء والحمراء)

أى ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أثرى الثرى من أثرى الرجل اذا كثر ماله أى اهتزت الارض وربت وعلا ترابها وكثر حتى كثرت فوائده بانباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة الاموال فبسبب هذه الكثرة قرت أى فرحت واطمأنت عيون بعمارة قراها أى العيون أو المدينة جمع قرية تلك الفوائد الكثيرة بعد خرابها وأحييت بعد ما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها كالموتى من أحياه الله فحيى والاكثر الادغام والاحياء جمع حى أى قبائل العرب وفيه تجنيس الاشتقاق فى ثلاثة فترى أنت لو شاهدت تلك الواقعة الارض غبه أى عقب ذلك الغيث المتولد عنه مايدهش الابصار من النبات والازهار كسماء حال ان كانت الرؤية بصرية أو مفعول ثان على انها علمية أشرقت الظلماء من أجل نجومها أى زالت عنها والمراد منه تبدلت ظلمتها بالاشراق من نجومها ووجه الشبه زوال الظلمة الحقيقية فى السماء باشراق نجومها والمجازية فى الارض بمحو الجدب وبدل الخصب فلما تراها أيضا تخجل بضم التاء من أخجله اذا أدهشه وحيره وفى القاموس خجل كفرح استحيا ودهش

ما كانوا يجدون من لذيذ الاطعمة المؤدية الى الشبع غالبا وقد روى الشيخان عن عائشة توفى النبى صلى الله عليه وسلم وليس عندى شئ يأكله ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى اه وقد تقدمت فوائد اختياره صلى الله عليه وسلم هذه الحالة فى الحديث الثالث من باب ما جاء فى عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى أول حديث أبى الهيثم وفى آخر حديث من الباب المذكور فراجعه ففيه كفاية والله الموفق وذكر فى الشفاء ان قلة الاكل هو المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يأمر به ويحض عليه ولم تزل العرب والحكماء تتمدح بقلة الاكل وتذم بكثرته لان قلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة وسبب للصحة وحدة الذهن وكثرة الاكل دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة جالب لمضار الدنيا والآخرة وأمراض البدن وغلبة النوم الجالبة لعدم الذكاء والفطنة وقساوة القلب والكسل وتضييع العمر فى غير نفع اه وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح رضى الله عنهم قالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع فان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وقيل البطن عضو ان أشبعته جاع سائر الاعضاء وان أجعته شبع سائر الاعضاء وقال ذو النون ما شبعت قط الا عصيت أو هممت والحاصل ان الشبع يحرك النفس للمعاصى وفى الحديث عن أبى جحيفة قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتجشأ فقال اكفف أو احبس عليك جشاءك أبا جحيفة فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة قال الراوى فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى اه وفى النصيحة الشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف به من الحرام (١)

* قال المصنف (حدثنا عباس بن محمد الدورى) بضم الدال (نا يحيى بن أبى بكير) مصغر وفى نسخة ابن أبى بكرة (نا حريز) كعزيز (ابن عثمان عن سليم) مصغر (ابن عامر قال سمعت أبا امامة) بضم الهمزة وهو الباهلى (يقول ما كان يفضل عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير) كناية عن عدم شبعهم * قال ابن حجر المعنى لم يكثر ما يجدونه ويخبزونه من الشعير عندهم حتى يفضل عندهم

(١) بياض بالاصلين اللذين بايدينا اه مصحح

منه شئ بل كانوا لايجدون مايشبعهم فى الاكثر اه وقال المناوى أى كان لايبقى فى سفرتهم فاضلا عن مأكولهم وهذا لايدل على انهم كانوا لايشبعون من ذلك الخبز بخلاف الاحتمال الاول * قال المصنف (حدثنا عبدالله بن معاوية الجمحى) بضم جيم وفتح ميم (نا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا) أى خالى البطن جائعا يقال طوى بالكسر يطوى طوى اذا جاع فهو طاو وطيان أى جائع وطوى بالفتح يطوى طيا اذا جوع نفسه قصدا يقال فلان يطوى الليالى وأياما قاله المناوى (هو وأهله) أى عياله ويكنى بالاهل عن الزوجة ومنه قوله تعالى وسار بأهله وتأهل تزوج وأهل البيت سا كنه قاله فى المغرب (لايجدون) أى الرسول وأهله (عشاء) بفتح أوله وهو مايؤكل عند العشاء بالكسر والمعنى لايجدون ماياً كلونه فى الليل أو مايقاربه من آخر النهار (وكان أكثر خبزهم خبز الشعير) فيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من المبالغة فى ستر حاله عن أصحابه لشرف نفسه وفخامة منصبه ورأفته بهم ورحمته وعلو همته ومزيد حشمته وقد قال لقمان لابنه ان افتقرت يوما فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله عز وجل ولاتحدث الناس بفقرك فتهون عليهم وانما فى ذلك ان يحزن صديقك ويفرح عدوك وابعضهم فى ذلك

لاتظهرن لعاذل أو عاذر * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة * فى القلب مثل شماتة الاعداء

وهذا خلاف قول القائل

ولا بد من شكوى الى ذى مروأة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

* قال المصنف (حدثنا عبدالله بن عبدالرحمن انا عبيدالله بن عبدالمجيد الحنفى نا عبدالرحمن وهو ابن عبدالله بن دينار نا أبو حازم عن سهل بن سعد انه) أى الامر والشان (قيل له) أى لسهل (أكل) بحذف اداة الاستفهام وفى نسخة أأكل بذكرها (رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى) أى من النخالة (يعنى الحوارى) بضم الحاء وتشديد الواو وراء مفتوحة وهو الذى نخل مرة بعد مرة من التحوير وهو التبييض فهو تفسير للنقى أدرجه الراوى فى الخبر (فقال سهل مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى) أى

وبقى ساكنا لايتكلم ولايتحرك والدر اللؤلؤ وهو مفعول مقدم واليواقيت جمع ياقوتة معطوف عليه وهو جوهر معروف فارسى معرب أجوده الاحمر الرمانى واسناد الخجل اليهما مجاز والمراد اضمحلال حسنهما بالنسبة الى تلك الازهار وعدم قوتهما على مقاومة حسن تلك الانوار لان النبات يحصل بشمه الانتعاش ويكفى مؤنة المعاش أو هو على حذف مضاف أى أهلهما يعنى ان من بأيديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لايملكون أنفسهم عن رؤية تلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة والنور بفتح النون أى الزهر وهو بيان لفاعل الخجل والربا بضم الراء الجبال المرتفعة لان نباتها أبهى وأبهر والبيضاء فاعل تخجل وهو راجع للدر والحمراء راجع لليواقيت أى تدهش تلك الانوار المتنوعة الالوان التى هى نور رباها الدر واليواقيت ففيه لف ونشر مرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل بذكر الضدين وقد أكثر الشعراء من تشبيه نبات الارض بالذهب والفضة وغيرهما يحكى ان أبا نواس غفر الله له بقوله

تأمل فى نبات الارض وانظر
الى آثار ماصنع المليك
عيون من لجين شاخصات
وأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

(وقال آخر)

ان هذا الربيع شئ عجيب
تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة فى فضاء

(ليته خصنى برؤية وجه * زال عن كل من رآه الشقاء)

لما ذكر الناظم رحمه الله من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة مايشوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم لان من رأى ليس كمن سمع تمنى ذلك فقال ليته أى النبى صلى الله عليه وسلم خصنى برؤية وجهه الكريم مناما أو يقظة لان من

رآه مناما فقد رأى الحق لان الشيطان لا يتمثل به كما صح فى الحديث الذى رواه البخارى عن أنس وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة ولا يتمثل الشيطان بى زاد مسلم أو فكانما رآنى فى اليقظة والحق انه لا يشترط فى حقيقة رؤيته صلى الله عليه وسلم ان يرى على صورته التى كان عليها لكن اذا رئى عليها كانت الرؤية على ظاهرها لاتحتاج الى تعبير واذا رئى على غيرها كان ذلك راجعا الى الرائى لتخيله الصفة على غير ما هى عليه ويحتاج حينئذ الى التعبير قاله المازرى وعياض والقشيرى وبه جمع الحافظ ابن حجر بين القولين ولذا قالوا رؤيته شابا جلدا تدل على سنة شديدة وناقص بعض الاعضاء تدل على خلل فى دين الرائى وزيادته تدل على ادخاله فى الدين ما ليس منه قال سيدى ابن أبى جمرة وهذا هو الحق وبه تحصل الفائدة الكبرى فى رؤياه صلى الله عليه وسلم حتى يتبين للرائى هل عنده خلل أم لا لانه صلى الله عليه وسلم نورانى مثل المرآة المصقولة ما كان فى الناظر اليها من حسن أو غيره تصور فيها وهى فى ذاتها على أحسن حال لا نقص فيها ولا شين اه هذا والاظهر ان الناظم رحمه الله تمنى ان يرى النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة فى دار الدنيا وقد ذكر الغزالى ان أرباب القلوب قد يشاهدون فى يقظتهم الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يرتقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيق نطاق النطق عنها اه قيل وتواترت الاخبار عن الاولياء بذلك وصح عن مولانا أبى الحسن الشاذلى انه قال لو حجب عنى النبى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين وصح ذلك أيضا عن تلميذه سيدى أبى العباس المرسى والناظم تلميذه فيغلب على الظن انه نال هذه الرؤية الخاصة ولا صحبة بهذه الرؤية لان شرطها الوقوع فى الحياة المتعارفة والباء فى قوله برؤيته

فضلا عن أكله ففيه مبالغة لاتخفى (حتى لقى الله عز وجل) كناية عن موته لان الميت بمجرد خروج روحه تهيأ للقاء ربه ثم لا يلزم من نفى رؤيته عدم وجوده عند غيره وظاهره انه صلى الله عليه وسلم لم يره قبل البعثة ولا بعدها وفى رواية البخارى عن سهل ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقوله من حين ابتعثه يحتمل التقييد لانه صلى الله عليه وسلم توجه فى أيام الفترة مرتين الى الشام تاجرا ووصل الى بصرى والخبز النقى عندهم كثير والظاهر انه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك عندهم ويحتمل عدم التقييد ويؤيده انه أطلق فى رواية المصنف ويأتى نظير هذا فى آخر الباب (فقيل له) أى لسهل (هل كانت لكم) أى معشر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد من كان قاطنا بالمدينة من المهاجرين والانصار (مناخل) جمع منخل بضمتين على غير قياس آلة النخل وهى ما يغربل به الدقيق وفتح الخاء لغة (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى زمانه (قال ما كانت لنا مناخل) قال فى جمع الوسائل فيه مقابلة الجمع بالجمع فلا يرد انه لا يلزم من نفى الجمع نفى المفرد والمراد ما كانت لنا مناخل فى عهده ليطابق الجواب السؤال وليوافق ما فى الواقع اذ بعده صلى الله عليه وسلم كانت لهم ولغيرهم مناخل ممن لم يثبت على حاله ولذا قيل المنخل أول بدعة فى الاسلام (فقيل كيف كنتم تصنعون بالشعير) أى بدقيقه مع كثرة نخالته (قال كنا ننفخه) فى رواية نقول اف (فيطير منه ما طار) مما فيه خفة كالتبن ويبقى ما فيه رزانة كالدقيق (ثم نعجنه) بفتح النون وكسر الجيم وفى هذا بيان تركه صلى الله عليه وسلم التكلف والاهتمام بشأن الطعام فانه لا يعتنى به الا أهل البطالة والغفلة ولهذا كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل أهله طعاما قط ولا يشتهيه ان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وما سقوه شرب وما عاب طعاما قط قال المناوى قال الغزالى وهذا لا يقتضى ان اتخاذ المناخل لنخل الطعام منهى عنه وان كان أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المنهى عنه بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع بعد بقاء علته وليس نخل الطعام كذلك لان القصد منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط اه *(تنبيه)* قال ابن حجر روى البزار بسند ضعيف قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه وحكى البزار عن بعض أهل العلم وصاحب النهاية عن الاوزاعى انه تصغير الارغفة وهذا أولى من خبر الديلمى

صغروا

صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه فانه واه ومن ثم ذكره ابن الجوزي
في الموضوعات ومن خبر البركة في صغر القرص فانه كذب كما نقل عن النسائي اه * قال
المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا معاذ بن هشام نا أبي) هو هشام الدستوائي (عن
يونس) هو ابن أبي الفرات البصري المشهور بالاسكاف كما صرح به المصنف فيما يأتي
(عن قتادة) هشام من المكثرين عن قتادة وكأنه لم يسمع هذا الحديث منه وسمعه من
يونس عنه (عن أنس بن مالك قال ما أكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خوان) المائدة
ذات الارجل جمعه اخونة والاشهر كسر المعجمة ويجوز ضمها وفيه لغة ثالثة وهي
اخوان بكسر الهمزة وسكون المعجمة قال في جمع الوسائل ولعلها سميت بذلك لاجتماع
الاخوان عندها قال ابن حجر والاكل على المائدة ذات الارجل لم يزل من دأب بعض
المترفين وصنيع الجبارين لئلا يفتقر الى خفض الرأس عند الاكل فالاكل عليه بدعة
لكنها جائزة ان خلا عن قصد التكبر (ولا في سكرجة) بضم السين والكاف والراء
المشددة وصوب بعضهم فتح الراء اناء صغير كانت العجم تستعمله في الكوامخ وما أشبهها
من الجوارشات على الموائد حول الاطعمة للاشتهاء والهضم وذلك من دأب المترفين
وعادة أهل الحرص على الاكل (ولا خبز له مرقق) بالرفع على انه نائب الفاعل وفي نسخة
بالنصب على انه حال من المفعول أو بتقدير أعني والجار هو النائب والمرقق هو الملين وهو
المغربل حتى صار خالصا حواري أو المرقق هو الموسع كالثريد في عرفنا ولا شك ان المرقق
دأب أرباب التكلف والتنعم الذي هو صلى الله عليه وسلم بريء منه وظاهر السياق أنه
لم يأكله قبل البعثة ولا بعدها وانه كان يأكله اذا خبز لغيره لكن ظاهر الحديث الآتي
آخر الباب انه لم يأكله مطلقا ويأتي ما يؤيده (قال) أي يونس (فقلت لقتادة فعلى ما)
باثبات الالف في نسخ الشمائل على الاستعمال القليل والاكثر حذفها وهو الذي عند
أكثر رواة البخاري أي فعلى أي شيء (كانوا يأكلون) أي النبي وأهله أو والصحابة لانهم
كانوا يتأسون باحواله ويقتدون بأقواله وأفعاله فالسؤال عن أحوالهم كالسؤال
عن حاله صلى الله عليه وسلم (قال) أي قتادة (على هذه السفر) بضم ففتح جمع سفرة قال
في النهاية وهي في الاصل طعام يتخذه المسافر والغالب انه يحمله في جلد مستدير فنقل
اسمه الى ذلك الجلد وسمي به كما سميت المزادة راوية واشتهرت لما يوضع عليه الطعام جلدا

الاختصاص والغالب دخولها على المقصور كما هنا لكن على معنى ليته جعلني من جملة من خص بالرؤية وقصرت عليه همته
الانخراط في سلك من سبقت له العناية فصار من جملة من أتحف بالرؤية التي هي منتهى كل نهاية ولذا قال زال أي تحول
وذهب عن كل من رآه مؤمنا جميع أنواع الشقاء أو معنى الاختصاص راجع الى ما تثمره تلك الرؤية من العوارف والمعارف
والامدادات ولا بدع في أن يخص بشيء لم يكن لغيره لان الجناب رفيع والمجأ منيع ويحتمل ان يكون
مدخول الباء مقصورا عليه والقصر اضافي أي ليته جعلني مقصورا على الرؤية بحيث نستغرق في مشاهدته ولا تغيب عن طلعته وهذا أنسب بالمعنى الذي ظن بالناظم انه قصده وأظهر من ذلك كله ان يكون ليته جعلني من أهل الخصوصية بسبب رؤية وجهه الشريف *(فائدة)* من الاسباب المهمة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم كثرة التحبب اليه ظاهرا بكمال التقوى في الدين ودوام ذكره الشريف ومفاخره ومعجزاته وخصائصه وكثرة الصلاة والسلام عليه جهرا وسرا خالصا مخلصا وقد ذكر الفاكهاني في الفجر المنير أن من صلى بهذه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سبعين مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهي اللهم صل على روح محمد في الارواح اللهم صل على جسد محمد في الاجساد اللهم صل على قبر محمد في القبور اه وذكر اليافعي ان من قام ليلة الخميس نصف
الليل وتوضأ وصلى ثلاث عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الفاتحة مرة وسورة أرأيت الذي يكذب بالدين عشر مرات
ويستغفر الله بين كل ركعتين ثلاثين مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين مرة فانه ما دعا الله بشيء عقب ذلك
الا استجيب له اه

(١) وقال أبو بكر بن العربي في قانون التأويل ذهبت الصوفية الى أنه اذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم أسباب مواد الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له الغيوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الانبياء وسمع كلامهم اه ومن المقرر المعلوم أن الانبياء بعدما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم وقد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر أن صلاتنا معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وان الله تعالى حرم الارض ان تأكل لحوم الانبياء وقد ألف البيهقي جزأ في حياة الانبياء فنبينا صلى الله عليه وسلم حي بجسده وروحه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منها شئ وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء باجسادهم فاذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد اكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها لامانع من ذلك ولاداعى الى التخصيص برؤية المثال وقد سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون في أقطار الارض فانشد كالشمس في أفق السماء وضوءها قطع البلاد مشارقا ومغاربا وقد صح عن جماعة من الاولياء انهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة فمن ذلك ماذكروه عن الشيخ مولانا عبد القادر

كان أو غيره ماعدا المائدة لما مر انها شعار المتكبرين غالبا (قال محمد بن بشار يونس هذا الذى روى عن قتادة هو يونس الاسكاف) هو في اللغة الخفاف أى الخراز * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا عباد بن عباد المهلبى) بفتح اللام المشددة (عن مجالد) بكسر اللام (عن الشعبى) بفتح فسكون هو عامر بن شرحبيل الكوفي أحد الاعلام من التابعين ولد في خلافة عمر قال أدركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوداء في بيضاء قط ولاحدثت بحديث الاحفظته مات سنة أربع ومائة وله اثنان وثمانون كذا في أسماء الرجال لمؤلف المشكاة وقد مر به ابن عمر وهو يحدث بالمغازى فقال شهدت وهو أعلم بها مني وقال ابن سيرين لابي بكر الهمدانى الزم الشعبى فلقد رأيته يستفتى وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالكوفة وقال الزهرى العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام اه نقله في جمع الوسائل في باب الحجامة (عن مسروق) سمى بذلك لانه سرق صغيرا ثم وجد أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك الصدر الاول من الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعائشة رضى الله عنهم شهد حرب الخوارج ومات بالكوفة سنة اثنين ومائة كذا في جامع الاصول (قال دخلت على عائشة رضى الله عنها فدعت لى بطعام) أى ضيافة (وقالت ما أشبع من طعام) أى طعام كان هذا ظاهره لاخصوص الخبز واللحم كما قال ابن حجر (فأشاء ان أبكى الابكيت) قال ابن حجر أى تحزنا وتأسفا التلك الشدة التى قاساها صلى الله عليه وسلم أو تحسرا على فوات ذلك المقام الاكمل الذى كانت أعينت عليه ورضيت به ببركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم اه وقال بعضهم في بكائها غاية الاعتراف بالنعم والتحدث بسببها المنعم والاعتراف بالنعم شكر عظيم والتحدث بها ثناء على المنعم بها جسيم (قال) أى مسروق (قلت لم قالت أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا والله ماشبع من خبز ولحم مرتين في يوم واحد) هذا يقتضى انه لم يشبع من مجموعهما مرتين في يوم واحد وهذا لاينفى شبعه من مجموعهما مرة ولاشبعه من أحدهما مرتين في يوم لكن في نسخة من خبز ولا لحم بلا النافية وليس في هذا بيان صفة خبزه صلى الله عليه وسلم فانظر ماوجه ادخاله في ترجمته * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو داود انا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت عبد الرحمن

(١) وذكر ابن منظور على خصائص القرآن ان سورة المزمل من ادمن على قراءتها شهرا رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ونال منه مايريد وذكر أيضا في سورة القدر أن من قرأها مائة مرة في زوال الشمس رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه اه ومن منافع القرآن مانصه من قرأ سورة الكوثر ليلة الجمعة ألف مرة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة ونام رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه اه منه

الجيلانى نفعنا الله به انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الظهر فقال لى يابنى ألا تتكلم فقلت ياأبتاه أنا رجل أعجمى كيف أتكلم على فصحاء بغداد فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه سبعا وقال تكلم على الناس وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فصليت الظهر وجلست وحضرلى خلق كثير فارتج على فرأيت عليا قائما بازائى فى المجلس فقال لى يابنى لم لاتتكلم فقلت ياأبتاه قدارتج على فقال افتح فاك ففتحته فتفل فيه ستا فقلت لم لم تكملها سبعا قال تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توارى عنى فقلت غواص الفكر بغوص فى بحر القلب على درالمعارف فيستخرجها الى ساحل الصدر فينادى عليها بشارترجمان اللسان فتشترى بنفائس حسن الطاعة فى بيوت اذن الله أن ترفع اه ورأى بعض العارفين النبى صلى الله عليه وسلم فعلمه ان يقول اللهم ان حسناتى من عطائك وسيآتى من قضائك فجد بما أنعمت على ماقضيت وامح ذلك بذلك جلت ان تطاع الاباذنك أوتعصى الابعلمك اللهم ماعصيت حين عصيت استخفافا بحقك ولا استهانة بعذابك لكن لسابقة سبق بها علمك فالتوبة اليك والمغفرة لديك اه وقدشاع عن سيدى أحمد الرفاعى انه لما حج ثم وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد

في حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فقبلها ورآها كل من حضره هذا وقد قال شيخ شيوخنا ابن زكرى رحمه الله فى همزيته

نظرة منه تجذب القلب والرو * ح فتسعى لامره الاعضاء
نظرة فيه تكسب النور والقر * ب وفيها السرور والالآء

ابن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشة قالت ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبزشعير) أى فضلا عن خبز بر (يومين متتابعين حتى قبض) وفاء بقوله أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عبد الله بن عمرو) بالواو (أبومعمر) كنية عبد الله بن عمرو (قال) أى عبد الله (نا عبد الوارث عن سعيد بن أبى عروبة) بفتح فضم (عن قتادة عن أنس قال ماأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولاأكل خبزامرققا حتى مات) فائدة تكرار الحديث مع الاختلاف فى السند كله أو بعضه التقوية كماتقرر غيرمرة وظاهر النهى انه لم يأكله قبل البعثة لكن فى رواية للمصنف من حين بعثه الله فاحتمل انه للتقييد لانه قبل البعثة دخل الشام وفيها المرقق وغيره من مأكولات المترفهين فيحتمل انه أكله ويحتمل انه لبيان الواقع لاللتقييد ويؤيده مافى البخارى ماعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رغيفامرققا حتى لحق بالله ولارأى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله والسميط ماأزيل شعره بماءسخن وشوى بجلده وانمايفعل ذلك بصغيرالسن كالسخلة وفيه عن أنس أيضا ماأكل النبى صلى الله عليه وسلم خبزامرققا ولاشاة مسموطة حتى لقى الله

(باب ماجاء فى صفة ادام رسول الله صلى الله عليه وسلم)

لمابين صفة خبزه صلى الله عليه وسلم تعرض هنالبيان صفة ادامه وهومايؤتدم به أى يؤكل به الخبزمن خل وتمر ولحم وزيت ودباء وحلواء وعسل وغيرذلك من المائعات وغيرها قال المناوى الادام بكسر الهمزة كالادم بضم الهمزة وسكون الدال المهملة ويقال بضمها أيضامايؤتدم ويؤكل مع الخبز وجمعها أدم بضم الهمزة والدال ككتاب وكتب واختار العسقلانى فى مقدمة شرح البخارى ان الادم بضم الهمزة وسكون الدال جمع ادام وبماذكره المصنف فى هذا الباب وغيره من أنواع المأكولات تعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن من عادته حبس نفسه على نوع واحد من الاغذية فان ذلك يضر غالبا بالطبيعة وان كان أفضل الاطعمة بل كان يأكل ماتيسر من لحم وفاكهة وتمر وغيرهما مماسيأتى (حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وعبد الله بن عبد الرحمن قالا أنا يحيى بن حسان نا سليمان بن هلال عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل) ورواه مسلم وأحمد والثلاثة أيضا وهو

(مسفر يلتقى الكتيبة بسا * ماذا اسهم الوجوه اللقاء)

هذه صفة ثانية لوجه أى مشرق نوره الذى يكاد يخطف الابصار يلتقى ذلك الوجه أيضا الكتيبة أى الجيش من تكتب اذا

اجتمع حال كونه تبساما أى متبسما يفتر عن مثل سنى البرق أو حب الغمام

ان تبسم لاح النور من فيه أو افتر تجلى الظلماء

وذلك اذا أسهم الوجوه اللقاء من سهم وجهه اذا احمر وتغير أى اذا غير اللقاء للعدو الوجوه فان وجهه صلى الله عليه وسلم فى هذه الحالة التى تتغير فيها الوجوه وتضطرب يزداد نورا واشراقا وابتساما لما رزقه الله تعالى من عظيم الشجاعة المحصلة لغاية الطمأنينة والثبات والسكينة لعلمه بأن الله ناصره وحافظه وقوة يقينه بمولاه وشجاعته صلى الله عليه وسلم وثباته فى المواطن الهائلة أمر معروف مشهور وفى كتب السير بعضه مسطور

(جعلت مسجدا له الارض فاهتز ﴿﴾ به للصلاة فيها حراء)

الضمير فى له للوجه المكرم وأمته تبع له والمسجد موضع السجود والارض للعموم أى جميعها صالح للسجود فيه مباح له أو المسجد على بابه مجاز أى لانه لما جازت الصلاة فى كل جزء منها صار جميعها كأنه مسجد وفى البخارى عن جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة اهـ وفى حديث آخر وكان من قبلى انما يصلون فى كنائسهم وقيل ان الصلاة لم تكن تباح لهم الا فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الامة فابيحت لهم فى كل الارض الا ما يتيقنون نجاسته والاول أولى فبسبب هذا الجعل المذكور اهتز أى تحرك طربا وفرحا به صلى الله عليه وسلم لاجل الصلاة فى الارض الجبل الذى الشان فيه انه يرى الارض اذا تحركت وهو حراء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر باعتبار

اشارة

حديث مشهور وكاد ان يكون متواترا (قال عبد الله بن عبد الرحمن فى حديثه) أى فى روايته (نعم الادم) بضم فسكون وبضمتين (أو الادام الخل) يعنى وقع الشك فى حديثه دون حديث محمد بن سهل وقد اختلف الائمة فى المراد من الحديث فقال الخطابى معناه مدح الاقتصاد فى المأكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة والتقدير ائتدموا بالخل وما فى معناه مما تخف مؤنته ولا يعز وجوده ولا تتأنقوا فى الشهوات فانها مفسدة للدين والبدن ونقله عياض فى الاكمال وقال النووى والصواب الذى ينبغى الجزم به انه مدح الخل نفسه واما الاقتصاد فى المطعم وترك الشهوات فمعلوم من قواعد أخر اهـ وجمع ابن حجر بين التفسيرين فقال ما معناه الاولى ان يقال استفيد من مدحه انه ادام فاضل جيد ومن الاقتصار عليه مدح الاقتصاد فى الاكل ومنع النفس من ملاذ الاطعمة وشهواتها اهـ * وقال فى جمع الوسائل ما قاله النووى غير ظاهر لذوى الالباب فضلا عن ان يكون هو الصواب اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمدح طعاما ولا يذمه فان فى الاول شائبة الشهوة وفى الثانى احتقار النعمة اهـ قال مقيده عفا الله تعالى عنه لا يخفى ان المراد من الحديث انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يمدح طعاما من حيث شهوة النفس لا مطلقا فلا ينافى ما ورد من مدحه للخل لاسباب أخر ففى رواية جابر بن عبد الله فى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أهله الادم فقالوا ما عندنا الا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل فمدحه صلى الله عليه وسلم لما أفهم كلامهم انه ليس من الادم المستحسنة وعن أم سعد رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل وفى رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلى وفى حديث لم يقفر بيت فيه خل رواهن ابن ماجه وفى الرواية الثانية رد على ابن حجر حيث أتى باداة الحصر فقال ثم الثناء عليه بذلك انما هو بحسب مقتضى الحال الحاضر لا لتفضيله على غيره خلافا لمن ظنه لان سبب الحديث ان أهله قدموا له خبزا فقال أما من أدم فقالوا ما عندنا الا خل فقال نعم الادام الخل جبرا وتطييبا لقلب من قدمه لا تفضيلا له على غيره اذ لو حضر نحو لحم أو عسل أو لبن لكان أولى بالمدح منه اهـ وأيضا فقد قال فى جمع الوسائل ولا يخفى ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ان الحديث ليس فيه الا مدحه لانه أفضل من سائر الادم اهـ قال ابن حجر وفى طلبه صلى الله عليه وسلم الادام

البقعة والمكان فيمنع من الصرف ويصرف وهو جبل بقرب مكة على يسار الخارج منها ذاهبا الى منى كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وأشار بهذا الى ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال عليه الصلاة والسلام اسكن حرا فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد ورواه البخاري في أحد بلفظ انه كان معه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله الشريفة وقال اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ورواه النسائي والترمذي في ثبير وهو جبل يقابل حرا وكان معه عليه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارة الحضيض أي التي في قراره وأسفله فركضه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وهذا محمول على تعدد القصة بدليل اختلاف المحال والحال فيها وفي قول الناظم اهتز اشارة الى أن اهتزازه للفرح والطرب لا للسخط والغضب وذلك لان الله تعالى خلق في الجمادات ادراكا أدركت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما حل على تلك الجبال حصل لها من ذلك الجمال ما أوجب تحركها انشاطا ثم ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن المقام يقتضي الفرح مع ملازمة الادب ويحتمل أن يكون تحركها هيبة وجلالا نعرفها بأن من حل عليها يغلب في جانبه مشاهدة ما يناسب حاله من غاية الادب ولا ينافي الفرح والطرب بل الاولى هو الجمع فافهمه والله أعلم

(مظهر شجة الجبين على البر * كما أظهر الهلال البراء)

مظهر ذلك الوجه الشريف شجة أي جرح الجبين وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ والمراد هنا الجبهة فهو من مجاز المجاورة وعلى البرء أي فيه أو معه وما مصدرية والبراء أول ليلة أو يوم من الشهر أو آخرها أو آخره وأشار الناظم الى

اشارة الى أن أكل الخبز مع الادام من أسباب حفظ الصحة بخلاف الاقتصار على أحدهما اهـ وذكر الحكيم الترمذي في نوادر الاصول ان في الخل منافع دينية ودنيوية وانه بارد يقطع حرارة السموم ويطفئها وذكر ابن حجر انه سهل الحصول قامع للصفراء نافع لاكثر الابدان قال في جمع الوسائل لا يصلح ذلك ان يكون تعليلا لمدحه صلى الله عليه وسلم فان شيأ من الاشياء لا يخلو عن فائدة وخاصية عند الاطباء وذلك لا يناسب أن يحمل عليه كلام سيد الانبياء اهـ قال مقيده كان الله سبحانه له مدحه صلى الله عليه وسلم للخل لما فيه من الخواص ولكونه دواء وغذاء وغير ذلك من الاسباب غير مناف لما علم من أن كل عشبة نابتة لله فيها حكمة ثابتة وقد سبق اكتحلوا بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر والاحاديث في هذا المعنى كثيرة فلا بعد في كون حديث نعم الادام الخل منها والله أعلم * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا أبو الاحوص) سلام ابن سليم ثقة متقن صاحب حديث من السابعة مات سنة تسع وسبعين ومائة قاله المناوي (عن سماك بن حرب قال سمعت النعمان بن بشير يقول ألستم في طعام وشراب ما شئتم لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه) سبق في باب عيشه صلى الله عليه وسلم ما يتعلق بهذا الحديث معنى واعرابا وسبق توجيه الاضافة في قوله نبيكم ولم يقل نبينا أو نبيي ونبيكم بأن المراد حثهم على الاقتداء به والاعراض عن الدنيا ومستلذاتها ما أمكن قال ابن حجر وأما قتل خالد مالك بن نويرة لما قال له كان صاحبكم يقول كذا فقال صاحبنا وليس بصاحبك ثم قتله فهو ليس لمجرد هذه اللفظة بل كأنه بلغه عنه انه ارتد وتأكد ذلك عنده بما أباح له الاقدام على قتله * قال المصنف (حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي نا معاوية بن هشام عن سفيان) أي الثوري (عن محارب بن دثار) بكسر الدال المهملة وتخفيف المثلثة (عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الادام الخل) تقدم انه حديث مشهور كاد أن يكون متواترا * قال المصنف (حدثنا هناد نا وكيع عن سفيان عن أيوب عن أبي قلابة) بكسر القاف اسمه عبد الله بن زيد (عن زهدم) بفتح الزاي وسكون الهاء وفتح الدال المهملة (الجرمي) بالجيم المفتوحة والراء الساكنة أبو مسلم البصري ثقة من الثالثة (قال كنا عند أبي موسى الاشعري فأتي) بصيغة المجهول نائب الفاعل ضمير أبي موسى خلافا لمن

مما وقع له صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقد روى الطبرانى وغيره ان عبد الله بن قميئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد
فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله
أى صغرك واذلك فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة وروى ابن اسحق عن حميد الطويل عن
أنس قال كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا
وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم
فانزل الله تعالى ليس لك من
الامر شئ أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فانهم ظالمون وعند
ابن عائذ من طريق الاوزاعى
بلغنا انه لما جرح رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ
فجعل ينشف دمه وقال لو وقع
شئ منه على الارض لنزل عليهم
العذاب من السماء ثم قال اللهم
اغفر لقومى فانهم لا يعلمون
وروى عبد الرزاق عن معمر
عن الزهرى قال ضرب وجه
النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ
بالسيف سبعين ضربة وقاه الله
شرها كلها وراجع المواهب
وغيرها من كتب السير تطلع
على تمام الخبر وأشار بقوله كما
أظهر الخ الى أن وجهه المكرم
أظهر آثار تلك الشجة مع برئها
ظهورا واضحا ليس فيه أدنى شين
بل فيه غاية الجمال كظهور
الهلال ليلة استهلاله لحكمتين
ليتذكر الرائون لذلك والراوون
عنهم ما وقع له صلى الله عليه وسلم
من المحنة وعظيم الصبر عليها فيقتدوا به فى ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه حاشاه من ذلك بل زادته
جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال فى وجهه الذى هو أحسن من الهلال ولذا قال

(ستر الحسن منه بالحسن فاعجب * لجمال له الجمال وقاء)

أى ستر ذلك الوجه الحسن الاصلى منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب لجمال أصلى له الجمال العارض وقاء وذلك

قال ابن النائب قوله (بلحم دجاج) مثلث الدال كما ذكره المنذرى وابن مالك ولم يحك
النووى ضم الدال واحده دجاجة مثلثة أيضا سمى به لاسرعته فى الاقبال والادبار من
دج يدج اذا أسرع وقيل ان الدجاج بالكسر اسم للذكران دون الاناث الواحد منها ديك
وبالفتح اسم للاناث دون الذكران والواحد دجاجة بالفتح أيضا والمعنى انه أتى بطعام فيه
دجاج كما يأتى (فتنحى) أى تباعد (رجل من القوم) ليس هو زهدما كما قيل لان زهدما بين
هذا الرجل بصفته ونسبته كما فى الرواية الآتية (فقال) أى أبو موسى لذلك الرجل
(مالك) أى ما الموجب لتنحيك (قال انى رأيتها) أى أبصرت الدجاجة أى جنسها (تأكل
شيأ) أى من القاذورات وفى نسخة نتنا بنونين بينهما فوقية مكسورة ويجوز سكونها
أى شيأ ذا نتن (فحلفت أن لا آكلها) أى لاستقذارها ونفرة طبعه منها بدليل قوله
فى الرواية الآتية فقذرته لا لتوهم حرمتها كما قيل لانه لو اعتقد الحرمة ما احتاج الى
اليمين ولانه من التابعين وفى أيام الصحابة فلا يحرم حلالا بغير دليل قطعى مع ان الطعام
مطبوخ فى بيت أبى موسى قاله فى جمع الوسائل (قال ادن) أى اقرب وخالف طبعك واتبع
شرعك (فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل لحم دجاج) فاللائق بالمؤمن
متابعته لقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال
النووى فى الاربعين حديث صحيح وفى رواية البخارى ان أبا موسى حدث الرجل
بحديث الاشعريين وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يحملهم ثم أعطاهم
خمس ذود وقال والله ان شاء الله لا أحلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا أتيت الذى هو
خير وتحللتها قال المناوى قال ابن القيم ولحم الدجاج حار رطب فى الاولى خفيف على
المعدة سريع الهضم جيد الخلط يزيد فى الدماغ والمنى ويصفى الصوت ويحسن اللون
ويقوى العقل ويولد دما جيدا وهو مائل الى الرطوبة ولحم الديوك أسخن مزاجا وأقل
رطوبة اه وليس فى الحديث شاهد للمشهور فى مذهب مالك من جواز أكل
الجلالة اذ لا يلزم من أكله صلى الله عليه وسلم لحم الدجاج أنه أكل الجلالة وفى خبر
ابن عدى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ان يأكل دجاجة أمر بها فربطت
أياما ثم يأكلها بعد ذلك والله أعلم * قال المصنف (حدثنا الفضل بن سهل الاعرج
البغدادى نا ابراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى) بفتح الميم (عن ابراهيم بن عمر بن

لان الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التى لم يعطها المخلوق فى باطنه وظاهره فجعله كله نورا ولذا لم يظهر له ظل فكان جلده ساترا الجماله الباطن فاذا ازالته الشجة ظهر من أنوارها الباطنة ما يصيرها كالهلال فى وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بمحسوس يوضح ذلك ويكشفه فقال

(فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ * ـمام والعود شق عنه اللحاء)

فهو أى ماظهر فالشجة من باطن بدنه الشريف كالزهر أى نور (٢٠٩) النبات اذ لاح أى ظهر من السجف بفتح السين وكسرها وسكون الجيم وفتحه ضرورة أى ستر والاكمام جمع كم بكسر الكاف غطاء النور والمشبه به هنا ظاهر الجلد وهو أيضا مثل العود الذى يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو قشره الاعلى من لحوت الشجر ألحوه اذا قشرته فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفى هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه فاق جمال ظاهره ومن ثم قال

(كاد أن يغشى العيون سنى منـ * ـه لسر حكته فيه ذكاء)

فاعل كاد يعود على ما ظهر بالشجة أو على وجهه الكريم ويغشى بالغين المعجمة وبالمهملة أى يغطى العيون سنى بالقصر أى ضوء عظيم خارج منه لسر عظيم حكته أى شابهته فى ذلك الباطن الذى ظهر ذكاء أى شمس أى شابهت اصله وفى قوله كاد اشارة الى ان هذا الامر وان اقتضاه الحال لم يقع ليتمكن الناس من الاخذ عنه وينتفعوا بما يشاهدون منه

(صانه الحسن والسكينة ان تظـ * ـهر فيه آثارها البأساء)

لما تقرر ان من أسباب عدم شينه بتلك الشجة ما أوتيه من الحسن الذى لم يؤته غيره قال صانه ذلك الحسن أى حفظه لو انفرد فكيف وقد انضم اليه السكينة أى وقار الظاهر مع طمأنينة الباطن وعدم تحركه بما يحزن به من المؤذيات التى لا يسكن عندها غيره فهما صاناه ان تظهر فيه آثارها البأساء أى الشدائد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية

سفينة عن أبيه) أى عمر (عن جده) أى سفينة وهو مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنى أبا عبد الرحمن ويقال كان اسمه مهران فلقب بسفينة لكونه حمل معه شيأ كثيرا فى السفر صحابى مشهور له أحاديث (قال أكلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم حبارى) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وفتح الراء وألفه للتأنيث خلافا للجوهرى فى قوله انها ليست للتأنيث ولا للالحاق وانما بنى الاسم عليها فصارت كأنها من نفس الكلمة وهو طائر معروف يقع على الذكر والانثى واحده وجمعه سواء وان شئت قلت فى الجمع حباريات وهو من أشد الطير طيرانا وذلك انها تصاد بالبصرة فتوجد فى حواصلها الحبة التى شجرتها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام ولذلك قالوا فى المثل أطلب من الحبارى واذا نتف ريشها وأبطأ نبته ماتت حزنا وهو طائر كبير العنق رمادى اللون فى منقاره بعض الطول لحمه بين البط والدجاج وهو أخف من لحم البط ومن شأنها تصاد ولا تصيد وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق قال ابن القيم ولحم الحبارى حار يابس بطىء الانهضام نافع لاصحاب الرياضة والتعب قال ابن حجر وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أكل لحم حمار الوحش والجمل والارنب وروى مسلم انه أكل من دواب البحر اهـ وفى ذلك كله رد على من حرم أكل اللحم من الفرق الضالة قال المصنف فى الجامع وهذا حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن القاسم التميمى عن زهدم الجرمى قال كنا عند أبى موسى قال) أى زهدم (فقدم طعامه وقدم فى طعامه لحم دجاج وفى القوم) أى الحاضرين (رجل من بنى تيم الله) هم حى من بنى بكر يقال لهم اللهازم (أحمر كانه مولى قال) أى زهدم (فلم يدن) أى لم يقرب الى الطعام أو لم يتناول منه (فقال له أبو موسى ادن فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منه قال) اى الرجل (انى رأيته يأكل شيأ فقذرته) بالذال المعجمة اى استقذرته (فحلفت أن لا أطعمه)

الطمأنينة ونهاية الجمال كما مر فهو صلى الله عليه وسلم على غاية الجمال ونهاية الكمال فى حالتى السراء والبأساء

(وتخال الوجوه ان قابلته * ألبستها ألوانها الحرباء)

أى تظن أنت الوجوه ان قابلته أى عاينت وجهه الكريم فوقعت عليها أنواره وجواب ان محذوف أى خجلت من فرط جماله وتلونت بالوان مختلفة كما يشاهد ممن قوى خجله حتى كأن تلك الوجوه عند ذلك التلون ألبستها الحرباء ألوانها وهى دويبة تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة

(٢١٠) (فاذا شمت بشره ونداه * أذهلتك الانوار والانواء)

أى فبسبب هذا الجمال الباهر اذا شمت أى نظرت من شام البرق اذا نظر الى سحابه أين يتوجه بمائه والبشر بكسر الموحدة طلاقة الوجه والندى جوده الفائض العام أى اذا تطلعت الى مخايله يبصرك متنظرا اليه اذهلتك أى انستك ما كنت بصدده الانوار أى أنواره الباهرة التى تحصل لك من بشره عند رؤيته وجهه والانواء جمع نوء وأصله النجم الذى تضيف العرب المطر اليه فيقولون مطرنا بنوء كذا وهنا كناية عن فواضله وعوارفه وخيراته الواصلة منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وأمله وفيه لف ونشر مرتب وجناس لاحق وتشابه الاطراف وهو ختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى نحو قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار الآية فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو يدرك الابصار

(أو بتقبيل راحة كان لله * وبالله أخذها والعطاء)

أى أو لمته خصنى بتقبيل أى لثم راحة أى كف كان أخذها لله وعطاؤها لله أى لاجل ابتغاء وجهه دون غرض آخر وبسبب شهود اعانته وقدرته لبراءته عن كل غرض ينافى الكمال الاعظم لم يقع تصرف منه فى شئ منذ أفاض الله عليه خوارق جوده الاعم شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى

(تتقى بأسها الملوك وتحظى * بالغنى من نوالها الفقراء)

بفتح العين اى لا آكله (أبدا) اى مدة ما أعيش فى الدنيا والجمع بين هذه الرواية والرواية الاولى بتعدد قوله ادن لانه قال له حين تنحى ادن مالك أو مالك ادن كما هو العادة ولما تعلل بما تعلل قال له ادن فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث كذا قال فى جمع الوسائل وتأمله فان الرواية الاولى تدل بظاهرها على أن اعتذار الرجل عن تنحيه مقدم على قول أبى موسى ادن فانى رأيت الخ والرواية الثانية تدل بظاهرها على عكس ذلك * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد الزبيرى وأبو نعيم قالا نا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن رجل من أهل الشام يقال له عطاء) فى التقريب شامى أنصارى سكن الساحل مقبول من الرابعة (عن أبى أسيد) بفتح فكسر على الصحيح فى التقريب هو ابن ثابت المدنى الانصارى قيل اسمه عبد الله (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت) اى مع الخبز فلا يرد ان الزيت مائع فلا يكون تناوله أكلا ولا الاعتراض بعدم مناسبته للباب قاله فى جمع الوسائل (وادهنوا به) أمر من الادهان بتشديد الدال وهو استعمال الدهن والامر للاستحباب لمن كان قادرا الا فللاباحة بدليل تعليله بقوله (فانه) أى أصله (من شجرة مباركة) لكونها تنبت فى الارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام ويلزم من بركة هذه الشجرة بركة ثمرتها وهى الزيتون وبركة ما يخرج منه من الزيت وكيف لا وفيه التأدم والدهن وهما نعمتان عظيمتان وقد ورد عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور رواه الطبرانى وأبو نعيم عن عقبة بن عامر وورد عليكم بزيت الزيتون فكلوه وادهنوا به فانه ينفع من الباسور رواه ابن السنى عن عقبة بن عامر أيضا وروى أبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة بلفظ كلوا الزيت وادهنوا به فان فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام قال ابن القيم والدهن فى البلاد الحارة كالحجاز من أسباب حفظ الصحة واصلاح البدن وهو كالضرورى لهم وأما

فى

بفتح التاءين أى تخاف وتحذر بأسها أى شدتها فى الحرب الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس الى أن ظفرها الله بجميعهم وكانت تحظى أى تفوز بالغنى الحسى والمعنوى من بعض نوالها أى عطائها العظيم الفقراء جمع فقير أى لانه كان أجود الناس فيعطى عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء لايثاره على نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفى ابتغاء مرضاته يبذل الاموال تارة للفقراء والمحتاجين وتارة ينفقها فى سبيل الله وتارة يتألف من بها يقوى اسلامه أو من يسلم باسلامه نظراؤه وفى البيتين تجنيس التقابل فى ثلاثة مواضع بين الاخذ والعطاء وتتقى وتحظى والملوك والفقراء

(لا تسل سيل جودها انما يكـ * ـفيك من وكف سحبها الانداء) (٢١١)

لا تسل أصله بالهمز ثم خفف والسيل الماء الكثير الجارى وبينهما تجنيس التحريف والجود بفتح الجيم المطر الغزير أى لا تسأل هذا الامر المكنى به عن سعة عطائه وجوده فان هذا شئ لا يقدر أحد من البشر قدره بل انما الذى يليق بك أن تسأل ما يكفيك وهو أن يصل اليك من وكف أى قطر سحبها بضم السين جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو البلل أى بلل قطرها على أن بلل هذا القطر فيه الغنى الكلى فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت سببا لغناه فى الدارين ورضى الله عن سيدنا حسان اذ يقول

له همم لا منتهى لكبارها
وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها
على البر كان البر أندى من البحر

في البلاد الباردة فضار وكثرة دهن الرأس به فيها خطر بالبصر انتهى ومناسبة الحديث للباب ان الامر بأكله يستدعى أكله صلى الله عليه وسلم منه أو يقال المقصود من الترجمة معرفة ما أكل منه صلى الله عليه وسلم وما أحب الا كل منه قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (نا يحيى بن موسى نا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة قال أبو عيسى) يعنى المصنف (وعبد الرزاق) أحد رواة هذا الحديث والواو للاستئناف والاولى اسقاطها (كان يضطرب فى هذا الحديث) اى فى اسناده (فربما) بيان للمراد بالاضطراب هنا (أسنده) اى أوصله كما سبق (وربما أرسله) اى بحذف الصحابى لما سيأتى وكان من حق المؤلف أن يؤخر هذا الكلام الى ايراد الاسانيد بالتمام قال ابن حجر الاضطراب تخالف روايتين أو أكثر اسنادا أو متنا مخالفة لا يمكن الجمع بينهما ما لم تترجح احداهما بنحو كثرة طرق احدى الروايتين أو كونها أصح أو أشهر أو رواتها أتقن أو معهم زيادة علم كما هنا فان المسند معه زيادة علم على المرسل سيما والمرسل اسند مرة أخرى فوافق اسناد غيره له دائما وهو أبو اسيد فى الرواية السابقة اه أى فان كان ترجيح فالحكم للراجح ولا اضطراب حينئذ والاضطراب يستلزم الضعف * قال المصنف (حدثنا السنجى) بكسر المهملة وسكون النون وبالجيم نسبة الى سنج قرية من قرى مرو (وهو أبو داود سليمان بن معبد المروزى السنجى) ذكره أولا وثانيا اشارة الى أنه قد يقع فى كلام المحدثين ذكر نسبته فقط وقد يقع ذكر اسمه ونسبه ونسبته (نا عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه) أى مثله لفظا أو معنى (ولم يذكر فيه عن عمر) يعنى فيكون الحديث بهذا الطريق مرسلا فالحديث مضطرب والاضطراب انما نشأ من عبد الرزاق * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن

(درت الشاة حين مرت عليها * فلها ثروة بها ونماء)

أى من أوصاف تلك الراحة العالية أيضا انها درت الشاة أى أرسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن بالكلية اذ لم يطرقها فحل قط ثروة أى كثرة اللبن بها أى بسبب تلك الراحة الكريمة ونماء أى زيادة فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم حين خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد قرب رابغ على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا منها لحما ولبنا يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها هل بها

من لبن فقالت هي أجهد من ذلك والله ماضربها من فحل قط فقال صلى الله عليه وسلم أفتأذنين لي أن أحلبها فقالت نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا وشرب هو آخرهم ثم حلب فيه مرة أخرى وتركه عندها راجع ما تقدم

(نبع الماء أثر النخل في عا * مبها اسبحت بها الحصباء)

أى ومن أوصاف تلك الراحة الجليلة أيضا انه نبع الماء بها أى بسببها ولم يقل منها ليفيد انه نبع تارة منها وتارة من غيرها ببركتها اما الاول فقد قال القرطبي (٢١٢) قصة نبع الماء من بين أصابعه الكريمة قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ورويت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه وذكر المزني صاحب الشافعي ان هذا أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى لان الحجر مألوف منه خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما في الصحيحين عن أنس أن الناس احتاجوا الصلاة العصر فلم يجدوا الماء فاتى النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤا كلهم زاد البخاري وكانوا ثمانين وفي رواية أخرى فقلنا لانس كم كنتم قال كنا ثلثمائة وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاؤه يشتكون العطش فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور هو من بين أصابعه كامثال العيون فتوضؤا وشربوا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة بل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك في غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فأتى بها فصبها في صحفة ثم وضع راحته فيها فتحلبت عيون بين أصابعه فرووا وابلهم وتزودوا منه * واما الثاني ففي مسلم عن معاذ انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي فسبق رجلان والعين مثل الشراك تبض بشئ من ماء فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل مسستما من مائها شيأ قالا نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول

مهدى قالا نا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الدباء) بضم الدال وتشديد الموحدة ممدود ويجوز القصر حكاه الفراء وأنكره القرطبي وهو اليقطين وهو القرع واحدها دباءة (فاتى بطعام أودعى له) أى وفيه دباء والشك من أنس أو ممن دونه قال أنس (فجعلت أتتبعه) أى أطلب الدباء من حوالى القصعة (فأضعه بين يديه) اى قدامه صلى الله عليه وسلم فيه جواز مناولة من على المائدة بعضهم بعضا مما بين أيديهم لان جمعه لهم وانما يكره من ذلك ان يناول من على مائدة لمن على مائدة أخرى وفيه جواز جولان اليد في الطعام المختلف اذا قلنا ان هذا من المختلف والاوجه ذلك ان أنسا لم يكن معه غير النبي صلى الله عليه وسلم فكان الطعام بين أيديهما معا الاغير وانما ناول أنس ما كان بين يدى نفسه وغير ذلك كان بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم أو انه كان يأكل مع من يعلم سروره بذلك وفرحه به أولان الطعام كان عمل للنبي صلى الله عليه وسلم فكان جميعه له انظر المعلم والاكمال (لما أعلم) أى لعلمى (انه يحبه) وفي بعض النسخ بفتح اللام وتشديد الميم أى حين أعلم انه يحبه أى يرضيه أكله و يستحسنه ويحب تناوله قال ابن حجر وكان سبب محبته له صلى الله عليه وسلم ما فيه من افادة زيادة العقل والرطوبة المعتدلة وما كان يلحظه من السر الذى أودعه الله فيه اذ خصصه بالانبات على أخيه يونس عليه السلام حتى وقاه حر الشمس وبرد الليل وتربى في ظله فكان له كالام الحاضنة لولدها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا حفص بن غياث) بكسر أوله (عن اسمعيل ابن أبي خالد عن حكيم بن جابر) ثقة من الثالثة مات سنة اثنين وثمانين (عن أبيه) أى جابر بن طارق الاحمسى بمهملتين وهو صحابي مقل (قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى في بيته (فرأيت عنده دباء يقطع) من التقطيع وهو جعل الشئ قطعة قطعة (فقلت ما هذا) أى ما فائدة تقطيعه لا ما حقيقته وان كان الاصل في ما لانه لا يجهل حقيقته قاله ابن حجر ردا على شارح والمراد والله أعلم السؤال عن تقطيعه هل

ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع فى شن ثم غسل عليه الصلاة والسلام به وجهه ويديه ثم صب الغسالة فى العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ماههنا قدملئ جنانا أى بساتين وعمرانا وفى الموطا فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق * (تنبيه) * قال النووى فى أول كتاب الفضائل من شرح مسلم وفى كيفية هذا النبع يعنى فى القسم الاول قولان حكاهما القاضى عياض وغيره أحدهما انه كان يخرج من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وينبع من ذاتها وهذا قول أكثر العلماء والثانى ان الله تعالى كثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين أصابعه اه قال الحطاب فى شرح المختصر وعلى القول الاول فهو أشرف مياه الدنيا والآخرة اه

ومن أوصافها أيضا انه أثمر النخل فى عام أى فى سنة غرسه بها أى بسبب مس تلك الراحة الكريمة لذلك النخل وذلك فى قصة سلمان الفارسى وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية وتعهدها حتى تثمر واربعين أوقية ذهبا ثم أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فامر أصحابه أن يعينوه بالودى فأعانوه به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فاثمرت كلها فى عامها وجىء النبى صلى الله عليه وسلم بمثل دجاجة من ذهب من بعض المعادن فاعطاها له فقال وأين تقع هذه مما على فقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فوزن لهم منها أربعين أوقية ومن أوصافها أيضا انها سبحت بها أى فيها الحصباء أى الحصا واحدها حصبة كقصبة وأرض حصبة كفرحة ومحصبة كثيرتها وحصبه رماه بها وروى البزار والطبرانى والترمذى انه صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فقبض حصيات فسبحن فى كفه الشريف حتى سمع لهن حس كحس النحل فناولهن أبا بكر فسبحن فى كفه ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم أخذها الحاضرون فلم يسبحن مع أحد منهم قال العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصى الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس نعم أخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا نأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وفى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فا كل منه فسبح

هو ليطبخ وحده أو ليصنع به دواء أو لغير ذلك (قال نكثر) من التكثير وهو جعل الشئ كثيرا (به) أى بتقطيعه (طعامنا) قال ابن حجر وفى بعض النسخ يقطع بالبناء للمفعول من القطع ويكثر من الاكثار مسند الى طعامنا وفيه ان الاعتناء بامر الطبخ ومايصلحه لاينافى الزهد والتوكل بل يلائم الاقتصاد فى المعيشة المؤدى الى القناعة (قال أبو عيسى وجابر هذا) أى المذكور فى اسناد هذا الحديث (هو جابر بن طارق ويقال ابن أبى طارق) يعنى لا جابر بن عبد الله لانه من المكثرين وهو وأبوه صحابيان وانما نبه المصنف على هذا لان جابر بن عبد الله هو المشهور من الصحابة والمطلق ينصرف اليه عند المحدثين (وهو) أى جابر بن طارق (رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لانعرف له) بالبناء للفاعل أو المفعول (الاهذا الحديث الواحد) قال ابن حجر قيل لاوجه لذكره هذا فى جابر وتركه فى أبى أسيد السابق مع أنه مثله فيه اه وليس فى محله لانه يحتمل أن حال أبى أسيد مشهور فاكتفى عن ذلك فيه لشهرته أوانه حفظ ذلك فى هذا دون ذلك فبين ماعرفه وسكت عما لايعرفه اه * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة انه) أى اسحق (سمع أنس بن مالك يقول ان خياطا) قال العسقلانى لم أقف على اسمه لكن فى رواية ثمامة عن أنس انه كان غلاما للنبى صلى الله عليه وسلم وفى لفظ ان مولى خياطا (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه فقال أنس فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك الطعام) اما بدعاء مخصوص أو تبعا له لكونه خادما له صلى الله عليه وسلم فهو مدعو حكما لان الكبير العظيم اذا دعى لايأتى وحده عادة (فقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا من شعير ومرقا) بفتحتين (فيه دباء وقديد) لحم مملح مجفف فى الشمس أو غيرها فعيل بمعنى مفعول والقد القطع طولا وفى السنن عن رجل ذبحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة ونحن مسافرون فقال اصلح لحمها فلم أزل أطعمه منه الى المدينة نقله ابن حجر (قال

(أحيت المرملين من موت جهد * أعوز القوم فيه زاد وماء)

أى من أوصافها العلية انها أحيت المرملين جمع مرمل أى المحتاجين الذين نفد زادهم حتى أشرفوا على الموت فنسبتهم موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما أن اسناد الاحياء الى الراحة مجاز أيضا فهو استعارة تبعية وقوله من موت جهد أى قحط شديد أطلق عليه الموت لما كان سببا له والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت أطلق عليه اسمه وقوله أعوز القوم أى أعجزهم وضمير فيه يعود على الجهد والزاد فى الاصل طعام المسافر وعبر به لقلته عندهم فصاروا كالمسافرين الذين فنى (٢١٤) زادهم فأشرفوا على الهلاك

(فتغذى بالصاع ألف جياع
وتروى بالصاع ألف ظماء)

أى فبسبب احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا حتى تغذى بالمعجمة من الغذاء بكسر الغين والذال المعجمتين وهو مابه نماء الجسم وقوامه وبفتح الغين والدال المهملة المأكول وقت الغداة وهو ماقبل الزوال وجياع جمع جائع من الجوع ضد الشبع والظماء جمع ظامئ أى عاطش وقد وقع هذا فى الخندق فى قصة شاة جابر وذلك كما فى الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه رأى فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجن أى سمينة فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم فى البرمة ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره وطلب أن يأتى بنفر معه فصاح صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا (١) فحيهلا بكم ثم أمره أن لا ينزل البرمة وان لا يخبز العجين حتى يجىء فلما جاء بصق فى العجين ثم فى البرمة وبارك سبحانه ثم أمرها أن تدعو خابزة تخبز معها وان تغرف من برمتها ولا تنزلها فأكلوا وهم ألوف حتى تركوه وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفى الصحيحين أيضا عن أنس ان أم سليم أرسلت مع أنس الى النبى صلى الله عليه وسلم اقراصا من شعير ملفوفة بخمار فلما رآه

أنس فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع) أى يتطلب (الدباء حوالى القصعة) بفتح اللام وسكون الياء وكسرت هنا لالتقاء الساكنين وهو مفرد لفظا مجموع معنى أى جوانبها خلافا لمن قال أصله حوالين كجانبين فسقطت النون للاضافة ومنه حديث اللهم حوالينا ولا علينا والقصعة بفتح القاف هى التى يأكل منها عشرة أنفس وفى نسخة حوالى الصحفة وهى التى يأكل منها خمسة كذا فى المهذب والصحاح وأغرب ابن حجر فقال تسع ضعفى ماتسع القصعة وقيل هما واحد انتهى قاله فى جمع الوسائل قال ابن حجر وتتبعه صلى الله عليه وسلم حوالى القصعة اما بالنسبة لجانبه دون جانب البقية أو مطلقا ولا يعارضه نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك لانه للتقذر والايذاء وهو منتف فيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يودون ذلك منه لتبركهم بآثاره صلى الله عليه وسلم حتى نحو بصاقه ومخاطه يدلكون به وجوههم وقد شرب بعضهم بوله وبعضهم دمه انتهى وفى رواية عن أنس انه قال فلما رأيت ذلك جعلت أجمعه بين يديه ولا أطعمه وفى الحديث جواز طبخ اللحم مع غيره من الخضر لتكثير الطعام وتطييبه وليس من باب ادامين ولا من السرف وقد تقدم قوله نكثر به طعامنا مع مافى ذلك من تدبير طبى لكسر حرارة القديد وتعديل يبسه ببرد القرع ورطوبته انظر الا كمال (فلم أزل أحب الدباء من يومئذ) أى محبة شرعية لا طبيعية وهذا من صريح ايمانه رضى الله عنه فان محبة المصطفى مؤدية الى محبة ما كان يحبه حتى من مأكول ومشروب وملبوس وفى الحديث فوائد منها أكلة الخادم وان كسب الخياط ليس بدنىء وانه يسن محبة الدباء لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا كل شىء كان يحبه ذكره النووى وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من عظيم التواضع والتلطف والرفق باصاغر أصحابه وتعاهدهم بالمجىء الى منازلهم وانه يندب اجابة الدعوة وان قل الطعام وكان المدعو شريفا والداعى دونه من محترف أو غيره ومما كتب به مولانا أحمد الذهبى للشيخ القطب العارف بالله

(١) بضم المهملة وسكون الواو بغير همز قال ابن الاثير أى طعاما يدعو اليه الناس قال واللفظة فارسية اه من خط المؤلف

النبي صلى الله عليه وسلم فقال له آرسلك أبو طلحة قلت نعم قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فانطلق بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال
يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سليم هلمي ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به صلى الله عليه
وسلم ففت وعصرت عكة فأدمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فأكلوا حتى شبعوا
ثم خرجوا فقال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا وشربوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا بقية
وروى مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسألوا عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢١٥) أن يدعو بفضل أزوادهم ثم يدعو
الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع
شيء يسير فدعا صلى الله عليه
وسلم بالبركة ثم قال خذوا
في أوعيتكم فما تركوا في العسكر
وعاء الا ملؤه فأكلوا حتى شبعوا
وفضلت فضلة فقال عليه الصلاة
والسلام أشهد أن لا اله الا الله
وأني رسول الله وفي الصحيحين
عن أنس أيضا ان أمه ارسلت
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحيسة من تمر وسمن واقط
في تور وهو عروس بزينب
فأمره أن يدعو من لقي فدعا من لقي
فكانوا زهاء ثلثمائة فوضع صلى
الله عليه وسلم يده في تلك الحيسة
وتكلم بما شاء الله تعالى ودعا
عشرة فأكلوا حتى شبعوا قال
أنس فما أدري حين وضعت
كانت أكثر أم حين رفعت وصح
عن سمرة بن جندب انهم تداولوا
قصعة من غدوة الى الليل يقوم
عشرة ويقعد عشرة فقيل له
مم كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار الى السماء رواه الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححه

سيدنا الشيخ سيدي محمد البكري نزيل مصر نفعنا الله به بخط يده بعد كتبه كتابا

ولما نأيت ولم أستطع * وصولي اليكم بنقل القدم
أتيت اليكم برجل الرسول * وخاطبتكم بلسان القلم

فاجابه الشيخ المذكور

فان زرتم وتفضلتم * وشرفتمونا بنقل القدم
فليس بعار ولا منقص * دخول الموالي بيوت الخدم

* قال المصنف (حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي وسلمة بن شبيب) بحبيب (ومحمود بن غيلان قالوا أخبرنا أبو اسامة) قيل اسمه حماد بن اسامة (عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل) الحلواء بالمد ويجوز قصره كل ما فيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم وقال الخطابي يختص بما دخلته الصنعة وفي كتاب فقه اللغة للثعالبي ان حلواءه صلى الله عليه وسلم التي كان يحبها المجيع كعظيم وهي تمر يعجن بلبن وقيل ما صنع وعولج من الطعام بحلو وقد يطلق على الفاكهة وقيل المراد به المستلذات من المباحات وعلى غير هذا القول الاخير من الاقوال المتقدمة فكل ما شابه الحلواء والعسل من أنواع المآكل اللذيذة داخل في معنى هذا الحديث لان الحلواء والعسل من جملة الطيبات قال ابن حجر وفيه ان محبة الاطعمة النفيسة اللذيذة لا تنافي الزهد ولكن من غير قصد وتكلف لتحصيلها ومن ثم قال الخطابي لم تكن محبته صلى الله عليه وسلم للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزوع النفس وانما كان ينال منها اذا حضرت بلا صالح فيعلم بذلك انها تعجبه اه وقال ابن حجر بعد هذا الحل فلا محذور في محبة الملاذ بالطبع لان هذا من كمال الخلقة وانما المحذور المنافي للكمال التفات النفس وعناؤها في تحصيل ذلك وتأثرها لفقده قال ولم يصح أنه صلى الله عليه وسلم رأى السكر وخبر انه صلى الله عليه وسلم حضر ملاك

(ووفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * اينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * ان عرته من ذكره العرواء)

وفى بتخفيف الفاء وتشديدها اى أكمل قدر بيضة اى بيضة الدجاجة والنضار بضم النون الذهب وسلمان هو الفارسي رضي الله تعالى عنه والدين الموفى بقدر البيضة من النضار أربعون أوقية من ذهب في كل اوقية أربعون درهما كما تقدم فالدين

عظيم والبيضة صغيرة لكن ببركة مس النبي صلى الله عليه وسلم لها براحته الكريمة وفت الدين المذكور حين حان اى قرب الوفاء اى حلول الأجل وبين وفى والوفاء الجناس الناقص ورد العجز على الصدر وبين دين وحين وحان الجناس اللاحق وسبب ترتب هذا الدين على سلمان انه كان يدعى قنا اى رقا بالباطل فاعتق باداء نجوم الكتابة لما أينعت اى اخضرت الاقناء حال كونها من نخيله التى كوتب عليها والاقناء جمع قنو وهو العرجون وملخص قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد فى المجوسية حتى صار رئيسا فمر بكنيسة للنصارى فاعجبوه فذكر ذلك لابيه فقيده وقال له دينك ودين آبائك خير من دينهم وكان سألهم عن أصل دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم اذا جاءكم أحد من الشام فأخبروني ففعلوا فحل القيد وتوجه اليها فسأل عن أعلمهم فدل عليه فخدمه الى أن مات ثم خدم من اقيم مقامه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال بمن توصينى قال بفلان بنصيبين فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر ذكر ذلك له فقال بفلان بارض الروم فلما احتضر قال له بمن توصينى فقال يابنى ما أعلم أحدا على ما كنا عليه آمرك أن تأتيه وانه أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم يخرج من أرض العرب مهاجرا الى أرض بين حرتين يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر به نفر من كلب فقال لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم ما عندى فحملوه فلما بلغوا وادى القرى ظلموه فباعوه من يهودى فباعه من ابن عم له من بنى قريظة بالمدينة قال فحملنى اليها فعرفتها وبعث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر الى المدينة فبينما أنا أجنى لسيدى تمرا اذ جاءه ابن عمه فقال قاتل الله بنى قيلة وهى أم الأوس والخزرج انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبى فاخذتنى رعدة شديدة حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال مالك ولهذا أقبل على عملك فلما أمسى أخذت شيأ أجمعه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فقال له هذا صدقة فامر أصحابه بأكله ولم يأكل فجمع شيأ آخر وأتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فأكل هو وأصحابه ثم جاءه وهو بالبقيع وقد تبع

النصارى فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فأمسكوا أيديهم فقال صلى الله عليه وسلم الا تنتهبون فقالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال معاذ فرأيته صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه غير ثابت كما قال البيهقى فى سننه قال ولا يثبت فى هذا المعنى شئ وشنع على احتجاج الطحاوى به لمذهبه ان النثار غير مكروه وبين ان فيه ضعيفين ومجهولا وانقطاعا انتهى قال فى جمع الوسائل قلت لو لم يثبت عنده لما احتج به لمذهبه اه * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى) بفتح الفاء نسبة الى قرية يقال لها الزعفرانية (نا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج) بجيمين مصغرا اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فهو نسبة الى الجد (أنى محمد بن يوسف ان عطاء بن يسار أخبره ان أم سلمة) احدى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن اسمها هند بنت أبى أمية (أخبرته انها قربت) بتشديد الراء أى قدمت (الى رسول الله صلى عليه الله وسلم جنبا) وفى نسخة لحما (مشويا) قال شارح من شاة ورد بأنه لا دليل لهذا التقييد (فأكل منه) قال ابن حجر بين بذكره هذا عقب الحلواء والعسل ان هذه الثلاثة أفضل الاغذية وأنفعها للبدن والكبد والاعضاء ولا ينفر منها الا من به علة أو آفة واللحم سيد طعام أهل الجنة وقد روى ابن ماجه وغيره بسند ضعيف اللحم سيد الطعام لاهل الدنيا والآخرة وله شواهد منها عند أبى نعيم عن على مرفوعا سيد طعام أهل الدنيا اللحم ثم الارز ومنها عند أبى الشيخ عن ابى سمعان سمعت علماءنا يقولون كان احب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وهو يزيد فى السمع وهو سيد الطعام فى الدنيا والآخرة قال الزهرى وأكله يزيد سبعين قوة قال الشافعى أكله يزيد فى العقل وعن على رضى الله عنه انه يصفى اللون ويحسن الخلق ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه ذكره فى الاحياء اه قال فى المدارك كان لمالك فى كل يوم فى لحمه درهمان قال مطرف لو لم يجد مالك فى كل يوم درهمين يبتاع بهما لحما الا أن يبيع فى ذلك بعض متاعه

جنازة وجعل ينظر الى ظهره فعرف انه يتأمله لشئ وصف له فألقى رداءه عن ظهره فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه وأسلم فامره صلى الله عليه وسلم ان يكاتب فكاتب كما تقدم نظرا للحالة الراهنة والا فهو من جملة الاحرار وفى صحيح البخارى عن سلمان انه تداوله بضعة عشر من رب الى رب ولذا قيل

لاتنكره المنكر وعند حلوله * ان العواقب لم تزل متباينه
كم نعمة لاتستقل بشكرها * لله فى طى المصائب كامنه

وقوله أفلا تعذرون سلمان أى اتلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لايؤمن به فلا تعذرون سلمان أى ترون له عذرا يمنعكم من ايذائه ومنعه وقد وضح الدليل عندكم على نبوته لما أى حين ان عرته أى غشيته من أجل ذكره أى ذكر اليهودى لقربه النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا العرواء أى قوة الحمى ومسها فى أول أخذها الانسان بالشدة والرعدة وبين عرته والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق *(تنبيه)* تقدم ان السيد سلمان هو من أصبهان ولا تعلق له بفارس الا أن العرب كانوا يسمون ماتحت ملوك العجم كله فارسا وكان رضى الله عنه من أبناء الامراء ومع ذلك لما سئل عن نسبه قال أنا سلمان ابن الاسلام وفى الحديث ان الله ليرضى لرضا سلمان ويسخط لسخطه وان الجنة لتشتاق الى سلمان أشد من اشتياق سلمان الى الجنة قيل عاش مائتين وخمسين سنة وهو الاصح وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وكان عطاؤه خمسة آلاف فيفرقها ويأكل من كسب يده بعمل الخوص وفى القاموس الخوص بالضم ورق النخل والخواص بائعه اه

(وأزالت بلمسها كل داء * أكبرته أطبة وإساء)

أى ومن أوصاف تلك الراحة انها أيضا أزالت بلمسها لمن به مرض كل داء أكبرته أى استعظمته وعجزت عن برئه أطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان بدفع ماحصل من المرض ومنع مالم يحصل ورؤسا جمع رئيس أى مهرة فى الطب وفى بعض النسخ وإساء بكسر الهمزة جمع آس كراع ورعاء وهو الطبيب والنسخة الاولى أولى لمزيد الفائدة وروى الدارمى ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابنى به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا

افعل وفى الجامع الصغير روى الطبرانى وأبو نعيم فى الطب والبيهقى عن بريدة سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية يعنى ورق الحناء (ثم قام الى الصلاة وماتوضأ) * قال المصنف حديث صحيح فيكون ناسخا لحديث توضؤا مما مسته النار ان كان المراد منه الوضوء الشرعى كما عليه الجمهور خلافا لبعض أهل الغريب ويوافقه الخبر الصحيح كان آخر الامرين من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار * قال المصنف (حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة) بفتح فكسر (عن سليمان بن زياد عن عبد الله بن الحرث قال أكلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شواء) بكسر أوله ممدود أى لحما مشويا بالنار ويعنى مع الخبز كما فى رواية (فى المسجد) فيه دليل لجواز أكل الطعام فى المسجد جماعة وفرادى ان لم يحصل ما يقذر المسجد والا فيكره أو يحرم وزاد ابن ماجه ثم قام فصلى وصلينا معه ولم نزد على أن مسحنا أيدينا بالحصباء * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا وكيع نا مسعر) بكسر فسكون ففتح (عن أبى صخرة جامع بن شداد عن المغيرة بن عبد الله عن المغيرة بن شعبة قال ضفت) بكسر أوله (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة) ذات صلة ترفع احتمال أن يراد بالليلة مطلق الزمان فهى مع الليلة بمنزلة رأيت عين زيد قاله الابى فى ذات يوم وقد تقدم نحو هذا اثناء باب اللباس فراجعه هنالك أى نزلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل ضيفين له يقال ضاف القوم وتضيفهم نزل عليهم ضيفا وأضافوه وضيفوه أنزلوه انظر الصحاح قال القاضى اسمعيل وقد وقعت هذه الضيافة فى بيت ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبى صلى الله عليه وسلم وقال العسقلانى ويحتمل انها كانت فى بيت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها اه وعليه فتكون مع بمعنى عند وهو أحد معانيها كما فى المغنى (فاتى بجنب مشوى) فى رواية أبى داود فامر بجنب فشوى (ثم اخذ) أى النبى صلى الله عليه وسلم (الشفرة) بفتح الشين

وعشاثنا فسح صلى الله عليه وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي وروى البخاري ان سلمة أصيب يوم خيبر بضربة في ساقه فنفث فيها النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط

(وعيون مرت بها وهي رمد * فأرتها مالم تر الزرقاء)

أي ومن أوصافها أيضا انها برئت بها عيون جمع عين أي باصرة مرت بها تلك الراحة الكريمة وهي رمد جمع رمداء من الرمد بفتح الراء والميم وهو هيجان العين ووجعها فأرتها أي أرت تلك الراحة تلك العيون أي جعلتها ترى ما أي الشئ البعيد الذي لم تره الزرقاء أي زرقاء اليمامة التي كانت ترى مسيرة ثلاثة أيام (٢١٨) وروى البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال أين على فقيل يشكو عينيه قال أرسلوا اليه فأتى به فبصق صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع وعند الطبراني عن على فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله عليه وسلم رأسي في حجره ثم بزق في راحته فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة وروى ابن أبي شيبة والبغوي والبيهقي والطبراني وأبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيأ وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان

(وأعادت على قتادة عينا * فهي حتى مماته النجلاء)

أي ردت على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهي الى مماته النجلاء أي الواسعة حسا ومعنى وذلك (يؤذنه) ان عينه أصيبت يوم أحد فوقعت على وجنته فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان لي امرأة أحبها وأخشى ان رأتني تقذرني فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت فقال

أبونا الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما خد

وسكون الفاء وهي السكين العريض الذي امتهن بالعمل ويسمى الخادم شفرة لانه يمتهن في الاعمال كما تمتهن هذه في قطع اللحم (يحز) أي قطع (لي بها منه) أي من ذلك الجنب المشوي وفي نسخة فجعل يحزلي وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم احتز من كتف شاة فدعى الى الصلاة فالقاها والسكين التي يحتز بها ثم قام فصلى ولم يتوضأ ولا يعارض هذا ما رواه أبو داود والبيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه أهنأ وأمرأ لقولهما ليس هو بالقوي ولانه يجوز ان يكون احتزازه صلى الله عليه وسلم ناسخا لنهيه عن قطع اللحم بالسكين وان يكون لبيان ان النهي للتنزيه أو ان النهي في لحم قد تكامل نضجه أو في صغير والاحتراز في الكبير لشدة لحمه أو لان النهش أطيب ولذا علله بقوله فانه أهنأ وأمرأ والهنئ اللذيذ الموافق للغرض والمرئ من الاستمراء وهو ذهاب ثقل الطعام وفي الحديث انه ينبغي للكبير ان يحز للصغير اظهارا للمحبة وتألفا له وتواضعا (قال) أي المغيرة (فجاء بلال) هو أبو عبد الرحمن كان يعذب في ذات الله فاشتراه ابو بكر رضي الله عنه وأعتقه وهو أول من أسلم من الموالي شهد بدرا وما بعدها ومات بدمشق سنة ثمان عشرة وله ثلاث وستون سنة من غير عقب وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال له حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام عندك فاني سمعت الليلة خشف نعليك في الجنة قال ما تطهرت الا صليت ما كتب لي وفي البخاري عن جابر كان عمر يقول أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا وهو من النجباء الاربعة عشر وكان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم في الحضر والسفر يتصرف في حوائجه ولبعض الادباء رحمه الله

أبو بكر حباه الله مالا * وحين دعى أجاب نعم بلالا
لقد واسى النبي بكل خير * وأعتق من ذخائره بلالا
لو ان البحر يغضه اعتقادا * لما أبقى الاله به بلالا

فوصله عمر وأحسن جائزته قال السهيلي وفي رواية أصيبت عيناى يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان وأخرج الطبراني وأبو نعيم عنه كنت يوم أحد اتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما بدرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه الكريمتان فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا قال ابن حجر والجمع بين رواية الواحدة والاثنتين ان من ذكر الواحدة لم ينف الاخرى أو ظن ان الساقطة واحدة فأخبر بما علم وغيره علم انهما اثنتان وزيادة الثقة مقبولة اه

قلت وهذا الجمع متعذر لقوله فاجعلها احسن عينيه الخ فانه صريح في أن الاخرى كانت سالمة فتأمله

(أو بلثم التراب من قدم لا
نت حياء من مشيها الصفواء)

أى أو ليته خصني في اليقظة أوفي النوم على ما مر بلثم أى تقبيل التراب المنفصل من قدم موصوفة بأوصاف جليلة منها انها كانت اذا مشت على حجر لانت لاجل الحياء من أجل مشي تلك القدم الكريمة الصفواء أى الحجارة الصلدة قال السيوطي في خصائصه ومما أورده رزين في خصائصه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه وقال التبريزي الحنبلي تلميذ ابن القيم في خصائصه وأما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة بالنار وقد ألان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا بغيرها وهذا ابلغ ثم قال وأعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لان تحت أقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة انظر المواهب ولله در القائل

هو الذي اختاره الباري وأرسله * براروفا رحيما بالمساكين
ان سار في الرمل لم تنظر له أثرا * وان علا الصخر عاد الصخر كالطين

(موطئ الاخمص الذي منه للقلب اذا مضجعي أقض وطاء)

موطئ بالجر بدل من التراب ويصح الرفع والاخمص المراد به الجنس أى الاخمصين لانه صلى الله عليه وسلم كان خمصان

(يؤذنه) بسكون الهمز ويبدل واوا من الايذان بمعنى الاعلام وفي نسخة بهمزة مفتوحة وقد تبدل وتشديد الذال من التأذين وهو الاعلام بوقت الصلاة (بالصلاة فألفى) أى رأى النبي صلى الله عليه وسلم (الشفرة فقال ماله) أى لبلال (تربت يداه) بكسر الراء أى لصقت بالتراب من شدة الافتقار فهو في الاصل دعاء بالعدم والفقر وجرى في ألسنة العرب غير مراد به ذلك بل مجرد اللوم كانه صلى الله عليه وسلم كره تأذينه حين الاشتغال بالطعام مع اتساع الوقت قاله ابن حجر ويحتمل انه أنكر عليه ترك قص شاربه اذا قلنا ان الضمير المضاف اليه في قوله (قال وكان شاربه قد وفى) يعود على بلال وهو الذى قرر به ابن حجر وغيره من الشراح وهو المتبادر من ظاهر العبارة ولكن وقع في رواية أبي داود وكان شاربي وفى فقصه لي على سواك وعليه فيتعين ان يكون ضمير شاربه للمغيرة بن شعبة ويكون فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذا كان ضمير قال للمغيرة بن شعبة فان كان فاعل قال هو المغيرة بن عبد الله نقل كلام المغيرة بن شعبة فلا التفات انظر جمع الوسائل (فقال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (له) أى لبلال أو للمغيرة (أقصه لك على سواك) أى أأقصه بتقدير الاستفهام أو هو مجرد اخبار (أو قصه) أى أنت (على سواك) وهو العود الذى يستاك به بأن يوضع تحت الشارب ثم يقص ما فضل عن السواك والشك من المغيرة أو ممن دونه قال ابن حجر فيه دليل لما قاله النووي من ان السنة في قص الشارب أن لا يبالغ في احفائه بل يقتصر على ما تظهر به حمرة الشفة وطرفها وهو المراد باحفاء الشوارب في الاحاديث اه وقال الحطاب في حاشيته على الرسالة قال في المقدمات في كتاب الجامع يجمع بين الاحاديث الواردة في قص الشارب والاحاديث الواردة في احفائه بأن يقص أعلاه ويحفى منه الاطار الذى على الشفة قال وهذا الذى ذهب اليه مالك اه بالمعنى وقال الحطاب أيضا قال ابن يونس في جامعه سئل مالك عن رجل أحفى شاربه فقال يوجع ضربا وهذه بدعة اه وقال النووى

الاخمصين فهو من التعبير بالبعض عن الكل والاخمص من القدمين الموضع الذى لا يلتصق بالارض منها عند الوطء والخصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه مارواه البيهقى عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدميه وطئ بكلها ليس له أخمص وابن عساكر عن أبى امامة كان صلى الله عليه وسلم لا أخمص له يطأ على قدميه كلها لان المراد ان أخمصه معتدل الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابى اذا كان خمص الاخمص بقدر ولم يرتفع جدا ولم يستو أسفل القدم جدا فهو أحسن مايكون وان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم وقوله الذى منه للقلب الخ هو نعت للمضاف الذى هو موطئ ومنه صفة للمبتدا الذى هو وطاء فقدمت عليه فصارت حالا وللقلب خبر المبتدا والمضجع موضع الاضطجاع يقال ضجع كمنع ضجعا وضع جنبه بالارض كانضجع واضطجع والمضجع كمقعد موضعه وأقض بالقاف والضاد المعجمة أى صار فيه القضة بالكسر وتفتح الحصا الصغار والقضض محركة التراب يعلو الفراش ووطاء أى فراش ومهاد وصف ذلك التراب الذى هو موطئ القدمين الشريفتين بأنه لو فرض ان مضجعه أصابه شئ منه سرى سر ذلك التراب الى قلبه فاناره وأراحه من الاغيار وصيره على أكمل الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والاهوال كما ان الفراش شأنه ذلك فتأمله ويحتمل ان يكون معناه انه تمنى ان يكون موطئ قدمه الشريف محل رقود لقلبه وسلك البيت موطئ الاخمص الذى أتمنى ان يكون للقلب وطاء منه اذا مضجعى أى مرقدجنبى أقض أى أصابه القضض وهو التراب وذلك حالة الوضع فى القبر وهذا أظهر والله أعلم

(حظى المسجد الحرام بممشا * هاولم ينس حظه ايلياء)

يعنى بالمسجد الحرام جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد به ذلك كثيرا كما فى القرآن فى مواضع كثيرة ماعدا قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وضمير ممشاها يعود على تلك القدم الكريمة أى بمشيها فيه أى فضل حرم مكة بسبب مشى النبى صلى الله عليه وسلم فيه مع تربيته ونشأته فيه وايلياء كبرياء بيت المقدس أى لم ينس حظه من ممشاها فيه ونسبة عدم النسيان له مجاز فحظى ليلة الاسراء بمشيها فيه وصلاته بالانبياء كما فى الصحيح *(تنبيه)* المستفاد من كلام الناظم ان مكة حصل لها الفضل

ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب وفعل ذلك عمر رضى الله عنه وغيره ولا باس أيضا بتقصيره روى ذلك البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما اه وقال ابن حجر رأى الغزالى وغيره انه لا بأس بترك السبالين اتباعا لعمر ولان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وكره الزركشى ابقاءه لخبر صحيح ابن حبان ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال انهم قوم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم وكان يجز سباله كما تجز الشاة والبعير وفى خبر عند أحمد قصوا أسبالكم ووفروا الحاكم ثم قال ابن حجر وفى مرسل عند البيهقى كان صلى الله عليه وسلم يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج الى الصلاة وروى النووى كالعبادى من أراد ان يأتيه الغنى على كره فليقلم أظفاره يوم الخميس وفى حديث ضعيف ياعلى قص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة قيل ولم يثبت فى قص الظفر يوم الخميس حديث بل كيفما احتاج اليه ولم يثبت فى كيفيته ولا فى تعيين يوم له شئ ومايعزى من النظم فى ذلك لعلى أو غيره باطل اه وفى الحديث اشارة الى طلب تحسين الهيئة والاحسان الى المخالط والمقارن والمحافظة على مايستقر به حسن الصورة المشار اليه بقوله تعالى وصوركم فأحسن صوركم وفى ذلك محافظة على المروءة وعلى التآلف المطلوب لان الانسان اذا بدا فى هيئة جميلة كان أدعى لانبساط النفوس اليه فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس ولهذا طلبت سائر خصال الفطرة * قال المصنف (حدثنا واصل بن عبد الاعلى نا محمد بن فضيل عن أبى حيان التيمى) وفى نسخة التيمى بميمين وهو يحيى بن سعيد بن حيان الكوفى ثقة عابد من السادسة مات سنة خمس وأربعين ومائة (عن أبى زرعة) بضم الزاى وسكون الراء وهو ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى واختلف فى اسمه فقيل هرم وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل جرير (عن أبى هريرة قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع) هو اليد من كل حيوان لكنها

من

والخطوة بمشى النبى صلى الله عليه وسلم فيها وليس فيه ما يستفاد منه انها أفضل من المدينة ولا العكس على انه علق الخطوة بالمشى فالمدار عليه لان تعليق الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية وقد وجد ذلك فى المدينة مع فضائل أخر ولذا كان المشهور من مذهب مالك ان المدينة أفضل وقال ابن وهب وابن حبيب مكة أفضل وهو مذهب الشافعى وأهل الكوفة ويدل للمشهور من مذهب مالك ما رواه الدارقطنى والطبرانى من حديث رافع بن خديج المدينة خير من مكة نقله فى الجامع الصغير والخلاف فى غير موضع قبره عليه الصلاة والسلام لانه أفضل من كل بقعة باجماع وتنضم الروضة لموضع القبر اذ لم يثبت لبقعة انها من الجنة بخصوصها الا هى ففى البخارى ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة

(ورمت اذ ورمى بها ظلم الليـ
ـل الى الله خوفه والرجاء)

أى ومن أوصافها أيضا انها ورمت من الورم الذى هو النفخ وقت رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم الشريفة بسهم صائب من حيث ان قيام القدم فى طاعة الله أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى السهم فى طاعة الله تعالى يزيل سورة العدو وطأته وصولته فتشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا التشبيه المكنى فى النفس واثبات الرمى لها استعارة تخييلية وقوله الى الله خبر مقدم وما بعده مبتدا أى خوفه صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى الذى هو أشد خوفا لقوله أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه ورجاؤه أى سعة أمله فيما عنده لا الى غرض آخر لان الله تعالى عصمه من الميل الى غير الله طرفة عين بل هو دائم المثول فى حضرات الشهود الاقدس والتملى بمعانى القرآن الانفس وأشار الناظم بهذا الى ما فى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا قال ابن بطال فى هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم فضلا عمن لم يأمن انه استحق النار اه وقال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الكريمتين الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على أطراف أصابعه فانزل الله عليه طه أى طأ الارض بكل قدميك واسترح مما أنت فيه من التعب فانا ما أنزلنا عليك القرآن

من الانسان من طرف المرفق الى طرف الاصابع تؤنث وقد تذكر ومن البقر والغنم ما فوق الكراع وهو المراد هنا وقول شارح انه ساعد رد قاله المناوى (وكان تعجبه) قال النووى لسرعة نضجها مع زيادة لينها او سرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها او بعدها عن مواضع الاذى اه ويمكن أن يكون لافادة زيادة القوى بها قاله فى جمع الوسائل (فنهس منها) بالمهملة وفى نسخة بالمعجمة فى النهاية النهس أخذ اللحم باطراف الاسنان والنهش بجميعها وقيل لا فرق بينهما وانه أخذ ما على العظم من اللحم باطراف الاسنان وفعله صلى الله عليه وسلم لانه أهنأ وأمرأ كما جاء فى الحديث الصحيح ولانه ينبئ عن ترك الكبر والتكلف وترك التشبه بالاعاجم فهو أولى من القطع بالسكين وان كان جائزا * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا أبو داود عن زهير يعنى ابن محمد عن أبى اسحق عن سعد) وفى نسخة سعيد (ابن عياض عن ابن مسعود قال كان النبى صلى الله عليه وسلم تعجبه الذراع قال) أى ابن مسعود (وسم فى الذراع) يحتمل ان يكون نائب الفاعل ضمير النبى أى أعطى النبى صلى الله عليه وسلم السم فى الذراع ويحتمل انه الجار والمجرور قال ابن حجر سم فى الذراع فى فتح خيبر جعل له فيه سم قاتل لوقته فأكل منه صلى الله عليه وسلم لقمة ثم أخبره جبريل بأنه مسموم فتركه ولم يضره ذلك السم يعنى حينئذ والا فلم تزل تلك الاكلة تتعاهده صلى الله عليه وسلم الى أن مات بها وذلك ليجمع الله له بين ثواب الرسالة والشهادة وعند الدمياطى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للقوم الذين أكلوا معه ارفعوا أيديكم فان هذه الذراع تخبر بأنها مسمومة (وكان يرى) بالبناء للمفعول او الفاعل وهو ابن مسعود (ان اليهود سموه) أسنده الى اليهود لانه صدر على أمرهم واتفاقهم والا فالمباشر لذلك زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودى وقد أحضرها صلى الله عليه وسلم وقال ما حملك على ذلك فقالت قلت ان كان نبيا لا يضره السم والا استرحنا منه فاحتج على كافله وعفا عنها ولم يعاقبها لانه كان لا ينتقم لنفسه

التشقق ويؤيد هذا التقدير ما أشار اليه القرطبي حيث قال ظن من سأله في حديث الصحيحين عن سبب تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هنا طريقا آخر للعبادة وهو الشكر اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمى شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادى الشكور قال العلماء انما ألزم الانبياء أنفسهم شدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه تعالى ابتدأهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله تعالى أعظم من أن يقوم بها العباد اه وقيام الليل كان في أول الاسلام واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته كما ذكره الله تعالى في أول سورة (٢٢٢) المزمل ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه الشافعي ولكن أكثر أصحابه على انه لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى عبادة زائدة في فرائضك وهذا مشهور مذهب مالك أيضا ولكن قال أبو عمر بن عبد البر لا أعرف وجه الوجوب وليس في الآية دليل عليه فلذا قيل في الآية معناها زيادة خالصة لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالص له لكونه لا ذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب وأما حديث اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل فهو تعليم لامته ويصح ان يكون ورمت بفتح الراء من الرمى وظلم الليل مفعوله وخوفه والرجاء فاعل رمى والى الله متعلق بخوفه والرجاء على وجه التنازع

(دميت في الوغى لتكسب طيبا * ما أراقت من الدم الشهداء)

دميت أى خرج دمها في الوغى وهو الصوت والجلبة ويقال للحرب لما فيها من كثرة اختلاط الاصوات وهو المراد هنا وما بمعنى الذى ومن الدم بيان لها والشهداء فاعل أراقت جمع شهيد فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وما أعد الله له فيها عند طلوع روحه أو بمعنى مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده عند ذلك أى من حكم خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رائحة دمهم كريح المسك وكان ينبغى للناظم ان يذكر هذا من أوصاف

قال الزبير وغيره فاسلمت وعن الزهرى انها أسلمت فتركها فيحتمل انه تركها لاسلامها ولانه لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر بن البراء وكان أكل معه منها دفعها الورثته فقتلوها قودا وبه جمع القرطبي وغيره بين الاخبار المتدافعة قال ابن حجر ثم اسلامها رواه سليمان التيمى في مغازيه وانها استدلت بعدم تأثير السم فيه على انه نبى قال في جمع الوسائل ولعل هذا هو السر في ان جبريل والشاة ما أخبراه قبل تناوله صلى الله عليه وسلم منها لتظهر هذه المعجزة وليكون سببا لاسلام من أسلم وحجة على من عاند في كفره وتصمم * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا مسلم بن ابراهيم نا ابان بن يزيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى عبيد) بالتصغير بلا تاء وهو مولى للنبى صلى الله عليه وسلم واسمه كنيته (قال طبخت للنبى صلى الله عليه وسلم قدرا) بكسر أوله أى لحما في قدر فذكر القدر وأراد ما فيه مجازا (وكان تعجبه الذراع فناولته الذراع) ظاهر السياق أنه لم يطلبه أول مرة وانما ناوله بلا طلب لعلمه بأنه يعجبه (ثم قال ناولنى الذراع فناولته) أى الذراع فحذف المفعول (ثم قال ناولنى الذراع فقلت يا رسول الله وكم للشاة من ذراع) ابن حجر الظاهر انه استفهام استعظام وتعجب لا انكار لانه لا يليق بهذا المقام (فقال والذى نفسى بيده) هذا مما فيه مذهبان مذهب السلف انه من المتشابه فنعتقد تنزيهه تعالى عن ظاهره المستحيل ونفوض فهم المراد منه الى الله تعالى ومذهب الخلف التأويل وان المراد باليد القدرة (لو سكت) عما قلت وامتثلت أمرى (لناولتنى الذراع ما دعوت) أى ما طلبت أى مدة دوام طلبه وانما كان كلامه مانعا من رؤية هذه الكرامة لما فيه من الخشونة وقلة الادب بين يدى الكبراء ولذلك يقال اذا جالست الكبراء ففارق ما تعلم وذلك أن شهود هذه الكرامة فيه نوع تشريف لمن اطلع عليها وذلك التشريف لا يليق الا عن كمل تسليمه حتى لم يبق فيه أدنى حظ ولا ارادة أشار الى ذلك ابن حجر وهذا من باب تكثير الطعام الذى هو أحد معجزاته عليه السلام وهو باب أكثر من ان يحاط به النظر

يده الكريمة لان الذى فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت

وقد يحمل كلام الناظم على ماوقع له صلى الله عليه وسلم لما خرج الى ثقيف يدعوهم الى الاسلام فامتنعوا وسلطوا عليه سفهاءهم فرموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه وهذا حرب لغة وعرفا لانه كان بسبب آلهتهم ويتحمل مشقة اذايتهم وهم كانوا يقابلونه بشدة الاذاية والغلظة

(فهى قطب المحراب والحرب كم دا * رت عليها فى طاعة ارحاء)

أى تفرع عن كونه صلى الله عليه وسلم قام على قدميه فى الصلاة حتى تورمت أو دميت فى الحرب انها حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب أى انتهى اليها الثبات فى الصلاة والحرب الى حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله عليه وسلم لاأتقى منه لله ولاأشجع منه لثقته بالله فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لاتتحرك ولاتنتقل عن مكانها فاذا دارت عليها قبائل العرب الذين أكرمهم الله تعالى بطاعته للاقتداء به والمجاهدة معها كما قال كم دارت أى مرات كثيرة دارت عليها ارحاء جمع رحا أى قبائل العرب حال كونها فى طاعة الله وهذا تذييل وقطب الرحا الذى تدور عليه ويسمى أمير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد من ذلك انها مركز دائرة الوجود فهى نقطة الكون المخلوق لاجلها ابتداء والمتصرف فيه انتهاء

(وأراه لولم يسكن بها قبـ * ـل حراء ماجت به الدأماء)

أرى متعد له الاول ضمير القدم ولومع شرطها وجوابها سدت مسد المفعول الثانى وهى هنا دالة على امتناع جوابها وهو الموج لامتناع شرطها وهو عدم التسكين بوجوده ويؤل الى قوله لكنه سكنه فلم يمج أى اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم لولم يسكن بها أى بقدمه الشريفة قبل أى عند ابتداء تحركه حراء مصروف مفعول ليسكن ماجت أى تحركت واضطربت به أى بالقدم أو بصاحبها وفى نسخة بها الدأماء بالدال المهملة البحر شبه الجبل بالبحر لتحركه تشبيها مضمرا فى النفس ثم أطلق

الشفاء * قال المصنف (حدثنا الحسن بن محمد الزعفرانى نا يحيى بن عباد عن فليح بن سليمان قال حدثنى رجل من بنى عباد) قبيلة (يقال له عبد الوهاب بن يحيى بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان الذراع أحب اللحم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى على الاطلاق لما سيأتى من قوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب اللحم لحم الظهر (ولكنه كان لايجد اللحم الاغبا) أى وقتا دون وقت (وكان يعجل) بفتح الجيم أى يسرع (اليها لانها اعجلها) أى اللحوم المفهومة من قوله لايجد اللحم لانه مفرد محلى باللام فهو فى معنى الجمع (نضجا) بضم أوله أى طبخا وليس فيما قالته منافاة لبقية أحاديث الباب من كونه كانت تعجبه الذراع اذيجوز كانت تعجبه وليست باحب اللحم اليه كما قال بعضهم ولامحذور فى محبته صلى الله عليه وسلم للحم وغيره من المستلذات لان محبة ذلك بالطبع والغريزة من كمال الخلقة وانما المحذور المنافى الكمال كما تقدم التفات النفس وعناؤها فى تحصيل ذلك وتأثرها لفقده ثم كما يحتمل انه كان يعجل للذراع لما قالت عائشة يحتمل ان يكون ليقل زمن الاكل ويتفرغ لمصالح نفسه والمسلمين كما قال ابن حجر * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا مسعر قال سمعت شيخا من فهم) بفتح فسكون قبيلة واسم هذا الشيخ محمد بن عبد الله بن أبى رافع الفهمى ويقال اسم أبيه عبد الرحمن مقبول من الرابعة كذا فى التقريب (يقول) وفى كثير من النسخ قال بلفظ الماضى (سمعت عبد الله بن جعفر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أطيب اللحم) أى ألذه وأحسنه (لحم الظهر) وجه مناسبة هذا الحديث للترجمة ان أطيبيته تقتضى انه صلى الله عليه وسلم ربما تناوله فى بعض الاحيان لان من لم يذق لم يعرف ويمكن ان يكون بطريق الكشف قاله فى جمع الوسائل وفى الجامع الصغير كان يعجبه الذراعان والكتف رواه ابن السنى وأبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة قال ابن حجر ومما كان يحبه صلى الله عليه وسلم أيضا الرقبة على ماورد عن ضباعة بنت الزبير انها ذبحت

اسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ثم أتى بقوله ماجت ترشيحا المناسبته للبحر لان الماء هو الذي يموج والتأنيث في ماجت نظرا للفظ الدأماء لانه مؤنث لفظا واعتمد الناظم فيما قاله من ان الذي سكنه بقدمه هو حراء مع ان الذي في الصحيح انه أحد على ما أخرجه الامام أحمد من حديث بريدة بلفظ حراء واسناده صحيح فقوى احتمال تعدد القصة كما قاله الحافظ ابن حجر وتقدم ذلك ويحتمل ان المراد ولو لم يسكن حراء بتعبده فيه قبل النبوة لاستمر تموجه واضطرابه فرحا به لما صعد عليه بعدها هو وأعيان أصحابه ويحتمل ان يكون أراد بالدأماء الارض مجازا من باب تسمية المحل باسم الحال وخص منها حراء لشرفه أى لو لم يسكن بقدمه الشريفة حراء لماجت الارض كلها فرحا وطربا الى آخر الدهر

(تنبيهان) الاول جبل أحد هو مشهور بقرب المدينة المنورة على أقل من فرسخ منها سمى بذلك لتوحده وانقطاعه وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم أحد جبل يحبنا ونحبه كما فى الصحيحين والصواب حمله على ظاهره كما اختاره البغوى والمنذرى اذ لا ينكر وصف الجمادات بحب الانبياء والاولياء وأهل الطاعة كما حنت الاسطوانة على مفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع الناس حنينها الى أن سكنها وكما أخبر ان حجرا كان يسلم عليه قبل الوحى فلا ينكر ان يكون جبل أحد وجميع أجزاء المدينة تحبه وتحن الى لقائه حالة مفارقته اياها اه وفى حديث الطبرانى هذا أحد جبل يحبنا ونحبه على باب من أبواب الجنة وهذا عير جبل يبغضنا ونبغضه على باب من أبواب النار وعير جبل كبير على يسار ذى الحليفة * (الثانى)* قد أكثر الناس من الكلام على لو والحق فيها ما حققه عند السعد فى مطوله وسبقه اليه الامام تقى الدين السبكى وألف فيها تأليفا سماه كشف القناع فى حكم افادة لو للامتناع ولخصه نظما فى قوله

صد لو لو ربطا وجود ثان * باول فى سابق الازمان
مع انتفاء ذلك المقدم * حقا بلا ريب ولا توهم
أما الجواب ان يكن مناسبا * وليس غير شرطه مصاحبا
فاحكم له بالنفى أيضا واعلم * بان كلا داخل فى العدم
أو لم يكن مناسبا فواجب * من باب أولى ذا الحكم لازب
وفى مناسب له اذ يفقد * مناسب سواه قد لا يوجد

شاة فأرسل اليها النبى صلى الله عليه وسلم ان أطعمينا من شاتكم فقالت ما بقى عندى الا الرقبة وانى لاستحيى ان أرسل بها اليك فقال للرسول ارجع اليها فقل أرسلى بها فانها هدية الشاة وأقرب الشاة الى الخير وأبعدها من الاذى أى فهى كلحم الذراع والعضد أخف على المعدة وأسرع هضما ومن ثم ينبغى ان يؤثر من الغذاء ما كثر نفعه وتأثيره فى القوى وخف على المعدة وكان أسرع انحدارا عنها وهضما الان ما جمع ذلك أفضل الغذاء اه وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يكره من الشاة سبعا المرارة والمثانة والحياء والذكر والانثيين والغدة والدم وكان أحب الشاة اليه مقدمها قال فى الجامع الصغير رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر والبيهقى عن مجاهد مرسلا وابن عدى والبيهقى عن مجاهد عن ابن عباس وفى الجامع الصغير أيضا كان يكره الكليتين لمكانهما من البول رواه ابن السنى فى الطب عن ابن عباس وفيه أيضا كان يكره ان يأكل الضب رواه الخطيب فى التاريخ عن عائشة * قال المصنف (حدثنا سفيان بن وكيع نا زيد ابن الحباب عن عبد الله بن المؤمل) بتشديد الميم المفتوحة وقيل بكسرها (عن ابن أبى مليكة) بالتصغير قيل هو عبد الله بن عبد الله بن أبى مليكة منسوب الى جده ويقال اسم أبى مليكة نمير (عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال نعم الادام الخل) كان المناسب ذكر هذا وما بعده متصلا بما تقدم أول الباب * قال المصنف (حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء نا أبو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة وهو مشهور بكنيته واسمه شعبة أو محمد أو عبد الله أو سالم أو رؤبة أو مسلم أو مطرف أو حماد أو خبيب وهو المقرئ صاحب عاصم القارئ المشهور (عن ثابت عن أبى حمزة الثمالى) بضم المثلثة وتخفيف الميم منسوب الى ثمالة وهو لقب عوف بن أسلم أحد أجداد أبى حمزة لقب بذلك لانه كان يسقيهم اللبن بثماله أى برغوته يروى عن أنس وغيره وعنه وكيع وأبو نعيم وخلق ضعفوه (عن الشعبى عن أم هانئ) بهمز فى آخره هى بنت أبى طالب واسمها فاختة وقيل

هذا جواب لو بتقسيم حصل * ممتنع وواجب ومحتمل ومعظم المقصود فيما يجب * اثباته فى كل حال يطلب
مثاله نسم الذى لولم يخف * لما عصى الهه ولا اقترف ومعظم المقصود فى الممتنع * بيان نفى شرطه الذى ادعى
كاو يكون فيهما شريك * لفسدا فالواحد المليك أوان ذاك النفى حقا أثرا * فى عدم الذى يلى بلا مرا
كاو أتيتنى لكنت تكرم * كرامتى لمن قلانى تعدم

(عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى للعقول فيه اهتداء)

لماذكر جملة وافرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التى من شاهدها آمن (٢٢٥) بها من فوره بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا حقيقون بأن يقال فى حقهم ماذكره بقوله عجبا هو منصوب على المفعول المطلق الآتى بدلا من لفظه والعجب الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول وللكفار بمعنى منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالذى فيه اى بالمعجز كالقرآن وغيره الذى فى كل فرد من أفراده للعقول السليمة الخلية عن الخذلان والعناد والحسد اهتداء اى ارشاد الى الدين القيم الذى جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والى صحة ما تحدى به ويصح أن يراد بالعقول المطلقة جملا للاهتداء على ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها الاهتداء مطلقا لكن اذا قارنها عناد أو خذلان لم ينتفع بها ووجه التعجب منه واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الآيات والمعجزات التى ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر

(والذى يسألون منه كتاب * منزل قد أتاهم وارتقاء)

الذى مبتدأ وكتاب خبره ومنزل صفته وقد أتاهم جملة حالية وارتقاء معطوف على الخبر أى صعود الى السماء والمعنى ان الذى يسألونه من النبى صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد كتاب منزل قد أتاهم به وارتقاء أى صعود الى السماء وقد وقع ذلك فى الاسراء ويحتمل أن يكون تقدير البيت وعجبا من الذى يسألون منه على جهة التعنت وهو كثير منه كتاب منزل

هند لها صحبة وأحاديث (قالت دخل على النبى صلى الله عليه وسلم) أى فى بيتى يوم فتح مكة (فقال أعندك شئ) أى مما يؤكل (فقلت لا الا خبز يابس وخل) الظاهر ان لا لنفى الجنس وما بعد الا بدل من اسم لا المحذوف أى لا شئ عندنا الا خبز الخ وفيه دليل لجواز حذف المبدل منه كما قال ابن مالك وأما قول ابن حجر انها عاملة عمل ليس وان الاستثناء مفرغ فليس بظاهر لان ماقبل الا غير طالب لما بعدها فكيف يكون مفرغا والله أعلم ولم تقل بلى عندى خبز يابس وخل اظهار الحقارة ما عندها فى جنب عظمته صلى الله عليه وسلم ومن ثم طيب خاطرها بقوله (هاتى) أى أحضرى ما عندك (ما أقفر) أى ما خلا (بيت من ادم) بضمتين ويسكن الثانى متعلق باقفر (فيه خل) صفة بيت وفيه الفصل بين الصفة والموصوف بالاجنبى قال فى جمع الوسائل وفى رواية الطبرانى وأبى نعيم عنها والحكيم الترمذى عن عائشة بلفظ ما أقفر من ادم بيت فيه خل وبه يزول الاشكال ويحمل التغير على انه من بعض الرواة وقال ابن حجر ليس فيه الفصل باجنبى من كل وجه لان أقفر عامل فى بيت وصفته وفيما فصل بينهما وفى النهاية أى ما خلا من الادام ولا عدم أهله الادام والقفار الطعام بلا ادام وأقفر الرجل اذا أكل الخبز وحده والقفار هى الارض الخالية التى لا ماء فيها وفى الحديث الحث على عدم النظر للخبز والخل بعين الاحتقار وانه لا بأس بسؤال الطعام ممن لا يستحى السائل منه لصدق المحبة والعلم بود المسؤل لذلك * قال المصنف (حدثنا محمد بن المثنى نا محمد بن جعفر نا شعبة عن عمرو بن مرة) بن عبد الله بن طارق (عن مرة) بن شراحيل (الهمدانى عن أبى موسى) أى الاشعرى (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) سيأتى هنا تفسير الثريد وفى الحديث بعد تفسير الثريد وما بعده قال المناوى من أطلق نساء ورد عليه خديجة وهى أفضل من عائشة على الصواب لتصريحه بانه لم يرزق خيرا من خديجة ولخبر ابن أبى شيبة فاطمة سيدة نساء أهل الجنة

معه عليهم من السماء قد أتاهم به وهم يشاهدونه وارتقاءه منه اليها وغير ذلك وهذا كما حكى الله تعالى عنهم فى قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية

(أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء)

أى أيقولون ذلك كله ويتعنتون به ولم يكفهم عن ذلك كله ذكر كائن من الله واصل اليهم فقدمت الصفة فصارت حالا وتسميته ذكرا جاءت فى آية مرادا به الشرف كما فى قوله وانه لذكر لك ولقومك وفى أخرى مرادا به انه مذكر بكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر وهذا الذكر فيه للناس الانس والجن والملائكة تغليبا رحمة باهتداء المؤمنين به (٢٢٦) وتأخير عذاب الاستئصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وشفاء من كل داء ظاهر أو باطن حسى أو معنوى كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك بالذات لانتفاعهم باتباعه وغيرهم بطريق التبع قال بعض الائمة ان الملائكة لم يعطوا فضيلة حفظ القرآن ولكنهم حريصون على استماعه من غيرهم قالوا ولم ينزل الله من السماء شيأ قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين قال الرازى وغيره من ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن ماهو شفاء للامراض الروحانية كالاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوة والمعاد وفى الله القرآن من النصوص القاطعة بفساد تلك الاعتقادات ما يكفى ويشفى من الاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراءته عليها لكن مع الخلوص وفراغ القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم أكل الحرام وعدم دنس الذنوب وعدم استيلاء الغفلة على القلوب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن تلك حالته على أى مرض كان مبرئ له وان أعيا الاطباء ومن ثم قيل متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك

بعد مريم بنت عمران وآسية وخديجة فاذا فضلت فاطمة فعائشة أولى ومن أول بنساء زمنها ورد عليه فاطمة وفى شأنها قال المصطفى ما سمعت وقد قال جمع من السلف لا يعدل ببضعة رسول الله أحد قال البعض وبه يعلم أن بقية أولاده كفاطمة اه ومما يرجح القول بان خديجة أفضل من عائشة ان عائشة أقرأها النبى صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها عز وجل ويفهم من حديث ابن أبى شيبة ان خديجة أفضل من فاطمة ويعارضه ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون وسئل ابن داود أيما أفضل فاطمة أم أمها فقال فاطمة بضعة النبى صلى الله عليه وسلم فلا نعدل بها أحدا وسئل السبكى فقال الذى نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة وعن ابن العماد ان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا السيادة انتهى وانما لم يساو فاطمة غيرها من أخواتها الشدة شبهها به صلى الله عليه وسلم خلقا وخلقا ولان سائر أخواتها متن فى حياته صلى الله عليه وسلم وفاطمة انما ماتت بعده فكان صلى الله عليه وسلم فى ميزانها كذا كان يقرره شيخنا العلامة أبو عبد الله سيدى محمد بن أحمد المسناوى رحمه الله تعالى وفى الحديث فاطمة خير بناتى انها أصيبت بى وقد اختلف أيضا هل الافضل مريم بنت عمران على القول بأنها ليست بنبية أم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقد تعرض للكلام فى ذلك الشيخ تقى الدين السبكى فى فتاويه الحلبيات وشفى الغليل واقتضب الشيخ جلال الدين السيوطى من كلامه ما هو المقصود وكانه مال الى تفضيل فاطمة على الكل وخديجة على عائشة وقال الشيخ زكريا ما حاصله الذى اعتقده الآن ان جهات التفضيل مختلفة ففاطمة أفضل من جهة البضعة وخديجة أفضل من جهة المؤازرة والنصرة والمواساة قال النبى صلى الله عليه وسلم والله ما رزقنى

الله خيرا منها آمنت به حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس وعائشة أفضل من جهة العلم فقد حفظت شيأ كثيرا حتى قيل ان ربع الاحكام منقول عنها وعنه صلى الله عليه وسلم خذوا دينكم عن هذه الحميراء يعني عائشة وقال عطاء بن أبي رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا لكن قال في جمع الوسائل اذ الوحظت الحيثية فما يوجد أفضل على الاطلاق مطلقا ولذا قيل ان عائشة أفضل من فاطمة لان كلا منهما تكون مع زوجها في الجنة ولا شك في تفاوت منزلتهما وحكى ابن السبكي عن بعض أئمة عصره انه فضل الحسن والحسين على الخلفاء الاربعة أي من حيث البضعة لا مطلقا فهم أفضل منهما علما ومعرفة وأكثر ثوابا وآثارا في الاسلام ثم قال في جمع الوسائل والحاصل ان الحيثيات مختلفة والروايات متعارضة والمسئلة ظنية والتوقف لا ضرر فيه قطعا فالتسليم أسلم والله أعلم انتهى وفضل عائشة رضي الله عنها ورد فيه شيء كثير وهي عائشة بنت أبي بكر الصديق عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهي بنت ست سنين ودخل عليها وهي بنت تسع سنين ومات صلى الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة سنة وعاشت بعده خمسين سنة وتوفيت على رأس ثمان وستين سنة رضي الله عنها وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه قال العسقلاني في الصحيح لما جاءت فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ألست تحبين ما أحب قالت بلى قال فاحبي هذه يعني عائشة وقال تقي الدين السبكي وهذا الامر لا صارف له على الوجوب وحكمه عليه السلام على الواحد حكم على الجماعة فيلزم من هذا وجوب محبتها على كل واحد انتهى هذا والثريد هو أن يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم وانما كان الثريد أفضل سائر الطعام لانه جامع بين القوة واللذة وسهولة التناول وقلة المضغ بل قال في النهاية ان القوة اذا كان اللحم نضيجا في المرق أكثر مما في نفس اللحم وقال الاطباء انه يعيد الشيخ الى صباه وفي حديث سلمان رواه الطبراني

في الادوية والادواء الحسية وقد روي حديث من لم يستشف بالقرآن لا شفاه الله وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القرآن * (فائدة) * ذكر ابن السبكي في الطبقات في ترجمة زين الاسلام الاستاذ أبي القاسم سيدي عبد الكريم القشيري صاحب الرسالة المشهورة المباركة التي قيل ما تكون في بيت فينكب ما نصه وبلغنا انه مرض للاستاذ أبي القاسم ولد مرضا شديدا بحيث أيس منه فشق ذلك على الاستاذ فرأى الحق سبحانه وتعالى في المنام فشكا اليه فقال له الحق تعالى اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه أو اكتبها في اناء واجعل فيه مشروبا واسقه اياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست وهي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال التاج السبكي ورأيت كثيرا من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاها في الاناء طلبا للعافية

(أعجز الانس آية منه والجن ن فهلا تأتي به البلغاء)

قال في الشفاء وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته اه وقال ابن حجر قيل علم اعجازه ضروري والاصح أن محله فيمن شاهد النبي صلى الله عليه وسلم أو علم وجوه الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله وان ما جاء به هو من عند الله تعالى وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا أمر يدركه الذوق السليم وان لم يكن لصاحبه أن يعبر عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما وكل أحد يدرك فرقا بديهيا بين القرآن وغيره عند سماعهما وعبر بقوله آية تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور ان أقل ما وقع به التحدي أقصر سورة تضمنه وهي ثلاث آيات لقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية لان في دليلهم شيأ اذ لا يلزم من كونه

لم يطالب منهم دون السورة انهم قادرون على أقل منها الان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا عن بعض آية لان فى ارتباطها بما قبلها وبما بعدها أنواعا من بدائع الحكم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته بدليل انه لم يسمع عن أحد قط انه حاكى شيأ منه سواء فى ذلك الانس والجن والملائكة أيضا ولكنهم لم يذكروا لعصمتهم عن المخالفة فلهذا لم يستطع أحد أن يأتى بمثل آية منه على نظمه البديع وتأليفه المنيع وعذوبة منطقه ومافيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقوله فهلا الخ هلا فى الاصل للتحضيض والمراد بها هنا التهكم والتوبيخ لمن يزعم امكان المعارضة وضمير بها عائد على الآية والبلغاء جمع بليغ من البلاغة وهى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته والبليغ من فيه ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ وأفاد الناظم بهذا ان البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم العرب الفصحاء والخطباء البلغاء من قريش وغيرها والمتقدمون فى اللسن والتبيان والرؤساء فى قوانين المعانى والبديع والبيان والفرسان فى ميادين الفصاحة والشجعان فى مهامه البلاغة أظهر واعجزهم عن المعارضة وكلت عقولهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك أعجب فى الآية وأوضح فى الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا يطمعون فى ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان أعلى اربهم ومنتهى طلبهم التفنن فى أفنية الفصاحة والتنزه فى رياض البلاغة والتقدم فى أعاجيب الخطابة وأساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة فمحال أن يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة سكوتا عن معارضة آية منه المستلزمة لنقض أمره وتفريق أتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل أكابرهم وسبى ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم فعجزهم حتى كشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم انى افتريته لعلمى باخبار الامم فأتوا بمفترى مثله فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع والا لظهر ووجد من يستجيده ويحامى عليه فاذا

والبيهقى البركة فى ثلاثة فى الجماعة والثريد والسحور وفى ضرب المثل به اشعار بما أعطيته عائشة رضى الله عنها من حسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأى ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهى تصلح للتبعل والتحدث والايناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبى صلى الله عليه وسلم مالم يعقل غيرها من النساء وروت مالم يروه مثلها من الرجال قاله الطيبى وتقدم ماقيل ان ربع الاحكام الشرعية منقول عنها وقول عطاء بن أبى رباح كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا وقال عروة بن الزبير مارأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة * قال المصنف (حدثنا على بن حجر نا اسمعيل بن جعفر نا عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر أبو طوالة) بضم الطاء كان قاضى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز (انه سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد) فعيل بمعنى مفعول وهو الخبز المأدوم بالمرق سواء كان مع اللحم وهو الاغلب أولم يكن كما تقدم (على سائر الطعام) أى باقى ذلك الطعام فالثريد الذى هو الخبز المفتت فى مرق اللحم أو غيره أفضل من ذلك الباقى وليس المراد ان الثريد أفضل الاطعمة على الاطلاق أو يقال المراد تفضيل الثريد على سائر الاطعمة التى كانت معروفة عند العرب لا على الاطعمة كلها * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد نا عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبى صالح) قيل اسمه ذكوان (عن أبيه عن أبى هريرة انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ من ثور اقط) الثور بالمثلثة القطعة العظيمة من الاقط كما فى القاموس وهو لبن يجمد بالنار فالاضافة بيانية والمعنى انه توضأ وضوءه للصلاة من أجل أكل قطعة عظيمة من الاقط وفى هذا الوضوء مما مست النار وفى الحديث توضؤا مما مست ولو ثور اقط لكن هذا منسوخ كما تقدم بحديث جابر قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وهو حديث

لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته فقطع بعجزهم وانقطاعهم قال الخطابى وقد كان صلى الله عليه وسلم أعقل خلق الله وقد قطع القول بان ما أتى به من عند ربه وانهم لا يأتون بمثل أقصر سورة منه فلولا أنه على بينة واضحة من ربه لم يقطع بذلك على انه لم يزل ينادى عليهم بالعجز عن معارضته والتقصير عن بلوغ الغرض فى مناقضته فلم يستطع أحد منهم شيأ من ذلك وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق الخلق ولهذا قال العلماء من أعلى وجوه اعجاز القرآن ان فصاحته وبلاغته خرقت عادة العرب فانهم أوتوا منهما ما لم يؤته غيرهم لانهم كانوا يأتون منهما على البداهة بالامر (٢٢٩) الاعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة عند شدة الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويتراسلون فى أوديتهما فيأتون منهما بالسحر الحلال ويتطوقون من دررهما أجمل من سمط اللآلى فلا يشك عاقل أنهما طوع مرادهم وسلك قيادهم فاراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وهم أفصح ما كانوا فى هذا الباب مقالا وأشهر ما وجدوا فى الخطابة والشعر مثالا صار خافيهم فى كل حين مقرعا لهم على رؤس الملا أجمعين فأتوا بسورة من مثله والا فأنتم المردودون الى أسفل سافلين ثم لم يزل يقرعهم ويوبخهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب آلهتهم ويستبيح أنفسهم وأموالهم وهم لا يزدادون الا نفورا عن المعارضة لم يأتوا بمقال صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته ومحجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراف بالامتراء فى قولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقد قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فقال الله تعالى لهم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا اذ لو قدروا على أدنى معارضة لبادروا اليها ولأفحموا الخصم الذى كانوا محافظين على اطفاء نوره واخفاء أموره مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فأيسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتى به اليهم مكث بين

حديث صحيح رواه أبو داود والنسائى وغيرهما من أهل السنن باسانيدهم الصحيحة ونحو حديث جابر قوله هنا (ثم رآه أكل من كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ) فبين أبو هريرة ان الوضوء مما مست النار نسخ بأكله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كتف شاة وترك الوضوء منه وصلى كما يدل عليه كلمة ثم المقتضية للتراخى وهذا مما أجمع عليه بعد الصدر الاول وأما حمل الوضوء على معناه اللغوى فبعيد من قوله ثم صلى ولم يتوضأ كما تقدم قال فى جمع الوسائل والظاهر من ايراد هذا الحديث فى هذا الباب أن المصنف أراد أن يبين أنه صلى الله عليه وسلم أكل ثور الاقط وكتف الشاة بطريق الائتدام وليس فى لفظ الخبر ما يدل عليه صريحا اللهم الا أن يقال انهما من جملة الادام عادة فاعتبر العرف وحمل عليه الحديث وذكره هنا والله أعلم بالصواب * قال المصنف (حدثنا ابن أبى عمر) قيل اسمه محمد ابن يحيى بن أبى عمر منسوب الى جده وقيل ان أبا عمر كنية يحيى (نا سفيان بن عيينة عن وائل بن داود عن ابنه وهو بكر بن وائل عن الزهرى عن أنس بن مالك قال أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بتمر وسويق) هو دقيق القمح أو الشعير المقلو أى جعل طعام وليمته عليها التمر والسويق وفى الصحيحين أولم عليها بحيس وهو الطعام المتخذ من التمر والاقط والسمن وقد يجعل عوض الاقط الدقيق كذا فى النهاية والوليمة اسم لطعام العرس خاصة من الولم وهو الجمع وزنا ومعنى لان الزوجين يجتمعان وقيل ان اسم الوليمة يقع على كل دعوة تتخذ لسرور من نكاح وختان وغيرهما لكن استعمل عند الاطلاق فى النكاح ويقيد فى غيره فيقال وليمة الختان ونحو ذلك وصفية هذه هى بنت حيى بن أخطب اليهودى وهى من نسل هرون أخى موسى الكليم عليهما السلام قال لها النبى صلى الله عليه وسلم لما أغضبها بعض نسائه جدك نبى وعمك نبى وزوجك نبى وهى من أجمل نساء قومها كانت عروسا تحت كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فقتل يوم خيبر فى المحرم سنة سبع ووقعت فى السبى واصطفاها رسول الله صلى

أظهرهم أربعين سنة أميا لايحسن نظم كتاب ولاعقد حساب ولاتعلم شعرا ولاأنشد شعرا ولايحفظ خبرا ولايروى أثرا حتى أكرمه الله تعالى بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروى البيهقى وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال له اسمع منى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمعها أبهره فقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا والله ماوراءك فقال لهم سمعت قولا ماسمعت مثله قط فوالله ماهو بشعر ولا سحر ولا كهانة أطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ماهو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وفى الخصائص الكبرى للاسيوطى أخرج الحاكم والبيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس ان الوليد ابن المغيرة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال ولم قال ليعطوكه فانك أتيت محمدا لتتعرض له فقال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله مافيكم أحد أعلم بالاشعار منى والله مايشبه الذى يقوله شيأ من هذا والله ان لقوله الذى يقوله هو بحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو ولايعلى وانه ليحطم ماتحته قال لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر عن غيره فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت الآية اه وقد اعترف جميع من سمع القرآن من فصحاء المشركين بأنه خارج عن طوق بشريتهم كما دل على ذلك وقائعهم المذكورة فى الخصائص وغيرها * والحق ماشهدت به الاعداء * وتجب ههنا مراجعة الشفاء والمواهب فان فيهما الشفاء والعجائب وهذه الوقائع انما تذكر لتبيين الاعجاز لمن لايعرف وجهه لعدم ممارسته لفن البلاغة أما العارف بفن البلاغة فانه

الله عليه وسلم لنفسه وكانت رأت قبل أن القمر سقط فى حجرها فتؤول بذلك قال الحاكم وكذا جرى لجويرية أم المؤمنين وفى رواية انها صارت لدحية فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر له جمالها وقال له صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبى غيرها وحكمة أخذها منه انها بنت بعض ملوكهم فلقلة نظيرها فى السبى وكثرة نظراء دحية تخشى من تغيير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان فى ذلك رضا الجميع وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها توفيت سنة خمسين وقيل اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع * قال المصنف (حدثنا الحسين ابن محمد البصرى نا الفضيل بن سليمان نا فائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع) هو القبطى واسمه ابراهيم أو أسلم أو ثابت أو هرمز (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كان للعباس فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبى صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه وكان اسلامه قبل بدر وروى عنه خلق كثير مات قبل قتل عثمان بيسير (قال حدثنى عبيد الله بن على) أى ابن أبى رافع (عن جدته سلمى) بفتح أوله وهى زوجة أبى رافع وهى قابلة ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وغاسلة فاطمة بنت عميس (ان الحسن بن على) وفى نسخة الحسين بن على بالتصغير (وابن عباس وابن جعفر) أى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (أتوها) زائرين لها (فقالوا لها اصنعى لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان كان من العجب بفتحتين فرسول مرفوع وهو من باب علم وضمير الموصول محذوف فى الصلة أى مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وان كان من الاعجاب فرسول اما مرفوع أيضا أى يستحسنه رسول الله أو منصوب قاله فى جمع الوسائل والظاهر هو الوجه الثالث (ويحسن أكله) من الاحسان او التحسين أى يعده من المأكول الحسن لانه يكثر من أكله (فقالت يابنى لاتشتهيه اليوم) أفردت مع ان الجمع

يعرف وجه الاعجاز بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة والايجاز لانه اذا نظر فى آيات القرآن وتأمل فيها علم يقينا انه لا تمكن معارضته وان الاتيان بمثله ليس فى طوق البشر لانه يرى كلاما جامعا للاحوال التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال لا يفوته منها شئ فيستخرج منها بقدر فهمه ما تحار فيه العقول وتيقن انه لا يحيط به غير العليم الخبير ثم اذا أفرغ ذهنه واستحضر قواعد البلاغة وأعاد التأمل استخرج أشياء أخر أدق وأتم تحت كل واحد منها ما يعيي الافهام ثم اذا أعاد النظر فكذلك ثم يجئ من بعده فيستخرج مالم يستخرجه الاول وهكذا او يجد ذلك مطردا فى جميع آياته غير اتفاقى مع انه ليس فى فن منضبط ذى قواعد مخصوصة يرجع اليها فى تحقيقه بل الفنون (٢٣١) مأخوذة منه ومندرجة تحت آياته على أحكم وجه وأتمه وأصوبه مصون جميعه من جميع القوادح وكلام البشر لا يتأتى فيه ذلك ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والحاصل ان وجوه الاعجاز كثيرة لكنها ترجع الى أربعة أحدها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ثانيها صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب ثالثها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات ومالم يكن ومالم يقع فوجد على الوجه الذى أخبر رابعها ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والامم الفانية

(كل يوم تهدى الى سامعيه معجزات من لفظه القراء)

أى فى كل وقت تهدى القراء من لفظ القرآن الى السامعين له معجزات أى غرائب وعجائب ونكات ولطائف شبه المعجزات المذكورة بالذخائر والنفائس المهداة استعارة مكنية وتهدى استعارة تخييلية تبعية قال القاضى عياض فى الشفاء من وجوه اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من أتى بشئ يؤثر فى معارضته ولا ألف كلمتين فى مناقضته ولا قدر

وا الملائم ايثارا الاكبرهم أولانهم لما اتحدت طلبتهم صاروا بمنزلة شخص واحد (قال بلى اصنعيه لنا) لانا نشتهيه على سبيل البركة ونفيها محمول على طريق الطبع وعرف الوقت لاتساع العيش وذهاب ضيقه الذى كان أولا ولهذا قيدته باليوم (قال) أى الراوى عن سلمى أو احد الثلاثة (فقامت فاخذت شيأ من الشعير) أى قليلا (فطحنته ثم جعلته) أى دقيقه (فى قدر وصبت عليه شيأ) أى قليلا (من زيت) أى زيت الزيتون أو غيره (ودقت الفلفل) حب هندى معروف (والتوابل) بفتح الفوقية وكسر الموحدة ابزار الطعام وهو أدوية حارة يؤتى بها من الهند وقيل هو مركب من الكزبرة والزنجبيل والكمون جمع تابل بموحدة مكسورة أو مفتوحة (فقربته) أى الطعام بعد طبخه (اليهم فقالت هذا مما كان يحب النبى صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله) قال ابن حجر وروى المصنف وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم أكل السلق مطبوخا بالشعير وأكل الخزيرة بمعجمة مفتوحة فزاى مكسورة فتحتية فراء قال الطبرى كالعصيدة الا انها أرق وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم والجوهرى كالقتى لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا انضج ذر عليه دقيق وقيل هى بالاعجام من النخالة وبالاهمال من اللبن وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبمثلثة آخره النضيج من ثمر الاراك وقيل ورقه وفى نهاية ابن الاثير انه كان يحب جمار النخل وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم أتى بجبن فى تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا سفيان عن الاسود بن قيس عن نبيح) بضم نون وفتح موحدة وسكون تحتية وحاء مهملة (العنزى) بفتح المهملة والنون منسوب الى بنى عنزة (عن جابر بن عبد الله) صحابيان (قال أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فذبحنا له شاة) يصدق بالضأن والمعز والذكر والانثى (فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم) أى فاضافونا به وقصد بذلك تأنيسهم وجبر خواطرهم دون اظهار الشغف باللحم

أظهرهم أربعين سنة أميا لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم شعرا ولا أنشد شعرا ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله تعالى بالوحى المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روى البيهقى وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما هو فيه فقال له اسمع منى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى أن بلغ السجدة فسمع ما أبهره فقال للنبى صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فقام الى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به اليه فقالوا والله ما وراءك فقال لهم سمعت قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة أطيعونى معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له نبأ ولما بلغ فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود أمسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم انه اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وفى الخصائص الكبرى للاسيوطى أخرج الحاكم والبيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس ان الوليد ابن المغيرة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم ان قومك يرون أن يجمعوا لك مالا قال ولم قال ليعطوكه فانك أتيت محمدا لتتعرض له فقال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم أحد أعلم بالاشعار منى والله ما يشبه الذى يقوله شيأ من هذا والله ان لقوله الذى يقوله هو لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه ومغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فيه فلما فكر قال هذا سحر يؤثر عن غيره فنزلت ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت الآية اهـ وقد اعترف جميع من سمع القرآن من فصحاء المشركين بأنه خارج عن طوق البشر يتهم كما دل على ذلك وقائعهم المذكورة فى الخصائص وغيرها * والحق ما شهدت به الاعداء * وتجب ههنا مراجعة الشفاء والمواهب فان فيهما الشفاء والعجائب وهذه الوقائع انما تذكر لتبيين الاعجاز لمن لا يعرف وجهه لعدم ممارسته لفن البلاغة أما العارف بفن البلاغة فانه

الله عليه وسلم لنفسه وكانت رأت قبل أن القمر سقط فى حجرها فتؤول بذلك قال الحاكم وكذا جرى لجويرية أم المؤمنين وفى رواية انها صارت لدحية فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم لما ذكر له جمالها وقال له صلى الله عليه وسلم خذ جارية من السبى غيرها وحكمة أخذها منه انها بنت بعض ملوكهم فلقلة نظيرها فى السبى وكثرة نظراء دحية خشى من تغيير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان فى ذلك رضا الجميع وأسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها توفيت سنة خمسين وقيل اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع * قال المصنف (حدثنا الحسين ابن محمد البصرى نا الفضيل بن سليمان نا فائد مولى عبيد الله بن على بن أبى رافع) هو القبطى واسمه ابراهيم أو أسلم أو ثابت أو هرمز (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) كان للعباس فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما بشر النبى صلى الله عليه وسلم باسلام العباس أعتقه وكان اسلامه قبل بدر وروى عنه خلق كثير مات قبل قتل عثمان بيسير (قال حدثنى عبيد الله بن على) أى ابن أبى رافع (عن جدته سلمى) بفتح أوله وهى زوجة أبى رافع وهى قابلة ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وغاسلة فاطمة بنت عميس (ان الحسن بن على) وفى نسخة الحسين بن على بالتصغير (وابن عباس وابن جعفر) أى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (أتوها) زائرين لها (فقالوا لها اصنعى لنا طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان كان من العجب بفتحتين فرسول مرفوع وهو من باب علم وضمير الموصول محذوف فى الصلة أى مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وان كان من الاعجاب فرسول اما مرفوع أيضا أى يستحسنه رسول الله أو منصوب قاله فى جمع الوسائل والظاهر هو الوجه الثالث (ويحسن أكله) من الاحسان او التحسين أى يعده من المأكول الحسن لانه يكثر من أكله (فقالت يا بنى لا تشتهيه اليوم) أفردت مع ان الجمع

يعرف وجه الاعجاز بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة والايجاز لانه اذا نظر فى آيات القرآن وتأمل فيها علم يقينا انه لا يمكن معارضته وان الاتيان بمثله ليس فى طوق البشر لانه يرى كلاما جامعا للاحوال التى بها يطابق اللفظ مقتضى الحال لا يفوته منها شئ فيستخرج منها بقدر فهمه ما تحار فيه العقول وتتيقن انه لا يحيط به غير العليم الخبير ثم اذا أفرغ ذهنه واستحضر قواعد البلاغة وأعاد التأمل استخرج أشياء أخر أدق وأتم تحت كل واحد منها مما يعى الافهام ثم اذا أعاد النظر فكذلك ثم يجئ من بعده فيستخرج ما لم يستخرجه الاول وهكذا ويجد ذلك مطردا فى جميع آياته غير اتفاقى مع انه ليس فى فن منضبط ذى قواعد مخصوصة يرجع اليها فى تحقيقه بل الفنون مأخوذة منه ومندرجة تحت آياته على أحكم وجه وأتمه وأصوبه مصون جميعه من جميع القوادح وكلام البشر لا يتأتى فيه ذلك ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والحاصل ان وجوه الاعجاز كثيرة لكنها ترجع الى أربعة أحدها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته وايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ثانيها صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب ثالثها ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن وما لم يقع فوجد على الوجه الذى أخبر رابعها ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والامم الفانية

(كل يوم تهدى الى سامعيه ... معجزات من لفظه القراء)

أى فى كل وقت تهدى القراء من لفظ القرآن الى السامعين له معجزات أى غرائب وعجائب ونكات ولطائف شبه المعجزات المذكورة بالذخائر والنفائس المهداة استعارة مكنية وتهدى استعارة تخييلية تبعية قال القاضى عياض فى الشفاء من وجوه اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات النبى صلى الله عليه وسلم انقضت بانقضاء أوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه الى وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من أتى بشئ يؤثر فى معارضته ولا ألف كلمتين فى مناقضته ولا قدر

هو الملائم ايثارا الا كبرهم أو لانهم لما اتحدت طلبتهم صاروا بمنزلة شخص واحد (قال بلى اصنعيه لنا) لانا نشتهيه على سبيل البركة ونفيها محمول على طريق الطبع وعرف الوقت لاتساع العيش وذهاب ضيقه الذى كان أولا ولهذا قيدته باليوم (قال) أى الراوى عن سلمى أو احد الثلاثة (فقامت فاخذت شيأ من الشعير) أى قليلا (فطحنته ثم جعلته) أى دقيقه (فى قدر وصبت عليه شيأ) أى قليلا (من زيت) أى زيت الزيتون أو غيره (ودقت الفلفل) حب هندى معروف (والتوابل) بفتح الفوقية وكسر الموحدة ابزار الطعام وهو أدوية حارة يؤتى بها من الهند وقيل هو مركب من الكزبرة والزنجبيل والكمون جمع تابل بموحدة مكسورة أو مفتوحة (فقربته) أى الطعام بعد طبخه (اليهم فقالت هذا مما كان يحب النبى صلى الله عليه وسلم ويحسن أكله) قال ابن حجر وروى المصنف وقال حسن غريب انه صلى الله عليه وسلم أكل السلق مطبوخا بالشعير وأكل الخزيرة بمعجمة مفتوحة فزاى مكسورة فتحتية فراء قال الطبرى كالعصيدة الا انها أرق وقال ابن فارس دقيق يخلط بشحم والجوهرى كالقتبى لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا انضج ذر عليه دقيق وقيل هى بالاعجام من النخالة وبالاهمال من اللبن وأكل الكباث رواه مسلم وهو بفتح الكاف وتخفيف الموحدة وبمثلثة آخره النضيج من ثمر الاراك وقيل ورقه وفى نهاية ابن الاثير انه كان يحب جمار النخل وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم أتى بجبن فى تبوك فدعا بسكين فسمى وقطع * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو أحمد نا سفيان عن الاسود بن قيس عن نبيح) بضم نون وفتح موحدة وسكون تحتية وحاء مهملة (العنزى) بفتح المهملة والنون منسوب الى بنى عنزة (عن جابر بن عبد الله) صحابيان (قال أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فى منزلنا فذبحنا له شاة) يصدق بالضأن والمعز والذكر والانثى (فقال كأنهم علموا أنا نحب اللحم) أى فاضافونا به وقصد بذلك تأنيسهم وجبر خواطرهم دون اظهار الشغف باللحم

فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه بالعجز في يديه والنكوص على عقبيه

(فتحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء)

تحلى من التحلية أي بسماعه المسامع أي الآذان وتحلى من الحلو بألفاظه الافواه فهو الحلى أي ما يتحلى به راجع للاول والحلواء أي ما يستحلى به راجع للثاني قال في الشفاء ومن وجوه اعجازه ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا أعيد والقرآن يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطربا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به اه *(تنبيه)* لا يقال انا نجد أحزاب المشايخ وقصائد المديح في الجناب العلي من كلام البشر وهي تتكرر وتتردد ولا تمل لانا نقول ذلك انما هو لكونها في خصوص التوحيد الخاص والادعية النافعة والثناء على المحبوب فمن ثم جاء ذلك مع انضمام كونها تقرأ بلحون وطرق مخصوصة يستعان بها على النشاط عندها بخلاف القرآن فانه مشتمل على ذلك وغيره كذكر أحوال أهل النار والرد على طوائف الكفار وبيان الاحكام الشرعية وغير ذلك وجميعه لا يمل منه فظهرت الخصوصية ثم اعلم ان التلذذ به دائم حاصل حتى في الجنة ففي الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فيؤخذ منه انه يقرأ و يتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله به على القراء من أنواع المعارف اللائقة بتلك الدار وتلك الذوات التي تم فيها التأمل وذلك أمر لا يتناهى أبدا انتهى

والافراط في محبته وفيه ارشاد المضيف الى أنه ينبغي له أن يبادر على ما يحبه الضيف ان عرفه والضيف الى أنه يخبر بما يحبه حيث لم يوقع المضيف في مشقة قاله ابن حجر ويحتمل انه قصد بذلك مدح اللحم مطلقا كما تقدم نظيره أو في ذلك الوقت للاحتياج الى القوة لمدافعة العدو ومقاومتهم قاله في جمع الوسائل (وفي الحديث قصة) قال المناوي هي معجزة عظيمة ومحصولها انه طبخ شاة وعجن شيأ من دقيق الشعير وأخبر النبي سرا فنادى في أهل الخندق بتمامهم هلموا ثم بصق في العجين وفي البرمة فأكلوه وهم ألف حتى تركوه وانحرفوا والبرمة تغط أي تغلي والعجين يخبز وهي مشهورة فلعل الاشارة اليها لكن الحديث المذكور هنا يدل على ذبح الشاة بعد مجيء النبي صلى الله عليه وسلم منزلهم وحديث الخندق فيه ان ذبح الشاة كان قبل المجيء فالظاهر انها غيرها اه قال في جمع الوسائل ويمكن دفع الاشكال بان يقال قوله أتانا أي أراد أن يأتينا بمناداتنا اياه فذبحنا له شاة فناديناه وأعلمناه بما عندنا من اللحم وصاع الشعير فقال كأنهم علموا انا نحب اللحم ويمكن أن يكون المعنى فذبحنا الشاة أخرى لما رأينا من كثرة أصحابه ويمكن انه صلى الله عليه وسلم جاء منزل جابر لحاجة ثم رجع فانقلب جابر الى بيته وصنع ما صنع ثم أخبره به فوقع ما وقع والله أعلم وهذا الحديث من باب المعجزات واستيفاؤها يستفاد من المطولات وقد نقل ابن حجر هنا منها جملة وافرة * قال المصنف (حدثنا ابن أبي عمر) أي محمد بن يحيى (نا سفيان نا عبد الله بن محمد بن عقيل) أي ابن أبي طالب (أنه سمع جابرا قال سفيان) أي في اسناد آخر (ونا محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه فدخل على امرأة من الانصار) أي معها خدمها وحشمها (فذبحت له شاة فأكل) أي النبي صلى الله عليه وسلم اصالة وغيره معه تبعا (منها وأتته بقناع) بكسر القاف وهو الطبق الذي يؤكل عليه (من رطب فأكل منه ثم توضأ للظهر وصلى ثم انصرف) من صلاته أو من محلها (فأتته بعلالة) بضم العين المهملة أي

بقية

(رق لفظا وراق معنى فجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء)

رق أى حسن لفظا أى من جهته فلا تجد لفظة منه فيها ما ينافى كمال الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر وتعقيد وراق أى صفى من شوائب النقص فأعجب كل ناظر فيه من جهة معناه فلا تجد معنى من معانيه الا وهو واصل فى الاحكام ووضوح المرام الغاية القصوى فبسبب كون سوره رقت وراقت جاءت الخنساء بنت عمرو الشاعرة المفلقة كما يأتى حال كونها فى حلاها أى صفاتها الجميلة وحليها أى وزينتها شبه سوره فى صفاتها العلية وتزيينها بما أودعته من الاسرار البهية بامرأة

بلغت فى الزينة وأوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير عنه وخص الخنساء بالذكر لكونها أشعر نساء العرب ومن أجلهن وهذا انما هو على طريق التشبيه حيث تعجز العبارة عن الاتيان بمشبه به يصلح لذلك فيؤتى بأحسن شئ تستحسنه النفس وان كان المشبه أعلى من المشبه به

(وأرتنا فيه غوامض فضل * رقة من زلاله وصفاء)

وأرتنا أوضحت لنا وفاعله رقة الآتى غوامض فضل أى خفاياه كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التى لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن على كرم الله وجهه لو شئت ان أوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت وعنه لو أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضع على الفاتحة وقر سبعين بعيرا لفعلت والزلال الماء الصافى العذب البارد شبه آى القرآن فى محاسن أساليبها وصفاء مواردها الموجبين لمن دقق فى خفاياها امعان نظره وحقق فى غور بحارها رقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوى حتى اطلع على سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية والمواهب الرحمانية والمشارب الروحانية بماء فى غاية العذوبة والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤية ما تحته مما شأنه ان يخفى وذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكرته كما أشار لذلك بكلام جامع بديع فقال

(انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء)

أى انما تبصر الوجوه وتظهر ظهورا واضحا لا خفاء معه بوجه ان قوبلت بالمرآة اذا ما أزيلت عن مرآتها بكسر الميم والمد

بقية (من علالة الشاة) أى من بقية لحمها والعلالة كما فى القاموس بقية اللبن وغيره فمن للبيان خلافا لمن استبعده (فاكل) فيه دليل على انه لا حرج فى الاكل بعد الاكل وان لم يطل فصل ولا انهضم الاول أى ان أمن التخمة باعتبار عادته أو قلة المأكول ولم يتخلل بينهما شرب لانه حينئذ أكل واحد وفيه انه أكل من لحم فى يوم مرتين لا انه شبع منه فى يوم مرتين كما توهم اذ لا يلزم من أكله مرتين الشبع فى كل منهما فمن عارضه بقول عائشة السابق ما شبع فى يوم من لحم مرتين لم يكن على بصيرة قاله المناوى (ثم صلى العصر ولم يتوضأ) فيه دليل على ان الوضوء الاول لم يكن مما مست النار أو الاول بطريق الاستحباب والثانى لبيان الجواز قاله فى جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا العباس ابن محمد الدورى نا يونس بن محمد نا فليح بن سليمان عن عثمان بن عبد الرحمن عن يعقوب بن أبى يعقوب عن أم المنذر) يقال اسمها سلمى بنت قيس بن عمرو والانصارية من بنى النجار ويقال هى احدى خالاته صلى الله عليه وسلم قال صاحب المشكاة هى بنت قيس الانصارية ويقال العدوية لها صحبة ورواية (قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على ولنا دوال) جمع دالية وهى العذق من النخلة يقطع بسرا ثم يعلق فاذا أرطب يؤكل والواو فيه منقلبة عن الالف (معلقة) بالرفع صفة مؤكدة لدوال (قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل) أى قائما كما هو الملائم للمقام أو قاعدا (وعلى معه يأكل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه) اسم فعل بمعنى اكفف (يا على فانك ناقه) اسم فاعل من نقه الشخص بفتح القاف وكسرها أى قريب العهد بالمرض (قال فجلس على والنبى صلى الله عليه وسلم يأكل قالت فجعلت لهم) أى لاهلها وللضيفان ووقع فى بعض نسخ المصابيح وفى بعض نسخ الشمائل له بضمير الافراد والاظهر انه للنبى صلى الله عليه وسلم لانه الاصل والمتبوع كما يدل عليه صيغة الجمع ويبعد ان يكون الضمير لعلى (سلقا) بكسر فسكون بقل معروف (وشعيرا) والمعنى

أى آلة الابصار الاصداء جمع صدا وهو ما يعلو الحديد من الوسخ فكذلك مرآة القلوب لا تنجلى لها العلوم والمعارف من القرآن الا اذا انجلت عنها اصداء الاغيار وأذابت قواها فيما هى بصدده آناء الليل وأطراف النهار قال المحاسبى فى بغية السالك فى أشرف المسالك واعلم ان سر القرآن ولبابه ومقصده دعوة الخلق الى المعرفة بالله تعالى اذ كل ما اشتمل عليه القرآن من التعريفات كالتعريف بالله وصفاته وأفعاله والتعريف بطريق السلوك اليه والتعريف بوعده ووعيده والتعريف بأهل التخصيص كالانبياء والملائكة والاولياء والتعريف بأهل المقت كابليس وجنوده والجن والانس والتعريف بالاحكام التى طوقها عباده

كل ذلك تعريفات تحرك النفس الى الاتصاف بمعنى التوحيد الجاذب الى المعرفة الحقيقية وهى قيام معنى التوحيد فى النفس حتى يصير صفة لها لا تغفل عنه ولا تجد أنسا بغيره قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية وهذه الحقيقة هى المطلوب من جميع العباد اه ولبعضهم فى ذلك

مراد كتاب الله جذب قلوبنا
الى حضرة الرحمن والزهد فى الدنيا
فبلغ أخى القرآن منك مراده
لترقى بفضل الله للجنة العليا

(سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء)

السور بالسين جمع سورة وهى الطائفة من القرآن المخصوصة المسماة باسم خاص توقيفى ومنه لبيان الجنس لان ما يأتى به ليس خاصا ببعض سوره بل يشملها كلها أشبهت لاشتمال كل منها على مقادات من العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما فى الاخرى ومن ثم وقع التحدى باقصر سورة منه وصورا جمع صورة وصورة الشئ شكله وانما التعلق

أشبهت سورة منه صورا منا الاشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركها فيها غيرها ولا تتوقف على ما فى غيرها وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على المعتزلة فى قولهم ان الاعجاز انما هو بمجموع القرآن لا بكل سورة منه وهى مقالة فاسدة لمنافاتها لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والنظائر والنظراء جمع نظير وهو المثل والنظراء أيضا الاماثل والافاضل وهذا كالتذييل لما قبله ويحتمل ان يكون اشار بالنظائر الى السور المخصوصة التى كان يقتفى بها النبى صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى ولها فضائل خاصة بها أى ومثل النظائر من السور النظراء أى الاماثل من الناس والافاضل منهم الذين

فطبخت وقدمت لهم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا على من هذا) أى لا من غيره (فأصب) قال ابن حجر أى أما من هذا فأصب فالفاء جواب مقدر (فان هذا) وفى نسخة فانه (أوفق لك) لان السلق والشعير من أنفع الاغذية للناقه لما فى ماء الشعير من التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة بخلاف الفاكهة فانها تضر بالناقه لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة فأوفق بمعنى موافق اذ لا أوفقية فى الرطب أصلا ويصح كونه على حقيقته بأن يدعى ان فى الرطب موافقة له من وجه وان ضره من وجه آخر وفى الحديث انه ينبغى الحمية للمريض والناقه آكد فان التخليط يوجب انتكاسه وهو أصعب من ابتداء المرض وقد نطق التنزيل بطلب الحمية حيث قال وان كنتم مرضى الى قوله فتيمموا فحمى المريض من استعمال الماء لكونه يضره وأما الخبر الدائر على الالسنة الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء ودواء كل جسد ما اعتاد فليس بحديث وانما هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب قاله المناوى وفيه أيضا ان التداوى مشروع ولا ينافى التوكل اقتداء بسيد المتوكلين كما لا ينافيه دفع الجوع بالاكل وقد ورد فى طلب التداوى أحاديث * ففى الصحيح ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء فتداووا وورد ان الله تعالى بعث ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكل ما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا أراد الله برأه أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وأما خبر من استرقى واكتوى برئ من التوكل فمعناه برئ من توكل المتوكلين السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فان بعض التوكل أفضل من بعض أو برئ من التوكل ان استرقى بمكروه أو علق شفاءه بوجود نحو الكى وأعرض عن أن الشفاء من عنده تعالى وأما من فعله على وفق الشرع ناظر الرب الدواء متوقعا للشفاء من عنده قاصدا الصحة بدنه للقيام بطاعة ربه فتوكله باق بحاله فان سيد المتوكلين عمل بذلك فى نفسه وغيره فلا بد من

يتناظرون فى التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل

(والاقاويل عندهم كالتماثيـــل فلا يوهمنك الخطباء)

الاقاويل جمع قول وهو هنا اللفظ المفيد عندهم أى الكفار ظرف للمبتدا أو لخبره وهو كالتماثيل جمع تمثال وهو الصورة المصورة يعنى ان تقولهم فى القرآن وافتراءهم عليه بما يقدح فى أحقيته أمر مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التى يخترعها المصورون كذلك لاحقيقة لها فكما ان هذه لا وجود لها فى الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان جميع ما قالوه فى القرآن باطل قطعى البطلان

فلا يوهمنك الخطباء أى فاحذر أن يوقع مزخرفو الكلمات بتشدقهم وتفاصحهم فى ذهنك أدنى ريب أو شك فى شئ من أوصاف القرآن التى مر بيان بعضها ونبه على بعضها الآخر بقوله

(كم أبانت آياته من علوم
عن حروف أبان عنها الهجاء)

كم خبرية أى مرات كثيرة أبانت أى أوضحت اياته جمع آية وهى لغة العلامة واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع مندرج فى سوره قاله الجعبرى قال ابن حجر ويشكل عدهم نحو نظر فى المدثر آية اذ ليس فى هذه جمل صريحا ولا تقديرا فالاولى قول غيره طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها وسميت الآية بذلك لانها علامة على صدق الآتى بها وعلى عجز المتحدين بها وقوله من علوم من زائدة فى الاثبات على رأى جماعة أى أوضحت آياته علوما كثيرة لا تنحصر كما قال الله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وروى الترمذى وغيره حديث ستكون فتن قيل فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى أصول العلم وأخرج عن الحسن أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها وهى التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم الثلاثة فى القرآن أى مع زيادات لا تنحصر ومن ثم قال الشافعى جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع

التعلق بالله تعالى ولابد من عمل الاسباب فى الظاهر وخلو الباطن من التعلق بها وانظر النبى صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه وربط على بطنه الحجر من الجوع وجاهد وواصل الايام العديدة وقال بعد ذلك لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل رحمته فرجع الى التعلق بالله وترك النظر الى الاسباب والتعلق بها فالتمسك بالحقيقة فقط أو بالشريعة فقط خلاف الصواب الذى هو الجمع بينهما وقد قيل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا فتعطيلها يقدح فى التوكل انظر استيفاء ذلك فى كتاب الاحياء وسيأتى شئ من هذا أول باب الحجامة وانه اختلف هل ترك التداوى فضيلة أو التداوى أفضل ودليل كل من القولين ثم الادوية المعنوية كصدق الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه والخضوع بين يديه مع الصدقة والاحسان والتفريج عن المكروب أصدق فعلا وأسرع نفعا من الادوية الحسية بشرط تصحيح النية ومن ثم ربما تخلف الشفاء عمن استعمل طب النبوة لمانع قام به من نحو ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول وهذا هو السبب أيضا فى عدم نفع القرآن لكثيرين مع أنه شفاء لما فى الصدور وانظر جمع الوسائل وابن حجر وقد ذكر ابن حجر هنا كثيرا من الامراض التى طبها صلى الله عليه وسلم فانظره * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا بشر ابن السرى عن سفيان) أى الثورى (عن طلحة بن يحيى عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينى فيقول أعندك غداء) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة والمد وهو الطعام الذى يؤكل أول النهار (فأقول لا) أى احيانا (قالت فيقول انى صائم) فى رواية صحيحة انى صائم اذن أى ناو للصوم وفيه انه لا بأس باظهار النوافل لحاجة كتعليمهم مسئلة كما هنا وفيه جواز الصوم بنية من النهار وبجواز ذلك قال أبو حنيفة والشافعى والاكثرون وقال مالك يجب التبييت لعموم

ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال بعضهم ما من شيء في العالم الا وهو في القرآن فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال في قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهي الخانات وقال آخر ما من شيء لا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى وقد استنبط عمره صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى في آخر سورة المنافقين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بموته صلى الله عليه وسلم وانظر النوع الخامس والستين من الاتقان للسيوطي وقوله عن حروف أبان عنها الهجا أي تولدت تلك العلوم ونشأت عن حروف أبان عنها أي عن مسميات تلك الحروف الهجاء أي التهجي وهو تعداد الحروف بذكر أسمائها فالمراد بالحروف مسمياتها وحروف التهجي أسماء كاشفة عن تلك المسميات ويدل لهذا قول سيبويه قال الخليل يوما لاصحابه كيف تقولون اذا أردتم ان تتلفظوا بالكاف التي في ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تتلفظوا بالحرف وقال قولوا كه به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجي من الثاني ودليل تسميتها حروفا من الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فتسمية كل حرفا اما لغة أو مجازا باعتبار مدلوله *(فائدة)* قال الامام سيدي عبد الرحمن الجادري في تذييل نظمه الذي اختصر فيه الدرر اللوامع لابي الحسن بن بري وهو نظم حسن من منهوك الرجز ما نصه

وقال أيضا سمعا * ربي له وصفعا
وهاك ما للسور * في العد للمعتبر
وسور القرآن * (قيد) الى الامان
و(صح) في المفصل * من القتال منجلي
وآيه (وريد) * في آخر وزيد
ثلاثة للاول * وبالمدينة جلي
وكلمه قال عطا * (عدد ضغز تفطا)
ومن حروف (سكج * يه) وذاك المنهج
وقيل عن يحيى (سكا * ثلج) حروفه حكى
ونصف أولى نكرا * في الكهف نصفها سرا

حديث لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل قال ولا دليل في اني صائم اذن لاحتمال اني صائم اذن كما كنت أو انه عزم على الفطر لعذر ثم تمم الصوم واستبعد ابن حجر حمل اني صائم على ذلك (قالت فأتاني يوما فقلت يا رسول الله انه) أي الشان (أهديت لنا هدية قال وما هي قلت حيس) بحاء مهملة مفتوحة وتحتية ساكنة بعدها سين مهملة هو التمر مع السمن والاقط وقد يجعل عوض الاقط الدقيق أو الفتيت ثم يدلك حتى يختلط وأصل الحيس الخلط قاله في جمع الوسائل وقال العسقلاني

السمن والتمر معا ثم الاقط * الحيس الا انه لم يختلط

(قال أما) بالتخفيف للتنبيه (اني أصبحت صائما قالت ثم أكل) قال ابن حجر فيه التصريح بجواز الخروج من صوم النفل وهو مذهب الشافعي كالاكثرين ويوافقه خبر الصائم المتطوع أمير نفسه ان شاء صام وان شاء أفطر ومنعه مالك الا لعذر لقوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ولامره صلى الله عليه وسلم عائشة بالقضاء لما أكلت في صوم نفل وجوابه ان الآية محمولة على الفرض جمعا بين الادلة والحديث مرسل فلا حجة فيه وعلى التنزل فيحمل الامر بالقضاء على الندب جمعا بين الادلة أيضا اه وفيه ان الحديث ليس بصريح في المقصود لاحتمال ان معنى أصبحت صائما أي مريدا للصوم وقاصدا له من غير صدور نية جازمة ويمكن انه كان صائما ثم أكل لضرورة وان الحديث المرسل حجة عند الجمهور وحمل الامر على الندب خلاف الاصل وأما حديث الصائم المتطوع الخ فمعناه انه أمير نفسه قبل الشروع ولو كان عادته ذلك الفعل تطوعا وقد أجمع العلماء على ان الشروع في الحج والعمرة يلزم فكذا غيرهما من العبادات والا فيلزم الملعبة في الصلاة مثلا بأن يشرع فيها ويقطعها قاله في جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا عبد الله ابن عبد الرحمن نا عمر بن حفص بن غياث نا أبي عن محمد بن أبي يحيى) قيل اسمه سمعان (الاسلمي عن يزيد بن أبي أمية) لم يسم (الاعور) صفة لاحدهما (عن يوسف بن

عبد

ونصفه من الكلم * فى الحج والجلود مهم   ونصف الآى العالمين * وبعده أوفوا يبين
ونصفه من السور * ختم الحديد يعتبر   فنصفه عشر له * لغزانى خلله
وباعتبار ما كتب * ثوابه وما حسب

اه وقد اشتملت الابيات المذكورة على عدد سور القرآن وهى مائة وأربع عشرة المشار اليها بقيد لان اصطلاحه ان الحرف الاخير آحاد وما قبله عشرات وما قبله مئون وهكذا وعلى عدد سور المفصل وانها ثمان وستون وأولها سورة القتال وهو أحد الاقوال وعلى عدد آى القرآن وانها ستة آلاف ومائتان وأربعة

عشر باعتبار عد المد فى الاخير وأما على عد المد فى الاول فبزيادة ثلاثة وعلى عد كلماته وهى سبعة وتسعون ألفا بموحدة ثم مثناة واربعمائة وتسعة وثمانون واليه أشار بقوله ضر تنطا والالف للاطلاق وعلى عدد حروفه وهى ثلثمائة ألف وعشرون ألفا وثلثمائة وخمسة عشر وقيل عددها يزيد على هذا بمائتين وثمانية عشر وعلى ان نصف القرآن باعتبار الحروف نكرا الاول وهو قوله لقد جئت شيأ نكرا ونصفه باعتبار الكلمات والجلود ولهم مقامع من حديد فى سورة الحج ونصفه باعتبار الآى ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل ونصفه من السور آخر سورة الحديد فما بعد الحديد نصف باعتبار عدد السور وعشر باعتبار الاحزاب وأما ما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب فذلك مما يعلمه المالك الوهاب * وفى الشفاء ما نصه فى القرآن من الكلمات نحو من سبعة وتسعين ألف كلمة ونيف وعدد كلمات انا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة عدد انا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز فى نفسه ثم اعجازه بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار فى كل جزء من هذا العدد معجزتان متضاعفا العدد من هذا الوجه انظر تمامه وقال بعضهم علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وتسعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربع اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع ويضم لذلك اعتبار تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه الا المتكلم به تعالى نعم أمهات علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن ثم سميت الفاتحة أمه لاشتمالها على هذه

عبد الله بن سلام) صحابيان وفى نسخة صحيحة زيادة عن عبد الله بن سلام قال صاحب المشكاة فى أسماء رجاله يوسف بن عبد الله يكنى أبا يعقوب كان من بنى اسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل اليه وأقعده فى حجره وسماه يوسف ومسح رأسه ومنهم من يقول له رواية ولا رواية له وأما أبوه عبد الله بن سلام بتخفيف اللام فيكنى أبا يوسف (قال) أى عبد الله على نسخة زيادة عن عبد الله أو ابنه (رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة ثم قال هذه) أى التمرة (ادام هذه) أى الكسرة (وأكل) قال الطيبى لما كان التمر طعاما مستقلا ولم يكن متعارفا للائتدام به أخبر صلى الله عليه وسلم انه صالح للائتدام به وفى الحديث تدبير الغذاء فان الشعير بارد يابس والتمر حار رطب على الاصح فالجمع بينهما من أحسن التدبير وفيه القناعة بالائتدام بما تيسر وفيه جواز وضع الادام على الخبز قال ابن حجر ومحله ان سلم ما اذا لم يقذره بحيث يعافه غيره * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن) يعنى الدارمى (قال نا سعيد بن سليمان عن عباد بن العوام عن حميد عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الثفل) بضم المثلثة ويكسر وسكون الفاء وهو فى الاصل ما يرسب من كل شئ أو ما يبقى بعد العصر وقد يطلق على ما بقى فى آخر الوعاء من نحو الدقيق والسويق (قال عبد الله) أى شيخ المصنف (يعنى) أى يريد أنس بالثفل (ما بقى من الطعام) أى فى القدر ولعل وجه اعجابه انه منضوج غاية النضج القريب الى الهضم فهو أهنأ وأمرأ وألذ أو فى الصحفة ويؤيده ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل فى قصعة فلحسها استغفرت له القصعة رواه أحمد والترمذى وابن ماجه عن عائشة وقيل الثفل هو الثريد وهو مختار صاحب النهاية وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من التواضع فكان يؤثر الناس بأول الطعام وأعلاه ويختار لنفسه ما يبقى منه فى أسفل الوعاء وكثير من أغبياء الاغنياء

الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شئ كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ أما العلوم فلا تجد مسئلة هى أصل الا فى القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما فى الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الانبياء والملائكة وعيون أخبار الامم السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته وأخباره الى مماته ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الانسان الى موته وأمارات الساعة وجميع أحوال البرزخ والحشر والجنة والنار وقد قال العلماء ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد مبنى من كليات العلوم العقلية الا كتاب الله قد نطق به فمن ذلك ان من أول سورة الحج الى قوله وأن الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات وكذا قوله ما أنزل الله على بشر من شئ الآية وفيه اشارة الى علم الهندسة فى قوله الى ظل ذى ثلاث شعب الآية فيؤخذ منه الشكل المثلث لكن وردت حججه على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه

(فهى كالحب والنوى أعجب الزراع منها سنابل وزكاء)

يعنى ان حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت أحكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها الان لها مثالا يقربها نوع قرب والافشتان ما بينهما اذ ما يأتى له أمد معلوم يفنى فيه عن قرب وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالى الازمان فى هذه الدار وفى دار القرار وذلك المثال هو اما أنها كحروف أسماء الاعداد فانها مع كونها ألفاظا محصورة لا ينتهى الوهم الى المعدود بها واما انها كالحب الذى يلقيه الزراع والنوى الذى يلقيه الغارس بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ومن الثانى من الثمر ما لا يحصى وفى هذه الحالة أعجب السنابل والزكاء أى النمو الكائن ذلك من تلك الزروع والاشجار والزراع أى والغراس لكثرته وخروجه عن حد العد والاحصاء وهو متفرع عن حب ونوى قليلة فكذلك حروف القرآن وان قلت يحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يحصى

يتكبرون ويأنفون من أكل الثفل ويريقونه وقد جعل الله تعالى فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله صلى الله عليه وسلم صنوف اللطائف وألوف المعارف والظرائف فطوبى لمن عرف قدره واقتفى أثره والاظهر ان المصنف ختم الباب بهذا الحديث المشتمل آخره على ما بقى من الطعام اشارة الى براعة الختم * قاله فى جمع الوسائل بمعناه

(باب ما جاء فى صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام)

تضمن الحديثان الاولان من أحاديث الباب ان الوضوء الشرعى غير مطلوب عند الطعام وانما يطلب عند الصلاة وتضمن الحديث الثالث ان الوضوء اللغوى وهو غسل اليد مطلوب قبل الاكل وبعده فدل ذلك على ان مراد المصنف بيان كيفية الوضوء المستحب عند الطعام قبله وبعده وحملنا الحديث الثالث على الوضوء اللغوى لئلا يتحقق التناقض بين الاخبار فكأنه يقول باب ما جاء فى بيان ان المطلوب عند الطعام الوضوء اللغوى دون الشرعى وكأنه أطلق الوضوء فى الترجمة على النظافة الشاملة للشرعى ولغيره انظر جمع الوسائل * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب) السختيانى (عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء) هو فى الاصل المكان الخالى والمراد هنا مكان قضاء الحاجة (فقرب اليه طعام فقالوا الا) للعرض (نأتيك بوضوء) بفتح الواو ماء يتوضأ به والمعنى الا نتوضأ كما فى الحديث الآتى (قال انما أمرت بالوضوء) بضم الواو وهو الوضوء الشرعى (اذا قمت الى الصلاة) أى لا عند الاكل فالحصر اضافى فان الوضوء يجب أيضا عند سجدة التلاوة ومس المصحف وارادة الطواف وليس فى هذا الحديث والذى يليه تعرض لغسل اليدين لاجل الطعام لا نفيا ولا اثباتا فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم غسل يديه عند شروعه فى الاكل فلا يتم استدلال من احتج به على نفى الوضوء مطلقا قبل الطعام لوجود الاحتمال * قال المصنف (حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومى نا

سفيان

(فاطالوا فيه التردد والريب * وقالوا سحر وقالوا افتراء
واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم * فماذا تقوله النصحاء)

أى ومن عجيب شأن الكفار انهم مع هذه المعجزات والآيات البينات استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والانكار وأطالوا التردد والريب أى الشك فقالوا كما حكاه الله تعالى عنهم فى كتابه انه سحر أى تمويه لا حقيقة له وأصل السحر لغة كل ما لطف مأخذه ورق وقالوا مرة أخرى انه افتراء أى كذب

وأساطير الاولين وغير ذلك من افترائهم واقترائهم ومباهتهم وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو كلام الله تفضل بانزاله وهو قرآن مجيد فى لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فبكل ذلك ينادى عليهم بالبوار والعناد وانهم لا عقل لهم ولا رأى ولا استعداد ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سواء الطريق لما هو مقرر فى العقول السليمة من الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات أى الحجج القاطعة البرهان الواضحة البيان لم تغنهم أى تفدهم شيأ من الهدى فالتماس الهدى بهن أى طلبه منهم بتلك الحجج عناء أى تعب لا يجدى شيأ وهذا مقتبس من قوله تعالى وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون واذا ضلت العقول عن طريق الحق على علم أى مع علم منها بتلك الطرق أى أضلها الله فأى قول يقوله الانبياء النصحاء بل قولهم حينئذ لا يفيد وهذا مقتبس من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون هذا ولا بد من استحضار قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله فى الحديث القدسى هؤلاء الى الجنة ولا أبالى وهؤلاء الى النار ولا أبالى واعتقاد أن التكليف منوط بالظاهر الذى يشعر بالاختيار وبه يثاب من امتثل ويعاقب من خالف واذا قيل الانسان مجبور فى قالب مختار والمسئلة طويلة الذيل محلها كتب الاصول فلتراجع

سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الحويرث عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط) هو فى الاصل ما انخفض من الارض كانوا يأتونه للحاجة قبل اتخاذ الكنف فى البيوت فكنوا به عن نفس الحدث لجاز المجاورة والمراد به هنا هو المعنى الاصلى بدليل الحديث السابق (فأتى بطعام فقيل له الا توضأ) على حذف احدى التاءين (فقال أأصلى فأتوضأ) روى منصوبا لكونه بعد الاستفهام الانكارى وروى مرفوعا * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا عبد الله بن نمير نا قيس بن الربيع ح) اشارة الى تحويل الاسناد ولذا عطف فقال (وحدثنا قتيبة قال نا عبد الكريم الجرجانى عن قيس بن الربيع عن أبى هاشم عن زاذان عن سلمان) أى الفارسى (قال قرأت فى التوراة) أى قبل الاسلام (أن) بفتح الهمزة ويجوز كسرها (بركة الطعام الوضوء) أى غسل اليدين (بعده) أى بعد أكله (فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قرأت فى التوراة) عطف تفسير ويمكن ان يكون المراد بقوله فذكرت ذلك الخ أى سألته هل بركة الطعام الوضوء بعده والحال انى أخبرته بما قرأت فى التوراة من الاقتصار على الوضوء بعده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده) يحتمل ان يكون اشارة الى تحريف ما فى التوراة ويحتمل أنه اشارة الى أن هذه الشريعة زادت الوضوء قبله أيضا والمراد من الوضوء الاول غسل اليد والحكمة فيه تعظيم نعمة الله ليبارك له فيه نفسه فان اليد لا تخلو عن تلوث فى تعاطى الاعمال فغسلها أقرب الى النظافة والنزاهة ولان المقصود بالاكل الاستعانة على العبادة فهو جدير بان يجرى مجرى الطهارة من الصلاة فيبدأ فيه بغسل اليد وظاهر هذا ان غسل اليد مطلوب ولو كانت نظيفة وفى الرسالة وليس غسل اليد قبل الطعام من السنة الا ان يكون بها أذى قال شارحها كرهه مالك وقال انه ليس من الامر أى من السنة المأمور بها فيلزمنا التزامها الا انها من فعل الاعاجم ولم يرو عن السلف

(قوم عيسى عاملتم قوم موسى * بالذى عاملتكم الحنفاء
صدقوا كتبكم وكذبتم * كتبهم ان ذا لبئس البواء)

لما فرغ الناظم رحمه الله من الكلام على حال المشركين وما آل اليه أمرهم شرع فى الكلام مع أهل الكتابين فقال يا قوم عيسى المدعوين بالنصارى عاملتم قوم موسى وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة الذى عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذى هو الانجيل الحنفاء أى المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن كل دين الى الدين القويم ثم بين ما أبهمه بقوله صدقوا أى قوم عيسى

كتبكم وهى التوراة وما بعدها كالزبور وكذبتم أيها اليهود كتبهم أى الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله منزلة كتب متعددة باعتبار أجزائه وفى هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا أولا وأعيد لهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين موسى وعيسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الآتيين وفى التصديق والتكذيب الطباق وقوله ان ذا أى الذى فعلتموه معشر اليهود لبئس البواء أى الصنيع الذى رجعتم به القهقرى فهو مقتبس من قوله تعالى وباؤا بغضب من الله ويحتمل أن يكون المراد بالبواء الجواب كما فى القاموس ويحتمل ان يكون ضمير صدقوا عائدا على الحنفاء وضمير كتبكم وكذبتم لليهود والنصارى وكتبهم للحنفاء ويكون ذلك تفسيرا لعاملتكم الحنفاء

الا أن يخشى ان يكون قد مس بيده شيأ يكره ان يباشر به الطعام انتهى ونحوه فى اللمع للتلمسانى وقال فى المدخل فاذا أراد ان يأكل فلا يخلو أن تكون يده نظيفة أم لا فان كانت نظيفة فهو مخير فى الغسل والترك والغسل أولى الا أن التزامه أعنى المداومة عليه بدعة فان كان على يده شئ أو حك بدنه او مس اعراقه فلا بد من غسلها اه وقال فى الكافى وغسل اليد قبل الطعام وبعده حسن وبركة فيه ثم ذكر حديث سلمان هذا والمراد من الوضوء الثانى غسل اليد والفم من الدسومات والحكمة فيه النظافة واتقاء الروائح الكريهة والمؤذيات قال صلى الله عليه وسلم من بات وفى يده غمر بفتحتين ولم يغسله فأصابه شئ فلا يلومن الا نفسه أخرجه المؤلف فى جامعه وابن ماجه فى سننه وأبو داود بسند صحيح على شرط مسلم والنمو والزيادة فى صوائد الطعام وآثاره بأن يكون سببا لسكون النفس وتقوية العبادات والطاعات والاخلاق المرضية والافعال السنية قال ابن حجر جعله نفس البركة للمبالغة والا فالمراد انها تنشأ عنه فينمو ويزيد بالاول وتعظم فائدته بالثانى لاستلزامه زوال نحو الغمر المستلزم لبعد الشيطان ودحضه وورد بسند ضعيف من أكل من هذه اللحوم شيأ فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذى من حذاءه اه قال فى جمع الوسائل وأغرب بعض الشافعية فقال المراد بالوضوء هنا الوضوء الشرعى وهو خلاف ما صرح به أصحاب المذاهب من أن الوضوء الشرعى ليس بسنة عند الاكل * (تنبيه) * قال المؤلف فى جامعه بعد ايراد حديث سلمان هذا لا يعرف هذا الحديث الا من حديث قيس بن الربيع وهو ضعيف فى الحديث اه وقال الذهبى فى الكاشف فى ترجمته كان شعبة يثنى عليه وقال ابن معين ليس بشئ وقال أبو حاتم ليس بقوى وقال ابن عدى عامة رواياته مستقيمة وقال ابن حجر فى التقريب صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه انظر جمع الوسائل

* (باب ما جاء فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الطعام)

(لو جحدنا جحودكم لاستوينا * أو للحق بالضلال استواء) اى

الجحود الانكار عن علم أى لو أنكرنا كتابكم مثل انكاركم كتابنا وكتاب عيسى لاستوينا نحن وأنتم أيكون ذلك منا وليس للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله مساواة بالضلال وهو ما هم عليه من التصديق بالبعض والكفر بالبعض

(ما لكم اخوة الكتاب أناسا * ليس يرعى للحق منكم اخاء
يحسد الاول الاخير وما زا * ل كذا المحدثون والقدماء)

أى أى شئ حصل لكم يا اخوة الكتاب من اليهود والنصارى سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه كاستواء الاخوة فى الانتساب الى أصل واحد حال كونكم اناسا ليس شأنكم أنه يرعى للحق منكم اخاء بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز أن يكون اسم ليس ونائب الفاعل ضميره والاخاء مصدر آخاه اخاء ومؤاخاة أى ليس يصدر منكم مراعاة للدين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق التى منها تصديق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعلام فى كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفى اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبينهما جناس الاشتقاق ومن عدم رعايتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود أنهم حسدوا عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله اليه لينزل آخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقبل جزية وانما الاسلام أو السيف وما زال كذا أى هكذا المذكور من حسد الاول الاخير المحدثون والقدماء من لدن ادم الى اليوم كما أشار اليه بقوله

(قد علمتم بظلم قابيل هابيـ
ـل ومظلوم الاخوة الاتقياء)

قد للتحقيق علمتم يا أهل الكتاب بظلم قابيل باضافة المصدر الى فاعله وهو أول أولاد آدم وهم أربعون ولدتهم حواء فى عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى وبارك الله فى نسله فى حياته حتى بلغوا أربعين ألفا وكان من شريعته أن اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الآخر وبالعكس وهابيل هو ثانى أولاد آدم عليه السلام وكان قتله اياه بشدخ رأسه بين حجرين حسدا له على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه كما حكى الله تعالى ذلك فى كتابه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كن خير ابنى آدم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل روى أن آدم لما أمر قابيل أن يزوج أخته لهابيل امتنع فأمرهما أن يقربا قربانا لله وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تأكله فقرب كل منهما قربانه وقربان هابيل كبش وقربان قابيل زرع فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى أن قتله* (تنبيه) ما ذكرناه تبعا للشارح من أن حواء ولدت فى كل مرة ذكرا

أى قبل أكله والمراد به التسمية (وبعد ما يفرغ منه)*

أى من الطعام والمراد به الحمد* قال المصنف (حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة) بفتح فكسر واسمه عبد الله (عن يزيد بن أبى حبيب) اسمه سويد بالتصغير (عن راشد اليافعى) نسبة الى موضع أو الى قبيلة من رعين على ما فى القاموس (عن حبيب بن أوس عن أبى أيوب الانصارى) أى الخزرجى واسمه خالد بن زيد وكان مع على بن أبى طالب فى حروبه كلها ومات بالقسطنطينية مرابطا سنة احدى وخمسين وذلك مع يزيد بن معاوية لما أعطاه أبوه القسطنطينية خرج معه فمرض فلما ثقل قال لاصحابه اذا أنا مت فاحملونى فاذا صاففتم العدو فادفنونى تحت أقدامكم ففعلوا ودفنوه قريبا من سورها وقبره معروف الى اليوم معظم يستشفون به فيشفون فكانه اشارة الى أن من تواضع رفعه الله روى عنه جماعة شهد بدرا وأنزل المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عنده (قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقرب) أى اليه كما فى نسخة (طعام فلم أر طعاما كان أعظم بركة منه أول ما أكلنا) أى فى أول وقت أكلنا فما مصدرية وأول منصوب على الظرفية (ولا أقل بركة) أى منه (فى آخره) أى فى آخر وقت أكلنا اياه (قلنا يا رسول الله كيف هذا) أى ما السبب فى كثرة البركة أول الاكل وقلتها آخره (قال انا ذكرنا اسم الله تعالى حين أكلنا ثم قعد من أكل ولم يسم الله تعالى فأكل معه الشيطان) لان الشيطان يستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه كما فى مسلم فيأكله وذلك حقيقة عند جمهور العلماء سلفا وخلفا لامكانه شرعا وعقلا ثم ان تنزيل الحديث على القول بان التسمية سنة عين ظاهر وهو ظاهر المذهب واما على انها سنة كفاية وهو الذى حكاه النووى عن الشافعى فالظاهر كما فى جمع الوسائل ان يقال كلام الشافعى محمول على ما اذا اجتمع جماعة على الطعام يسمى واحد منهم فتسمية هذا الواحد تجزئ عن البواقى من الحاضرين لا عن شخص لم يكن حاضرا معهم وقت التسمية فاذا لم يحضر انسان وقت التسمية عند الجماعة

وأتقى ليس على اطلاقه لانها ولدت شيثا الذى هو من عمود نسب النبى صلى الله عليه وسلم وحده كما نبه عليه ابن الجوزى فى كتابه جلوة الاحزان ونصه فولدت له أربعين ولدا فى عشرين بطنا ووضعت شيثا وحده كرامة لمن أطلع الله عز وجل بالنبوة سعده قوله ومظلوم الاخوة يصح أن يكون مظلوم جمع تصحيح حذفت منه النون للاضافة ثم الواو تخفيفا كما قيل فى قوله تعالى وصالح المؤمنين ويصح أن يراد به الجنس كما قيل به فى الآية أيضا والاتقياء جمع تقى أى المتصفون بالتقوى واضافته بمعنى من أى لا يظلم من الاخوة الا الاتقياء بل الأتقى منهم لانه هو الذى يصبر على أذى اخوته ولا ينتقم لنفسه وهذا فى معنى ارسال المثل للاستدلال به على ماقبله كقوله فيما تقدم وما زال الخ * (فائدة) * قال ابن جزى فى تفسيره الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها فى السماء وفى الارض اما فى السماء فحسد ابليس لآدم واما فى الارض فقتل قابيل لاخيه هابيل بسبب الحسد ثم ان الحسد على درجات الاولى أن يحب الانسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وان كانت لا تنتقل اليه بل يكره انعام الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها ورجاء انتقالها اليه الثالثة أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وانما هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات احداها اكتساب الذنوب لان الحسد حرام الثانية سوء الادب مع الله تعالى فان حقيقة الحسد كراهة انعام الله على عبده واعتراض على الله فى فعله الثالثة تألم قلبه وكثرة همه وغمه فنرغب الى الله تعالى أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فان المحسود ذو نعمة والحاسد فى كرب ونقمة ولله در الشاعر فى قوله

انى لارحم حاسدى لفرط ما * ضمنت صدورهم من الاوغار

نظروا صنيع الله بى فعيونهم * فى جنة وقلوبهم فى نار

(وقول الآخر)

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

لم تؤثر تلك التسمية فى عدم تمكن شيطان ذلك الانسان من الاكل معه وأما ما اختاره ابن حجر من ان المراد هنا ان هذا الذى أكل معه الشيطان انما قعد بعد فراغهم من الاكل ولم يأكل معه فلم تنفعه تسميتهم فهو خلاف ظاهر الحديث اذ قوله اول ما أكلنا يقتضى ان معنى قوله فى آخره فى آخر أكلنا فيقتضى انه أكل قبل فراغهم واما كلمة ثم فانما تدل على تراخى قعود الرجل عن اول اشتغالهم بالاكل لا على قعوده بعد فراغهم من الاكل والله أعلم نعم انما يحسن الجواب الاول اذا فرضنا ان من اكل بغير تسمية انما جاء بعد فراغ النبى صلى الله عليه وسلم من الاكل والا فيبعد او يستحيل أن يأكل الشيطان معه عليه الصلاة والسلام وربما ارشد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية عائشة الآتية لو سمى لكفاكم ولم يقل لكفانا قال ابن مخاصر فى هذا الحديث بركة ذكر اسم الله تعالى عند الطعام والشراب وكل ما يستفتح به وانه حرز لذاكره وفيه ان الشيطان لا يقرب ما ذكر اسم الله عليه وانه مطردة للشيطان وفيه ان البركة تقل بترك ذكر اسم الله عز وجل ومخالفة سنة رسوله صلى الله عليه وسلم * قال المصنف (حدثنا يحيى بن موسى نا ابو داود نا هشام الدستوائى) كان يبيع البز الدستوائية فنسب اليها (عن بديل العقيلى عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أم كلثوم) قيل هى الليثية المكية وقيل تيمية بنت محمد ابن ابى بكر الصديق (عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فنسى) اى ترك نسيانا قال ابن حجر وألحق به ائمتنا ما اذا تعمد أو جهل او أكره (أن يذكر اسم الله تعالى يعنى على طعامه) اى الذى يريد أن يأكله اى ثم تذكر فى اثنائه انه ترك التسمية (فليقل بسم الله أوله وآخره) اى فى أوله وآخره اى على جميع أجزائه كما يشهد به المعنى الذى قصد بالتسمية فلا يقال ذكرهما يخرج الوسط فهو كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع قوله تعالى أكلها دائم او يقال المراد باوله ما أكل وبآخره ماسيؤكل بلا واسطة بينهما وفى حديث رواه أبو داود كان رجل يأكل فلم يسم حتى لم يبق من طعامه

الا

فدام لى واهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم ان الحسود لا تزول عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشتكى كانه مظلوم ولقد صدق القائل

كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك من حسد

(وقد قال حكيم الشعراء) وأظلم خلق الله من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

(وسعهم بكيد أبناء يعقو * ب أخاهم وكلهم صلحاء

حين ألقوه فى غيابة جب * ورموه بالافك وهو براء)

عدل عن قوله أنبياء الى قوله صلحاء لانه الامر المتفق عليه بخلاف يوسف فنبى اتفاقا وأخرج ابن جرير وابن المنذر ان أبا عمرو قيل له كيف تقرأ نرتع ونلعب بالنون وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وقد قيل فى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط انه نص على نبوتهم لان الاسباط أولاد يعقوب باتفاق وهم اخوة يوسف وذهب الجمهور الى أن المراد من نبئ من أبناء الاسباط وقوله حين ألقوه ظرف لكيد والجب البئر الكثير الماء أو بعيدة القعر أو التى لم تطو وغيابته قعره وكادوه بذلك خوفا من تقدمه عليهم مع كونه أصغرهم بما أنبأت عنه رؤياه المذكورة فى سورة يوسف اذ الاحد عشر كوكبا مثال لهم والشمس والقمر أبوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت أمره وطاعته فكان الامر كذلك فانهم لما جاؤا اليه مع أبيهم وخروا له سجدا قال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل الآية ومن كيدهم له أيضا أنهم رموه بالافك أى السرقة حيث قالوا ان يسرق أى بنيامين فى قصة الصواع فقد سرق أخ له من قبل أى يوسف وأصل الافك أسوأ الكذب وبراء بفتح الباء أى برئ منه وليس هاره وبه بسرقة فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى قالوا ان يسرق الآية قال سرق يوسف صنما لجده أبى أمه من ذهب وفضة فكسره فألقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك وانما أراد بذلك الخير وفى رواية ان أمه أمرته بذلك لانها كانت مسلمة فالذى وقع منه صورة سرقة

الاقمة فلما رفعها الى فيه قال بسم الله أوله وآخره فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال مازال الشيطان يأكل معه فلما ذكر اسم الله عليه استقاء ما فى بطنه ففائدة التسمية فى أثناء الاكل تحصيل السنة فى الباقى وليقئ الشيطان ما أكل فى الفائت وعلى هذا لو سمى بعد الفراغ من الاكل لكان فى ذلك فائدة وهى الاضرار بالشيطان فان فيه رضا الرحمن والله أعلم بل قال ابن حجر انه يشمله اطلاق الحديث وقال شيخنا العلامة فى شرح الحصن للشارع أن يجعل التسمية المتأخرة كالمتقدمة فتنسحب بركتها على أوله وآخره أما المتأخر عنها فظاهر وأما الماضى فيندفع بالتسمية ما كان يترقب من ضرر تركها وكذلك يندفع ما وقع بالشفاء منه ان كان مرضا مثلا ونحو ذلك الا ترى ان ما أكله الشيطان يقيئه كما ورد انتهى قال ابن مخلص وفى الحديث تدارك ما فات الانسان من طاعة أو ذكر أو اتباع سنة اذا نسى وان الله تعالى يعوضه عما فاته خيرا اذا بادر الى اصلاح ما فرط فيه وفعل ما تركه تفضلا منه فانه يقبل معذرة من اعتذر وتوبة من ندم واستغفر قال الله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن الصباح الهاشمى البصرى نا عبد الاعلى عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عمر بن أبى سلمة) اسمه عبد الله بن عبد الاسد (انه) اى عمر وهو ربيب النبى صلى الله عليه وسلم من أم سلمة ولد بالحبشة ومات سنة ثلاث وثمانين (دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده طعام فقال ادن) بضم الهمز والنون امر من الدنو اى اقرب (يا بنى) بصيغة التصغير شفقة واهتماما بحاله وفيه انه ينبغى للكبير ملاطفة الصغير لاسيما على الطعام لشدة الاستحياء (فسم الله تعالى) الامر للسنية ومن سنة التسمية أن ينطق بها جهرا ليذكر الغافل ويعلم الجاهل (وكل بيمينك) الامر للندب وقد تقدم الكلام على ذلك أثناء باب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكل مما يليك) أى ندبا وقيل وجوبا لما فيه من الحاق الضرر بالغير وفى الرسالة واذا أكلت مع غيرك أكلت مما يليك

فذكروها تعيير الفهم لم يكذبوا وانما الذى وقعوا فيه انهم عيروه بما لاعار فيه بل بما فيه غاية الرفعة والمدحة له لكن لما سموه سرقة على طريق التعيير صح للناظم أن يقول ودموه بالافك والذى يجب اعتقاده نزاهة اخوة يوسف وبراءتهم من كل مالا يليق بهم لاحتمال أن ماارتكبوه لهم فيه تأويل باعتبار شرعهم انظر ابن حجر

(فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم * فالتأسى للنفس فيه عزاء)

فتأسوا أى تعزوا اذ التأسى التعزى من تأسيت بفلان تعزيت به أى حملت حالى على حاله ففى التأسى تسكين النفس على الامر الشاق وتصبرها عليه والتعزى الحمل على الصبر بوعد الاجر أى قد علمتم معشر المسلمين ماوقع لمن قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا برضا الله فاقتدوا بمن قبلكم من الكمل فى ذلك وقت أن ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء والعداوة والقتال فالتأسى فى المصائب لاسيما بالكمل فيه عزاء للنفس أى تسل وتصبر بحملها على أن لايصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى مايصدر من أهل النفاق والشقاق كما قالت الخنساء فى أخيها صخر

وما يكون مثل أخى ولكن
أعزى النفس عنه بالتأسى

(أتراكم وفيتم حين خانوا
أم تراكم أحسنتم اذ أساؤا
بل تمادت على التجاهل آبا
ءتقفت آثارها الابناء)

الفاعل لاهل الكتاب والمفعول المسلمين أى أتظنكم أهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله تعالى عليه فأظهرتم الحق ودمتم على العمل به حين خانوا ماعاهدوا الله عليه وكتموا الحق وأبوا قبوله من غيرهم أم تظنكم أى أهل الكتاب يا أيها الحنفاء أحسنتم فى اتباع نبيكم فى جميع ماجاء به فلم تغيروا منه شيأ قط ولم تبدلوا فى حياته ولا بعد وفاته اذ أساؤا اذ خالفوا ولم يتبعوا ما شرعه أنبياؤهم بل بدلوا وغيروا وكتموا ايثارا للحظوظ الدنيوية على الدرجات الاخروية بل لايرون شيأ من ذلك وتتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض الحق واتباع الباطل أى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وتبعت الابناء آثار الآباء الباطلة كما قال الله تعالى حكاية عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة

قال الحطاب قال ابن الفاكهانى ناقلا عن ابن رشد هذا اذا كان الطعام صنفا واحدا كالثريد واللحم وشبهه وأما اذا كان أصنافا مختلفة كانواع الفاكهة فى طبق مما يختلف اغراض الآكلين فيه فلا بأس للرجل أن يتناول مما بين يدى غيره وذلك منصوص عن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى ونقله ابن ناجى انتهى وفى جمع الوسائل لاينبغى التعميم فى الفاكهة بل يحمل على ما اذا لم يكن عنده مما يكون عند غيره ومع هذا لايخفى مافيه من الشره والتطلع الى ماعند غيره وترك الايثار الذى هو اختيار الابرار انتهى وتقدم توجيه تتبع النبى صلى الله عليه وسلم الدباء حوالى القصعة ويؤخذ من الحديث كما قال ابن حجر انه يندب لمن على الطعام تعليم من ظهر منه اخلال بشئ من مندوباته وفى قوله بسم الله حض على التبرك بذكر اسم الله تعالى فى أول طعامه وهو السنة وفى قوله كل بيمينك تعليم لما كان يحبه من التيمن فى شأنه كله وتحذير من خلق الشيطان الذى لايأكل الا بشماله كما فى الحديث وفى قوله وكل مما يليك تعليم لحسن العشرة مع المؤاكل حتى لايعدو عليه ولا يستقذره ولا يأتى بما يكره منه * قال المصنف (حدثنا محمود بن غيلان نا أبو احمد) اسمه محمد بن عبد الله بن الزبير (الزبيرى) بالتصغير (نا سفيان) اى الثورى (عن ابى هاشم عن اسمعيل بن رياح عن رياح بن عبيدة) بفتح فكسر (عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من طعامه) اى من أكله (قال الحمد لله) معنى هذه الجملة الثناء على الله تعالى بان جميع المحامد ثابتة له وفى ضمن ذلك الاعتراف بان جميع الكمالات له لان الحمد لايكون الا فى مقابلة جميل (الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين) اى موحدين منقادين لجميع امور الدين وفى ختم الاكل بهذا الحمد اشارة الى أن المطلوب من العبد كلما تجددت عليه نعمة أن يشهدها من الله تعالى وان يحمده عليها فان شهودها منه سبحانه نوع من الشكر عليها وسبب فى امتلاء القلب بمحبة المنعم بها وتعظيمه وحمده عليها موجب لدوامها والمزيد منها بشهادة لئن شكرتم لازيدنكم

وانا على آثارهم مقتدون

(بينته توراتهم والاناجيـ * ـل وهم فى جحوده شركاء)

أى بينت التوراة والاناجيل الحق الذى من جملته نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته والتوراة من أوريت الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور والاناجيل جمع انجيل من نجل الشئ أخرجه وجمعه باعتبار أجزائه يشير الى قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الآية وهذا من أعظم الدلالة على صحة نبوته وعموم رسالته وانه على السنة الواضحة من أمره لانه صرح

بذلك على رؤس أهل الكتابين ولم يخش ان أحدا منهم يقول ليس كذلك فى كتابنا فاذا صرح بذلك ولم يعترضوه كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد والفساد والحسد ولذا قال جل من قائل يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به وأخرج ابن عساكر أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى أتجدنى فى التوراة قال انسب ربك فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال جبريل قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد انك لرسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله أى التوراة يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يجزى السيئة بمثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن كعب مثله والبخارى عن عمرو بن العاصى نحوه بزيادة قوله وهم فى جحوده شركاء أى اليهود والنصارى شركاء فى جحود الحق الذى بينته التوراة والانجيل فلعنة الله على الكافرين

لازيدنكم وقدم الطعام لانه الباعث على الحمد وثنى بالسقى لانه من تتمته لان الطعام لا يخلو من شرب يعقبه غالبا وثلث بنعمة الاسلام تذكيرا بنعمة الدين فيقع الحمد على النعم الدنيوية والدينية فيكون ترقيا من نعمة الدنيا الى نعمة الدين التى هى أفضل النعم وأشرفها وأجلها وكل نعمة وان عظمت فهى تبع لها وكل عمل لا يقبل دونها فيكون اشارة الى انها بالحمد أولى وأحق * قال المصنف (حدثنا محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد نا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان) يكنى أبا عبد الله الشامى الكلاعى من أهل حمص قال لقيت سبعين رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ثقات الشاميين مات بطرسوس سنة أربع ومائة (عن أبى أمامة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفعت المائدة من بين يديه) فيه اشعار بان الحمد انما يطلب بعد الفراغ من الاكل وأنكر ابن الحاج البسملة على كل لقمة والحمد على بلعها وقال هذا وان كان حسنا فالسنة أحسن منه وهى التسمية أولا والحمد آخرا وتقدم انه صلى الله عليه وسلم ما أكل على خوان قط فالمراد بالمائدة هنا السفرة وشبهها مما يوضع عليه الطعام ويصان من الارض لا الخوان الخشب المعد لذلك وقد تطلق المائدة على الطعام نفسه فيكون مراد أبى أمامة اذا رفع من عنده صلى الله عليه وسلم ما وضع عليه الطعام أو بقيته (يقول) رافعا صوته للتعليم وان كانت سنة الحمد كما قال علماؤنا الاسرار اذا لم يفرغ جلساؤه لان رفع الصوت اذ ذاك كالامر بالانكفاف لمن معه من الآكلين كذا فى جمع الوسائل وغيره قلت وقوله اذا رفعت المائدة من بين يديه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما جهر بالحمد حتى فرغ الآكلون من الاكل فلا حاجة الى الاعتذار بانه جهر بالحمد للتعليم وان كانت السنة الاسرار به (الحمد لله) تقدم معنى هذه الجملة (حمدا كثيرا طيبا) اى خالصا من الرياء والسمعة التى لا تليق بجنابه تعالى وتقدس لانه طيب لا يقبل الا الطيب وليس فى رواية البخارى لفظ حمدا (مباركا فيه) أى الحمد أى حمدا ذا بركة دائما لا ينقطع لان نعمه

(ان يقولوا ما بينته فما زا * لت بها عن عيونهم غشواء)

(أو يقولوا قد بينته فما للأذ * ن عما تقوله صماء)

أى ان يقل أهل الكتاب لم تبين ذلك الحق توراتهم والاناجيل فما زالت بها أى بالتوراة والانجيل عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم الحق والعشواء الناقة التى لا تبصر امامها فهى تخبط بيديها على كل شئ يقال ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء أى تاول الامر على غير بصيرة فأشار الى المثل وفيه استعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر والعشواء بالظلمة واثبات الظلمة للعيون تخييل وفى قوله ما بينته ترشيح لانه يناسب المشبه به أو يقول اليهود والنصارى قد بين الكتابان الحق كما هو الحق فأى شئ حصل للاذن التى هى آلة السمع حتى انها عما تقوله التوراة والاناجيل صماء أى غير سامعة سماع قبول أى فلا موجب للاعراض عن ذلك الا محض العناد والحسد واسناد القول الى الكتب فيه مجاز أو استعارة

(عرفوه وأنكروه وظلما * كتمته الشهادة الشهداء)

مفعول عرفوا وأنكروا يحتمل الحق والنبى صلى الله عليه وسلم أى عرفوه معرفة يقين بواطنهم وأنكروه بظواهرهم كما قال الله تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وظلما مفعول لاجله وضمير كتمته يعود على الحق المذكور والشهادة بدل اشتمال من مفعول كتمته أى كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم أهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصفة دينه وجميع أمره معرفة قطعية ثم أنكروا ذلك حسدا وعنادا وبغيا ومباهتة وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى لهم ما نالوه منهم من الحطام الساقى ايثارا على الدين الموجب للسعادة الدائمة

لا تنقطع عنا فينبغى أن يكون حمدنا لا ينقطع أيضا ولو نية واعتقادا (غير مودع) بنصب غير باضمار أعنى أو على انه حال من حمدا وفتح دال مودع وتشديدها أى غير متروك ذلك الحمد بل الاشتغال به دائم من غير انقطاع كما ان نعمه سبحانه وتعالى لا تنقطع عنا طرفة عين ويحتمل أن يكون حالا من لله اى غير متروك الطلب منه والرغبة فيما عنده وعند البخارى غير مكفى ولا مودع الخ ومعناه كما قال الخطابى غير محتاج الى أحد بل هو الذى يطعم عباده ويكفيهم وقيل غير ذلك (ولا مستغنى عنه) أى الحمد أو الله على الاحتمالين فيما قبله قال ابن حجر ليس عطف تفسير كما قيل بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه نصا وهى انه لا استغناء لاحد عن الحمد لوجوبه على كل مكلف اذ لا يخلو أحد عن نعمة بل نعم لا تحصى وهو فى مقابلة النعم واجب كما صرحوا به لكن ليس المراد بوجوبه ان من تركه لفظا يأثم بل من أتى به فى مقابلة النعمة أثيب عليه ثواب الواجب ومن أتى به لا فى مقابلة شئ أثيب عليه ثواب المندوب اما شكر المنعم بمعنى امتثال أوامره واجتناب نواهيه فهو واجب شرعا على كل مكلف يأثم بتركه اجماعا اهـ وقد بحث شيخنا العلامة فى شرح الحصن فى كلام ابن حجر هذا من وجوه منها ان قوله نصا يقتضى انه ما استفاد لا نصا بل لزوما وفيه ان نفى الترك لا يستلزم نفى الاستغناء ومنها انه ان أراد بقوله لوجوبه الخ أن هذا الحمد يجب بهذا اللفظ وبقيد كونه باثر الا كل مثلا ففى الوجوب على كل أحد نظر لا يخفى وان أراد الحمد اللغوى أى الوصف بالجميل فلا شك انه يجب الثناء على الله سبحانه ولا يجوز تركه ولا الاستغناء عنه لكن يظهر من تعليله بقوله اذ لا يخلو أحد الخ أن المراد العرفى وهو كذلك أيضا لا يجوز تركه ولا الاستغناء عنه ومنها أن مقتضى قوله اذ لا يخلو الخ انه لا يتصور لا فى مقابلة النعمة فلا يكون الا واجبا ومقتضى قوله وهو فى مقابلة النعم الخ انه ينقسم الى واجب وغيره والى ما يكون فى مقابلة نعمة وغيره اللهم الا أن يقال اذا قصدت المقابلة كان واجبا واذا لم تقصد المقابلة

(أو نورا لاله تطفئه الأفـ * ـواه وهو الذى به يستضاء)

أى أيكتمون ذلك ويظهرون الضلال ونور الله الذى هو النبوة والرسالة تطفئه أى تذهب نوره الافواه لا يكون ذلك كما قال تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف يطفأ ذلك النور الالهى وهو الذى به يستضاء ظاهرا وباطنا أى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب

(أو لا يشكرون من طعنتم * برحاها عن أمره الهيجاء)

أي أيستمرون على ضلالهم وادعائهم محقون ويشكرون نبوته ولا ينكرون من طعنهم أي أهلكتهم برماحها أي أسلحتها عن أمره الهيجاء أي حربه صلى الله عليه وسلم أي لا ينبغي لهم ذلك بل الذي ينبغي لهم الرجوع عن الضلال والاعتراف بأنهم ان استمروا عليه طعنهم صلى الله عليه وسلم برمحي حربه كما طعن آباءهم وأبناءهم وأهاليهم بجلاء بني النضير الى الشام وقتل بني قريظة

(وكساهم ثوب الصغار وقد طلت دماؤهم وصينت دماء) (٢٤٧)

أي واشدة بأسه وظهور نصرته صلى الله عليه وسلم كساهم ثوب الصغار أي الذل والهوان كضرب الرق على غير المقاتلين من بني قريظة استعار اللباس للصغار على حد قوله تعالى فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية أي والحال انه قد طلت أي دفعت وهدرت دماؤهم قصره ضرورة كبني قريظة وصينت دماء منهم كبني النضير والمراد دماء المسلمين لأن الله تعالى جعل لهم الغلبة والدائرة على اعدائهم

(كيف يهدي الاله منهم قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء)

اى اذا تقرر اتصاف اهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة حق لهم ان يقال فى حقهم كيف يهدي أي يوصل الاله قلوبا منهم حشوها أي ملؤها البغضاء أي شدة البغض لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم فمن بمعنى اللام المعدية تتعلق بالبغضاء ويصح ان تكون تعليلية اى من اجله والبدل اى حشوها بغضه بدل حبه ولا يخفى ما فى كلامه من الاستعارة

(خبرونا اهل الكتابين من ايـ * ـن أتاكم تثليثكم والبداء)

اى أعلمونا يا اهل الكتابين اى التوراة والانجيل من اين استفهام انكارى اتاكم تثليثكم اى ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن اين لكم معشر اليهود البداء بموحدة ومهملة من بدا اى ظهر وهو عندهم ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع النسخ والاستفهام بمعنى النفي أي لم يأتكم واحد من ذينك الامرين

المقابلة فلا وجوب وفيه نظر اذ هي دعوى تحتاج لدليل فقد يقال لا مانع من أن يكون حكمه الندب وان كان في مقابلة النعمة ويكون الاعتراف بالنعمة عند تذكرها هو القدر الواجب وزيادة النطق بخصوص هذا الثناء أو بلفظ الحمد ونحوه مستحبا ويبقى الوجوب على حقيقته من ترتب الذم والعقاب على تركه والمدح والثواب على تحصيله والله تعالى أعلم وأما احتمال أن يكون مودع بكسر الدال على انه حال من القائل أي غير تارك الحمد أو غير تارك الطلب والرغبة فيما عنده ففيه مع بعده انه غير ملائم لقوله ولا مستغنى عنه اذ الرواية فيه ليست الا على صيغة المفعول كما هو مقتضى الرسم قال في جمع الوسائل (ربنا) بتثليث الموحدة فالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أي هو ربنا أو أنت ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا أو على انه مبتدا خبره غير مودع الخ بالرفع مقدم عليه والنصب على انه منادى باسقاط حرف النداء أي يا ربنا اسمع حمدنا ودعاءنا أو على المدح أو الاختصاص والجر على انه بدل من الله أو من الضمير المجرور بعن على احتمال انه عائد على الله ويؤيده رواية الدارمي ولا مستغنى عن ربنا * قال المصنف (حدثنا أبو بكر محمد ابن ابان) بالصرف وعدمه (نا وكيع عن هشام الدستوائي) بفتح فسكون ففتح (عن بديل) بضم موحدة وفتح مهملة (ابن ميسرة العقيلي) بالتصغير (عن عبد الله ابن عبيد بن عمير) بالتصغير فيهما (عن أم كلثوم عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام) اللام للعهد الذهني أي طعاما كما في نسخة (في ستة) أي مع ستة أو كائنا في ستة (من أصحابه) وفيه اشارة الى كثرة الطعام (فجاء اعرابي فأكله) ولم يسم الله تعالى (بلقمتين) وفي نسخة في لقمتين والمآل واحد (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سمى لكفاكم) أي الطعام ببركة التسمية وفي نسخة لكفانا وفيه تصريح بعظيم بركة التسمية وفائدتها والظاهر ان هذه الواقعة غير الواقعة المتقدمة أول الباب عن أبي أيوب الانصاري واخبار عائشة بذلك اما عن رؤيتها قبل

عن دليـل صحيح بل عن محض جهل وسفه وعناد وفى القاموس بدا له فى الامر بدوا وبداء وبداة نشأ له فيه رأى وهو فى حق الله تعالى محال لانه لايبدو له شئ كان غائبا عنه ويجئ بدا بمعنى أراد كما فى حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا لله أن يبتليهم أى اراد لاظهر لانه يكفر

(ما أتى بالعقيدتين كتاب * واعتقاد لا نص فيه ادعاء)

الاعتقاد هو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما فى نفس الامر فصحيح والا فباطل والمراد بالنص البرهان القطعى فى اثباته والادعاء الدعوى من غير دليل وهو باطل لانه اختراع فى الدين بمجرد التشهى وعبر بالنص المراد به هنا ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد معين بان خلا عن الاحتمالات العشرة المقررة فى محلها دون الدليل الاعم من ذلك لان الاعتقادات لا يكفى فيها الدليل الظنى والمراد بالعقيدتين التثليث والبداء

(والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء)

الدعاوى جمع دعوى أى ما تدعيه اليهود والنصارى وما مصدرية ظرفية وتقيموا أى تنصبوا البينات الادلة القاطعة لان الكلام فى الاعتقادات ولا يفيد فيها الظن والمراد بالابناء النتائج والادعياء جمع دعى وهو من ينسب الى غير أبيه او من تبناه غير أبيه شبه دعاويهم بوطء الزنا بجامع فساد كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لانه ناشئ عن أصل فاسد وهذه استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم المشبه به الذى هو وطء الزنا وهم الابناء الذين هم نتيجته ورشحت بذكر الادعياء وبين الادعاء والدعاوى والادعياء تجنيس الاشتقاق وفى النظم القياس الاقترانى المركب من مقدمتين حمليتين المنتج انتاج الشكل الاول ونظمه اعتقاد التثليث والبداء دعوى بلا نص وكل دعوى بلا نص باطلة ينتج اعتقاد التثليث والبداء باطل واعلم ان فرق النصارى ثلاث نسطورية ويعقوبية وملكانية ولكل فرقة اعتقاد قال الطبرى فى التاريخ قال الملكانية الله تعالى هو المسيح فنزل فيهم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال النسطورية ان عيسى ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فنزل فيهم وقالت النصارى المسيح ابن الله

الجناب أو بعده أو عن اخبار من النبى صلى الله عليه وسلم أو من غيره قاله ابن حجر * قال المصنف (حدثنا هناد ومحمود بن غيلان قالا نا أبو أسامة عن زكريا) بالقصر ويمد (ابن أبى زائدة عن سعيد بن أبى بردة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد) أى يقبل عليه بأن يستعمله فى طاعته ويثيبه على أكله وشربه ثوابا عظيما فهو احسان مخصوص واكرام عظيم يلاقى عبده به وهذا ظاهر اذا كان أكله على وجه العبادة كأن يأكل بنية التقوى على العبادة والقيام بحق البدن وانما يحتاج الى هذا اذا أريد بالرضا اعلاه وأما مطلق الرضا فيحصل بمجرد التلذذ بالحمد لانه ثناء على الله عز وجل (أن يأكل الاكلة) بفتح الهمزة أى المرة من الاكل حتى يشبع وأما رواية الاكلة بضم الهمزة أى اللقمة فلا تلائم قوله (أو يشرب الشربة) فانه بالفتح لاغير وليست أو للشك من راو خلافا لزاعمه وانما هى للتنويع (فيحمده) هو فى النسخ بالرفع أى فهو أى العبد يحمده (عليها) وفى نسخة بزيادة هذه الجملة بعد الفقرة الاولى أيضا وفيه ان الشكر على النعمة ولو قلت سبب لنيل رضاه تعالى الذى هو أشرف أحوال أهل الجنة لحديث أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا وكان الشكر سببا لذلك الاكرام العظيم لانه يتضمن معرفة المنعم وافتقار الشاكر اليه وفيه أن اصل سنة الحمد يحصل بكل ما يدل على الثناء على الله تعالى وما سبق من حمده صلى الله عليه وسلم المشتمل على تلك الصفات البليغة البديعة انما هو لبيان الاكمل وفيه ان كرمه تعالى لا يشبهه كرم يرزق العبد ويلهمه الحمد والشكر على ذلك ثم يثيبه على ذلك الحمد بما لا نهاية له فهو تعالى يعطى العبد ويعطيه على ذلك العطاء فسبحانه من محسن ما أكرمه ومتفضل ما أرحمه قال بعضهم فى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الآية ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض اضعافا قال سيدى

ابو

وقال اليعقوبية الله تعالى الهو عيسى اله ومريم أمه الهوفيهم نزل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد أشار الناظم للبحث مع الكل والرد عليهم اجمالا وأكثر الكلام مع القائلين بالتثليث وهو ان الله تعالى واحد مركب من ثلاثة أقانيم الوجود والعلم والحياة ويعبرون عنها بالابن والاب وروح القدس بقوله

(ليت شعرى ذكر الثلاثة والوا * حد نقص فى عدكم أو نماء) (٢٤٩)

كيف وحدتم الها نفى التو
حيد عنه الآباء والابناء
أاله مركب ما سمعنا
باله لذاته اجزاء
ألكل منهم نصيب من المل
ك فهلا تميز الانصباء
أتراهم لحاجة واضطرار
خلطوها وما بغى الخلطاء)

أى ليتنى علمت ما تقولون ولا أعلمه ابطلانه أو ليتنى علمت ما أرد به عليكم أبلغ رد فيما صدر عنكم حيث قلتم ان الله ثالث ثلاثة وقلتم مرة أخرى هو واحد أذلك نقص فى عدكم أم نماء أى زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر من عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم كيف وحدتم أيها القائلون بالتثليث الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء اللذان أثبتموهما فى دعواكم التثليث أيمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة أجزاء أو أقل أو أكثر لانا ما سمعنا باله لذاته أجزاء أو جزآن أى بوجود اله كذلك بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما يحيل تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه لو فرض اله مركب من أجزاء أو متعدد قيل لهم ألكل منهم نصيب من الملك أى حظ من التصرف عن قدرة فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفى نسخة

أبو عبد الله بن عباد نفعنا الله به واستقراض الرب من عبده ما وهبه له غاية فى ترفيعه لقدره وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب عليه نهاية فى اكرامه له وتفضله عليه انتهى *(تنبيه)* مما يتعلق بالاكل ما أشار اليه ابن حجر فى الباب قبل ونصه روى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم أتى بصحفة تفور فقال ان الله لم يطعمنا نارا وأبو نعيم عن أنس مرفوعا كان يكره الكى والطعام الحار ويقول عليكم بالبارد فانه ذو بركة ألا وان الحار لا بركة له وروى أبو نعيم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن النوم على الاكل ويذكر أنه يقسى القلب ولذا قال الاطباء من أراد حفظ الصحة فليمش بعد العشاء ولو مائة خطوة ولا ينام عقبه فانه مضر جدا ومما يسهل الهضم الصلاة بعد الاكل ونقل ابن حجر فى هذا الباب ما نصه كان صلى الله عليه وسلم اذا أكل عند قوم لا يخرج حتى يدعو لهم فدعا فى منزل عبد الله بن بسر بقوله اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم رواه مسلم وفى منزل سعد أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة رواه أبو داود وسقاه آخر لبنا فقال اللهم أمتعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة فلم ير شعرة بيضاء رواه ابن السنى وفى خبر مرسل عند البيهقى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلا وروى ابن ماجه والبيهقى مرفوعا اذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وان شبع حتى يفرغ القوم فان ذلك يخجل جليسه وعسى ان يكون له فى الطعام حاجة انتهى

(باب ما جاء فى قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم)

أى فى صفته والقدح هو ما يشرب به قال ابن الاثير هو اناء بين اناءين لا صغير ولا كبير وربما وصف بأحدهما وفى المصباح جمعه أقداح كسبب وأسباب * قال المصنف (حدثنا الحسين بن الاسود البغدادى نا عمرو بن محمد نا عيسى بن طهمان عن ثابت قال أخرج الينا أنس بن مالك قدح خشب) بالاضافة البيانية وهى على معنى من خلافا لما وهمه ابن حجر (غليظا مضببا بحديد) أى مشدودا بضباب من حديد جمع ضبة وهى حديدة عريضة يضبب بها أى يجمع بها الخشب ويمنعها من التفريق وفى بعض النسخ بحجر غليظ ومضبب (فقال) أى أنس (يا ثابت هذا قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم) اشارة الى كمال تواضعه وترك تكلفه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الصحيح ان قدح

فلم لا تميز بالبناء للفاعل أو للمفعول الانصباء أى نصيب كل من الآلهة حتى يكون ذلك التمييز دليلا على ما زعمتموه ولا يتميز فلا تعدد كما هو بديهى و بين الثلاثة والواحد والنقص والنماء المتقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحياء الا تباين فان قالوا لكل نصيب أو انصباء لكنهم خلطوها قيل لهم أتراهم أى تظنهم خلطوا لحاجة أى احتياج واضطرار وهو شدة الحاجة الى الشئ بحيث لا يجد منه مندوحة عنه فان قالوا نعم قيل لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر لشئ مطلقا

لانه غنى بذاته عن غيره فاحتياجه واضطراره دليل قطعى على عدم ألوهيته وان قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا أيتصور وجود شركة دائمة بين شريكين فاكثر والحال انه ما بغى أى ظلم الخلطاء أى الشركاء بعضهم بعضا لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب هذا العالم لانهما ان استويا فى القوة تمانعا ولم يقع فعل من أحدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم أن لا يتم نظام هذا العالم لان الفرض وقوع الشركة وعدم التمييز واحتمال توافقهما دائما الذى يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التى هى مناط الادلة القرآنية والسلائق العربية لان من شأن النفوس ان لا تريد بقاء شريك معها وذلك يمنع دوام الموافقة قطعا ونحن نشاهد هذا العالم باقيا على أكمل وجوه الاتقان وأحكم قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له مطلقا

النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان عند أنس هو قدح جيد عريض أى طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وخفة المعجمة ومعناه العود الخالص وقال بعض أرباب السير أصله من النبع بفتح النون وسكون الموحدة وقيل انه كان من الاثل يميل الى الصفرة وفى الصحيح أيضا انه قد انصدع فسلسل بعضه ببعض بفضة ففى البخارى عن عن عاصم الاحول رأيت قدح النبى صلى الله عليه وسلم عند أنس وكان قد انصدع فسلسله بفضة قال وهو قدح جيد عريض من نضار فيحتمل ان الواصل هو النبى صلى الله عليه وسلم أو أنس وصح أيضا ان أنس بن مالك أراد ان يجعل مكان حلقة الحديد التى كانت فى قدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة من فضة أو ذهب فنهاه أبو طلحة زوج أم سليم والدة أنس وقال لا تغير شيأ صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر واشترى هذا القدح من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف وعن البخارى انه رآه بالبصرة وشرب منه * قال المصنف (حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن نا عمرو بن عاصم نا حماد بن سلمة نا حميد وثابت عن أنس قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) يقال سقى وأسقى وكل منهما يستعمل فى الخير وضده قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال وسقوا ماء حميما وقال لاسقيناهم ماء غدقا وقال وأسقيناكم ماء فراتا خلافا لابن حجر فى قوله ان سقى للخير وأسقى لضده (بهذا القدح) الظاهر ان المشار اليه القدح المذكور فى الحديث السابق اذ لم يثبت فى الاحاديث الصحيحة تعدد القدح النبوى عند أنس (الشراب كله) أى أنواعه كلها وفيه أيضا تعليم الناس زهد النبى صلى الله عليه وسلم وانه فى قدح واحد سقاه الشراب كله على عادته صلى الله عليه وسلم فى اقتصاره على أقل ما يكفى فى كل شئ فلم تكن له أقداح كثيرة وفى ألفية العراقى

أقداحه الرباب والمغيث * وآخر مضبب يغيث *
به اذا ما سهم من حاج * وقدح آخر من زجاج
وقدح تحت السرير عيدان * يقضى به حاجته فى الاحيان

(الماء) هو وما بعده بدل بعض مما قبله واقتصر على هذه الاربعة لكونها أشهر أنواعه (والنبيذ) هو ما يجعل فيه تمرات أو غيرها من الحلاوات كالزبيب والعسل ليحلو وكان ينبذ له صلى الله عليه وسلم أول الليل ويشربه اذا أصبح يومه ذلك والليلة التى تجئ

والغد

(أهو الراكب الحمار فيا عجز اله يمسه الاعياء
أم جميع على الحمار لقد جل حمار بجمعهم مشاء
أم سواهم هو الاله فما نسبة عيسى اليه والانتماء)

هذا وجه آخر فى بطلان التعدد وذلك ان عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم وحينئذ يقال لهم أهو عيسى الاله الراكب الحمار فان قالوا انه هو فركوبه يستدعى حدوثه وتعبه وهو يستدعى عجزه والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا فلذا تعجب من دعواهم فنادى العجز والاعياء التعب وأم متصلة لمعادلتها للهمزة أى أتقولون الثلاثة الذين زعمتموهم آلهتهم على الحمار فيقال

والغد الى العصر فان بقى شئ منه سقاه الخادم أو أمر به فصب رواه مسلم ولعل اعطاء سقاه الخادم لما حدث فيه من الرائحة التى تكره لا خوف الاسكار والا لما سقاه الخادم ولا غيره وهذا النبيذ له نفع عظيم فى زيادة القوة ولم يكن يشرب به بعد ثلاث خوفا من تغيره الى الاسكار (والعسل) أى ماء العسل لانه يلحس ولا يشرب الا ان يقال بالتغليب كذا ذكروه لكن قال تعالى يخرج من بطونها شراب قاله فى جمع الوسائل (واللبن)

(باب صفة فاكهة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

قال الراغب الفاكهة هى الثمار كلها وقيل ما عدا التمر والرمان لعطفهما عليها فى قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان والاصل فى العطف المغايرة ولان التمر غذاء والرمان دواء وقال ابن حجر الفاكهة ما يتفكه به أى ما يتنعم باكله ولا يتغذى به كالطعام ولا يتداوى به * قال المصنف (حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى) بفتح الفاء والزاى نسبة الى بنى فزارة (نا ابراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء) بكسر القاف وبضم وتشديد المثلثة ممدود نوع من الخيار (بالرطب) وورد فى الصحيح انه كان يأكل الرطب بالقثاء ولعل الفرق بينهما ان المقدم أصل فى المأكول كالخبز والمؤخر كالادام وقد أخرج الطبرانى بسند ضعيف ان عبد الله ابن جعفر قال رأيت فى يمين النبى صلى الله عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة انتهى وهو محمول على تبديل ما فى يديه لئلا يلزم الاكل بالشمال قاله فى جمع الوسائل وفى الحديث كما قال النووى جواز أكل الطعامين معا والتوسع فى الاطعمة ولا خلاف بين العلماء فى جوازه وما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا محمول على كراهة اعتياد هذا التوسع والترفه والاكثار منه لغير مصلحة دينية وأخرج أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن بسر السلمى قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر وفيه كما قال القرطبى جواز مراعاة صفات الاطعمة وطبائعها واستعمالها على قانون الطب فانه رأس العلماء والحكماء والاطباء كان يعدل الضد بضده ان أمكن والا تناول بقدر الحاجة من غير اسراف وذلك غير ضار ومن فوائد هذا المركب تعديل المزاج وتسمين البدن أخرج ابن ماجه من حديث عائشة قالت أرادت أمى ان تعالجنى للسمن لتدخلنى على النبى صلى الله عليه وسلم

لكم لقد جل حمار يجمع الآلهة أى مجموعهم مشاء صيغة مبالغة من مشى أم يقولون سوى الثلاثة الذين على الحمار هو الاله فبسبب ذلك يقال لهم على سبيل الاستفهام ما نسبة عيسى اليه أى اخبرونى عن انتماء عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث الذى زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه

(أم أردتم بها الصفات فلم خصصت ثلاث بوصفه وثناء) أم هو ابن الاله ما شاركته فى معانى البنوة الانبياء قتلته اليهود فيما زعمتم ولاموا تكم به احياء)

أى أردتم بها أى بالثلاثة التى زعمتم انها آلهة الصفات القائمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى زائد على الذات فلم خصت أى فلم أفردت ثلاث بوصف الاله جل وعلا وثناء اذ الصفات لا تنحصر فى الاثنين ولا فى الثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل أم يقولون هو أى عيسى ابن الله فيقال لهم لم اختص عيسى بذلك وبقية الانبياء فى ذلك على حد السواء فكان عليكم ان تصفوا جميع الانبياء بما وصفتم به عيسى فادعاء البنوة لعيسى تحكم باطل وقد قتلت عيسى اليهود حال كون قتلهم له انما هو فى القول الذى زعمتم معشر النصارى والحال انه لاموا تكم بعيسى احياء أى رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى فكيف يكون من يحيى الموتى يتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد صدق على ضعف عقولكم لوقوعكم فى

التناقض الصريح ولا تتنبهون له

(ان قولا أطلقتموه على الله تعالى ذكرا لقول هراء)

هذا من القول البديع الجامع أى ان القول الذى حكى عنكم واطلقتموه على الله تعالى عما تقولون أنتم وأمثالكم علوا

كبيرا ذكرا أى ثناء وتعظيما له وفى (٢٥٢) قولكم الله ثالث ثلاثة أو ذكرا تمييز أى تعالى ذكره والهراء

بضم الهاء وفتح الراء الفاحش قال فى القاموس هرأ فى منطقه كمنع أكثر الخنا أو الخطأ والهراء كغراب المنطق الكثير الكلام وفى نسخة بالزاى من هزأ منه وبه كمنع هزأ وهزوا ومهزأة سخر ورجل هزأة بضم فسكون يهزأ منه وبضم ففتح يهزأ بالناس وفى نسخة بالذال المعجمة والهذيان الساقط الذى لامعنى له ولا يصدر من عاقل

(مثل ما قالت اليهود وكل لزمته مقالة شنعاء)

يجوز نصبه حالا أى لقول هزاء حال كونه مثل أو نعتا لمصدر محذوف ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف أى هو مثل بما قالت اليهود أى قولهم بالبداء فالتشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين وكل من الفريقين لزمته بدعواه مقالة شنعاء أى قبيحة جدا

(اذهم استقرؤا البداء وكم ساقوبالا اليهم استقراء)

استقرؤه أى تتبعوه وتصفحوا ما أخذوه منه حتى قال ماعدا العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا ثم

سمعا نسخ ملة بملة لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة بعد خفائها حتى ينسخ مامضى من أجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة

على ذلك ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا وأما قول بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهى فلا يكون نسخا

فممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلف لفظى وادعاء اليهود ان النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ

فما استقام لها ذلك حتى أكلت الرطب بالقثاء فسمنت كأحسن السمن * قال المصنف

(حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعى البصرى حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ) وفى رواية الطبيخ بتقديم الطاء وهى لغة فى البطيخ أيضا (بالرطب) و يقول كما فى رواية على ما فى الجامع الصغير يكسر حر هذا ببرد هذا و برد هذا بحر هذا وهذا يقتضى ان المراد بالبطيخ الاخضر فان فيه برودة يعدلها بالرطب والا فالبطيخ الاصفر حار أيضا و يحتمل ان المراد به الاصفر فان فى الاصفر بالنسبة للرطب برودة وان كان فيه لحلاوته طرف حرارة وهو المعبر عنه بالخربز فى الحديث الذى أشار له فقال (حدثنا ابراهيم بن يعقوب نا وهب بن جرير نا أبى قال سمعت حميدا يقول أو قال نى حميد) المقصود غاية الاحتياط فى عبارة الرواية والا فرتبة السماع والقول واحدة عند المحدثين فى اصطلاحهم (قال وهب وكان) أى حميد (صديقا له) أى لجرير أو بالعكس والجملة حالية معترضة (عن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الخربز) بكسر الخاء والباء (والرطب) أو يحمل الخربز والبطيخ على نوع من الاصفر وهو الذى لم يتم نضجه فان فيه برودة و روى الطيالسى عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل الخربز بالرطب ويقول هما الاطيبان وهو لا ينافى ما رواه أحمد انه صلى الله عليه وسلم سمى اللبن بالتمر الاطيبين * قال المصنف (حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن عبد العزيز الرملى) نسبة الى رملة وهى مواضع أشهرها بلد بالشام كما فى القاموس (نا عبد الله بن يزيد بن الصلت عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب) اراد المصنف ان لهذا الحديث طرقا كثيرة عن عائشة قال العراقى ولم يبين الترمذى فى الجامع والشمائل كيفية أكل البطيخ بالرطب هل يقرن هذا بهذا أو يأكل من هذا القمة ومن هذا القمة وقد ورد التصريح بالثانى فى خبر اه وقد أخرج أبو نعيم فى كتاب الطب له بسند فيه ضعف عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة اليه ذكره العسقلانى و روى الطبرانى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأكل العنب خرطا يقال خرط العنقود واخترطه اذا وضعه فى فيه

ترجع اما لاحوال المكلفين أو للازمنة ولا يقتضى ان الله تعالى ظهر له شئ بعد ان لم يظهر وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البداء عليه لوقوع النسخ منه عز وجل وهذا أغلظ من كفر اليهود وقالت اليهود لعنهم الله تعالى الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه واما قبيح فيستحيل الامر به والجواب ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وعلى تقدير تسليمهما فالعلم العادى قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة فى حق واحد مفسدة فى حق آخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة كذا تنتهى بوقت كذا أو فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ أيضا لان اللفظ الدال على شرع موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اما أن يدل على الدوام أم لا فان دام وضم عليه ما يقتضى نسخه فهو تناقض وان لم ينضم اليه ذلك كفى فى العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ قالوا ومما يمنعه أيضا ما علم تواترا من قول التوراة تمسكوا بالسبت أبدا وجوابه انهم فى زمن بختنصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر بل قيل لم يبق منهم الا ستة أطفال على ان الابد كثيرا ما يطلق ويراد به الزمان الكثير الطويل كما فى مواضع من التوراة * (فائدة) * ذكر الامام الرازى فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته أبدا ومجامع هذه الشرائع العقلية أمران التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها الى ما هو المقصود من الاعمال الى معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية أحوال القلب والروح فى المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور والظواهر الى

ثم يأخذ حبه ويخرج عرجونه عاريا منه كذا فى النهاية والحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وكأنه هذا خال عن الموضوع فانظره مع ما نقله ابن حجر عن العقيلى انه قال لا أصل لهذا الحديث قال ابن حجر وروى فى فضل البطيخ أحاديث كلها باطلة كما قاله الحفاظ * قال المصنف (حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس ح ونا اسحق ابن موسى نا معن نا مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال كان الناس اذا رأوا أول الثمر) بالثاء المثلثة كل رطب يجنى من الثمار والتمر بالتاء المثناة كل يابس (جاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ايثارا له على أنفسهم وحبا له وتعظيما لجنابه الرفيع ونظرا الى أنه أولى بما سيق اليهم من الارزاق وطلبا لمزيد البركة فيما تجدد عليهم من النعم وينبغى ان خلفاءه من العلماء والاولياء مثله فى ذلك قاله ابن حجر (فاذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) طالبا لمزيد الانعام على وجه يعم الخاص والعام وداعيا بالبركة فى الاقوات فى عموم الاوقات اشارة الى انها الاصل فى أمور معاشهم المعينة على أمور معادهم (اللهم بارك لنا فى ثمارنا) أى بالنمو والحفظ من الآفات (وبارك لنا فى مدينتنا) أى بكثرة الارزاق ودوامها على أهلها وباقامة شعائر الدين فيها واظهارها على غاية لا توجد فى غيرها فهو تعميم بعد تخصيص قاله ابن حجر قلت وبتضعيف أجر العاملين فيها وقد ورد صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه من المساجد قال ابن مخاص فان قيل أى بركة فيها وهى بلد الجوع ولا زرع فيها ولا ضرع وهذا سؤال توجهه الملحدة فالجواب انا نقول البركة فى اللغة هى الزيادة والنماء فاذا وردت فى الشريعة فانما المراد بها سلامة الدين وقلة الحساب وكثرة النماء فى الاجر وهذا كقوله تعالى يمحق الله الربا وأنت تراه يتكاثر ويربى الصدقات وأنت تراها تنقص المال وتفنيه لكن المعنى عائد الى ما بيناه اه وهذا الجواب بعيد من السياق متكلف كما لا يخفى وقال القرطبى اذا وجدت البركة فيها فى وقت حصلت اجابة الدعوة ولا يلزم دوامها فى كل حين ولكل شخص اه وقد ضاعف مولانا جل وعلا خيرها بما جلب اليها فى زمن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين من مشارق الارض ومغاربها ككنوز كسرى وقيصر وخاقان مما لا يحصى ولا يحصر وفى آخر الزمان يأرز الدين اليها من أقاصى الارض وشاسع البلاد كما تأرز الحية الى جحرها على ما ورد به

نابيد السرائر وقال غيره حكمته ان الخلق طبعوا على الملالة من الشئ فوضع فى كل عصر رسول بشريعة جديدة لينشطوا فى ادائها ومن حكمته اظهار شرف نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نسخ شريعته بشرائعهم وشريعته لا ناسخ لها ومن حكمته أيضا مافيه من حفظ مصالح العباد كطبيب أمر بدواء يوما وبآخر فى يوم آخر وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثانى أثقل * واعلم ان شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا

واختلفوا فى شريعة عيسى هل هى ناسخة لشريعة موسى عليهما السلام أو مخصصة وهو الاظهر لقوله تعالى ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وقال الامام فى تفسيره روى ان الرسل بعد موسى عليهم الصلاة والسلام كلهم على شريعته الا عيسى عليه السلام

(وأراهم لم يجعلوا الواحد القهار فى الخلق فاعلا مايشاء)

أى أعلم انهم لقولهم بذلك أعنى امتناع النسخ لئلا يلزم البداء لم يجعلوا أى لم يعتقدوا الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله فلا شريك له بوجه ما القهار فى الخلق أى للخلق على نفوذ ما أراده فيهم ويصح تعليق فى الخلق بفاعلا مايشاء لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه تعالى عن ذلك

(جوزوا النسخ مثل ماجوزوا المسخ * عليهم لو انهم فقهاء)

جوزوا النسخ جواب لو وما مصدرية أى لو انهم فقهاء فهماء لجوزوا النسخ تجويزا مثل تجويز المسخ الذى وقع فيهم فانهم ان مسخوا قردة وخنازير فبدلت صورتهم الى صورة أقبح منها هذا قول الجمهور وقال مجاهد حولت قلوبهم فصاروا لا يفهمون بمنزلة قلوب القردة والخنازير

(هو الا أن يرفع الحكم بالحكم * وخلق فيه وأمر سواء)

الخبر وهذا الجواب الذى ذكره القرطبى بعيد أيضا فان المراد من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لها حصول البركة فيها دائما والظاهر فى الجواب ان يقال لا يلزم من حصول البركة فيها عدم الضيق والحاجة فان ثمارها وما يجلب اليها بالنسبة الى سكانها وعمارها شئ قليل لا يكفى فى غيرها من البلدان الا القليل من الناس ولكن ببركة دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لها كان فى قليل ثمارها كفاية لكثير سكانها كما اختاره النووى فى معنى البركة فى صاعها ومدها وسيأتى (وبارك لنا فى صاعنا) هو أربعة أمداد أى بمده صلى الله عليه وسلم بالاتفاق (وبارك لنا فى مدنا) هو ملء كفين متوسطتين لا مقبوضتين ولا مبسوطتين وتحتمل البركة فى الصاع والمد وجوها اختار النووى منها ان المراد البركة فى نفس المكيل من زرع وتمر وغير ذلك بحيث يكفى المكيال فيها ما لا يكفى اضعافه فى غيرها وقد استجاب الله دعاءه كما هو محسوس قال ابن حجر وينبغى لكل آخذ باكورة ان يدعو بهذا الدعاء المبارك الى هنا (اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك) من الخلة بضم الخاء وهى الصداقة والمحبة التى تخللت القلب وتمكنت فى خلاله وقد بسط القول فيها وما فيها من الخلاف فى الشفاء فانظره (ونبيك وانى عبدك ونبيك) توسل بالعبودية والنبوة وقدم العبودية لانه لا شرف أعلى منها ولم يزد وخليلك تواضعا فان اللائق بمقام الدعاء التواضع والانكسار لا التمدح والافتخار وأدبا مع أبيه ابراهيم الخليل والا فهو خليل كما ورد فى عدة أخبار بل خص صلى الله عليه وسلم بمقام المحبوبية التى هى أرفع من مقام الخلة (وانه دعاك لمكة) بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وقد استجاب الله دعاءه فرزقهم وهم فى أودية ليس فيها شجر ولا ماء كما قال تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ (وانى أدعوك للمدينة بمثل مادعاك به لمكة ومثله معه) الضميران لمثل مادعاك واعلم أن دعاء ابراهيم عليه السلام لاظهار حرمة مكة لا لابتدائها ودعاء النبى عليه السلام لابتدائها اذ لم يكن للمدينة احترام قبل حلوله بها ودعائه لها ومكة والمدينة أفضل بقاع الارض وفى الافضل منهما خلاف (قال) أى أبو هريرة (ثم يدعو أصغر وليد) أى صغير (يراه فيعطيه ذلك الثمر) فى رواية لمسلم اصغر وليد له فيعطيه فاما

أى ليس النسخ الا أن يرفع الحكم الشرعى بالحكم الشرعى والمراد بالمرفوع استمراره وتعلقه لاذاته لانه خطاب الله تعالى القديم المتعلق بفعل المكلف من حيث انه مكلف اقتضاء أو تخييرا وماثبت قدمه استحال عدمه قوله وخلق أى ايجاد فيه أى المسخ باذهاب الصورة الاولى وايجاد الصورة الثانية وأمر أى تصرف برفع الحكم الاول وايجاد الثانى سواء أى مستو لان المسخ فيه رفع الصورة الاولى بالثانية والفسخ فيه رفع الحكم الاول بالثانى فاذا

أن تؤول هذه الرواية بأن المراد أصغر وليد للمؤمنين وليس المراد من أهل بيته خاصة وهذا هو المناسب لحسن عشرته وكمال شفقته ورحمته أو يحمل المطلق على المقيد وفى الجامع الصغير كان اذا أتى بباكورة الثمر وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان رواه ابن السنى عن أبى هريرة والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وانما آثر بذلك الصبيان لشدة فرحهم وكثرة رغبتهم أو لكمال المناسبة بين الباكورة وبينهم لقرب عهدهما بالابداع وتعالم يأكل منه اشارة الى أن النفوس الزكية والاخلاق المرضية لاتتوق الى تناول شئ من أنواع الباكورة الابعد عموم الوجود فيقدر كل أحد على تحصيله * قال المصنف (حدثنا محمد بن حميد الرازى نا ابراهيم بن المختار عن محمد بن اسحق عن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن الربيع) بضم الراء وفتح الموحدة وتشديد التحتانية المكسورة (بنت معوذ) بتشديد الواو المكسورة ونقل العسقلانى انها بالفتح على الاشهر (ابن عفراء) استشهد ببدر وهو الذى قتل أبا جهل وعفراء أمه وأبوه الحرث (قالت بعثنى معاذ بن عفراء) هو عمها وهو المشارك لاخيه فى قتل أبى جهل ببدر وحز رأسه وهو مجروح مطروح بكم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (بقناع) بكسر القاف الطبق الذى يؤكل فيه وقيل الذى يهدى عليه (من رطب) أى فيه بعض رطب (وعليه) أى على قناع الرطب (أجر) جمع جرو وهو الصغير من كل شئ حتى الحنظل والبطيخ ونحوه والمراد هنا القثاء كما بينه بقوله (من قثاء) بكسر أوله ويضم (زغب) بالجر نعت لقثاء وبالرفع نعت لأجر وهو المناسب لما سيأتى من قوله وأجر زغب وشبه وبر القثاء بالزغب وهو صغار الريش أول مايطلع (وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأتيته به) أى بالقناع المذكور وفى نسخة بها أى بالاشياء المذكورة (وعنده حلية) الواو للحال والحلية على وزن لحية مايتزين به من ذهب أو فضة أو غيرهما (قد قدمت عليه) اى وصلت اليه (من البحرين) اى من خراجهما وهو بلفظ التثنية ويعرب اعرابها موضع بين البصرة وعمان وهو من بلاد نجد (فملأ يده) اى كفه كما فى الرواية بها (منها) اى من الحلية (فأعطانيه) وفى هذا عظيم سخائه وجوده ومروآته ورعاية كمال المناسبة فان الانثى أحق بما يتزين به * قال المصنف (حدثنا على بن حجر أنا

جوزتم الاول فجوزوا الثانى والا تبين سفهكم وعنادكم *(تنبيه)* قال ابن الحاجب فى مختصره الاصلى النسخ رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر اه وقال فى الجمع وشرحه اختلف فى أن النسخ رفع للحكم أو بيان لانتهاء أمره والمختار الاول لشموله النسخ قبل التمكن والصحيح جوازه والمراد من الاول انه رفع الحكم الشرعى بخطاب والمراد رفعه من حيث تعلقه بالفعل وخرج بالشرعى رفع الاباحة الاصلية وخرج بخطاب الرفع بالموت والجنون والغفلة

(والحكم من الزمان انتهاء
والحكم من الزمان ابتداء)

قوله انتهاء أى غاية يرتفع عندها تعلقه وابتداء أى افتتاح فيجب امتثاله وقول الشارح ان الناظم اشار الى تفسيرين فى النسخ لايصح لان حقيقة الرفع مستحيلة والمرتفع تعلقه وعلى كل فجواز النسخ رفعا وبيانا وسواء جعلنا المسخ فى صورهم حتى صار أقاربهم المؤمنون لا يعرفونهم وهم يعرفونهم فكان القرد يجئ الى قريبه ويتمسح به وتدمع عيناه فيقول له ألم أنهك عن المخالفة فيشير برأسه أن نعم أم فى قلوبهم فقط كما قال مجاهد وقد قالوا قلوبنا غلف

(فسلوهم أكان فى صحفهم نسخ لآيات الله أم انشاء)

شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بفتح فكسر هو أخو على بن أبى طالب رضى الله عنه (عن الربيع بنت معوذ بن عفراء قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب وأجر زغب فاعطانى ملء كفه حليا) بضم فكسر فتشديد تحتية وفى نسخة بفتح فسكون تحتية (أو قالت ذهبا) للشك من الراوى عن الربيع أو ممن دونه وفى هذا المكافأة على الهدية القليلة بالعطاء الجزيل

(باب صفة شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

هو ما يشرب من المائعات اى بيان ما كان يشربه صلى الله عليه وسلم (حدثنا ابن أبى عمر نا سفيان) اى ابن عيينة كما سيأتى (عن معمر عن الزهرى عن عروة) اى ابن الزبير (عن عائشة قالت كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلو البارد) يحتمل أن يكون أحب اسم كان والحلو البارد خبرها ويحتمل العكس والمراد بالحلو البارد الماء العذب لما روى أبو داود انه صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا وهى بضم السين المهملة وسكون القاف عين بينها وبين المدينة يومان قال ابن بطال واستعذاب الماء لا ينافى الزهد ولا يدخل فى الترفه المذموم بخلاف تطييبه بنحو المسك فقد كرهه مالك لما فيه من السرف وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه وليس فى شرب الماء المالح فضيلة وشرب الماء الحلو البارد فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق واخلاص الشكر له من غير أن يكون فيه اشعار بتكلف بخلاف المآكل ولذا كان يستعمل أنفس الشراب لا أنفس الطعام غالبا اه والحاصل ان استعذاب الماء لا يتضمن سرفا بخلاف انتخاب الطعام فانه يستدعى السرف وكثرة الاكل المؤدى الى كثرة الشبع الذى هو مبدأ كل شر وكان أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره يقول اذا شربت الماء الحلو أحمد ربى من وسط قلبى وفى التنوير قال الشيخ أبو الحسن قال لى شيخى يا بنى برد الماء فان العبد اذا شرب الماء السخن قال الحمد لله بكزازة واذا شرب الماء البارد فقال الحمد لله استجاب كل عضو فيه بالحمد لله ويحتمل أن يكون المراد بالحلو البارد الماء الممزوج بالعسل قال ابن القيم فان فيه من حفظ الصحة ما لا يهتدى لمعرفته الا أفاضل الاطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ويغسل خمل المعدة ويجلو لزوجتها ويدفع عنها الفضلات ويسخنها باعتدال ويفتح سددها والماء البارد

فى صدر البيت التفات عن خطابهم مبالغة فى تحقيرهم اى جعلهم قردة وخنازير فى الصورة على المشهور أو فى قلوبهم بجعلها كقلوب البهائم لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد اهو نسخ لآيات الله تعالى وهى الصورة الاولى مع احكامها أو الادراك الاول على قول مجاهد أم انشاء أى ايجاد صورة مستقلة وحكم مستقل يتعلق بها أو للادراك كذلك فان قالوا بالاول فقد ناقضوا أنفسهم ولزمتهم الحجة أم بالثانى فهى مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشاء الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة للصورة الاولى نسخ وبالنسبة للثانية البهيمية انشاء

(وبداء فى قولهم ندم الله على خلق ادم أو خطاء)

أى سلوهم عن قولهم المروى عنهم ندم الله على خلق آدم أهو عن قصد منهم أو عن خطا فان قالوا عن قصد كان عين البداء الذى أنكروه ولانه يستلزم جهل الرب عز وجل بعواقب الامور وحينئذ فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا تناقض وان قالوا انه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف على نفسهم وانهم فى غاية الغباوة والسفاهة وبداء مبتدأ وفى قولهم خبره وخطاء معطوف على بداء وأصله القصر

(أم محا الله آية الليل ذكرا بعد سهو وليوجد الامساء)

أى وسلوهم عن علامة الليل هل أذهبها الله تعالى ذكرا بضم الذال اى عن ذكر أى علم وقصد بعد سهو وليوجد الامساء أى الظلام بعد النهار أى قولوا لهم هل هذا المحو واقع أم لا وبفرض وقوعه فهل هو عن عمد بعد سهو أو عن عمد ابتداء فان قالوا بالاول لزمهم القول بالنسخ لانه بمنزلته أو بالثانى من الترديد الاول فقد كابروا الحس أو من الترديد بالثانى لزمهم القول بالبداء لان من جوز السهو يجوز البداء لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وبين ذكرا وسهو جناس التطابق كحرم

رطب

(أم بدا لله في ذبح إسحق وقد كان الأمر فيه مضاء)

أي ومن لومهم عن أمر الله بذبح اسحق ثم نسخه بعد ان كان الامر فيه مضاء أي ماض نافذ وفي نسخة قضاء بالقاف أي حتم برؤيا أبيه ابراهيم خليل الله تعالى عليهما السلام في نومه أمر **(٢٥٧)** الله تعالى بذبحه ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحي * (تنبيه) * ما جرى عليه الناظم رحمه الله من أن الذبيح هو اسحق هو قول علي وابن مسعود وأهل الكتابين واستدل له بأمرين أحدهما ان البشارة المعروفة لابراهيم بالولد انما كانت باسحق لقوله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب والثاني ما روى ان يعقوب عليه السلام كان يكتب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله واقتصر الناظم على هذا القول لانه في مقام الرد على اليهود وهذا هو معتقدهم ومذهب أهل السنة ان الذبيح هو اسمعيل واستدل له بثلاثة أوجه أحدها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وأن بعض العرب قال له ذلك فاقره ويعني بهما اسمعيل وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم حين نذر والده عبد المطلب أن يذبحه ان يسر الله له أمر زمزم ففداه بمائة من الابل * ثانيهما ان الله تعالى قال بعد قصة الذبيح وبشرناه باسحق فهذا يدل على ان الذبيح غيره والثالث انه روى ان ابراهيم انما جرت له قصة الذبح بمكة والذي كان بمكة هو اسمعيل وقد أنشد بعضهم

ان الذبيح حديث اسمعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتأويل

وانظر اوائل المواهب فله هنا كلام حسن جدا

رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن ويحتمل أن المراد الماء المنقوع فيه تمر أو زبيب وكان صلى الله عليه وسلم يشرب اللبن خالصا تارة وبالماء البارد أخرى لان اللبن عند الحلب يكون حارا وتلك البلاد حارة غالبا فكان يكسر حره بالماء البارد وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم دخل على أنصاري في حائط له يحول الماء فقال له ان كان عندك ماء بات في شن أي قربة خلقة والا كرعنا فانطلق للعريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب صلى الله عليه وسلم وحاصل عنوان الباب الحلو البارد أحب الشراب اليه وهو لعمومه يشمل الماء القراح والمخلوط بالحلاوة واللبن الخالص والمخلوط بالبارد فلا يشكل بما يأتي انه كان يقول في اللبن زدنا منه وفي غيره أطعمنا خيرا منه مع ان المراد من غيره هو الطعام لا الشراب فيرتفع الاشكال من أصله قاله في جمع الوسائل وفي ابن حجر يجاب بان الاحبية هنا أحبية مخصوصة أي كان أحب الشراب الذي هو ماء أو فيه الماء * قال المصنف (حدثنا أحمد بن منيع نا اسمعيل بن ابراهيم نا علي بن زيد عن عمر هو ابن أبي حرملة عن ابن عباس قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا باناء من لبن فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على يمينه وخالد عن شماله) على في الاول وعن في الثاني تفنن (فقال لي الشربة لك) أي لانك صاحب اليمين وقد ورد الايمن فالايمن رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن عن أنس قال في جمع الوسائل ويستفاد منه تقديم الايمن ندبا ولو صغيرا ولذا قال (فان شئت آثرت بها خالدا) لانه أكبر من ابن عباس سنا اهـ قلت انظر من أين يستفاد كون تقديم الايمن ندبا وأما قوله الشربة لك فانما يفيد ان الحق له في ذلك وهل هو حق واجب له أو ليس بواجب يحتمل ما هو أعم وأما قوله فان شئت الخ فلا يدل على الندب وانما يدل على ان الحق في ذلك للمخلوق فله اسقاطه ثم في نسبة المشيئة اليه تطييب لخاطره وتنبيه على ان له الايثار وانه أولى له لان ذلك مقتضى الادب مع الكبير قال ابن حجر قد يشكل على ذلك قول أئمتنا يكره الايثار بالقرب وقد يجاب بان محل ذلك حيث آثر من ليس أولى منه بذلك والا فلا كما هنا وكتقديم غير الافقه مثلا الافقه في الامامة فلا كراهة اهـ قلت ظاهره تسليم انه من باب الايثار بالقرب لكنه ليس بمنهي عنه في هذا ونحوه وقد اعترضه في جمع الوسائل فقال هذا غريب فانه اذا قدم من هو أولى منه في

(أو ماحوم الاله نكاح الأخت بعد التحليل فهو الزناء)

هذا مما يرد عليهم أيضا فى انكارهم النسخ وهو ان نكاح الاخت كان حلالا فى شريعة آدم كما تقدم ثم حرمه الله فان اعترفوا بذلك فهو عين النسخ وان جحدوه فهو محض عناد

(لا تكذب أن اليهود وقد زاغوا عن الحق معشر لؤماء) (٢٥٨)

أى واذ قد بان لك قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم وأعرض عنهم ولا تكذب انهم قد زاغوا أى مالوا عن الحق من وجوه عديدة سفها وحسدا معشر أى قوم لؤماء جمع لئيم وهو الشحيح النفس

(جحدوا المصطفى وآمن بالطاغوت قوم هم عندهم شرفاء)

جحدوا بدل من زاغوا والمصطفى المختار من الصفوة أو المصفى من كل نقص أى أنكروا نبوته ورسالته بعد علمهم بها علما يقينيا قال الله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والحال انه قد آمن بالطاغوت أى الشيطان وكل ما عبد من دون الله أو صد عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء فاعل آمن وهو كالذى بعده بيان لعظيم لؤمهم وزيغهم عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس وأقروا من آمن بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس كذلك بل كلهم آمنوا به لقوله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ويصح أن يكون المراد بكل وآمن بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الآية حينئذ و يقولون أى اليهود للذين كفروا اى كفار العرب الذين آمنوا بالجبت الخ ويدل على هذا أن حى بن أخطب لما ذهب الى قريش وغيرهم ليحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم ومعهم أشراف من اليهود سألوهم أنحن خير دينا أم محمد قالوا انتم ففرحوا وخرجوا للقتال

الامامة وغيرها لا يسمى ايثارا وانما الايثار اذا كان متساويا مع غيره فى الاستحقاق أو هو أولى من غيره فى الارتفاق كما يدل عليه قوله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة اهـ قلت وعلى تسليم انه من باب الايثار فالظاهر أن يقال ليس فيه ايثار بقربة فان المقام مقام تشريع وتعليم ولم ينظر النبى صلى الله عليه وسلم الى ما لسؤره من المزية والفضيلة وانما نظر الى أن الحق فى الشرب لصاحب الايمن من غير تفريق بين سؤر وسؤر ليكون الحكم عاما منطبقا على جميع الجزئيات فرغب ابن عباس فى اسقاط حقه هذا فنظر ابن عباس الى ما لسؤره صلى الله عليه وسلم من الشرف والفضل فحمله ما عنده من تعظيم جانب المصطفى صلى الله عليه وسلم على ان قال ما قال به هذا قرره شيخنا المحقق سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى أبقى الله علينا من بركاته لما تفاوضت معه فى المسئلة فان قيل قد استأذن فى هذا الخبر الايمن وهو ابن عباس ولم يستأذن اعرابيا قعد على يمينه والصديق على يساره فى قصة نحو هذه فالجواب انه انما استأذن ابن عباس ادلالا عليه وثقة بطيب نفسه بأصل الاستئذان لاسيما والاكبر هو خالد قريبه وقريب العهد بالاسلام مع رياسته فى قومه وشرف نسبه بينهم فأراد تطييب خاطره وتألفه بذلك وأما الصديق فانه مطمئن الخاطر راض بكل ما يفعله المصطفى لا يتغير ولا يتأثر انظر المناوى (فقلت ما كنت لاوثر على سؤرك أحدا) يحتمل ان على هنا بمعنى الباء أى ما كنت لافضل بسؤرك أحدا ويحتمل أن تكون على بابها ويقدر فى الكلام مضاف أى لاوثر على سؤرك سؤر أحد وهو حسن لا ركاكة فيه خلافا لابن حجر فان من المعلوم ان خالدا انما كان يشرب سؤره صلى الله عليه وسلم كله ولا يطابق اللفظ هذا المعنى الا بتقدير ذلك المضاف ويحتمل أن تكون تعليلية قال القرطبى وهذا قول أبرزه ما كان عنده من تعظيم المصطفى واغتنام بركته مع صغر سنه وليس فى كلام المصطفى أمر حتى يتحتم عليه اجابته اهـ وقال ابن مخلص فيه ندب الاصاغر وتعليمهم الادب والايثار والاكرام لمن هو أكبر منهم سنا وفيه ان الصغير اذا تمسك بحقه فهو أولى به لاسيما فى الامور الدينية كما فى هذا الحديث وابن عباس رضى الله عنهما كبير القدر عالى الهمة لكنه لم يقدر أن يؤثر بسؤر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وهذا على عادتهم فى تعظيمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة محبتهم فيه والتبرك

قتلوا بذل بعد بدل والانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم أقاموا سوق معاشهم واتخذوا العجل الها ومعبودا مع ان السامرى هو الذى صاغه لهم بحضرتهم من الحلى الذى استعاروه من القبط قبل غرقهم وألقى فيه قبضة من تراب أخذه من تحت حافر فرس جبريل الذى جاء به لفرعون حتى دخل وراءهم البحر لما انفلق لهم لانه كان أنجم عن دخوله فبمجرد أن ألقى فيه تلك القبضة خور فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله تعالى علينا مبسوطا في كتابه العزيز ومن ثم كان في كلامه اقتباس كقوله الا انهم هم السفهاء وألا حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع في القاء سمعه لما بعدها فجهلهم مركب والسفهاء جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأى وانطماس بصيرة ومن ثم لم ينظروا الى كونه محدثا بحضرتهم من جماد والاله لا يكون كذلك عند من له أدنى عقل وتمييز بين أدنى أنواع سفههم بقوله ملمعا لما وقع

(وسفيه من ساءه المن والسلوى وأرضاه الفوم والقثاء)

سفيه خبر مقدم ومن ساءه مبتدأ مؤخر أى أحزنه والمن نوع من الحلواء كان ينزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار والسلوى طير من أشهى الطيور لحما وأنفعها وأطيبها غذاء كان يأتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيمدوا أيديهم اليه ويأخذوا منه ما شاؤا والفوم الثوم والقثاء الخيار ونحوه وفي كلامه اقتباس من آية البقرة وبين ساءه وأرضاه طباق وفي المن والسلوى والفوم والقثاء مراعاة النظير

بكل شئ منه لا يقدمون على ذلك شيأ اه قال في جمع الوسائل لكن نقل ابن عباس عن ان سؤره صلى الله عليه وسلم مع بقاء سؤر خالد أفضل فكان الايثار موجبا للاكمل فان سؤر المؤمن شفاء ولذا لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يشرب ماء زمزم قال العباس للفضل هات الشربة من البيت فان ماء السقاية استعملته الايدى فقال صلى الله عليه وسلم انما أريد بركة أيدى المؤمنين أو ما هذا معناه وفي الجامع الصغير انه صلى الله عليه وسلم كان يبعث الى المطاهر اى السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدى المؤمنين رواه الطبرانى وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر اه قلت وقد يقال مراد ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن لا يكون بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم واسطة وأن يكون شربه متصلا وموالياً لشربه صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك شرفا ومزية وغنيمة ونظيره هذا الاخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة والاخذ عنه بواسطة وشتان ما بينهما فنظر ابن عباس بهذا الاعتبار أعلى وأتم والله أعلم (ثم قال صلى الله عليه وسلم من أطعمه الله طعاما فليقل) اى ندبا بعد أكله والحمد عليه لان حال الاكل لا يقال أطعمنا خيرا منه أو زدنا منه كما هو ظاهر خلافا لابن حجر والمناوى حيث قالا فليقل حال الاكل فان أخره الى ما بعده فالاولى أن يقوله بعد الحمد قاله في جمع الوسائل قلت أى فائدة للدعاء بالبركة فيه اذا كان بعد الفراغ من أكله اللهم الا أن يكون المراد بالبركة النمو والزيادة فيما ينشأ عنه كالتقوية به على العبادة ونحو ذلك من الافعال السنية والاخلاق المرضية * وقد نقل شيخنا العلامة في شرح الحصن كلام الشارحين وسلمه قائلا لعل مستندهما في كون الدعاء بعد الشروع لا قبله التمسك بظاهر قوله اذا أكل أحدكم يعنى في رواية أبى داود فانه ظاهر في وقوع الاكل الصادق ببعضه أو بكله ولا مقتضى لحمله على المجاز الذى هو اذا أراد الاكل وأما أولوية كونه بعد الحمد اذا أخر فظاهر من تقديم الثناء على الدعاء كما هو شهير اه (اللهم بارك لنا) أى معشر المسلمين أو الآكلين (فيه وأطعمنا خيرا منه) أى من الطعام الذى أكلناه (ومن سقاه الله لبنا) خالصا أو ممزوجا بماء أو غيره (فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) فيه انه لا خير من اللبن بالنسبة لكل أحد وبالنسبة لكل شراب ولكل طعام حتى الثريد واللحم وان كان سيد الادام كما سبق وأشار المصنف الى دليله بقوله (قال) أى ابن عباس (وقال رسول الله

(ملئت بالخبيث منهم بطون * فهى نار طباقها الامعاء)

صلى الله عليه وسلم ليس شئ يجزى مكان الطعام والشراب) أى يقوم مقامهما ويغنى عنهما معا (غير اللبن) لكونه يغذى ويسكن العطش وغير بالنصب على الاستثناء وبالرفع على البدل وبهذا علم ان سائر الاشربة لا تلحق باللبن فى ذلك بل بالطعام ويشير الى ذلك تعليل الدعوة فى اللبن بما يخصه وهو انه يقوم مقام الطعام والشراب (قال أبو عيسى) يعنى المصنف فى بيان بعض ما يتعلق برواية الحديثين المتقدمين (هكذا) اى مثل ما سبق فى ايراد اسناد الحديث الاول (روى سفيان بن عيينة هذا الحديث) يعنى الاول (عن معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة) اى متصلا كما ذكرناه وله اسناد آخر يكون به مرسلا أشار له بقوله (ورواه عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق وغير واحد) اى وكثير من الرواة (عن معمر عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم) زاد فى بعض النسخ مرسلا اى بحذف الصحابى مع قطع النظر عن اسقاط عن عروة فان الزهرى أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الاعلام من التابعين سمع سهل بن سعد وأنس بن مالك وأبا الطفيل وغيرهم وروى عنه خلق كثير قاله فى جمع الوسائل * وقال المناوى فصار بترك الصحابى مرسلا وبترك التابعى منقطعا (ولم يذكروا) اى ابن المبارك والاكثرون (فيه) اى فى هذا الاسناد (عن عروة عن عائشة وهكذا روى يونس وغير واحد عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا) اى فيكون ابن عيينة منفردا من بين أقرانه فى اسناده موصولا ولهذا قال (قال أبو عيسى وانما اسنده ابن عيينة من بين الناس) أى فيكون حديثه غريب الاسناد والغرابة لا تنافى الصحة والحسن كما هو مقرر فى محله وحاصله ان سند الارسال أصح من سند الاتصال كما صرح به المصنف فى جامعه فقال والصحيح ما روى عن الزهرى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا اه وهو لا يضر فان مذهب الجمهور ان المرسل حجة وكذلك عند الشافعى اذا اعتضد بمتصل قاله فى جمع الوسائل وقال ابن حجر بين المصنف ان هذا الحديث روى مسندا ومرسلا ولم يبين حكم ذلك لشهرته وهو ان الحكم للاسناد وان كثرت رواة الارسال لان مع المسند زيادة علم * قال المصنف وهو حديث حسن اه (وميمونة) أى المذكورة فى الحديث الثانى (بنت الحرث) أى الهلالية العامرية (زوج النبى صلى الله عليه وسلم) هى أول امرأة أسلمت بعد خديجة يقال ان اسمها كان برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم ميمونة

المراد بالخبيث ما سالوه من القوم وما معه وبطونهم نائب ملئت ومنهم صفة لها تقدمت عليها فصارت حالا وامتلاؤها بذلك لتناسب ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة والمراد ملئت بالداء الخبيث الذى لا دواء معه وهو الغل وما بعده والظاهر ان المراد بالخبيث الحرام وأكل السحت والربا وقوله فهى نار أى مشتملة على ما يؤدى اليها أو سماها نارا اعتبارا بالمآل كما فى انى أرانى أعصر خمرا والطباق جمع طبق والضمير للنار والامعاء جمع معى بكسر الميم والقصر اى مصارينهم طباق للنار اى معى ثم نار فوقه ثم معى ثم نار فوقه وهكذا ويصح أن المراد ان بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها أمعاؤهم

(لو أريد وافى حال سبت بخير
كان سبتا لديهم الاربعاء)

السبت مصدر سبت اليهود اذا عظموا السبت بالسكون فيه عما عدا العبادة وأصله القطع والباء فى بخير قيل زائدة والاربعاء بتثليث الباء وهذا من حيث ترتبه على ما قبله بطريق الملازمة المستفادة من لو فى غاية الاشكال ووجهه ابن حجر بأن السبت من مادة القطع والاربعاء محل النور الحسى والمعنوى فلو أريد بهم الخير لجعل قطعهم وصلا وجعل محل عباداتهم زمان خلق الانوار التى هى ثمرة العبادة لكنهم لم يرد بهم خير فجعل محل عباداتهم يوم السبت المؤذن بالقطع وعدم الاعتداد بعباداتهم * وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل أى وفيه اشارة الى أن الجميع مخلوق له ولبنيه وهذا صريح فى أن الله ابتدأ الخلق يوم السبت وبه قال كثير بل قال السهيلى فى روضه لم يقل بأن أوله الاحد الا ابن

كانت

كانت تحت مسعود بن عمرو الثقفى فى الجاهلية ففارقها فتزوجها أبورهم بن عبد العزى وتوفى عنها فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة سنة سبع فى عمرة القضاء بسرف على عشرة أميال من مكة وقدر الله تعالى انها ماتت فى المكان الذى تزوجها وبنى بها فيه بسرف سنة احدى وستين عن ثمانين سنة وصلى عليها ابن عباس ودفنت فيه وهو موضع بين التنعيم والوادى فى طريق المدينة وبنى على قبرها مسجد يزار ويتبرك به وهى أخت لبابة الكبرى أم بنى العباس ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد وأخت أسماء بنت عميس لام زوجة جعفر وأخت سلمى بنت عميس امرأة حمزة وهى آخر من تزوج النبى صلى الله عليه وسلم قيل وهى التى وهبت نفسها من النبى صلى الله عليه وسلم لانها لما جاءتها خطبته وهى على بعيرها قالت البعير وما عليه لله ولرسوله وجعلت أمرها للعباس فأنكحها النبى صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة منهم عبد الله ابن عباس (هى خالة خالد بن الوليد وخالة ابن عباس وخالة يزيد بن الاصم) بين بهذا وجه دخولهما على ميمونة وذكر يزيد استطرادا وهى أيضا خالة عبد الله بن شداد بن الهاد (واختلف الناس فى رواية هذا الحديث) أى الحديث الثانى (عن على بن زيد بن جدعان) بضم الجيم وسكون الدال المهملة (فروى بعضهم عن على بن زيد عن عمر بن أبى حرملة) كما سبق فى الاسناد (وروى شعبة) أى من بين المحدثين (عن على بن زيد فقال) أى شعبة فى اسناده (عن على عن عمرو بن حرملة والصحيح عمر بن أبى حرملة) الصحة فى موضعين الاول عمر بلا واو والثانى ابن أبى حرملة على الكنية وانما أعاد هذا مع استفادته من ايراد اسناده لبيان المراد بالتصريح ولمقام الاختلاف بالتصحيح قاله فى جمع الوسائل

تم

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله باب ما جاء فى صفة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم)

جرير وانتصر له القفال بأن الخبر السابق تفرد به مسلم وتكلم فيه البخارى وغيره وجعلوه من كلام كعب وان أباهريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا ولا يخفى ان من حفظ الرفع حجة على من نفاه ومما يؤيد انهم لم يرادوا بخير فى حال سبت أن الله تعالى ادخر لهذه الامة الجمعة المؤذنة بغاية الوصل اذ مقام الجمع هو مقام الوصل الذى هو أكمل المقامات وأفضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بتقطعهم وحرمانهم وللنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات ففيه اشارة الى مآل كل أمة وفى الصحيح ان الله هدانا اليوم الجمعة وأضل عنه اليهود والنصارى أى لان اليهود لما اعتقدوا ان أول الاسبوع الاحد كان الجمعة سادسا فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان أوله الاثنان أخذوا الاحد وأما هذه الامة فاعتقدوا ان أوله السبت فاخذوا السابع يوم الجمعة قيل ولا حجة فى اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فأخذتها العرب عنهم ولم يرد فى القرآن الا الجمعة والسبت على أن هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمى خامس العدد أربعاء ومكذا ولذا قال ابن عباس ان التاسع هو عاشوراء ويحتمل أن يكون المعنى لو أريد بهم خير لكانت الايام كلها عندهم كيوم السبت محلا للعبادة وذكر الاربعاء تمثيل